الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـة غرداية
كلية العلوم الاجتمـــاعية والإنسانيـة
قسـم التاريخ

الحركة الإصلاحية والوطنية في الجنوب الجزائري وادي ميزاب أنموذجا (1317-1374هـ/1900-1954م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل.م.د)

في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالب:
عبد القادر فرحات

إشراف: الأستاذ الدكتور
محمد حوتيه

أعضـــــــاء لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبـــــة	الجامـــــعة	الصفـــة
أ.د/ ناصر بالحاج	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	رئيسا
أ.د/ محمد حوتية	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	مشرفا ومقررا
أ.د/ صالح بوسليم	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	عضوا ممتحنا
أ.د/ ابراهيم سعيود	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر2	عضوا ممتحنا
أ.د/ جلول بن قومار	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	عضوا ممتحنا
د/ الشيخ لكحل	أستاذ محاضر "أ"	جامعة غرداية	عضوا ممتحنا

الموسم الجـــــامعي: 1443-1444هـ/2022-2023م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وامتنان

الحمد لله على الذي لا يُخيّب من استدعى نعمه، ولا يخيب من استجدى كرمه.

إنه لمن من دواعي الأمانة والوفاء أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من دعمني في إعداد هذه الأطروحة: مبتدئا بأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور حوتيه محمد، الذي كان لي نعم المعين في إعداد هذا البحث، فله مني جزيل الشكر والامتنان على ما أفادني به من ملاحظات قيمة، ونصائح سديدة.

وهذه الأطروحة مدينة بالشكر إلى كوكبة من الأساتذة والزملاء الذين كان لهم الفضل في أخراجه إلى النور، وأخص بالذكر: الأستاذ مالكي جمال، وأستاذتي لزغم فوزية، والأستاذة حمري ليلى، والأستاذ عبد الجليل ملاخ، والأستاذ ساسي عطاء الله، فلهم مني خالص الشكر على ما قدموه لي من مساعدة في إنجاز هذا البحث.

ومن جهة اخرى لا يفوتني ان أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير لكل من قدم لنا يد المساعدة من قريب او بعيد ولو بالكلمة الطيبة، عيسى عباد، غافول عبد القادر، قرناشني خالد، دمني عثمان

إهـــــــداء

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى من قال فيهما الله عزوجل:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ {الإسراء، الآية 23}

إلى الوالدين الكريمين –حفظهما الله ورعاهما–

إلى أخي وأخواتي.

وإلى كل زملائي بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعـــة بن خلدون تيارت، وكذلك

إلى كل موظفي وأساتذة جامعة غرداية.

وإلى كل من ساعدني في إعداد هذه الأطروحة ولو بالكلمة الطيبة.

المختصرات باللغة العربية:

تق	تقديم
تع	تعريب
إع	إعداد
تح	تحقيق
در	دراسة
مج	مجلد
تر	ترجمة
تعل	تعليق
ع	عدد
ج	جزء
ط	طبعة
م	ميلادي
ص	صفحة

المختصرات باللغة الأجنبية:

Tome	T
Volume	VO
Page	P
page continue	PP
Ouvrage Précité	Op.cit
Archives d'Outre-Mer AIX-EN PROVENCE	A.N.O.M
Nombre	N°

مقـــــدمـــــــة

لقد اتسمت المقاومة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي منذ سنة 1830 إلى غاية الاستقلال باستمرارها وتنوع أساليبها، وكذا تأقلمها مع الظروف والعوامل الداخلية والخارجية، كما شهدت اختلافا من منطقة إلى أخرى ومن فترة زمنية إلى أخرى، بالرغم من السياسة الاستعمارية المتنوعة التي قامت على أساس استغلال كل الإمكانيات التي تتوفر عليها الجزائر مخلفة أثارا سلبية طالت كل جوانب الحياة، إلا انها لم تحد من عزيمة الجزائريين في مقاومتها، حيث اعتمدوا في بداية الأمر وسيلة الكفاح المسلح للدفاع عن بلادهم وأنفسهم لفترة زمنية طويلة عانوا فيها معاناة شديدة تمثلت في تجريدهم من أملاكهم وتشريدهم إلى مناطق نائية.

ومع مطلع القرن العشرين عرفت الجزائر بداية نهضة دينية وثقافية عبرت عن سخط الجزائريين للسياسة الفرنسية وتعلقهم بالشخصية الجزائرية والهوية الإسلامية وكذا تشبثهم بأرضهم، زد على ذلك انعكاسات الحرب العالمية الأولى عليها والتي بدورها أكسبتهم وعيا وخبرة، وهيأت الظروف لبروز قيادات جديدة غيرت أسلوب المقاومة من الكفاح المسلح إلى النضال السياسي، نتيجة تطورات داخلية وخارجية، والتي بدورها أدت إلى ظهور الحركة الوطنية الجزائرية والمتمثلة في المنظمات السياسية والإصلاحية التي ساهمت بقدر كبير في تحريك الساحة السياسية والثقافية.

لقد كان لمنطقة وادي ميزاب نصيب هام منها كونها من المناطق الجزائرية التي تأثرت بمستجدات القرن العشرين، وذلك لأنها لم تكن بمعزل على مجريات الأحداث في الجزائر، حيث بادر رجالاتها إلى رفع المستوى الفكري والعلمي والحس الوطني، بغية دفع المنطقة إلى مواكبة التطورات الوطنية في مقاومة السياسة الاستعمارية. من هنا تتضح معالم الدراسة التي تبرز الدور الإصلاحي والوطني لسكان منطقة وادي ميزاب في منطقة وادي ميزاب، وعليه عنونا الدراسة بـ: "الحركة الإصلاحية والوطنية في الجنوب الجزائري، منطقة وادي ميزاب أنموذجا -1900- 1954."

– دوافع وأسباب اختيار الموضوع:

تعود اهتماماتي الأولى بالبحث في تاريخ منطقة وادي ميزاب خلال الفترة المعاصرة إلى مرحلة تسجيلي في الدكتوراه، أين رغبت في الإسهام في كتابة جزء من تاريخ المنطقة، بدراسة علمية أكاديمية، وكذا إضفاء ما هوجديد مما لم تتعرض له الدراسات الأكاديمية السابقة، حيث تم اختيار وضبط موضوع البحث بـ"الحركة الإصلاحية في الجنوب الجزائري –منطقة وادي ميزاب أنموذجا 1900–1954"، غير أنه تم إعادة ضبطه وتوسيعه من طرف أستاذي المشرف بـ " بـ"الحركة الإصلاحية والوطنية في الجنوب الجزائري –منطقة وادي ميزاب أنموذجا 1900–1954"، وبهدف دراسة المنطقة أيضا من الناحية النضالية السياسية، حيث كان له الدور الكبير في تحفيزي ودعمي للعمل على هذا الموضوع، بالإضافة إلى السعي لمعرفة مدى مساهمة المنطقة في الإطار التاريخي والجغرافي العام للجزائر.

– الأهداف:

– جمع ما هومتفرق من دراسات علمية أكاديمية حول تاريخ المنطقة، وكذا إثراء المكتبة الجزائرية بدراسة متخصصة حول تاريخ الحركة الإصلاحية والوطنية لمنطقة وادي ميزاب.

–إظهار إسهامات علماء المنطقة في نشر الفكر الإصلاحي وسعييهم في الحفاظ على الشخصية الوطنية والهوية الإسلامية.

–إبراز النضال السياسي الذي قاده مشايخ الإصلاح في مجابهة الإدارة الاستعمارية الفرنسية، وكذا تكامل حركتهم على كامل التراب الوطني، وكذا تأثر سكان المنطقة بمختلف التأثيرات الفكرية رغم سياسة العزلة المطبقة عليهم.

–إبراز أهم العوامل والأسباب التي أدت بعلماء ميزاب لتبني الفكر الإصلاحي والوطني.

الإطار الزماني والجغرافي للدراسة:

تعتبر الفترة الممتدة من 1900 إلى 1954 فترة تحول هام في تاريخ وكفاح الجزائر ونضالها ضد الاحتلال الفرنسي، حيث شهدت ظهور روافد جديدة بعد أن اقتنعت بأن الاعتماد على المقاومة المسلحة الغير منظمة، والوسائل العسكرية البسيطة، لم يكن كافيا وحده لتحرير البلاد وإجبار المستعمر على الرضوخ لمطالب الشعب الجزائري، حيث اعتمدت الحركة الوطنية بداية القرن العشرين على الجمعيات والنوادي الثقافية التي أنشأتها وطورت من نشاطاتها، كما أنا وجود شخصية شارل جونار على رأس الإدارة الفرنسية سنة (1900-1901) كحاكم عام والثانية (1903-1911) والثالثة بعد الحرب العالمية الأولى (1918- 1921) والذي اعتمد سياسة جديدة في الجزائر أبرزها إحياء فن العمارة الإسلامي، وبعث التراث الوطني المكتوب، وتجديد برامج التعليم في المدارس العربية الإسلامية، وكذا التقرب من المثقفين الجزائريين وتشجيعهم على تقديم الدروس في المساجد.

ومنه يمكن اعتبار سنة 1900 بمثابة معلم تحول في مسار الحركة الوطنية الجزائرية إذ تمثل عمر جديد للجزائريين في مختلف الميادين حيث شهدت بعث التراث الفكري والحضاري للأمة الجزائرية في خدمة القضية الوطنية والحركة الإصلاحية على وجه الخصوص، وتنتهي حدود الدراسة مع تفجير الثورة المباركة سنة 1954. أما الإطار الجغرافي لموضوع الدراسة فيمتد على حيز مكاني محدد وهومنطقة وادي ميزاب، أو ما أُصطلح عليه ببلاد الشبكة.

- **الإشكالية:**

ترتبط إشكالية هذه الدراسة بنقطة هامة، ولهذا اخترنا أن تكون الإشكالية كالآتي: ما طبيعة الحركة الإصلاحية بمنطقة وادي ميزاب؟، وما موقفها الوطني من السياسة الإدارية الاستعمارية في الفترة الممتدة من 1900 إلى 1954؟

لتتفرع عن هذه الإشكالية العديد من التساؤلات، ومنها :

-فيم تمثلت أساليب فرنسا لاحتلالها لمنطقة وادي ميزاب؟، وما ردود فعل الأهالي منها؟.

-ماهي مظاهر نشاط الحركة الإصلاحية في وادي ميزاب؟، ماهي تأثيراتها؟

-ماهي العوامل التي ساعدت على ظهور الحركة الإصلاحية؟

-فيم تمثلت الجهود الإصلاحية في المنطقة؟

-من هم أهم رواد ورموز الحركة الإصلاحية والوطنية في وادي ميزاب خلال القرن العشرين؟

-فيم تمثلت الوسائل والآليات التي وظفها علماء المنطقة لنشر فكرهم النهضوي؟، وماهي نقاط التقاطع والتطابق بين الفكر الإصلاحي في المنطقة وبين الفكر الإصلاحي الذي تبنته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؟.

-كيف تعامل سكان غرداية مع التجمعات والخطابات السياسية أثناء انتخابات 1948؟

- الدراسات السابقة:

تشمل الدراسات السابقة كل ما يتصل بالموضوع مما تم نشره، حيث وجدنا بعض الدراسات التي تطرقت إلى موضوع الحركة الإصلاحية والوطنية في ميزاب وتناولته من زوايا مختلفة، كما تنوعت هذه الدراسات بين العربية والأجنبية، جاءت في فترات زمنية مختلفة، من هنا سنحاول استعراض جملة من الدراسات التي تم الاستفادة منها، ومنها: أطروحة دكتوراه للباحث محمد بوسعدة بعنوان: "دور ميزاب في الحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية 1930- 1926"، تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، نوقشت بجامعة حمه لخضر بالوادي موسم 2020/2019، وقد أفادتني كثيرا في الفصل الأخير من الرسالة، بحيث تطرقت إلى دور الميزابيين في النضال السياسي والثوري في الجزائر، والثانية للباحث عبد القادر قوبع بعنوان: "الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب" بين سنتي 1920-1954"، وهي رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، نوقشت بجامعة

يوسف بن خدة الجزائر موسم 2008/7/20، استفدت منها في الفصل الثالث والرابع، غير أنها لم تتناول الدور الإصلاحي في المنطقة بشكل عميق، وذلك بسبب تطرقه لمنطقتين في نفس البحث -الزيبان وميزاب-، والثالثة للباحث دهمة بكار بعنوان: "دور غرداية في الحركة الوطنية 1919-1954" نوقشت بجامعة الجزائر موسم 2012/2011، حيث أفادتني في الفصل الأخير الخاص بالنضال السياسي للمنطقة.

وما يمكن قوله حول هذه الدراسات، هو أنها لم تتطرق إلى العديد من الجوانب، والتي تناولتها في موضوعي كإبراز الدور الفعال لأعلام منطقة وادي ميزاب وبالأخص الجماعة المالكية، ونضالهم الإصلاحي والوطني في وادي ميزاب، والخوض في حظ المرأة من الحركة الإصلاحية في وادي ميزاب بصفتها أساس المجتمع والأمة.

- المنهج المتبع:

إن طبيعة الموضوع جعلتنا نعتمد في دراستنا على المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي، التاريخي أين تطرقنا من خلاله إلى الحركة الإصلاحية والوطنية في الجزائر عامة وميزاب خاصة، حيث توقفنا واستعرضنا مختلف المحطات التاريخية ضمن التسلسل الزمني بدء من سنة 1853 إلى غاية 1954، بالإضافة إلى مساهمة المنطقة في نشر وتعميم الحركة الإصلاحية بالجزائر وكذا المحافظة على الهوية الوطنية الإسلامية.

كما استعرضنا وصف للمظاهر الطبيعية التي ميزت المنطقة من موقع جغرافي وتضاريس ومناخ ومجاري مائية إضافة إلى وصف واقع الحركة الإصلاحية والوطنية في المنطقة انطلاقا من المؤسسات الفاعلة.

بالإضافة إلى قراءة وتحليل النتائج المترتبة عن نشاط علماء الإصلاح بالمنطقة، وهل وجدت لنفسها صدى داخل المجتمع الميزابي الإباضي المحافظ؟

أيضا اللجوء إلى الجانب التركيبي وإلى أسلوب المقارنة في مجال جمع المادة الخبرية من حيث تصنيفها وإعطاء الأولوية لبعضها وتفضيل الآخر منها، وكذا تفهم الشروح المذهبية والعقائدية بالنسبة للجمعيات الدينية والمنظمات الثقافية، وكذا مراعاة واقع وظروف الحركة الإصلاحية والوطنية في وادي ميزاب، الإدارية منها والاقتصادية والاجتماعية.

وكمرحلة أخيرة فإننا راعينا الجانب الموضوعي والذي يصعب أثناء البحث والكتابة في مثل هذه المواضيع خاصة في فترة الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين.

– الخطة المعتمدة :

قسمت بحثي إلى مدخل وستة فصول، المدخل بعنوان الإطار الجغرافي والتاريخي لوادي ميزاب، تناولت فيه المعطيات العامة الجغرافية والجيولوجية والمناخية للمطنقة، وكذا التركيبة السكانية والعمرانية التي عرفتها منطقة وادي ميزاب. بالإضافة إلى ضبط المفاهيم والمصطلحات المرتبطة بالموضوع.

أما الفصل الأول فعنونته بـ"البيئة العامة لوادي ميزاب بداية القرن العشرين"، خصصت فيه الحديث عن النظام الاجتماعي السائد في المنطقة، من حيث التركيبة الاجتماعية، وكذا تأثير الإستعمار الفرنسي عليه، وأيضا تحدثت عن البيئة الثقافية مركزا على حالة التعليم بمختلف مستوياته وأصنافه بداية القرن العشرين، وأيضا مؤسستي القضاء والأوقاف، وكذلك الحديث عن البيئة الاقتصادية من خلال التفصيل في المجالات الصناعية والزراعية والتجارية التي عرفتها المنطقة.

أما الفصل الثاني فقد خصصته لـ "الإرهاصات الأولى لظهور الحركة الإصلاحية"، قسمته إلى خمسة عناصر، بداية بالحديث عن ظهور الحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي، وكذا اندلاع الحرب العالمية الأولى وتأثيرها على الحركة الفكرية في الجزائر، والعنصر الثالث حول السياسة

الاستعمارية الفرنسية في المنطقة، ورابعا التطرق إلى علماء الفكر الإصلاحي في وادي ميزاب، وخامسا التحدث عن مشروع البعثات العلمية.

أما الفصل الثالث فجاء بعنوان "المؤسسات والوسائل الإصلاحية في وادي ميزاب"، حيث خص الحديث عن أهم الوسائل التي اعتمدها علماء الحركة الإصلاحية بغية نشر وإنجاح مشروعهم الإصلاحي، والتي تمثلت في المساجد والجمعيات الدينية والثقافية والمدارس، وكذا تأسيس الصحف، بالإضافة إلى المسرح والكشافة، أين لعب دورا كبيرا في الترويج للفكر الإصلاحي في المنطقة.

والفصل الرابع عنونته بـ "رواد النهضة الإصلاحية والوطنية وأسسهم الفكرية في وادي ميزاب"، فقد أوردت فيه ترجمة لأبرز أعلام الحركة الإصلاحية في المنطقة، بما فيهم الإباضية والمالكية، مركزا على فلسفتهم الفكرية والإصلاحية المنتهجة، ومدى تأثيرهم في النضال الإصلاحي والوطني.

أما الفصل الخامس جاء بعنوان "مظاهر الحركة الإصلاحية والتعليمية والدينية والاجتماعية في وادي ميزاب"، تحدثت فيه عن الإصلاح التعليمي بمختلف مستوياته وجهود العلماء في تطويره وعصرنته، وكذا حظ المرأة الميزابية من التعليم، أيضا تحدثت فيه عن الإصلاح الديني والاجتماعي من خلال إبراز دور المصلحين في مقاومة الحملات التبشيرية والتنصيرية، والتصدي لمشروع التجنيس والاندماج، وكذا محاربة الآفات الاجتماعية والانحراف الخلقي، مبرزا كذلك دور المرأة الميزابية في إصلاح ومحاربة البدع والخرافات داخل الوسط النسوي الميزابي.

أما الفصل السادس عنوانه "مظاهر الحراك السياسي والوطني في وادي ميزاب"، فصّلت في الحديث عن التجنيد الإجباري وأثره على أبناء المنطقة وردود الفعل عنه، وكذلك دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في بعث روح النضال الوطني في المنطقة، كذلك الحديث عن المؤتمر الإسلامي كمحطة سياسية هامة في المسار النضالي، وكذلك الحديث عن قانون 1947 وما أفرزه من إصلاحات أهمها انتخابات المجلس الجزائري 1948، أين أبرزت بالتفصيل دور منطقة وادي ميزاب في خوض غمار التجربة الانتخابية، وما نتج عنها من مواقف وردود فعل وما أثمرته من نتائج.

– المصادر المعتمدة:

إن عملية البحث عن المصادر الضرورية من أجل تجميع المادة الخبرية الخاصة بالموضوع، تمت على عدة مستويات، أهمها:

– الوثائق الأرشيفية:

الإطلاع على جزء هام من الوثائق الأرشيفية الخاصة بمصلحة (أرشيف ما وراء البحر) الكائن بمدينة "أكس أوبروفانس" بفرنسا، والتي هي عبارة عن علب قُدمت لنا من طرف الأستاذة الدكتوراه حمري ليلى، وهي علب تابعة لمصلحة شرطة الاستعلامات العامة الخاصة بمنطقة وادي ميزاب، ومدينة الأغواط، ومدينة الجزائر، والتي هي عبارة عن تقارير يومية وأسبوعية عن الوقائع والأحداث التي كان يعيشها المجتمع في وادي ميزاب، وكذا مراقبة الشخصيات ونشاطها السياسي والاجتماعي والثقافي في المنطقة وخارجها، كما عالجت هذه الوثائق القضايا السياسية وكذا الصراع الاجتماعي السياسي المحلي في وادي ميزاب، حيث أفادتني في بحثي بالأخص في التعرف على بعض جوانب الحركة الإصلاحية والوطنية في المنطقة.

– المصادر من الصحف:

لقد شكلت لي الصحافة وسيلة خاصة ومهمة في بحثي، فقد تحصلت عليها من مكتبة الشيخ "بكلي" بمدينة العطف، ومنها صحف الشيخ أبي اليقظان الإصلاحية كونها عبارة عن وسيلة لنشر الفكر الإصلاحي في الجزائر عامة ووادي ميزاب خاصة، ولعل أهمها: "جريدة وادي ميزاب"، وجريدة "الأمة". وكذا جرائد جمعية العلماء المسلمين "الشهاب"، و"البصائر"، حيث ساعدتني هذه الجرائد كثيرا في بحثي خاصة نهاية العشرينيات وبداية الثلاثينيات من القرن العشرين في وادي ميزاب.

– الرحلات الميدانية والمقابلات الشخصية:

نظرا لنقص المادة الخبرية الخاصة بموضوع البحث، بادرنا رفقة أستاذي المشرف بالتنقل إلى منطقة وادي ميزاب، والإقامة بها مدة عشرة أيام، وبالتحديد مدينة القرارة، مدينة بريان، مدينة غرداية، بونورة، بني يزقن، ومدينة متليلي، حيث قمنا بعدة اتصالات من أجل إجراء لقاءات وحوارات ومناقشات علمية وموضوعية مع بحض الشخصيات والأعيان والأعلام الثقافية والدينية والسياسية التي عايشت الفترة المدروسة، وكان لها نشاط معين أو تأثير معين، إذ أننا استأنسنا بآراء الكثير منهم، ومراعاة للجانب الموضوعي في البحث فأننا لم نثبت جميع أقوال من تحاورنا معهم حول المرحلة التاريخية المدروسة، وذلك راجع لعدة اعتبارات.

– الكتب:

– كتاب: إبراهيم بن عمر بيوض مصلحاً وزعيماً، لمؤلفه الدكتور محمد ناصر، تناول فيه بشيء من التفصيل كل ما يتعلق بحياة الشيخ إبراهيم بيوض، بحيث ركّز بشكل أساسي عن دور الرجل في بعث النهضة العلمية والإصلاحية في المنطقة.

–كتاب: ومضات من تاريخ مدينة القرارة الثقافي والسياسي والثوري خلال الفترة ما بين 1900– 1962 لمؤلفه التجاني أحمد حماني. وقد تتبع المؤلف مراحل تطور الحياة الثقافية والعلمية، ومراحل تبلور النضال السياسي في مدينة القرارة خاصة عند الجماعة المالكية.

–كتاب: تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، لمؤلفه الحاج سعيد يوسف بن بكير، وهومن منشورات المطبعة العربية بغرداية. تناول الكتاب تاريخ المجتمع الميزابي بشيء من التفصيل، حيث تتبع مراحل تطور الجماعة الميزابية على كافة الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية كما لم يغفل الكتاب نضال الجماعة الإباضية ضد قانون التجنيد الإجباري.

-كتاب: أضواء على وادي ميزاب ماضيه وحاضره لمؤلفه مفدي زكرياء، أحد رواد الاتجاه الاستقلالي في الجزائر، وهوشاعر الثورة؛ صاحب النشيد الوطني الجزائري. تحقيق الدكتور إبراهيم بحاز، استفدت من الكتاب بشكل جيّد، وخاصة في الفصل الأول الذي تناول فيه جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية لسكان وادي ميزاب، فالكتاب أرّخ وبشكل جيد للمجتمع الإباضي بالمنطقة .

-كتاب: دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديماً وحديثاً، لمؤلفه محمد حموعيسى النوري، وهومن منشورات دار الكروان بباريس في فرنسا، وتمّ إعادة نشره في طبعته الثانية بالجزائر، حيث ظهر في أربعة أجزاء كلها تناولت بالتفصيل أهم الأحداث التاريخية التي شارك فيها أبناء ميزاب منذ العهد العثماني في الجزائر، كما تطرق لظروف الاحتلال الفرنسي للجزائر، وإلى دور أبناء ميزاب في مواجهة الاستعمار،كما تناول بالتفصيل الأسباب التي أدّ ت بأبناء ميزاب إلى إبرام معاهدة الحماية.

-كتاب: أعلام الإصلاح في الجزائر يقع في خمسة أجزاء لؤلفه محمد علي دبوز، حيث تطرق فيه المؤلف الى التعريف بأعلام الإصلاح وجهودهم في الميدان الاجتماعي والديني والثقافي الجزائري، ويعد الكتاب من أبرز الكتابات الجزائرية في دراسة تاريخ الحركة الإصلاحية الجزائرية .

-كتاب آخر، بعنوان: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، يقع في ثلاثة أجزاء، حيث تطرق فيه إلى الحياة السياسية في الجزائر قبل اندلا ع الثورة، من خلال بعض النماذج، كما تطرق فيه إلى النهضة العلمية في الجزائرعامة بداية من القرن العشرين ووادي ميزاب خاصة، وما شهدته هذه النهضة من إنشاء المدارس وارسال البعثات العلمية إلى تونس، وقد أفادني الكتاب في الفصلين والرابع والخامس، ويعد هذا الكتاب كذلك من الكتابات البارزة في هذا المجال.

-كتاب: رجال وأعلام من صحراء الجزائر لمؤلفه الشيخ إبراهيم أولاد الطاهر، تقديم الدكتور شافعي درويش عالج فيه المؤلف موضوع هام للغاية حيث جمع مايقارب ثمانون شخصية وعلم من صحراء الجزائر عامة ووادي ميزاب خاصة تجمع بينهم ميزة الوطنية والإصلاح حيث أفادنا كثيرا في الفصل الرابع الذي خصصناه لتعريف برواد الإصلاح والوطنية في وادي ميزاب.

-كتاب: معالم النهضة الإصلاحية عند إباضية الجزائر من سنة 1157هـ/1744م إلى سنة 1382هـ/1962م - للباحث الشيخ بلحاج قاسم، وهي في الأصل أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية، نوقشت بجامعة الجزائر، 2009م، وقد استفدت منه في الفصل الثالث، حيث احتوى على معلومات حول الحركة الإصلاحية عند الجماعة الميزابية في المنطقة.

-كتاب: كلمات خالدة للبكري، لمؤلفه عبد الرحمان بن عمر البكري، عالج فيه المؤلف الأوضاع العامة التي كانت تعيشها منطقة وادي ميزاب، مركزا على الميدان الثقافي خاصة التعليمي منها في منطقة بريان، حيث اعتمدت عليه في الفصل الأول من الرسالة.

-كتاب: نبذة مختصرة من حياة الشيخ الأخضر الدهمة الجزائري، لمؤلفه الشيخ لخض الدهمة، تحدث فيه صاحبه عن سيرته الذاتية، وما قدمه للحركة الإصلاحية والوطنية بالمنطقة.

-كتاب: مشاييخي كما عرفتهم، لمؤلفه محمد ناصر، حيث جمع فيه تراجم وسير رواد الحركة الإصلاحية بالمنطقة وادي ميزاب، اعتمدت على هذا المؤلف في الفصل الرابع الخاص بذكر تراجم لعلماء المنطقة.

-كتاب: مسيرة الاصلاح في جيل، لمؤلفه عبد الرحمان بن عمر بكلي،احد رواد الحركة الإصلاحية والوطنية في وادي ميزاب، استفدت منه بشكل جيد في الفصل السادس،خاصة العنصر الخاص بنضال السياسي في المنطقة.

-كتاب: أبواليقظان وجهاد الكلمة، لمؤلفه محمد ناصر، تناول فيه المؤلف التعريف بجرائد أبواليقظان وكذا جمع كل الموضوعات التي تطرقت إلى المجال الإصلاحي فيها حيث أفادني كثيرا في العنصر الخاص بالصحافة في الجزائر.

-كتاب: صفحات من مآثر وجهاد الإمام محمد بن عمر بوحميدة، لمؤلفه جمال الدين بوحميدة، حيث تطرق إلى سيرة حياة الإمام المصلح، وكذا مسيرته الإصلاحية والنضالية في منطقة غرداية، حيث أفادني كثيرا في الفصل الرابع والخامس.

الصعوبات:

لا يخلو أي بحث علمي من الصعوبات، فمن بين الصعوبات التي واجهتنا في موضوع الدراسة، صعوبة التنقل إلى مراكز البحث والأرشيف المحلية والدولية (فرنسا خصوصا)، وذلك للعديد من الأسباب أبرزها الظروف الصحية التي كان يمر بها العالم وما يعرفه من قيود، وكذا نقص المادة الخبرية من الكتب الخاصة بدور علماء المالكية في المجال الإصلاحي والنضال السياسي، مما دفعني إلى الاعتماد على الرواية الشفوية من خلال إجراء مقابلات شخصية ومسجلة مع علماء وشخصيات مالكية والإباضية في المنطقة، وأيضا صعوبة التوفيق بين البحث العلمي المرتبط بتكريس كل وقتي لإعداد الأطروحة وظروف العمل والضغوطات العائلية .

ومن نافلة القول أن طموحي في هذه الأطروحة لا يتعدى اعتباره مجهودا أوليا ومتواضعا لا يخلو من نقائص، ولا يشكل إلا مساهمة متواضعة وبداية عمل يحتاج إلى مجهودات كبيرة وحيزا زمنيا أطول، حيث لا تزال المعلومات مدفونة في ثنايا الجرائد، والمجلات، ودور الأرشيف لنفض الغبار عنها، كما لا يزال الباب مفتوحا أمام الباحثين والمؤرخين لاستكماله والوصول إلى نتائج مختلفة اعتمادا على ما يتوفر من وثائق، ورغم ذلك نأمل أن يكون الجهد الذي بذلته قد حقق الإضافة المرجوة، وأضاف لبنة في صرح البحث التاريخي، وسّلط الضوء على بعض القضايا التي لم تنل حظها الكافي من الدراسة والبحث .

المدخل:

الإطار الجغرافي والتاريخي لواد ميزاب

مفاهيم ومصطلحات

أولا: الحركة الإصلاحية والوطنية في الجنوب الجزائري

ثانيا: المعطيات العامة لمنطقة وادي ميزاب

ثالثا: مفهوم الإصلاح

رابعا: مفهوم الوطنية

خامسا: مفهوم الحركة الوطنية الجزائرية

تمهيد:

قبل الحديث عن الحركة الإصلاحية والوطنية في وادي ميزاب لابد من تنوير القارئ بالمعطيات العامة عن الجنوب الجزائري بما فيه منطقة وادي ميزاب، أين ستساعدنا في تحليل وفهم مجريات النضال الوطني والإصلاحي. بالإضافة إلى التطرق إلى ضبط المصطلحات التي لها صلة كبيرة بموضوع الدراسة، مثل: الإصلاح، الوطنية، الحركة الوطنية، وادي ميزاب، وذلك من خلال معرفة مفهومها اللغوي والاصطلاحي، وهو ما يوضح لنا معالم دراسة موضوعنا.

(أولا): الحركة الإصلاحية والوطنية في الجنوب الجزائري:

رغم اتساع المساحة الجغرافية للجنوب الجزائري وكذا الأوضاع الاجتماعية المزرية التي كان يعيشها ساكنتها وما سادها من أمراض ومجاعات وكذا السياسة الاستعمارية المنتهجة عليه نهاية القرن 19م وبداية القرن 20، فقد اصطدم التوغل العسكري الاستعماري في الجنوب الجزائري بمقاومة شعبية عسكرية حاولت بكل قدراتها وإمكانياتها صد هذا التوغل، ولعل أبرزها مقاومة الشريف محمد بن عبد الله السنوسي الذي قاد المقاومة من 1851 إلى 1861 في المنطقة الممتدة من بسكرة، ورقلة، الأغواط، غرداية[1]، أما في منطقة التوات فقد قام المقاوم الشيخ أحمد بن التومي بن إبراهيم المدعوا بوشوشة 1870-1874م[2].

كما أعلنت الطوارق الثورة بقيادة الحاج محمود الشيخ أبار نواحي جانات، حيث استمرت المقاومات الشعبية في الصحراء الجزائرية إلى غاية نهاية 1918م، كما رافقت المقاومة العسكرية توظيف الموروث الثقافي ضد الوجود الاستعماري قصد تسجيل الأحداث لحفظ الذاكرة من الاندثار،

[1] - عبد القادر مرجاني، **مقاومة الشريف محمد بن عبد الله 1851-1871 على ضوء كتاب الفرنسيون في الصحراء**، مجلة الباحث، مج12، العدد: 03، 2020، ص- ص: 330-333.

[2] - عيسى بوقرين، **أضواء على مقاومة الشريف بوشوشة 1863-1875**، مجلة الدراسات التاريخية، جويلية 2019، ص-ص: 113- 120.

حيث وظف شعراء المنطقة موهبتهم في تسجيل الأحداث والتعبير عن موقف السكان من السيطرة الاستعمارية وذلك من خلال قصائدهم الشعرية، ولعل أبرزهم الشاعر محمد بن عبد الرحمان السكوتي 1817-1865، الذي نظم قصيدة يؤرخ فيها لمعركة "إينغر" بمنطقة توات مطلعها[1]:

يا أهل إينغر للسماء مجدكم سما وصيتكم يعلوا وينتشر

كما وصف خسائر العدوا وكيف انسحب الفرنسيون مهزومين من المعركة، وعلى اكتافهم جرحاهم وقتلاهم قائلا[2]:

أبوا الخزايا حيارى يحملون على أكتافهم جيفا ماواهم سقر

ويقول أيضا[3]:

فالأرض من دم كلماهم ملونة كما بقتلاهم قد ملئت حفر

أما الشاعر حمزة بن حاج أحمد 1843-1916 فقد كتب قصيدة عن مقاومة إينغر وعن تكاثف جهود سكان المنطقة يصف فيها مختلف عناصر المجتمع التواتي التي شاركت في المعركة وعن روح التضامن بينهم قائلا[4]:

جازاهم الله عنا الخير أجمعه شريفهم ومرابطا وعربيا

كما وصف المعركة وخسائر المحتل الفرنسي قائلا:

ستا وخمسين أهدوها إلى سقر موتى يلقون في الجحيم خسران

---

[1] – محفوظ رموم، **الاحتلال الفرنسي لأقصى الجنوب الغربي الجزائري والمجابهة العسكرية والثقافية**، الحوار الفكري، العدد: 11، 2016، ص: 81.

[2] – **المرجع نفسه**، ص: 82.

[3] – **المرجع نفسه**، ص: 82.

[4] – **المرجع نفسه**، ص: 82.

لقد ساهم الشعر الفصيح والملحون في التأريخ للأحداث خاصة الملحون الذي كان منتشرا في المنطقة بشكل كبير، حيث كتب الشاعر بوتقي عبد النبي بن حمو موسى قصيدة يصف فيها استعدادت العدو وقوتهم قائلا[1]:

واحد راكب مخازني لاخر ساخر واحد قايد يامر بالمنفى لينا

اطلع فوق العروق وقدات النيران تسمع حس الزهير عند الحنانا

كما يصف أجواء المعركة ويؤكد على السلاح الذي استعملته القوات الاستعمارية قائلا[2]:

من نصف الليل إلى إذا في نصف النهار صار القرطاس بينا عامل مزنا

في العروق انصب مدافعو قدات النار كسر لسوار كاملة كيف خرجنا

لقد وظف السكان المحليون في الجنوب الجزائري القصائد والأشعار والأغاني قصد تسجيل الأحداث التي عرفتها المرحلة وحفظ الذاكرة الوطنية من التشويه، حيث كانت قصائد الشاعر عبد الرجمان السكوتي وحمزة بن الحاج أحمد وبوتقي عبد النبي وغيرهم أداة للدعم النفسي وإلهابب الحماس، حيث شكلت نوعا من المقاومة الثقافية على بساطتها، والتي عرف بها الشعب الجزائري طيلة فترة المقاومة والتي أكدت على رفض الخضوع للاستعمار الفرنسي، غير أن القوات الاستعمارية تمكنت من التوغب إلى أقصلا الجنوب الجزائري، وبقيت فكرة رفض التواجد الفرنسي في المنطقة راسخة في الأذهان، حيث اتضحت من خلال النضال السياسي الذي شهده الجنوب الجزائري[3].

ومع بداية القرن العشرين ساهم علماء الجزائر في بعث الحركة الإصلاحية في الجزائر، والتي اتضحت نهاية العشرينيات وبداية الثلاثينيات مع تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين

[1] - **المرجع نفسه**، ص: 83.

[2] - **المرجع نفسه**، ص: 83.

[3] - **المرجع نفسه**، ص: 85.

أخذوا على عاتقهم فكرة المقاومة الثقافية من خلال إصلاح التربية والتعليم وإصلاح العقيدة وتنوير الفكر، وهذا النشاط الإصلاحي لم يقتصر على حيز جغرافي معين في الوطن، بل امتد من الشمال إلى الجنوب، حيث بادر علماء الجنوب الجزائري إلى إنشاء المدارس والجمعيات والنوادي لنشر الفكر الإصلاحي، وعلى سبيل المثال لا الحصر من بين هؤلاء العلماء في الجنوب نجد في بسكرة الشيخ محمد خير الدين، والشيخ محمد الحسين الأخضر الطولقي، والشيخ سعيد الزاهري، والشيخ محمد العيد آل خليفة، وفي مدينة ورقلة نشط عبد القادر القريشي، محمد الإمام القريشي النفوسي، والحاج عمر حقيقة، وفي وادي سوف فحمل لواء العلم كل من الشيخ محمد بن محمد لخضر محجوبي السائحي والشيخ حمزة بوكشوشة، وفي الأغواط أبو بكر الحاج عيسى، وفي الجلفة محمد عبد الرحمان مسعد، وفي المنيعة محمد علان، وغيرهم من العلماء[1]، وفيما يخص منطقة وادي ميزاب والتي هي موضوع الدراسة فقد عرفت بدورها نشاطا إصلاحيا مكثفا وهو ما سنتناوله بالتفصيل في باقي فصول البحث.

(ثانيا): المعطيات العامة لمنطقة وادي ميزاب:

1- الموقع الجغرافي لوادي ميزاب:

ينقسم الجنوب الجزائري من حيث البنية الرئيسية التضاريسية إلى أربعة أقسام، والمتمثلة في[2]:

– القسم الأول في الجزء الشمالي الشرقي، ينخفض بمستوى 24 متر تحت مستوى سطح البحر، وهو يتميز بكثرة انتشار الواحات أهمها: واحة الزيبان، واحة وادي سوف، وادي ريغ جنوبا.

[1]- براهيم مياسي، **دور علماء الجنوب الجزائري في خدمة العلم والأدب من خلال معاهد الزيتونة**، مجلة الذاكرة، العدد: ، ص- ص: 02- 06.

[2]- إبراهيم مياسي، **توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881- 1912**، ص: 19

– القسم الثاني يشمل الجزء الأكبر من الصحراء تغطيه الكثبان الرملية، أهمها العرق الشرقي الكبير، والعرق الغربي الكبير، بالإضافة إلى عروق ثانوية أخرى، كعرق الشاش وغيرها، ويعرف هذا القسم أيضا بالرق، وهي صحراء حصوية.

– القسم الثالث يشمل الهضاب، ومعظمها ذات تكوينات جيرية، منها: هضبة الحمادة والتي تمتد من شمال الصحراء إلى الجنوب من السلسلة الأطلسية، وهضبة تادمات الكريستالية تغطيها من الشمال إلى الجنوب طبقة من اللون الأحمر، بعلوها غطاء صحراوي.

– القسم الرابع يشمل المرتفعات التي تتمركز في الوسط بالجنوب الشرقي، تمثلها من طقة الطاسلي، والتي هي عبارة عن صخور صلصال رملي، ومنطقة الهقار التي تقدر مساحتها حوالي 500 ألف كم، وهي صخور قديمة بركانية.

فبالنسبة لجغرافية منطقة وادي ميزاب فتدخل ضمن القسم الثالث حيث تنتمي إلى الحوض الشرقي للصحراء الجزائرية، والذي يحده شمالا جبال الأطلس الصحراوي، ومن الغرب والجنوب الغربي: تنجورارين وتوات، ومن الجنوب الهقار والطاسلي، ومن الشرق الحمادة الحمراء وغدامس[1]، حيث تمتاز المنطقة عن بقية المناطق المجاورة لها بطبيعتها القاسية، فهي صحراء ضمن صحراء[2]، وتبتعد عن مدينة الجزائر بحوالي 600 كم ناحية الجنوب، و800 عن قسنطينة شرقا، و800 كم عن وهران غربا، و1500 عن تمنراست جنوبا، يحدها من الشمال واحة الأغواط، وصحراء ولاد نايل، ومن الشرق واحات حجيرة ولعلية وغيرها، ومن الغرب وادي زرقون، ومن الجنوب واحة

[1]– بلحاج معروف، **العمارة الإسلامية مساجد ميزاب ومصلياته الجنائزية**، دار قرطبة للنشر والتوزيع، ط1، 2007، ص: 3.

[2] – يوسف بن بكير الحاج السعيد، **تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية**، المطبعة العربية، غرداية، ط4: 2017، ص: 01.

ورجلان[1]، ترتفع عن سطح البحر على ارتفاع 515م[2]، كما تمتد من منطقة القرارة شرقا إلى متليلي غربا، ومن شبكة بني ميزاب إلى خط غير محدد في منتصف الطريق من ورقلة إلى غرداية شمالا، مليئ وغني بالوديان والجبال الصخرية[3].

سميت ببلاد الشبكة، حيث يطلق هذا الإسم على هضبة صخرية كلسية تسمى الهضبة الكريتاسية (plateau crétace) تقع شمال صحراء الجزائر، والتي حُفرت بها اخاديد في كل الاتجاهات الناتجة عن الحت النهري، حيث شكلت شبكة معقدة من الوديان[4]، ومنها سميت بالشبكة[5]، ومن بين هذه الوديان واد ميزاب المتجه من الشمال الغرب إلى الجنوب الشرقي، ووديان زقرير والنسا وتكسوا ظاهرها كتلة تسمى الكور[6] وأكثر ما ميز هذه الوديان جفافها، وتتسرب المياه إلى الطبقة الجوفية (nappe phréatique)، أثناء جريان الوديان على عمق 40 إلى 70 متر، الأمر الذي أدى بوجود حوالي 500 بئر، وهي الجيولوجيا التي حددت شكل العمران والتوسع وكذا الفلاحة[7].

---

[1] – ينظر الملحق رقم 01،ص: 267

[2] – بكير بن سعيد أوعشت، **وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية دينيا تاريخيا اجتماعيا**، المطبعة العربية، غرداية، 1991، ص: 20.

[3]– Daumas, **le Sahara algérienne études géostatist historique**, p : 58.

[4]– ينظر الملحق رقم 02،ص:273.

[5]– masqueray, **formation des cites chez les population sédentaires l'Algérie** (**kabyle du djurdjura**. **Chaouia de larouas**.**beni mezab**), thèse présente a la faculté du lettre de paris, 1886, p, p :203, 204.

[6] – محمد رشدي جرايا، **الصحراء الجزائرية دراسة في الجغرافيا**، مجلة البحوث والدراسات، العدد: 24، 2017، ص: 345.

[7]– محمد جودي، **واجهات مساكن قصور سهل وادي ميزاب دراسة تنميطية**، رسالة ماجستير في علم الآثار، قسم علم الأثار، جامعة تلمسان، 2006، 2007، ص: 03.

2 – الموقع الفلكي لوادي ميزاب:

تنحصر منطقة واد ميزاب أو القصور الخمسة التي أقيمت على طول الوادي بين خطي عرض 32° و20 .33° شمالا وبين خطي طول 40° و02°. 30 شرقا على مساحة قدرها 8 آلاف كم مربع[1]

3 – المعطيات المناخية:

تمتاز منطقة وادي ميزاب بمناخ قاري شبه مداري وصحراوي جاف، قليل الرطوبة الناتجة عن تبخر الأمطار المتساقطة، ما أثر في درجة الحرارة والتي بالكاد تغيب كامل السنة عبر سحب عابرة وخفيفة، كما تتميز بسقوط مفاجئ غزير للأمطار في ظرف قصير مما يؤدي إلى سيلان سريع ومباشر للأودية بالمنطقة، ينحصر المعدل السنوي لتساقط الأمطار بين 10 مم إلى 50 مم، وقد يزيد هذا التساقط في بعض السنوات، مع تسجيل سنوات شديدة الجفاف، لا سيما سنة 1863، 1920، 1944[2]، حيث لا يتعدى المعدل السنوي للتساقط من 20 إلى 30 مم، أما فيما يخص الرطوبة فمعدلها بين شهر أكتوبر وأفريل يصل حوالي 42 بالمائة، وبين شهر ماي حتى سبتمبر 04 بالمائة، مع انعدام الضباب في المنطقة[3].

[1]– marsel mercier, **la civilisation urbaine au mezabe**. **Ghardaia**. **La mystérieuse**, Edition p ij soubiron. Alger, 1932, p :30.

[2]– بكير سعيد أوعشت، **المرجع السابق**، ص: 22.

[3] – محمد جودي، **المرجع السابق**، ص: 04.

أ- **الريـــاح:**

تمتاز المنطقة بالرياح الشمالية الغربية باردة في فصل الشتاء كونها رطبة نسبيا، أما في فصل الصيف فالرياح الشمالية الشرقية هي الميزة الرئيسية للمنطقة خاصة وأنها رياح ساخنة، لا سيما تلك الجنوبية الرملية المسماة بالسريكو[1]، أما في الشتاء فهي رياح باردة شمالية تستمر أكثر من خمسة أيام[2].

ب- **الحرارة:**

تختلف درجة الحرارة في منطقة وادي ميزاب بين الشتاء والصيف والليل والنهار، ففي فصل الشتاء فإن أقصى درجة حرارة تبلغ 30 درجة وأدناه تبلغ 01 درجة، اما في فصل الصيف فإن أقصى درجة تبلغ 48 درجة، وأدناها 20 درجة[3].

ج- الأودية:

يتقاطع واد ميزاب مع العديد من الأودية المحلية، فمجرد دخوله المنطقة من الجهة الشمالية الغربية يلتقي بوادي التوزوز في بداية واحة غرداية، ثم يواصل طريقه ليلتقي بوادي أنتيسا حيث تمتد واحة بني يزقن، ثم يتقاطع مع وادي أزويل في بنورة ليستمر على شكل وادي ضيق ثم يتسع بعد ذلك عند التقاءه بوادي نميرات ووادي نيمل ليصل إلى زلفانة إلى ينتهي في سبخة على بعد 16 كلم من نقوسة شمالي ورقلة. كما تحتوى واد ميزاب على أربعة أودية رئيسية من الجنوب وادي متليلي ومن الشمال وادي ميزاب، ومن الجنوب واد زقرير.

[1]- Merciel mercier, **opcite**, p :40.

[2] - أوعشت، **المرجع السابق**، ص: 21.

[3] - أوعشت، **المرجع نفسه**، ص: 21.

د- أصل ومدلول التسمية:

لقد اختلفت الكتابات المحلية والأجنبية الخاصة بتاريخ المنطقة حول أصل تسمية وادي ميزاب، فهناك من نسبها إلى سكانها الأصليين، وهناك من يرجعها إلى طبيعة المنطقة الجغرافية، حيث يذكر المؤرخ عبد الرحمان ابن خلدون في مؤلفه قائلا: "...وقصور مصاب سكانها لهذا العهد شعوب بني بادين من بني عبد الواد وبني توجين ومصاب وبني زردال، فيمن انضاف إليهم من شعوب زناتة، وإن كانت شهرتها مختصة بمصاب..."[1]، كما يذهب الشيخ مبارك الميلي قائلا: "...ومن أفخاذ بادين مصاب، بالوطن المعروف بهم، المدعو اليوم مزاب، والزاي والصاد متقاربان"[2]، ويستدل على ذلك على أنه في اللسان البربري حرف يقرب مخرجة من مخارج الزاي والصاد والسين، فيختلف النطق عند التعريب[3]، وحسب اللهجة الميزابية يتم استبدال حرف الصاد زاي مفخمة في الكلمات وخاصة العربية مثل الصوم الذي يصبح أزومي، والصلاة التي تصبح تزاليت، من هنا تصبح مصاب مزاب[4] ومصاب هو مصعب بن محمد بن بادين انتقل بنوه إلى المنطقة مع بني اخوته عبد الوادي وتوجين وزردال وهم من الطبقة الثانية من زناتة[5].

أما الشيخ امحمد اطفيش فيرى أن كلمة مزاب مشتقة من كلمة "مضاب" بالضاد معجمة، وعلل سبب تحريفها إلى أن حرف الضاد يقرب مخرجه وصوته من مخرج حرف الزاي[6]، وهناك من يستعمل لفظ بني ميزاب والقصد بها أصحاب الميزاب، والتي ترجع في الأصل إلى قصة وقعت أحد مشايخ الإباضية الأوائل وهو أبي بلال مرداس الذي دخل مكة وجلس تحت ميزاب الكعبة، يدعوا

---

[1] – ابن خلدون، **العبر**، ج 7، **المصدر السابق**، ص: 123.

[2] – مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج2، ص: 214.

[3] – **المرجع نفسه**، ص: 214.

[4] – بلحاج معروف، **المرجع السابق**، ص: 43.

[5] – يوسف بن بكير، **تاريخ بني ميزاب...**، **المرجع السابق**، ص: 06.

[6]– محمد بن يوسف اطفيش، **الرسالة الشافية**، مكتبة الحاج صالح لعلى، بني يزقن، ص: 20.

الله فإذا بقطرة تسقط عليه من ميزاب الكعبة، فاعتقد أنها استجابة لدعائه فصار الإباضية منذ ذلك الحين يقفون أثناء الطواف صواب ميزاب الكعبة للدعاء فلقبوا بذلك الإسم[1].

أما الشيخ أحمد حماني فيرى أنه إذ كان مدلول التسمية على الوادي "وادي ميزاب"، يرى أن أقرب بلدة إلى وادي ميزاب هي ضاية بن ضحوة، وبريان أقرب إلى وادي الودان، اما مدينة القرارة يمر عليها واد زقرير، حيث ينفي تسمية المنطقة نسبة إلى الوادي[2].

ويذهب مفدي زكريا في إن السكان الحاليون هم من سلالة الذين عمروا المدن السبع الموجودة الآن والتي يتألف منها ما يسمى ميزاب، والذين نزحوا إليها عقب انهيار دولة بني رستم، نتيجة للغزو الفاطمي، وبعد ان حاولوا الاستقرار بمنطقة ورجلان أو بالأحرى في مدينة سدراتة[3].

أما الدكتور محمد علي دبوز فيرى أن أصل الميزابيين هم خليط من العرب والبربر على عكس ما ذهب إليه المؤرخون الفرنسيون أمثال ديماس الذي يرى أن بني ميزاب هم أمة منفصلة في وسط سكان الصحراء يتميز بسلوكيات وأخلاقيات ولغة خاصة، ولديهم تعديلات في ممارساتهم الدينية رغم أنهم مسلمون، لغتهم تسمى الميزابية وهي لهجة للغة البربرية، لا ينتمون إلى المذاهب الأربع، يسمون بني ميزاب، نسبة إلى الأرض التي يعيشون بها أو وبسبب النهر الذي يحمل هذا الإسم[4].

---

[1]- اطفيش، **الرسالة الشافية، المصدر نفسه**، ص: 20.

[2] – مقابلة مع الشيخ أحمد حماني التيجاني ابن المازوزي –أحد تلامذة التربية والتعليم العصرية–، يوم الأربعاء 10 اوت 2022، القرارة، الساعة 14:00- 15:00.

[3] – مفدي زكرياء، **أضواء على وادي ميزاب ماضيه وحاضره**، تح: بحاز إبراهيم، منشورات ألفا، الجزائر، ط1، 2010، ص: 73.

[4]- Marsel mercier, **opcit** , p-p : 52- 54.

4 – التركيبة السكانية والعمرانية:

أ – السكان:

ينقسم المجتمع في وادي ميزاب إلى قسمين من حيث الجانب العمراني: الحضر والبدو، كما ينقسم عرقيا إلى بربر وعرب ومذهبيا إلى إباضية ومالكية بالإضافة إلى مجموعات قبلية أخرى مثل عشيرة بني مرزوق والمدابيح وقبيلة السعيد.

-الحضر: هم سكان المدن الميزابية السبع بالإضافة إلى مدينة متليلي، وهم كالآتي:

ب– بنو ميزاب:

يذكر الشيخ مبارك الميلي أنهم من أحفاد بادين مصاب المعروف بمصعب بن محمد بن بادين، انتقل أبناءه إلى منطقة الشبكة، يمثلون الطبقة الثانية من زناتة البربرية وغتهم أصلها زناتية قريبة من الشاوية والشبحية والنافوسية، كما وصفهم "دومس" على أنهم أمة منفصلة تتميز بسلوكيات أخلاقية ولغتها غريبة، وهم مسلمون لغتهم الميزابية بربرية، غير أن رؤساء القبائل والأثرياء يتكلمون اللغة العربية وذلك للتواصل بالقبائل البدوية، كما يقومون بالصلاة بهذه اللغة ويتم تدريسها في مدارسهم[1].

نزحوا من سدراتة وورقلة هروبا من اضطهاد ومضايقات القبائل البدوية لهم حيث شكلوا مجتمعا متميزا بعاداته وتقاليده ومؤسساته أغلبهم يقطنون المدن الخمس في وادي ميزاب، يشتهرون بممارسة التجارة، هذه الأخيرة جعلتهم يتعرفون على كل ما يجري في البلاد شمالا شرقا وغربا[2]، يتبعون

[1]- Daumas, **opcite**, p,p :52,53.

[2]- دهمة بكار، **المرجع السابق**، ص: 26.

المذهب الإباضي بخلاف القبائل الأخرى، يتولى الأشراف والأعيان منهم حلقة تسمى العزابة، تشرف على معظم الأمور التسييرية وخاصة الدينية[1].

ج- الشعانبة:

من أشهر قبائل الصحراء الجزائرية والأكثر عددا استقرت فخوض الشعانبة في متليلي، وهي المقر الرئيسي لهم[2]، وينحدر الشعانبة من قبيلة علاق من عوف من سليم بن منصور من العدنانية، أتو إلى شمال إفريقيا أثناء المرحلة الأخيرة من الغزو الهيلالي بداية القرن الرابع ميلادي حيث استقروا في منطقة متليلي[3]، اما فيما يخص فروعها فإن شعانبة متليلي هم البرازقة، وبطونهم أولاد حنيش، أولاد عمار، أولاد معمر، السوايح، العوامر السويدات، أولاد إبراهيم، أولاد موسى، أولاد سيدي زرين، أولاد علوش، الشرفاء، القمارة[4]، بالإضافة إلى المرابطين الذين يقطنون نواحي القصر القديم التابعين لأولاد سيد الشيخ الذين يقطنون بناحية شعبة سيد الشيخ تصل إلى مدينة البيض[5]،ولقبيلة الشعانبة نظام خاص يسمى نظام الجماعة يمثله أعضاء يتم انتقاءهم من التجمعات السكانية الكبرى ، لهذا كانت إدارة الاحتلال تعمل من أجل الاقتراب من هذه الجماعة لتساهم في توجيه هذه الأخيرة في الاتجاه الذي يخدم مصالحها[6].

د- المجموعات القبلية:

استوطن المنطقة العديد من القبائل أبرزهم قبيلة سعيد والتي تعود أصولها إلى منطقة ورقلة الذين استوطنوا المنطقة في القرن 13م، بالإضافة إلى قبيلة بني مرزوق الذين نزحوا من المناطق التونسية

---

[1]-بساح شينار، **الإباضية والحركة الإصلاحية بالجزائر المعاصرة**، تر: ولاد بابهون بكير، 1984، ص- ص: 17- 19.

[2] - دهمة بكار، **المرجع السابق**، ص: 24.

[3] - إسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص: 63.

[4]- Daumas, **opcite**, p :315.

[5] - فاطمة حاج عمر، **المرجع السابق**، ص: 129.

[6] - دهمة بكار، **المرجع السابق**، ص: 25.

حوالي سنة 933هـ/ 1527م، يتبعون المذهب المالكي، ويتميزون بعصبية قبلية في عدم مصاهرة الأجانب عنهم[1]، بالإضافة إلى قبيلة المذابيح والتي يعود أصلهم إلى صحراء الأحقاف باليمن قدموا عن طريق السودان، ثم ليبيا واستقروا جنوب جبل عمور، وفي سنة 994هـ/ 1586م استقدمهم آت آم عيسى إلى غرداية لمناصرتهم[2]، مالكي المذهب وهم أصغر عددا من الميزابية والشعانبة، تنقسم حياتهم بين الاستقرار وحياة البدو الرحل[3].

تعود تسميتهم بالمذابيح حسب رواية بعض المؤرخين أن محمد بن يحي المعمر الأول الذي تزوج "داية" كان له راعي من نفوسة يرعى غنمه وفي ذات اليوم اعتدى أعرابي على غنمه فقتله فلما رجع بالغنم ذكر القصة لمحمد بن يحي فأنكر عليه قتله إياه، فعطف على امرأة المقتول وكانت حاملا فأنزلها من زلا واعتنى بطفلها، وكان يسمى ولد المذبوح، وأطلق على أعقابه إسك "المذابيح" إلى الآن، فعلى حسب الرواية إن أعقابه كانوا ينتقلون بين ميزاب وجبل عمور، ولم يستقروا في واحة الضايا إلا في آواخر القرن السادس عشر[4].

5- مدن وقصور وادي ميزاب:

لقد شيد سكان وادي ميزاب قصورا صغيرة قبل نزوح الإباضية إلى المنطقة، اندثرت كلها ولم يبق منها سوى بعض الأطلال، والتي يبلغ عددها بنحو خمسة وعشرين قصرا، ولعل من أهمها قصر بوكياو، قصر أقنوناي، قصر تلات، قصر ترشين، قصر موركي، قصر تافلالت، قصر الأحنش...وغيرها. وبعد وصول المد الإباضي قام الأوائل بإقامة القرى السبعة الحالية في مواقع حصينة استراتيجية، تقتضيها قواعد الدفاع الذاتي في تلك الحقبة من التاريخ، حيث بُنيت كلها على

[1] - **المرجع نفسه**، ص: 85.

[2] - يوسف بن بكير الحاج سعيد، **المرجع نفسه**، ص: 85.

[3] - دهمة بكار، **المرجع السابق**، ص: 26.

[4] - حمو محمد عيسى النوري، **دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا**، ج1، مطبعة البعث، قسنطينة، ص: 124.

قمم ومرتفعات متوسطة في العلو، يمكن الدفاع عنها، كما يسهل الاتصال بها من جهة أخرى على جوانب من الوادي غير بعيدة عن بعضها البعض، والتي هي كالآتي:

أ- قصر العطف (تاجنينت):

يقع على بعد 9 كلم من غرداية، على الضفة اليمنى من وادي ميزاب في المنعطف الذي يكونه الوادي، ومن هنا أخذت المدينة إسمها[1]. غير أن الشيخ الطفيش يرى أن إسمها العطفاء ثم حرفت لكون التسمية التي تتداول في المخطوطات هي عطفاوي، وهذه النسبة تكون من عطفاء وليس عطف[2]، ويطلق على المدينة أيضا إسم تاجنينت، وتطلق على نوع من آنية الشراب التي كان أهلها يسقون بها غروسهم، وتعد أول مدينة يؤسسها سكان ميزاب من النازحين من المنطقة، استطونها ثلاث عروش رئيسية هم: ولاد خلفي، وأولاد جنان، وأولاد عبد الله، بها مئذنتان كدلالة على ازدواجية المدينة[3]

ب- قصر بنورة (آت بنور):

تأسس في الفترة الممتدة بين سنة 438- 458هـ/ 1046- 1065م، تقع على بعد 1800 متر شمال بني يزقن، عند تقاطع وادي أزويل بوادي ميزاب، شُيدت من طرف قبيلة بني مطهر[4]، أما أصل تسميتها فيرجعها الشيخ اطفيش إلى امرأة تبيع الورد تسمى نورة[5]، كما تحتل عائلة عبد الله الجزء الكبير من المدينة أما قبيلة مؤلفة من سبع أسر[6].

---

[1]- بلحاج معروف، **المرجع السابق**، ص- ص: 45- 53.

[2]- اطفيش، **مخطوط الرسالة الشافية، المصدر السابق**، ص: 37

[3]- mascray , **formation de cité**, p ,p :42 ,43

[4] - بلحاج معروف، **المرجع السابق**، ص: 55.

[5]- الرسالة الشافية، **المصدر السابق**، ص: 38.

[6]- mascray, **ibid**, p : 42

ج– مدينة غرداية:

تقع على الضفة اليمنى لوادي ميزاب، وهي بحجم مدينة الجزائر تقريبا، تحيط بها قمم صغيرة تسمى الكاف، منازلها مبنية بشكل جيد، بها ستة مساجد ضخمة، البساتين تسقى من الآبار وعددها حوالي من 100 إلى 150 بئر[1]، سميت نسبة إلى غار أو كهف في جبل الذي نزلت به امرأة تدعى دايا، فجاء الإسم مركبا "غار داية"، وأيضا دايا إسم الغراب، وأول من سكن المنطقة الشيخ باباه عيسى العلواني[2].

وهي تعد من اهم وادي ميزاب، حيث أصبحت مع مرور الزمن عاصمة الاتحاد الفديرالي الميزابي، تضم ثلاث مجموعات سكانية مختلفة، بحيث تشكل كل واحدة منها مدينة لوحدها، ففي الشرق "حي اليهود" أما الوسط فيقطنه بنو ميزاب والجنوب الغربي "حي المدابيح"[3].

د– قصر بني يزقن:

نواته قصر "تفيلالت"، اتخذ إسم بني يزقن سنة 720هـ/1321م، بعد انضمام سكان القرى المجاورة له: "تريشين"، "تلات موسى"، "أقنوناي"، "بوكياو"، الواقعة كلها على ضفتي واد "نتيسه"، وبعض من السكان من قرية "تمزارت"[4]. أما عن مدلول الكلمة وأصلها فإن "يزقن" إسم قبيلة زناتية حيث يقول الشيخ القطب :"ففي أعمال قسنطينة قوم يسمون ولاد يزقن، جاءت طائفة منهم إلى هذه القرية فنسبت إليهم[5]، أُطلق عليها المستشرقون إسم المدينة المقدسة وذلك لتناسق

---

[1]- colonel daumas, **le sahara algerien**. **Etudes geostatistique**. Historique, p :59.

[2]– الرسالة الشافية، **المصدر السابق**، ص: 34.

[3] – بلحاج معروف، **المرجع السابق**، ص: 57.

[4] – يوسف بن بكير الحاج سعيد، **بلدة بني يزقن من خلال المجتمع المدني**، مطبعة الآفاق، غرداية، 2013، ص: 06.

[5] – أطفيش، **المصدر السابق**، ص: 20.

وانسجام عمرانها ونظافة شوارعها، أُسست في الفترة الممتدة من بين الأعوام 1321م-1347م[1] ، كما شيدت على هضبة عند نقطة تقاطع "وادي متيسه" بوادي ميزاب في الضفة اليمنى لهذا الأخير[2]، تتكون من ثلاث عروش رئيسية وهي: أولاد عنان، أولاد موسى، أولا يدر، كما عرفت هاته العروش بفضل حنكة أعيانها كيف تتعايش فما بينها وتقضي على معظم الصراعات الداخلية[3].

هـ- قصر مليكه "آت مليشت":

شُيد سنة 756هـ/ 1385م، على قمة جبل صغيرة في الضفة اليسرى من وادي ميزاب، على بعد نصف كيلومتر من غرداية على يد رجال ينتمون إلى قبيلة "مليكش" البربرية حسب الشيخ أطفيش الذي يشر أن هذه القبيلة[4] تنتشر في الشرق الجزائري[5].

لقد استطون هذا القصر "أولاد ويرو" من بني بادين، وأولاد سبع، وأولاد كطهري من بني عبد الوادي، كما انضم إليهم الشيخ "سيدي عيسى" من أولاد نايل القادم من الهضاب العليا الجزائرية، الذي اعتنق المذهب الإباضي بعد استقراره في المنطقة، وبفضل جهود هذا الشيخ الذي أراد نشر ثقافة التسامح بين السكان الإباضيين والمالكيين، قام باستقدام عدد من الأسر إلى المنطقة (شعانبة بن رزقة المالكية)، من مدينة متليلي وذلك إثر اتفاق بين المدينتين، وهؤلاء الشعانبة كانوا في ما سبق يحاربون جنبا إلى جنبا مع سكان مليكه[6].

---

[1] - بلحاج معروف، **المرجع السابق**، ص: 58.

[2]- Charle amat, **opcite**, p :47.

[3] - بلحاج معروف، **المرجع السابق**، ص: 59.

[4] - أطفيش، **المصدر السابق**، ص: 22.

[5]- Charle amat, **opcite**, p :47.

[6]- يوسف بلحاج، **تاريخ بني ميزاب**.....، **المرجع السابق**، ص، ص: 60، 61.

و– مدينة القرارة:

حسب رأي الشيخ أحمد حماني أن "القرارة" رأت النور سنة 1631م، وقبل نشوءها نشأت حاضرات القصر الأحمر، أما المؤسسون فهم "الزناخرة" وأصلهم من منطقة تيهرت، ولظروف داخلية لم يُسمح لهم بالبناء لأن المنطقة كانت تابعة لبني جلاب بمنطقة توقرت، وبعد ذلك نشأ قصر المبردخ على بعد 01كم من طرف العبادلة وقبيلة ولاد نوح وأصلهم من بني يزقن، وبعد أربعين عاما نشأت القرارة[1]

شُيدت المدينة فوق ربوة، على بعد مائة كيلومتر تقريبا شمال شرق وادي ميزاب[2]، تبعد عن مدينة الجزائر العاصمة ب 600 كم، يحدها من الشمال "قطارة" ومن الشرق العالية، ومن الغرب بريان وحاسي دلاعة ومن الجنوب زلفانة[3] ، كما ترتفع 315 متر عن مستوى البحر[4].

في آواخر القرن 16م تم طرد عشيرتي أولاد نوح وأولد باخه من مدينة غرداية إثر اصطدام بين الصفين الشرقي والغربي، فتوجهت العشيرتان إلى مدينة الأغواط، لكن لم يدم مقامهما طويلا في هذه المدينة إثر نشوب خلاف بينهم وبين سكان الأغواط الذين أرادو القضاء عليهم، فهربت العشيرتان الإباضيتان إلى منطقة بوتركفين، لكن أهالي الأغواط لحقوا بهم وأجهزوا عليهم كما قاموا بالقضاء على معظم أفراد القبيلتين وفر الناجون تجاه وادي ميزاب، حيث التقوا في منطقة تسمى "ابن سيدون" عند تقاطع وادي الكبش ووادي النسا، ثم إلى وادي زغرير، فشيدوا لأنفسهم قصر المبرتخ، وبعد زمن تصارعت العشيرتان أولاد نوح من جهة وأولاد باخه من جهة أخرى، حيث كان النصر حليف أولا نوح مما أدى بأولاد باخة للجواء إلى غرداية وطلب السماح لهم بالإقامة بها،

[1] – مقابلة مع الشيخ حماني، يوم 12 أوت 2022، 14 زولا، القرارة.

[2] – بلحاج معروف، **المرجع السابق**، ص: 60.

[3] – أحمد حماني تجاني، **ومضات في تاريخ القرارة**، دار صبحي، ط2، الجزائر، 2015، ص: 20.

[4] – إبراهيم بن محمد ويرو، **معالم الحضارة في واحة القرارة من خلال الوثائق الأرشيفية "زمامات قياد القرارة" 1333هـ–1371هـ/ 1915م–1952م**، مطبعة الأفاق، غرداية، 2017، ص: 37.

وقصد الانتقام من أولاد نوح قرر أربعون رجلا من أولاد باخه التوجه للجزائر العاصمة للعمل في التجارة وجمع الأموال اللازمة، وبعد سنتين اتجهوا بقيادة حمو بن طوبال إلى منطقة وادي زغرير حيق حطوا الرحال بكدية العقارب، وبدأوا ببناء سور يحميهم وشيدوا مسكان لإيواء عائلاتهم، وهكذا وُضعت الأسس الأولى لبناء مدينة القرارة، وكان ذلك سنة 1041هـ/1631م، وبعد قرن من الزمن انقسم سكان القرارة إلى صفين، الصف الشرقي من جهة والصف الغربي من جهة أخرى على غرار سائر المدن الميزابية الأخرى[1].

ز- قصر بريان:

يقع على بعد 45 كم شمال غرداية، ويعود تأسيسه إلى بعد هدم قصر المبرتخ الذي كان يقطنه أولاد نوح والعفافرة بسبب صراعهم مع أولاد باخه، فر من بقي منهم إلى منطقة تقع عند تقاطع وادي السودان بوادي بلوح التي كانت ملكا لقبيلة أولاد يعقوب الذين سمحوا لهم بالاستقرار في المنطقة، فبدأوا في تأسيس المدينة سنة 1090هـ/1679م ونظرا للمعاملة الحسنة التي تلقاها الإباضيون من قبل رئيس قبيلة أولاد يعقوب المدعو بريان وعرفان له بالجميل سُميت المدينة بإسمه وقيل "بريان"[2]، كما يقدم الشيخ أطفيش تفسيرا أخر في تفسير التسمية قائلا :"وسمي البلد بريان أي بئر كثير الماء ويقال أصله بئر ريان، لأن فيه بئرا معروفة إلى الآن على أنها بئر لرجل حفرها إسمه ريان"[3]

[1] - بلحاج معروف، **المرجع السابق**، ص- ص: 60- 63.

[2] - **المرجع نفسه**، ص: 64.

[3] - أطفيش، **المصدر السابق**، ص: 30.

وفي نفس السياق هناك رأي أخر فيما يخص التسمية إذ من الممكن أن تكون التسمية من أصل بربري فهي مشتقة من كلمة آت إبرقان بمعنى أصحاب الخيم الصوفية أي أن الكلمة أبرقان في اللغة الأمازيغية الخيمة المصنوعة من الوبر أو من شعر الماعز[1].

ح- قصر متليلي:

يقع على هضبة من الصخور الكلسية الصلبة التي تتخلها أودية وشعاب منحوتة تعود إلى العصر الرابع، يبلغ ارتفاعها حوالي 800م شمالا وينخفض تدريجيا حتى يبلغ 400م جنوبا، تنحدر من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي بعرض متوسطه حوالي 110 كم، كما تبلغ مساحتها حوالي 17 **كم²**[2]، حيث وصفها دوماس أثناء زيارته لمنطقة الجنوب سنة 1845م قائلا:"تقع متليلي فوق ربوة تعلو وادي متليلي، الحائط المحيط بها ذو شرفات مبني بطريقة سيئة، به ثلاثة أبوب: الباب الظهراوي، باب الجزيرة، الباب الغربي، يحيط السور بمتليلي من كل الجهات عدا الجهة الشرقية إذ تمتد البساتين على امتداد كبير، كما يوجد بالمدينة المسجد العتيق الذي يحيط به سوق ومحلات لبيع الكسوة وغيرها"[3].

تبعد عن الجزائر العاصمة بـ 675 كم، وبـ 35 كم عن مدينة غرداية، تحدها شمالا زلفانة، العطف، بنورة، ضاية بن ضحوة، شرقا مدينة ورقلة، غربا البيض، أما جنوبا مدينة سبسب، كما تتربع على مساحة 3700 كم على ارتفاع 525 متر مربع[4].

---

[1] - بكير بن سعيد أوعشت، **وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية دينيا تاريخيا اجتماعيا**، المطبعة العربية، غرداية، 1991، ص: 70.

[2]- فاطمة حاج عمر، **الطقوس الاحتفالية والرباط الاجتماعي دراسة ميدانية للاحتفالات بمدينة متليلي طقوس الخطبة والزواج أنموذجا**، أطروحة دكتوراه تخصص علم الاجتماع، قسم علم الاجتماع، جامعة تلسمان، 2017/2016، ص: 124.

[3]- daumas, **opcite** , p :314.

[4]- فاطمة حاج عمر، **المرجع السابق**، ص: 123.

ط- مدينة ضاية بن ضحوة:

هي كلمة بربرية معربة يقصد بها مكان تجمع الماء، وأما بن ضحوة نسبة إلى أحد رجال هذه المدينة، وهناك من يرى أن الصاية تحويل لكلمة ضاحية، تقع في مجرى وادي ميزاب، يتسب سكانها إلى قبيلة المذابيح الذين جاؤوا من جنوب جبل عمور في حدود سنة 590هـ[1]

(ثالثا)- مفهوم الإصلاح:

-الإصلاح لغة: من صلح، ضد الفساد، صَلَحَ يصْلَحُ ويَصْلُحُ، صلاحًا وصَلُوحًا، والجمع صُلَحَاء وصُلُوحٌ وصَلُحَ: كصَلَحَ، والإصلاح نقيض الإفساد[2]، والإصلاح يدل على تغيير حالة الفساد، أي إزالة الفساد عن الشيء، وبصفة عامة الصلاح ضد الفساد[3].

وبالنسبة لشرح لفظ الإصلاح في اللغة الفرنسية أو الإنجليزية، نجد معظم القواميس والمعاجم تجمع على أن ما يقابل الإصلاح في اللغة الفرنسية هو "reformé"، وهي تتكون من لازمة "re" والتي تفيد معنى الإعادة، ولفظ "forme" التي تعني الشكل، أي المعنى الكامل هو إعادة تشكيل إعادة إعطاء صورة أخرى للشيء[4]، و"réforme"، تعني التغيير إلى الأحسن، والتخلص من الأشياء الفاسدة، والإبقاء على كل ما هو ضروري[5].

وفي الإنجليزية تشير "reforme" إلى العمل الذي يُحسن، أو التغيير الذي يطرأ على الشيء في اتجاه الأحسن، وبصيغة الفعل هي تغيير شيء لجعله أحسن، وجاءت منها لفظة "form-again"،

---

[1] - سعيد أوعشت، **المرجع السابق**، ص:38

[2]- ابن منظور، **لسان العرب**، باب الصاد، ج28، دم، ص:2480.

[3]- طاهري محمد، **مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، (ط2)، 1992، ص: 12.

[4]- بولس براورزوأخرون، **المنجد فرنسي عربي**، بيروت، دار المشرق، (ط)، 1972، ص:788.

[5]- Gerard moussa et des autres, **motan el tollab le dictionnaire français**, dar el rateb, première édition :2006, p :352.

وكلمة reformation وهي تعني التغيير للأحسن سواء كان ذلك في مجال الأخلاق أو العادات أو الطرق أو السياسات[1].

أما الإصلاح اصطلاحا، فهوا إزالة التلف أو الضرر عن الشيء، وجلب المنفعة والسلامة إليه، وإذا كان الفساد هو التلف والعطب في الأمور والخلل والضرر والانحلال في المجتمع، فإن الصلاح هو الاستقامة، والسلامة من العيوب[2]، كما يدل لفظ الإصلاح على اتجاهات فكرية، وحركات، سياسية، واجتماعية ظهرت في العالم الإسلامي، وهي تختلف من دولة إلى أخرى حسب الظروف المحركة لذلك[3].

لا يُفّرق بين مصطلح الإصلاح ومصطلح الثورة في مستوى التغيير وشموله، وإنما من حيث الأسلوب في التغيير، فالثورة تسلك سبل العنف غالبا، والسرعة في التغيير، بينما تتم التغيرات الإصلاحية بالتدريج[4]، وبعد التعريف بمفهوم الإصلاح ننتقل إلى مفهوم الوطنية فماهي؟

(رابعا)– مفهوم الوطنية:

تعني حب الوطن "patriotisme"، في إشارة واضحة إلى مشاعر الحب والارتباط بالوطن، وما ينبثق عنها من استجابات عاطفية، كما تعرفها الموسوعة العربية العالمية بأنها تعبير قويم يعني حب الفرد وإخلاصه لوطنه الذي يشمل الانتماء إلى الأرض والناس والعادات والتقاليد والفخر بالتاريخ، والتفاني في خدمة الوطن، ويوحي هذا المصطلح بالتوحد مع الأمة، كما تُعرف بأنها الشعور الجمعي الذي يربط بين أبناء الجماعة، ويملأ قلوبهم بحب الوطن والجماعة، والاستعداد لبذل أقصى الجهد في

---

[1]– مسلم بابا عربي، "**محاولة في تأصيل مفهوم الاصلاح السياسي، دفاتر السياسة والقانون**"، العدد: 9 جوان 2013، جامعة ورقلة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، ص:235-236.

[2]– عبد الله نجم الدين الكيلاني، "**مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم، كلية التربية الأصمعي**"، مجلة ديالي، ع:208، ص:1

[3]– أحمد عبد السلام، **مواقف اصلاحية في تونس قبل الحماية**، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، (ط1)، 1986، ص:120.

[4]– عيسى الحسن، **موسوعة الحضارات تاريخ، اللغات، أعلام، قيم حضارية، مدن، عادات وتقاليد**، المملكة الأردنية، الأهلية للنشر والتوزيع، (ط2)، 2009، ص:81.

سبيل بناءهما، والاستعداد للموت دفاعا عنهما، حيث لا تكتسب صفة الوطنية إلا بالعمل والفعل لصالح الجماعة او الدولة، وتصبح المصلحة العامة لديه اهم من مصلحته الخاصة[1].

حيث يعرفها الشيخ محمد عبده قائلا :"الوطنية أن تخلص المحبة للوطن إخلاصا ينبعث عنه السعي بكامل الجهد في التماس ما يعود عليه بالتقدم والنجاح، وليس الأثر إلا ما أفاد فائدة حقيقية توجب اعتدالا في التصورات أو حسنا من الأخلاق والعادات، أو صحة في الأبدان أو عزة للوطن، أو ارتفاعا لمقامه فذلك ما يدعوه العقلاء وطنية"[2].

كما يعرفها الشيخ أبو اليقظان: " الوطنية هي أن يقوم رجال الأمة بمؤسساتها ومشاريعها الكبرى وأن يتكافل أبناءها على إقامة دعائم عمرانها ورقاءها، كل على حسب قدرته واستعداده بعقله وسلوكه[3]، من هنا نتطرق إلى التعريف بالحركة الوطنية الجزائرية.

(خامسا)– الحركة الوطنية الجزائرية:

هي ذلك السلوك المادي والمعنوي الناتج كردة فعل من شعب مستعمر ومستعبد على المشاريع السياسية الاستعمارية الفرنسية من 1830 إلى غاية الاستقلال[4]، أو بمعنى أخر أن الفعل الوطني هو تلك المعاني والمعالم المعبرة لجملة من المشاعر والأحاسيس والقيم المستوحاة من مرجعية الهوية الوطنية، والتي عادة ما تكون مقرونة بشخص أو جماعة، وقد تجسد بنشاطات وسلوكات الأفراد عبر الزمان والمكان[5].

---

[1] – جنيدي عبد الرحمان، **المواطنة إشكالية المفهوم وواقع الممارس**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج: 08، ع01، جوان 2015، ص: 760

[2]– محمد عبده، **الأعمال الكاملة**، ج3، تح: محمد عمارة، ط1، 1994، دار الشروق، بيروت، ص: 419.

[3]– أبو اليقظان، مجلة وادي ميزاب، العدد83، ماي 1921، ص: 03.

[4] – سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ج1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992، ص: 101.

[5]– أحمد مريوش، **محاضرات في تاريخ الجزائر 1900– 1954**، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، ط1، 2013، ص: 11.

وكمعيار معلمي فهي تمثل المرحلة التي تلت الحرب العالمية الأولى، وذلك من خلال تشكيل أحزاب منظمة، وتحدد نهايته باختفاء أو اتحاد تلك الأحزاب أو التشكيلات الحزبية في جبهة التحرير الوطني، حيث ورد تعريفها أنها مجموعة المنظمات السياسية والإصلاحية والجمعيات النوادي الثقافية وغيرها التي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى، وعملت على ترقية الشعب، والدفاع عن مصالحه والنضال في سبيل افتكاك حقوقه المسلوبة[1].

خلاصة الفصل:

رغم الطبيعة القاسية التي تتميز بها منطقة وادي ميزاب، غير أن سكانها رغم اختلاف أنسابهم وتوزيعهم، استطاعوا التأقلم والتكيف معها، حيث تمكنوا من تعميرها وذلك من خلال تشييد المباني بطريقة هندسية ذات طابع معماري يتناسب مع طبيعة المنطقة، حيث يُراعى الجانب الدفاعي من خلال اختيار الموقع المناسب، وكذا مراعات سكانها من جميع النواحي الدينية والاجتماعية والاقتصادية.

كما كانت العلاقة السائدة بين ساكنتها رغم الإثنية العرقية والمذهبية علاقة تعايش، حيث تكونت لديهم روابط اجتماعية، تتجلى من خلال روح التعاون وتقوية العلاقات الثقافية والعلمية، والمشاركة المتبادلة في التعليم وتسيير شؤون المنطقة بينهم. ولفهم هذه المجموعات القبلية لابد من دراستها من حيث البنية والاجتماعية والسياسية، كل هذا ما سنتناوله في الفصل الأول.

[1]– الطاهر غول، **مفهوم الدولة الجزائرية في فكر الحركة الوطنية 1919– 1954**، رسالة ماجستير تخصص تاريخ حديث ومعاصر، جامعة حمه لخضر، الوادي، 2013/ 2014، ص: 33.

الفصل الأول:

الإطار الاجتماعي والثقافي والاقتصادي لوادي ميزاب بداية القرن العشرين

أولا: البيئة الاجتماعية والسياسية

ثانيا: البيئة الثقافية

ثالثا: البيئة الإقتصادية

تمهيد:

إن الحديث عن البيئة العامة في وادي ميزاب بداية القرن العشرين يقودنا إلى التطرق إلى، الجانب الاجتماعي والسياسي لها، بداية بالأسرة ثم العشيرة، والقبيلة، والأنظمة التي كانت تتحكم في ذلك، أيضا التحدث عن الوضع الثقافي والتعليمي بها، وكذلك الأوضاع الاقتصادية من تجارة وزراعة وصناعة.

(أولا)– البيئة الاجتماعية والسياسية:

يتمتع المجتمع في وادي ميزاب بنظام مؤسساتي عرفي تسلسلي قمته حلقة العزابة وقاعدته المجالس الأسرية، يتوسطه مجلس الأعيان ومجالس العشائر التي تنتشر في كل قصور وادي ميزاب، بالإضافة إلى وجود مجلسان يتكفلان بالإشراف على الشؤون الدينية والاجتماعية وكذا الأوقاف الإباضية وهما: مجلس عمي سعيد الذي يتشكل بدوره من ممثلي حلقات العزابة لوادي ميزاب، ويتولى الإشراف على الشؤون الدينية والأوقاف والمسائل التربوية والتعليمية لمجتمع الميزابي، والمجلس الثاني يدعى مجلس باعبد الرحمان الكرثي، والذي يتشكل من ممثلي أعيان قصور وادي ميزاب حيث يهتم بالجوانب الاجتماعية والتنظيمية للمجتمع الميزابي[1]، والتي تستمد نظامها من الدين الإسلامي والمذهب الإباضي، هذا ما جعله يحافظ على أصالته وتماسكه عبر العصور[2].

من هنا سنحاول عرض هاته الهيئات العرفية منها والدينية على حسب التسلسل الهرمي الاجتماعي لها:

[1] – البشير الحاج عمر المرموري، **الجماعة ودورها في التماسك الاجتماعي نموذج العشيرة في المجتمع الميزابي**، مجلة الحياة، العدد: 24، جوان 2019، المطبعة العربية، غرداية، ص: 181.

[2] – عبد قادر عزام عوادي، **قراءة تاريخية في الحضور الإباضي الميزابي في الجزائر ودوره في تثبيت دعائم الشخصية الوطنية والهوية الإسلامية**، مجلة الحياة، العدد: 23، جوان 2018، المطبعة العربية، غرداية، ص: 201.

1- الأسرة أو العائلة:

تعتبر قاعدة الهرم الاجتماعي في وادي ميزاب حيث تطلق هذه التسمية على عدد من الأفراد يحملون لقب عائلي واحد، تربطهم صلة الدم ومعناه انتماء الفرد إلى مجموعة حيث يذكر "ماسكراي" في هذا الصدد: "لا يمكن تصور وجود شخص بوادي ميزاب دون انتماء إلى مجموعة معينة"[1]، كما تعتبر العائلة اللبنة الأولى في بناء أي مجتمع حيث يقوم المجتمع الميزابي على ترابط وتعاون أفراد الأسرة والتضحية الفردية من أجل الجماعة، فلكل عائلة تحمل نفس اللقب العائلي مجلس يساعد العشيرة الكبرى في مهامها الاجتماعية والتربوية، حيث يجتمع في دورات طارئة والمناسبات والأعياد قصد النظر في قضايا الأسرة وغيرها[2].

2- العشيرة أو القبيلة:

يعرفها الأستاذ علي يحي معمر كما يلي:" العشيرة تتكون من مجموعة من الأسر تربطها أواصر القرابة وعلاقة الرحم، ولكل عشيرة مجلس غير محدود العدد من زعماء العشيرة وذوي الرأي والفضل منهم، وللمجلس رئيس يختارونه منهم، ومن مجموع العشائر تتكون القرية أو المدينة، ومن رؤساء المجالس يتكون مجلس الضمان، ورئيس الضمان يمثل الحاكم المدني للقرية ومجلس العشيرة هو الساعد القوي لمجلس العزابة من جهة ومجلس المكاريس من جهة أخرى"[3].

كما تحتل المرتبة الثانية في المجتمع الميزابي بعد الأسرة إذ تتكون من مجموعة من العائلات التي تنحدر في الغالب من جد واحد، وهناك من يلتحق بها عن طريق الولاء أو الصداقة، لهذا فإنها ليست وحدة عرقية بل وحدة تنظيمية اجتماعية، ونظامها مستمد من نظام العشيرة في الإسلام بنظم

---

[1]- maskray, **opcite**, p :42.

[2]- عبد القادر عزام عوادي، **قراءة تاريخية...**، **المرجع السابق**، ص: 201.

[3]- علي يحي معمر، **الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الثالثة: الإباضية في الجزائر**، مر: الحاج سليمان، مكتبة الظاهري، سلطنة عمان، ط3: 2008، ص: 399.

وطرق معاصرة لمتطلبات المجتمع الميزابي المعاصر[1]، ولمجلس العشيرة دور هام في فك النزاعات وحل الصراعات بين القبائل، حيث لكل عشيرة مجلس أو إدارة تشرف على تسيير شؤونها حيث يعقد جلساته دوريا بانتظام كل أسبوع أو شهر حسب كل عشيرة[2].

كما أن عرب الشعانبة في منطقة متليلي كان لهم مجلس يسمى مجلس العشيرة يضم أعيان القبائل للاهتمام بقضاياهم الاجتماعية في المنطقة، كما يضم في عضويته وكيل يهتم بحفظ أموال القبائل والسهر على توفير الأمن للقوافل التجارية في المنطقة، إلا أنه بعد وصول المحتل الفرنسي إلى المنطقة تم حل هذا المجلس بعد اعتقال كل أعضاءه وكان ذلك سنة 1927[3].

عرفت منطقة وادي ميزاب بداية الفترة الحديثة تغيرات كثيرة على مستوى نظمه الاجتماعية والسياسية بعد ظهور حلقة العزابة كهيئة دينية وتربوية، حيث أخذت تدريجيا في المشاركة في تسيير شؤون المنطقة حتى أضحت لها مكانة أساسية في الهيئة التشريعية العليا بالمنطقة، وكذا أعلى هيئة على مستوى كل مدينة من مدن المنطقة، حيث أصبح العزابة والعوام تسير مختلف شؤونها، ومنه نطرح التساؤلات التالية: ما هو الدور الاجتماعي والسياسي الذي لعبته هيئة العزابة؟.

3- مفهوم العزابة:

إن أصل الكلمة مشتقة من لفظ العزوف عن الدنيا وملذاتها، كما تعني العزل والغربة والتصوف، والتهجد، والبعد عن مشاغل الحياة في سبيل التفرغ لخدمة المصلحة العامة، وبذلك يعتبر أفراد العزابة المثل الأعلى للعامة في ميزاب[4]، يتراوح عدد أعضاءها بين 10 و 16 عضوا، يوزع عليهم العمل كما يأتي: شيخ العزبة، المستشارون لا يزيدون عن أربع أعضاء، الإمام، المؤذن، وكلاء

---

[1]- البشير حاج عمر المرموري، **الجماعة ودورها في التماسك الاجتماعي نموذج العشيرة في المجتمع الميزابي**، مجلة الحياة، العدد: 24، جوان 2019، ص: 182.

[2] - عبد القادر عزام عوادي، **قراءة تاريخية في الحضور الإباضي ...**، **المرجع السابق**، ص: 202.

[3] - دهمة بكار، **دور منطقة غرداية في الحركة الوطنية الجزائرية 1919- 1945**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ معاصر، جامعة الجزائر 02، 2012/2011، ص: 28.

[4]- عبد العزيز شهبي، **الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر**، دار الغرب للنشر والتوزيع، ص: 170.

الأوقاف يسهرون على ميزانية الحلقة وضبط الصادرات والواردات لا يزيدون عن عضوين، المعلمون يشرفون على التربية والتعليم ومراقبة التلاميذ، وأعضاءها يزيدون وينقصون حسب الحاجة، وأيضا حقوق الموتى فهم يشرفون على تغسيل وتجهيز ودفن الموتى وكذا تقسيم تركاتهم، ولا يزيد أعضاءهم عن خمسة [1].

عرفها الدرجيني بقوله: "فمن ذلك العزابة، وأحدهم عزابي، وهذه اللفظة استعملتها لقبا لكل من لازم الطريق، وطلب العلم، وسير أهل الخير، وحافظ عليها والعمل بها، وإن حافظ على السير والعمل بها فقد سمي بها، وإن حصل العلم دون السير والعمل بها، والمحافظة عليها لم يسمى بهذا الإسم[2]، كما عرف فرحات الجعبري العزابي بقوله :"هو أن لا يجعل للدنيا قيمة كبرى، أقبلت أو أدبرت، على أن لا ينسى نصيبه منها، وهو من أجل التفاني في خدمة المسلمين وحفظ دينهم، ناهيك عن أن العزابي واجب عليه أن يتزوج، ويسعى لطلب قوته بكد يمينه، ويكون دائما في خدمة المجتمع، والعزابة هم جماعة ينتخبون من أهل الورع والصلاح والتفقه في الدين والأمانة والصدق، يتولون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد واللسان، ويقومون بجميع الوظائف الدينية والدنياوية، فهم حينئذ من العلماء العاملين"[3].

أما الشيخ علي يحي معمر فيقول:"العزابة هيأة محدودة العدد، تمثل خيرة أهل البلد علما وصلاحا، وهذه الهيأة تقوم بالإشراف الكامل على شؤون المجتمع الإباضي، الشؤون الدينية والتعليمية والاجتماعية والسياسية، وهي في زمن الظهور والدفاع تمثل مجلس الشورى للإمام، أما في الزمن الشراء والكتمان فهي تمثل الإمام وتقوم بعمله" [4].

---

[1]- علي يحي معمر، **الإباضية في موكب التاريخ**، المرجع السابق، ص: 79.

[2]- أبي العباس أحمد الدرجيني، **طبقات المشايخ بالمغرب**، ج1، تح: إبراهيم طلاي، الزهراء للإعلام العربي، ص: 104.

[3]- السماوي صالح بن عمر، **نظام العزابة ودوره في الحياة الإجتماعية والثقافية بوادي ميزاب**، رسالة ماجستير، تاريخ إسلامي، جامعة الجزائر، 1986، ص: 09.

[4] - علي يحي معمر، **الإباضية في موكب التاريخ**، الحلقة الأولى، ص: 79.

تعد حلقة العزابة من أهم وأسمى الهيئات الدينية والاجتماعية في وادي ميزاب، حيث يطلق على مؤسسيها من قبل العامة "إعزابا" كهيأة واحدة، ويطلق على الفرد "أعزاب"، تقوم بالإشراف الكامل على مختلف الشؤون المجتمع الميزابي دينيا تعليميا، واجتماعيا، سياسيا واقتصاديا، مع السعي على المحافظة على تماسكه وبقاءه[1].

ظهر هذا النظام في بدء الأمر على شكل حلقة علم متجولة بين المداشر والقرى، أنشأها الداعية "أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي"[2]، في بداية القرن الخامس هجري، الحادي عشر ميلادي من أجل تعليم الناس أمور دينهم ونشر الدعوة بينهم، كانت عبارة حلقة من الطلاب يدرسون علما واحدا، ويجتمعون حول المعلمين[3]، كما أن مصطلحات نظام العزابة وحلقة العزابة وهيأة العزابة، ومجلس العزابة كلها تستعمل في المراجع مترادفات، وهي في أصلها تمثل مراحل تطور هذا النظام[4].

ولكي تؤدي هيأة العزابة دورها داخل شرائح المجتمع الميزابي قامت بإيجاد نظام وهيآت، تساعده عمليا على أداء دوره، وهي كالآتي: حلقة إروان، والتي تهتم بتحفيظ القرآن الكريم لطلبة العلم، كما تعتبر مصدرا لأعضاء العزابة المستقبليين[5]، كما توجد أيضا حلقة لعامة الناس الذين يريدون الانتماء إليها، والرغبة في العمل الجماعي والتطوعي تسمى "إيمصورادن"، وتتكفل بأعمال

---

[1] – حشاني أحمد، **نظام العزابة ودوره في تأمين التمساك الاجتماعي للمجتم الإباضي في منطقة وادي ميزاب**، مجلة روافد للبحوث والدراسات، العدد:09، 2020، ص: 86.

[2] – أبو عبد الله محمد بن بكر (345هـ/ 956م- ت 440هـ/ 1049م)، من علماء الإباضية يعود أصلهم إلى جبل نفوسة بليبيا، أخذ العلم بجربة، كما تولى التعليم التدريس والتعليم بها، تنقل في نشر العلم والدعوة بين جبل نفوسة ووادي ميزاب ووادي ريغ، مؤسس حلقة العزابة، التي كانت في عهده حلقة علم متنقلة، توفي بلدة أعمر بالقرب من توقرت، ينظر: **معجم أعلام الإباضية**، ج4، ص: 772.

[3]– روبرتو روبيناشي، **العزابة حلقة الشيخ محمد بن بكر (وثيقة قديمة عن حياة نساك الصوامع في الإسلام)**، تر: لميس الشجني، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية سلسلة أبحاث تاريخية 6، 2006، ص: 28.

[4]– مجموعة باحثين، **معجم أعلام الإباضية**، ج2، المرجع السابق، ص: 702.

[5]– قاسم بن أحمد الشيخ بلحاج، **معالم النهضة الإصلاحية عند إباضية الجزائر 1744– 1962م**، جمعية التراث، القرارة، ط1: 2011، ص: 108.

خدمة المسجد وتهيأة مرافقه وكذا القيام بالحملات التطوعية وتوزيع الصدقات، كما خصص هيأة العزابة هيكل آخر يسمى "العست" أي الحراسة، اهتمت بحفظ الأمن والنظام داخل القصور وكذا مراقبة التحركات المشبوهة لتطهير المجتمع من الفساد والجريمة[1].

4- مجلس العوام:

هو مجلس قيادي تنفيذي يضم ممثلي عشائر البلدة، وممثلي المحاضر ووجهاء الناس في ميزاب، يهتم هذا المجلس بالشؤون العامة للمدينة، اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا، من حملات تطوعية وبناء الأبراج والأسوار، وكذا نظافة البلدة أو المدينة، ومع مرور الزمن توسعت مهامه ليتضمن مختلف الجمعيات وممقلي المجالس الشعبية المنتخبة، كما يهتمون بحل النزاعات والخلافات مع السلطة الحاكمة والإدارة المحلية خاصة في الاستعمارية[2].

5- مجلس عمي سعيد:

يعتبر المجلس الألى للعزابة في وادي ميزاب بالجزائر، سُمي عمي سعيد أو أمي سعيد، لأنه كان يعقد اجتماعاته في روضة الشيخ عمي السعيد الجربي بمدينة غرداية، يضم ممثلي مجالس العزابة في قرى وادي ميزاب السبع وأورجلان، ينعقد في دورات عادية وقد ينعقد بصفة طارئة إذ دعت الضرورة لذلك، يهتم بالقضايا الكبرى كالإفتاء والاجتهاد في القضايا الفقهية والنوازل، كما يقوم بوظيفة محكمة الاستئناف في إصدار الأحكام النهائية، ومن مهامه اختيار الأقوال الفقهية، فض المشاكل العامة، سن القوانين، تولية المشايخ، مراقبة الأوقاف، غير أنه مع الدخول الاحتلال الفرنسي للمنطقة تقلصت مهام هذا المجلس بعد أن كانت له السلطة الفعلية سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، تقلصت وظائفه وألغيت الكثير من مهامه، ولم يبق له إلا المجال الديني[3].

---

[1]- عبد القادر عزام، **قراءة تاريخية**...، المرجع السابق، ص: 203.

[2] - **المرجع نفسه**، ص: 204.

[3] - مجموعة باحثين، **معجم مصطلحات الإباضية**، ج2، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، عمان، ط2: 2011، ص: 751.

6- مجلس با عبد الرحمان الكرثي[1]:

سمي بهذا الإسم لأنه اتخذ من روضة عبد الرحمان الكرثي في بلدة مليكه مقر له، هو مجلس تمثيلي يضم ممثلي هيآت العزابة لقرى وادي ميزاب، حيث يمثل كل قرية ثلاث أعضاء باستثناء مدينة غرداية التي يمثلها ستة، ينعقد بهدف النظر في المستجدات الاجتماعية والسياسية التي تمس علاقة الميزابيين بالمناطق الجزائرية الأخرى[2].

7- هيئة التمرسدين:

هي هيئة دينية نسوية خاصة، ترعى شؤون المجتمع النسوي في ميزاب، كما تعمل على تنظيمه والمحافظة عليه[3]، ففي كل بلدة (قصر) هناك هيئة يُطلق عليها إسم تمرسدين أو الغسالات، والذي يعتبر مجلسا تكميليا لمجلس العزابة، والذي هو مجلس يشرف على حياة المدن الميزابية، مؤسسها أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الفرسطائي النفوسي سنة 409 هـ[4] ، يعمل على معالجة القضايا الدينية، الاجتماعية والأخلاقية، المتعلقة بحياة العنصر النسوي الميزابي، يضم في عضويته النساء المسلمات الوارعات والصالحات، والتي تتمتعن بالحنكة والدراية بشؤون الأسرة. يتم تعيينهم من طرق هيئة العزابة، كما تُختار واحدة منهن للرئاسة والقيادة، تُلقب "مامه شيخة"، والتي هي رئيسة المجلس الديني الأعلى في المنطقة، حيث تعمل على محاربة البدع والخرافات، والعادات السيئة المتفشية داخل

[1] – عبد الرحمان الكرثي المصعبي، المعروف بيا عبد الرحمان (ق 6هـ/ 12م)، من علماء وادي ميزاب في القرن السادس هجري، ولعله تتلمذ على يد الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن بكر، كما يعتبر من المعمرين الأوائل للمنطقة، نشط في مليكه، حتى صار منبر للعلم، به مصلى لا يزال إلى اليوم قائما، وفيه تعقد جلسات المجلس الأعلى، توفي خارج قرى وادي ميزاب، ينظر: **معجم أعلام الإباضية**، ج3، المرجع السابق، ص: 512.

[2] – عبد القادر عزام، **قراءة تاريخية..**، المرجع السابق، ص: 204.

[3] – عائشة بنت محمد أطفيش، **إسهامات المرأة الميزابية –علميا، اقتصاديا، سياسيا، المطبعة العليا**، غرداية، 2018، ص: 31.

[4]– فرحات الجعبري، **نظام العزابة عند الإباضية الوهابية في جربة**، المعهد القومي للأثار والفنون، ص: 60

المجتمع النسوي، بالإضافة إلى الإشراف على الحفلات والأعراس، وأهم عمل تقوم به تغسيل الأموات من النساء[1].

ولعل أبرز الشخصيات النسوية الإصلاحية التي ترأست التمرسدين نذكر السيدة "مامان سليمان"، التي تولت رئاسة الهيئة في الفترة الممتدة مابين 1919- 1932، فقد عُرفت مامان سليمان بحنكتها ومواقفها الإصلاحية داخل المجتمع النسوي الميزابي ضد الممارسات التي لا تتوافق مع الشرع الإسلامي وتتماشى مع المشروع الإصلاحي الميزابي[2]

كان التمرسدين يعقد العديد من الاجتماعات تسمى بـ"ملتقى لا إلاه إلا الله"، تلقى فيه دروس دينية متنوعة مثل الفقه والعقيدة والتفسير، بالإضافة إلى مناقشة ومعالجة المسائل الدينية والأخلاقية في المجتمع الإباضي، يعود تأسيسه إلى أوائل القرن السادس هجري خلال فترة حياة الشيخ "عبد الرحمان الكرثي" يضم كل هيئات قصور وادي ميزاب[3]، وفق العديد من الضوابط والقوانين، التي يمكن أن نستخلص البعض منها في النقاط التالية[4]:

- ارتداء الفساتين النسوية من الطراز الفرنسي، أو الأحذية العربية في الجزائر
- الخروج بالمجوهرات أو وضع عدد مفرط منها.
- الخروج إلى الشارع حافية القدمين أو بدون حجاب.
- عدم وضع الوشم، ويجب استبداله بالرسومات والحنة كعادة ميزابية.
- عدم قسم شعر المرأة بشكل صليب على الرأس، مع عدم ارتداء الضفائر الجانبية للشعر

[1] – بلحاج معروف، **العمارة الإسلامية مساجد ميزاب ومصلياته الجنائزية**، منشورات قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص: 81.

[2] – يوسف بن بكير الحاج السعيد، **المرجع السابق**، ص: 284.

[3]– عائشة بنت أحمد ، **المرجع السابق**، ص: 28.

[4]– إيميلي ماري قواشون، **الحياة النسوية في ميزاب**، تر: سامية نور الدين شلاط، دار نزهة الألباب، غرداية، 2019، ص، ص: 235، 236.

- منع المرأة من الاستماع إلى الرجال وهم يعزفون الناي.

هذه هي الهيئات الدينية والعرفية التي تسير المجتمع الميزابي في جميع شؤونه المختلفة، سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، وثقافيا، بداية من الأسرة إلى غاية المجالس العليا للعزابة والأعيان، الأمر الذي أدى إلى تماسكه في تسيير المجتمع الميزابي الإباضي في وادي ميزاب، وكذا مواجهته لمختلف الظروف الداخلية والخارجية التي طرأت عليه نهاية القرن 18 وبداية القرن 20، اعتبرت هذه الهيآت عبارة عن درع محافظ على حياة الفرج والجماعة في المنطقة، وكذا ومساهمتها في رقي النشاط العلمي والثقافي.

8- اتفاقية 21 رجب 1269هـ/ 29 أفريل 1853[1]:

استمر نظام العزابة في تسيير شؤون المجتمع الميزابي الإباضي بالمنطقة إلى أن وصل الزحف الاستعماري الفرنسي إلى منطقة الواحات وسيطرتها على مدينة الاغواط، مما أدى بأعيان ميزاب إلى التشاور والتفكير في الموقف الذي ينبغي أن يتخذوه تجاه المد الاستعماري الذي صار على مشارف وادي ميزاب، وأن يتحاوروا للوصول إلى رأي جامع يكون في صالح الميزابيين، هذا أدى ما أدى إلى انقسامهم إلى فريقين، فريق أول رأى إلى المقاصد ووازن بين المصالح والمفاسد فجنح إلى رأي المصالحة والسلم، وفريق ثاني بقي ثابتا على صرامة موقف الدين والعقيدة وصراحته في التعامل مع المحتل الأجنبي الكافر والمغتصب للأرض والوطن، فرأى ضرورة إعلان الجهاد والمقاومة والثورة مهما كانت الإمكانات ومهما ستؤول إليه العواقب[2].

يبدوا أن الفريقين تجاذبا أطراف المجتمع وحاولا استمالته إليهم، إلا أن الأمر في الأخير رجح إلى فريق السلم ومراعاة المصلحة، فكان الأقوى والأكثر نفوذا، وقد تمثل في أعيان وادي ميزاب

[1]- ينظر الملحق رقم 20،ص:292.

[2]- قاسم الشيخ بلحاج، **موجز تاريخ وادي ميزاب أثناء الحكم العثماني والاستعمار الفرنسي**، العالمية للطباعة والخدمات، البليدة، 2017، ص: 30.

ورؤساء عشائرها. بينما مثل الفريق الثاني بعض عزابة وادي ميزاب وبعض علماءه وطلبته، وعلى رأسهم الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش.

بعد الفصل في هذا الجدل والنقاش الديني السياسي، اجتمع مجلس وادي ميزاب في مسجد عمي سعيد حيث اتفقوا على إرسال جماعة من أعيان القرى السبع إلى مدينة الأغواط يوم 13 رجب 1269هـ/ 22 أفريل 1853، حيث ضم الوفد السيد بابوهون من بريان، والسيدين باعيسى بن بوهون وادود بن باحمد من غرداية، والسيد بانوح بن الحاج أحمد من مليكه، والسيد بكير بن علي من بنورة، والسيدين محمد بن الحاج زرقون وعمر بن داود من بني يزقن، والسيد بكير بن سليمان من العطف، والسيدين بكير بن كاسي وعيسى ولد الزيت من القرارة، فقابلوا الكومندان دوباراي (Du barail)، وأبرموا معه المعاهدة باسم الوالي العام على الجزائر الجنرال ألكسندر رندون (Alexandre Randon) [1]، ولقد رأوا في ذلك حلا وسطا بين عدم قدرتهم على مجابهة المستعمر وتجنيبهم وادي ميزاب من الاحتلال العسكري الأكيد الذي لا مفر منه، والذي سينجر عنه لا محال مفساد جمة في الأنفس والأعراض والأموال.

نصت المعاهدة على أن تتعهد فرنسا لبني ميزاب بحفظ بلادهم واحترام معتقداتهم وصيانة عوائدهم وألا تتدخل مطلقا في تسيير الشؤون الداخلية، مقابل تبعيتهم لفرنسا ودفعهم ضريبة سنوية مقدرة بخمس وأربعين ألف فرنك، وترك القرى السبع تعين فيما بينها القسط الذي تتحمله كل منها من هذه الضريبة، ونصت المعاهدة على وجوب غلق أسواق الميزابيين أمام الثوار والمناوئين لفرنسا والتحذير من مساعدتهم، أما السلطة الفرنسية فلها حفظ النظام العام في البلاد ورعاية شؤون الفرنسيين[2].

استمر الميزابيون في علاقاتهم مع فرنسا بناء على هذه اتفاقية التي شرّعت عدم التدخل في الشؤون الداخلية لوادي ميزاب إلى سنة 1300هـ/1882م، حيث يتضح ذلك من خلال

[1]- يوسف بن بكير، **المرجع السابق**، ص: 144.

[2] - يطو فتيحة، **معاهدة الحماية بين وادي ميزاب وفرنسا حقيقتها وعلافتها بنظام الإلحاق**، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج1، العدد: 01، 01 سبتمبر 2009، ص: 68.

الرسائل التي كانت متبادلة بين الحكام الفرنسيين في منطقة الأغواط وبين أعيان ميزاب من الفترة الممتدة من 1853 إلى غاية 1882، على أنها كانت علاقة ثنائية مبنية على مصلحة الطرفين، خاصة في المجال السياسي والاقتصادي لفترة زمنية غير محدودة ، إذ بادرت فرنسا بنقضها ودخلت بقوتها العسكرية إلى وادي ميزاب وألحقته بأراضيها الاستعمارية[1]، حيث في سنة 1273هـ/1857م وتنفيذا لبنود المعاهدة وإشعار لأهالي وادي ميزاب بدخولهم تحت الحماية الفرنسية أرسلت السلطات الاستعمارية قواتها وتمركزت في ساحات غرداية، كما أرسلت القائد "مرغريت" (Marguerite) بجيش من الأغواط عندما كان مارا لإخضاع منطقة ورقلة فدخل غرداية بالقوة[2].

وفي الفترة ذاتها خرقت فرنسا بنود المعاهدة فتدخلت في شؤون وادي ميزاب بتعيين يهودي "آغا يتح" العامل في المخابرات الفرنسية في الأغواط ليتولى شؤون الحكم بوادي ميزاب، إلا أن أهالي ميزاب رفضوا ذلك لما راو فيه مساسا لشرفهم وكرامتهم، الأمر الذي أدى إلى اغتياله في سنة 1276هـ/ 1860م بعد مدة قصيرة من تعيينه، وقد تسبب هذا العمل في انزعاج السلطات الفرنسية التي راحت تفرض غرامات مالية مبلغها أربعين ألف فرنك، وأرسلت من القبائل الموالية لها قصد نهب وسلب وتخريب حقول وادي ميزاب[3].

على الرغم مما يظهر للعيان من الحنكة السياسية التي برز بها أعيان الميزابيين في تعاملهم مع المستعمر ورد عدوانه، ورغم مقاتلتهم للفرنسيين في سواحل الجزائر العاصمة وعلى أسوار قسنطينة ومساعدتهم للمقاومات الشعبية، إلا أن قراءة المعاهدة من زاوية أخرى يكشف لنا خفايا المجتمع الميزابي في تلك الحقبة الزمنية التي يمكن أن يفهم منها ما يلي:

- إن الميزابيين قد قويت فيه سلطة الأعيان ورؤساء العشائر على حساب المجالس الدينية المتمثلة في هيئات العزابة ومجلس عمي سعيد، كما قويت على سلطة العلماء.

---

[1]- ANOM, B/$_{2807}$, de lindigénat son application aux Mozabit, Philippe ville, 1903.

[2]- يوسف بن بكير الحاج السعيد، **المرجع السابق**، ص: 145.

[3]- قاسم الشيخ بلحاج، **موجز تاريخ وادي ميزاب...**، **المرجع السابق**، ص، ص: 34، 35.

لم يرض العلماء وبعض العزابة والطلبة بإبرام المعاهدة مع الفرنسيين المشركيين المغتصبين للبلاد، كما رأوا أن إعلان الجهاد والمقاومة هو الموقف الصحيح والشرعي الذي ينبغي أن يتخذ.

هكذا تظهر جماعات الأعيان أقوى من الهيئات الدينية في تسيير الشؤون السياسية لوادي ميزاب، فظهرت هذه الأخيرة مغلوبة على أمرها في اتخاذ المواقف الخطرة، في هذا الشأن يصف الشيخ إبراهيم طلاي حال الهيئات الدينية آنذاك قائلا: "تمر فترات يضعف فيها نفوذ السلطة الروحية التي للعزابة بسبب ما، كتمرد رئيس قبيلة أعجبته كثرة اتباعه، أو تعوز هيئة العزابة الشخصية والحنكة، أو تقع فتن بين المواطنين، فيتعقد المشكل ويخرج عن نطاق العزابة عند ذلك ينفلت الزمام من يد العزابة، وينتقل إلى رؤساء القبائل ومقدميها. [1]

كما أن اعتراض الشيخ امحمد اطفيش على موقف المعاهدة لم يؤخذ به رغم ثقل وزنه العلمي والديني والاجتماعي في وادي ميزاب، هذا يدل على مدى سيطرة جماعة الأعيان على دواليب الحكم وانفلات الأمور من الهيئات الدينية والعلمية[2].

يبدوا أن الميزابيين وفقوا سياسيا في إبرام المعاهدة مع الفرنسيين، بناء على فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد، وتغليب منطق السلم على منطق الحرب، الذي قد تجيزه السياسة الشرعية في مثل هذه الظروف الخطيرة، حيث حفظوا منطقتهم من الاحتلال والتدخل الخارجي في شؤونهم الداخلية[3].

9- إلحاق منطقة وادي ميزاب بفرنسا:

في تاريخ 26 أكتوبر 1882 تلقى الجنرال "دولاتور" "Dulateur"، برقية من الوالي العام "لويس تيرمان" "Louis Terman"، بأمره بتجهيز محلة والاتجاه نحو وادي ميزاب للسيطرة عليها حيث شملت هذه المحلة 1175 ضابط وجندي، و500 فرس، غادرت المحلة الأغواط يوم 10 نوفمبر حيث حاصرت مدينة الأغواط في 17 نوفمبر وألقت القبض على كل من أتهم بأعمال

[1]- قاسم الشيخ بلحاج، **المرجع نفسه**، ص، ص: 35، 36.

[2]- بكير الحاج السعيد، **المرجع السابق**، ص: 144.

[3]- قاسم الشيخ بلحاج، **موجز تاريخ وادي ميزاب...**، **المرجع السابق**، ص، ص: 39، 40.

الشغب[1]، حيث يقول في هذا الصدد المؤرخ يحي بوعزيز :"ألحقت السلطات الفرنسية منطقة ميزاب بسلطتها المباشرة وألغت الحكم الشبه الذاتي الذي كان يتمتع به الميزابيون، بمقتضى اتفاقية راندون 1853، وذلك عقابا لهم على التأييد والدعم الذي أبدوه للمقاومات الشعبية خلال عقدي الستينيات والسبعينيات[2].

وبتاريخ 11 صفر 1300هـ/ 21 ديسمبر 1881 بعث الولي العام الفرنسي رسالة إلى أهالي وادي ميزاب يعلن إلحاق بلادهم بالمستعمرات الفرنسية[3] مبررا ذلك بمكان يقوم به الميزابيون من دعم للثوار والمقاومين من كافة أنحاء الوطن وكذا تزويدهم بالمؤن والأسلحة والذخيرة، ولقد شكل هذا الإلحاق موجة من الرفض والتذمر لدى الأهالي انعكس في مقاطعتهم التامة في التعامل مع الإدارة الاستعمارية وعدم الاشتغال في مصالحها، والمطالبة بالعودة إلى العمل بقرارات الاتفاقية، كما عمدوا على التحليل القانوني لنص قرار الالحاق الصادر من السلطات الفرنسية، حيث رأوا أنها غير قانونية[4]. غير أن الإدارة الفرنسية أشارت أنها لم تقصد بقرار الإلحاق إنزال قواتها في المنطقة أو نفض كل بنود الاتفاقية، بل حاولت المحافظة على روحها مع وضع العين على تحركات الميزابيين المشبوهة ضدها ومساعدتهم بالأسلحة والعتاد للثوار، حيث رد الحاكم العام "لويس تيرمان"" Louis Terman"، قائلا:"أن فرنسا ستذكر دائما المعاهدة المنعقدة بينهم 1269هـ/ 1853م[5].

[1] – يوسف بن بكير، **المرجع السابق**، ص: 168.

[2] – يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص: 256.

[3] - ينظر الملحق رقم21، ص:294.

[4]– فتيحة يطو، **المرجع السابق**، ص: 70.

[5]–يحي معمر، **الإباضية في موكب التاريخ**، المرجع السابق، ج2، ص: 583.

(ثانيا)– البيئة الثقافية:

أ– (التعليم):

لقد كان التعليم في وادي ميزاب نهاية القرن 19وبداية 20 ينقسم إلى نوعين تعليم مسجدي والذي يعرف بنظام الكتاتيب، وتعليم مشيخي يسهر عليه العلماء والمشايخ.

1– التعليم المسجدي:

يعتبر هذا النوع من التعليم عند إباضية الجزائر في وادي ميزاب نظاما قديما يعود إلى المراحل الأولى لتأسيسهم لقرى ميزاب، والذي ورثوه من حلقات العلم التي ابتكرها مؤسسها الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر الفسطائي النفوسي[1]، والتي كانت حلقاته في بادئ الأمر حلقات تربية وتعليم، لتتحول مع مرور الزمن إلى هيئة دينية تشرف على تسيير المجتمع الإباضي[2].

ويقصد بالتعليم المسجدي التابع للعزابة، حيث يقابل هذا النظام في الجزائر عامة نظام الكتاتيب، أو تعليم الكتاب الذي كان منتشرا فيها عند عامة المسلمين، حيث اهتم بتحفيظ ما تيسر من القرآن الكريم، وتلقين مبادئ اللغة العربية، والذي لعب بدوره دورا هاما في الحفاظ على مقومات الهوية الإسلامية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية وما قبلها ، حيث علق الدكتور رابح تركي في حديثه عن التعليم في الجزائر قائلا: "كانت الكتاتيب القرآنية منتشرة انتشارا كبيرا في مرحلة الدراسة، حيث كان لا يخلوا منها حي من الأحياء في المدن، ولا قرية من القرى في الأرياف، وإليها يعود الفضل الكبير في المحافظة على القرآن الكريم في الجزائر خلال فترة الاحتلال الطويلة

[1] – هو أحد أقطاب الإباضية في المغرب ومن أبرز المصلحين الدينين والاجتماعيين، ولد بجبل نفوسة، وهو مؤسس حلقة العزابة، للمزيد ينظر: **معجم أعلام الإباضية**، ص: 368.

[2] – الجعبيري، **المرجع السابق**، ص: 58.

(1246هـ/1382هـ-1830/ 1962م)" [1]. إلا أن هذا التعليم أخذ بعدا اجتماعيا ودينيا في وادي ميزاب، وذلك لارتباطه بنظامه وهياكله، حيث يقسمونه إلى قسمين[2]:

2- المحضرة (المحاضر):

تهتم هذه المؤسسة بالمستوى الأول من التعليم، حيث يحفظ فيها الصبي ما تيسر من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، ويلقن مبادئ العلوم العربية والشريعة، وهي بالذات ما يعرف في الجزائر بالكتاب، وهي تبنى بجوار المساجد، حيث تضم في صفوفها تلاميذ من مختلف الأعمار من سنة الثالثة إلى سن البلوغ والرشد، لا تتقيد بمستوى معين[3]، كما لا تُخضع التلاميذ إلى أي امتحانات أو تقييمات. يزيد عددها حسب إقبال التلاميذ عليها[4]. كما ورد تعريفها لدى علماء الجزائر عامة والإباضية خاصة نذكر منها ما يلي:

عرفها الشيخ توفيق المدني بقوله: "المحضرة في عرفهم عبارة عن كتاب لتعليم الخط وحفظ القرآن الكريم ودراسته"[5]، ويعرفها الشيخ بيوض قائلا :" أما التعليم الابتدائي فيزاول فيها بما يسمى بالمحاضر، وهي جمع محضرة، وهي كتاتيب ملحقة بالمسجد، مجاورة لها، يتولى التعليم فيها، وهي عادة تتكون من ثلاثة أعضاء من حلقة العزابة، وهي المشرفة على المساجد والمحاضر والشؤون الاجتماعية بالبلدة، يكونون حافظين لكتاب الله، عالمين بفرائضهم الدينية، يعلمون فيها الكتابة والرسم، وحفظ القرآن، ومبادئ الفرائض الدينية، وخاصة العقيدة والوضوء والصلاة...وهذه المحاضر لا يُعلم فيها إلا بين صلاتي الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء، أما في أشهر الشتاء فما بين السحر وطلوع الشمس"[6].

---

[1] – رابح تركي العمامرة، **التعليم القومي والشخصية الجزائرية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975، ص: 229.

[2] – قاسم أحمد، **معالم النهضة**....، المرجع السابق، ص: 106.

[3] –مقابلة مع أستاذ علي بيوض، مقر جمعية التراث، القرارة، غرداية،يوم14أوت2022، من الساعة:09:00إلى 12:00.

[4] – عبد الرحمان بن عمر بكلي، **محاضرات البكلي في العلم والعلماء**، تق: مصطفى صالح باجو، مكتبة البكري، العطف، ص: 62.

[5] – المدني، **كتاب الجزائر**، ص: 118.

[6] – رابح تركي العمامرة، **المصدر السابق**، ص، ص: 419، 420.

كما عرفها الأستاذ علي دبوز بقوله:" تبنى بجوار كل مسجد على حسب كبر المدينة، فمن المدن ما تبنى بها ثلاثة كتاتيب أو أكثر، يرأس كل واجد منها عضو من العزابة، فهو مديرها والقائم على التعليم فيها، حيث يعينه قدماء التلاميذ في عمله...والكتاتيب لتعليم القرآن والكتابة ورسم القرأن وتحفيظ عقيدة التوحيد وما تيسر من الأحاديث النبوية، وما يتصب بالصلاة"[1]

من هنا يتضح أن التعليم في المحضرة يعتبر مرحلة أولية، يتم من خلالها تلقين الأطفال القراءة والكتابة، وأن ما يتلقاه فيها من معارف تتمحور حول حفظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ اللغة العربية.

أما فيما يخص المدرس أو المعلم أو العريف، فيتم تعيينه من طرف هيئة العزابة، يسمى بالميزابية (لنفي)، وتعني الفقيه باللغة العربية، يشترط عليه حفظ القرآن الكريم وإلمامه الجيد باللغة العربية، وفرائض الدين، بالإضافة إلى التحلي بالأخلاق والسمعة الطيبة[2]، وهذا لكي يتسنى له القيام بمهامه، ومنها[3]:

- تعليم الخط الجيد الواضح، بالإضافة إلى تعليم الحروف الهجائية وضبط نطقها.
- تعليم مبادئ التوحيد والحساب، وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام.
- تأديب الفتيان، وتعليم الأخلاق الإسلامية الصحيحة.
- الاهتمام باللباس والنظافة.
- تعليم الكبار إذ اقتضت الضرورة لمحو الأمية.

[1] – علي دبوز، **النهضة...، ج1، المرجع السابق**، ص: 212.

[2] – سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830– 1954**، ج3، دار الغرب الإسلامي، ط1: 1998، ص: 47، ينظر أيضا، قاسم الشيخ بلحاج، **معالم النهضة...، المرجع السابق**، ص: 107.

[3] – السماوي، **المرجع السابق**، ص، ص: 90، 91.

ولقد كان تلامذة المحاضر يقضون جل أوقاتهم في حفظ القرآن الكريم، ويواضبون على تعلم فرائض الإسلام والصلوات مع الجماعة في المسجد، وذلك لالتصاق المحضرة بالمسجد، فقد لعبت دورا هاما في الحفاظ على الدين، واللغة العربية، كما كانت تعلم القصائد والشعر الحماسي الوطني[1].

حيث نلمس عدد التلاميذ بمحاضر قصر بني يزقن من خلال ما قدمه يوسف بن بكير اعتمادا على تقارير الإدارة الفرنسية التي تُحصي الأساتذة الذين كانت تتراوح أعمارهم ما بين 35 سنة و92 سنة، وعدد التلاميذ الذي لم يكن يتجاوز الثلاثون في أغلب الأحيان، وهو ما يتضح من خلال الجدول في الملحق رقم 04[2] الذي يبين إحصاء التلاميذ في قصر بني يزقن [3]:

لكن ما يعاب على نظام المحاضر أنه غير منتظمة في إلتحاق التلاميذ بها صيفا أو شتاء، كما أنها تجمع عدة مستويات مختلفة داخل قاعة واحدة، مع تباين في السن وكثرة العدد، كما أنها ترتكز على الحفظ الكثير، وتتجنب استعمال وسائل التدريس المتاحة آنذاك، فعوضا عن السبورة مثلا، فإن التلاميذ يتعلمون الخط على كومتين من الرمل، يتم نشرهما وتسويتهما يستدير التلاميذ حولها، ويرسم عليها الأستاذ الأحرف الهجائية، ثم يكرر التلاميذ كتابتها على كومة الرمل الأخرى[4].

إن النظام التعليمي بالمحضرة كان نظام مقيدا خاضعا لعدة اعتبارات، وعلى عدم استحداث أي تطور في المجال التربوي، سواء كان في البرامج أو الوسائل البيداغوجية، ويرجع كل ذلك إلى الرفض المطلق من قبل المحافظين[5].

---

[1] – السماوي، **المرجع نفسه**، ص: 90، 91.

2 – ينظر الملحق رقم 04،275.

[3] – يوسف بن بكير، **المرجع السابق**، ص: 190.

[4]– بن إدريسو مصطفى بن محمد، **قراءة في المسيرة التربوية للشيخ صالح يعلي**، ضمن أعمال يوم دراسي "الشيخ صالح لعلي مدخل إلى جمع التراث ومحاولة قراءة"، 19 محرم 1432هـ/ 25 ديسمبر 2010م، مكتبة الشيخ صالح لعلي، غرداية، ص: 121.

[5] –المرجع نفسه، ص: 122.

3- حلقة إيروان:

تحتل المرتبة الثانية في السلم التصاعدي للهيكل العلمي والتربوي والاجتماعي في وادي ميزاب، بعد هيأة العزابة، تعتبر مدرسة تربصية لها أو حقلا تدريبيا لكسب المؤهلات العلمية، يشترط الالتحاق بها أن يكون الطالب مستظهرا للقرآن الكريم، وأن يكون قد تلقى تعليمه في نظام المحضرة[1]، يترأسها عريف تتولى هيأة العزابة تعيينه، لها مقر خاص بجوار المسجد، يتبقى فيه الطلبة دروسهم، تسمى دار إيروان، أو دار التلاميذ، أو دار العلم[2].

أما فيما يخص شروط الالتحاق بحلقة إيروان، فتتمثل في استظهار القرآن والاستقامة، أما الذين يتلون التدريس فيها فهم عزابة القصر وشيخها الذي يكون عادة ذا مستوى علمي، خاصة في علوم الشريعة والعربية، أما العلوم التي يتلقونها فهي: العربية، علوم الشريعة والعقيدة، الفقه والحديث والتفسير، الميراث، كما يخضع الطلبة إلى مراقبة صارمة من حيث الأخلاق والسلوك، وفي ما يخص أوقات الترديس فهي في كل أيام الأسبوع ما عدا يومي الخميس والجمعة، بمقدار ساعتين يوميا، من صلاة الفجر إلى طلوع الشمس شتاء، وبين صلاتي الظهر والعصر صيفا[3].

4- التعليم المشيخي:

إن هذا النوع من التعليم الراسخ في وادي ميزاب، يعود إلى القرون الأولى لعمارتهم في المنطقة حيث كانوا يتخذون من منازلهم مدارس للطلبة الراغبين في التعلم والتثقف، خاصة في العلوم العربية والنحو والصرف، كما أنهم لم يشترطوا سنا معينا في الالتحاق بمدارسهم ولا حد نهائي للدراسة[4].

وهو ذلك التعليم التابع أو الخاص بالعلماء والمشاييخ، حيث قاموا بتأسيس حلقاتهم ومعاهدهم وضبط مناهج الدراسة فيها وفق اجتهادهم وتجربتهم العلمية، داخل وادي ميزاب

---

[1] – السماوي، **المرجع السابق**، ص: 89.

[2] – علي دبوز، **النهضة...**، **ج1**، **المرجع السابق**، ص: 213.

[3] – قاسم الشيخ بلحاج، **معالم النهضة...**، **المرجع السابق**، ص: 110.

[4] – تركي رابح، **التعليم القومي...**، **المصدر السابق**، ص: 420.

وخارجها، حيث يعكس صورة اجتهادهم وقناعاتهم ورؤيتهم إلى التعليم، إنتشر هذا النوع من التعليم في المنطقة، وإزدهرت حلقات العلماء الذي اتخذوا لأنفسهم دورا هاما لتعليم الناس وتكوين الطلبة، خاصة مع مطلع القرن العشرين[1].

إن علماء ومشاييخ هذا التعليم لا يُشترط أن يكونوا أعضاء في هيئة العزابة، كما أنهم مستقلون من الرقابة والمتابعة، أما إذا كان الشيخ صاحب حلقة حلم من أعضاء العزابة فيشترط عليه الجمع بين دروسه في معهده وبين دروسه في حلقات "إيروان" ودروسه في المسجد لعامة الناس[2].

ومن المعاهد الأكثر بروزا في منطقة وادي ميزاب بداية القرن العشرين، نجد معهد بني يزقن أو معهد القطب، الذي أسسه الشيخ "محمد بن يوسف أطفيش" في بني يزقن منذ حوالي 1850م، وظل يسير ويسهر عليه إلى غاية وفاته سنة 1914م، وللإشارة فإنه تعود البدايات الأولى لتأسيس المعهد، من خلال تحويل الشيخ لأحد منازله الثلاث إلى معهد، أين وفد إليه التلاميذ من مختلف مناطق ميزاب وغيرها خارج الجزائر، مثل جربة، نفوسة، عمان، زنجبار، كما اشتغل الشيخ كمدرس ومصلح ومؤلف، حتى لقبه تلامذته وأنصاره بالقطب أو قطب الأئمة، ومن شروط قبول التلاميذ في هذا المعهد: حفظ القرآن الكريم، حيث جعله شرط إجباريا لدخول المعهد، بالإضافة إلى حفظ المتون والاستقامة في السيرة والسلوك، قام بتقسيم الطلبة إلى طبقات، وهو تقليد اتبعه القدماء وبعض المعاصرين في الزوايا التعليمية، الطبقة الأولى للمبتدئين حيث يدرسون المواد المدرسة في الزوايا والمساجد، ما عدا العقيدة والفقه والنحو (الأجرومية)، وعقيدة التوحيد للجيتالي، أو عقيدة العزابة للشيخ عمر بن جميع، أما الطبقة الثانية فيدرسون القطر لابن هشام، والحديث والأشعار والأدب ونحو ذلك، إضافة إلى نونية نصر بن نوح في التوحيد، أما الطبقة الثالثة فهم كبار الطلبة فيحفظون ويتعلمون ألفية بني مالك في النحو والصرف، والسمرقندية في البلاغة، والأجوزة في العروض، والشعر والحديث والأخلاق، أما في أسلوب التشريع فيدرسون ألفية السالمي.[3]

---

[1]- قاسم بلحاج، **معالم النهضة...**، **المرجع السابق**، ص: 112.

[2]- **المرجع نفسه**، ص: 114.

[3] - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، **ج3**، **المرجع السابق**، ص- ص: 264- 275.

إن المواد المدرسة في معهد بني يزقن كانت ذات شقين أو ثلاث، العلوم الدينية من التفسير والحديث والقراءات والتوحيد والفقه، والعلوم اللغوية والأدب، تشمل النحو والصرف والبلاغة والعروض، أم الشق الثالث فيشمل التربية والأخلاق من مبادئ الدين وقطع الأدبية التهذيبية، حيث يقول الشيخ دبوز رواية عن تلاميذ الشيخ القطب أنه كان يبدأ بالدرس الصعب في أول النهار، وكان لا يزيد عن الكتب المعروفة في غير العقائد والفقه، سوى قناطر الخيرات للجيطاني، وهو تأليف في الأدب والأخلاق، كما كان الشيخ يهتم بأدب الأندلس وكان يؤلف لتلامذته إذ لم يجد تأليف في الموضوع. كما وفر الشيخ لتلامذته مكتبة تابعة للمعهد جمعها عبر سنين، كما كان يستنسخ الكتب ويدفع المال عليها، ولقد كان له أحد النساخين المعروفين في غرداية ينسخ له ما يشاء من الكتب، وقد بقيت المكتبة دخرا لبني ميزاب، والجزائر عامة حيث تحمل اليوم إسمها[1].

5- المكتبات والخزائن العلمية في وادي ميزاب:

إن الجدير بالذكر أن منطقة وادي ميزاب قد عرفت مع عهد الإصلاح والتنوير بوادر حركة التأليف شملت مختلف نواحي المعرفة خصوصا مع النصف الثاني من ق. 19 م ،وذلك بتركيز اهتمامهم على العلوم والفنون التي كانت سائدة في عصرهم، إلا أن الملاحظة المبدئية التي يمكن الإشارة إليها أن علماء المنطقة وخصوصا الإباضين قد خصوا العلوم الشرعية واللغوية باهتمام يفوق بقية العلوم الأخرى، مع أن هذا لا يعني أبدًا أنهم أهملوا بقية العلوم كالطب والفلك والحساب والتاريخ والتقاليد والتراجم، وقد تفطن العلماء أن هذه النهضة الجديدة لابد لها من مصادر علمية تستقي منها أحكامها ومعارفها وتكونت على أساسها الأجيال[2].

[1]- عبد القادر عزام عوادي، **ميزاب والميزابيون من خلال تاريخ الجزائر الثقافي لأبو القاسم سعد الله**، دار نزهة الألباب للنشر والتوزيع، غرداية، 2018، ص، ص: 42، 43.

[2] - قاسم الشيخ بالحاج، **المرجع السابق**، ص 134.

كما تعامل مشايخ المنطقة مع العلوم المذكورة سابقا بثلاث تعاملات منهم من اشتغل بتدريسها، ومنهم من اهتم بالتأليف فيها، ومنهم من اهتم بشرائها ونسخها حتى يستفيد منها من جهة ويجعلها في متناول تلامذته من جهة أخرى، ومن أهم العلوم والمعارف التي كتب وألف فيها علماء المنطقة نجد : الفقه، التفسير وعلومه، التوحيد وعلم الكلام والفلسفة، اللغة العربية وعلومها[1] ، التاريخ والسير والتراجم والرحلات، التوثيق والتقييد، الفلك والحساب[2].

كما ساعدت حركة التأليف والنسخ وشراء الكتب في إيجاد الكثير من أمهات الكتب، سواء المنسوخة أو المؤلفة عبر فترات زمنية طويلة، وازدهار حركة إقتناء الكتب وتبادلها بين علماء المغرب والمشرق بشكل كبير خلال القرن التاسع عشر، والتي كانت بمثابة الوعاء المعرفي للكثير من جوانب الفكر الإباضي بحكم تجذره لدى الجماعة بمنطقة وادي ميزاب منذ قرون، فمخطوطات التراث الإباضي لا توجد في كل مكان، بل في الغالب تتواجد في المناطق الآهلة بالإباضية مثل وادي ميزاب في الجزائر ، وجزيرة جربة في تونس، وجبل نفوسة في ليبيا، وسلطنة عمان، وما يمكن الإشارة إليه أن لكل خزانة خصوصيتها وهي موزعة عبر مدن وادي ميزاب ويختلف عددها ومحتواها من مدينة إلى أخرى، ففي هذه الفترة تعددت المؤلفات في العلوم الشرعية والعقلية وراجت حركة النساخة وانتشرت خزائن الكتب الخاصة والعامة، ورصدت لها أوقاف يعود بيعها على ما يضمن حفظها وصيانتها ، وتشمل مخطوطات وكتب كثيرة ومتنوعة المواضيع ومنها ما هو خاص لأشخاص عن طريق الإرث أباً عن جد ، ومنها ما هو ملك لمكتبات تابعة لمساجد المدن والكتب والخزائن التي وجدت فيها بدور التلاميذ

[1] – مقابلة مع الأستاذ بيوض علي بلحاج براهيم، 11 أوت 2022، الساعة: 9:00 – 14:00، مقر جمعية التراث، القرارة.

[2] – يوسف بن بكير، **المرجع السابق، تاريخ بني ميزاب**...، ص:2018.

والطلبة، وخزائن أخرى للمعاهد ومدارس وقد كان لأغلب علماء الفترة خزانة أو إثنين جمعوا بها ما وقع تحت أيديهم أو ما ألفوه[1].

بالإضافة إلى أن حركة الطلبة المستمرة من وادي ميزاب إلى المشرق والمغرب قد ساهمت في جلب أمهات الكتب منها ، فقد كان شقيق إبراهيم اطفيش مولعًا باقتناء الكتب ونسخها فقد جلب الكثير منها من عمان ومصر إلى واد ميزاب، وأقدم خزائن الكتب الموجودة على مستوى الوادي يرجع تاريخ نشأتها إلى القرن العاشر هجري وهي:

أ– مكتبة دار التلاميذ (ايروان) بغرداية : ويعود الفضل في نشأتها إلى الشيخ سعيد بن علي الجربي (ت.927هـ) عندما هاجر من جربة واستوطن ميزاب وأشرف على نهضة علمية أتت ثمارا بعد سنوات من العطاء، وترك الكثير من نفائس الكتب التي يمتلكها في خزانة دار التلاميذ بغرداية، وتعتبر مكتبة ايروان للمسجد الكبير من أقدم المكتبات بالمدينة حيث تكمن أهميتها في كونها تضم عدداً ضخماً من المخطوطات؛ بحيث تضم 1303 مخطوطاً، ويعود أقدم مخطوط بها إلى القرن التاسع الهجري (أواخر شعبان سنة 889هـ) وهو كتاب ديوان الاشياخ الذي ألفه مجموعة من المشايخ بجبل نفوسة خلال القرن الخامس هجري، وهي بذلك تعتبر مبادرة مبكرة للمكتبات العامة بوادي ميزاب[2].

[1] – جميلة ايعيش، **منطقة وادي ميزاب خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ميلاديين (إقتصاديا، اجتماعيا، ثقافيا)**، أطروحة دكتوراه تخصص تاريخ حديث ومعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2018،2-2019، ص:422

2 – جميلة ايعيش، **المرجع نفسه**، ص:423

ب– خزانة الشيخ أحمد بن موسى الشهير بالشيخ الميغر ببلدة العطف 970هـ" : فقد ترك خزانة تحوي نفائس الكتب في جميع العلوم النقلية والعقلية، بالإضافة إلى مكتبة الشيخ عمر بن عبد الرحمن البكلي بالعطف، والتي تحتوي على عدد كبير من المخطوطات والكتب التي تركها الشيخ إرثا لابنه[1].

ج–مكتبة الاستقامة: تقع في إحدى أزقة سوق بني يزقن، وتظم نفائس كتب عبد العزيز الثميني وممن عاصروه من العلماء، تتكون المكتبة من خزانتين: الأولى هي خزانة عائلة الثميني والتي تتشكل من عدة خزائن لعلماء من عائلة الثميني وهي:

أ–خزانة ضياء الدين الشيخ عبد العزيز الثميني.

ب–خزانة الشيخ إبراهيم بن بحمان.

د– **خزانة الشيخ محمد بن صالح الثميني:** ومكتبة ثانية لبعض الخواص، وتكتسي المكتبة أهمية بالغة لاحتوائها على نوادر المخطوطات لأشهر عالمين عبد العزيز الثميني والشيخ اطفيش[2].

هـ– مكتبة الشيخ آزبار :من المكتبات الغنية بنفيس الكتب، فقد إستفاد القطب من الكتب التي تركها ممن سبقوه اقتناء وتأليفا واستطاع أن يستفيد منها أكثر لما صاهره وتزوج ابنته[3].

و– مكتبة الشيخ اطفيش : مكتبة كبيرة تحتوي على نوادر ونفائس الكتب والمخطوطات التي جمعها خلال حياته العلمية (3)[4] ، فقد ضم إليها ما وجده من تأليف في المكتبات التي سبقت عهده أو التي عاصرته بعد أن اطلع على مكتبة شيخه عمر بن الحاج سعيد ومكتبة الشيخ عبد العزيز الثميني، ومكتبة أخيه الحاج إبراهيم

1 – المرجع نفسه،ص:423

2 – المرجع نفسه،ص:424.

3 – يوسف بن بكير ،المرجع السابق، تاريخ بني ميزاب... ، ص– ص :211–212.

4 - جميلة إيعيش، المرجع السابق،ص:425

ومكتبة دار التلاميذ بغرداية[1]وغيرها من المكتبات داخل وخارج الوطن، وحين سنحت له الفرصة جلب منها ما رآه أصلح له وللجماعة. وتعد مكتبة القُطب أغنى مكتبة بالوادي حيث تحتوي على 968 وحدة والمقصود هنا ما بين دفتي الجلدة أو الغلاف "سفر" بغض النظر عن عدد العناوين التي تكون داخل هذه الوحدة، وترجع أهمية المكتبة الى الروافد التي استقت منها وإلى تنوع العلوم التي تحويها وإلى ما تضمنه من انتاجه العلمي الغزير الذي يتنوع بين تآليف مطولة ومختصرات وشرح حواشي فضلا عن بعض المؤلفات التي خرجت من الخزانة ولم تعد أو تلك التي ضاعت[2].

ز- خزانة الشيخ صالح بن كاسي الغرداوي: وهي إحدى الخزائن المكونة لمكتبة الخزائن الثلاث بغرداية، ويعود فضل الإهتمام بها وإنشائها إلى الشيخ صالح بن كاسي الغرداوي الذي كان شيخ العزابة بالمدينة (ت.1882م)، تضم مجموعة من الكتب الفريدة والوثائق المهمة [3].

6- التعليم الفرنسي:

بعد قرار إلحاق ميزاب بالأراضي المستعمرة 1299هـ/ 1882م، شرعت الإدارة الفرنسية الاستعمارية بإنشاء وفتح المدارس الفرنسية في قرى وادي ميزاب، فكانت فتح أول مدرسة فرنسية في مدينة غرداية من سنة 1886 إلى 1889، لتليها مدرسة العطف ومدرسة بني يزقن في شهر أكتوبر من سنة 1892[4]، غير أن الميزابيين في بادئ الأمر عارضوا وقاطعو، كما امتنعوا عن إرسال أبناءهم إليها، حيث رأو أن الهدف من هذا التعليم هو مسح الشخصية الإسلامية، فاتخذوا منه

1 - يوسف بن بكير، **تاريخ بني ميزاب...، المرجع السابق**، ص-ص: 211-212.

2 - جميلة ايعيش، **المرجع السابق**، ص:425.

3 - **المرجع نفسه**، ص:425.

4 - عبد الرحمان بن عمر بكلي، **محاضرات ...، المصدر السابق**، ص: 103.

بذلك موقفا سلبيا، وبادروا بتهريب أبناءهم إلى مدن الشمال أو إخفاءهم كلما اقترب موعد الدخول المدرسي[1].

لقد كان الأطفال البالغين في وادي وادي ميزاب يُجبرون على الالتحاق بالمدارس الفرنسية بالقوة، والتي كانت تدوم سبع سنوات[2]، ولضمان السير الحسن لهذه المدارس أقرت الإدارة الفرنسية بمنع خروج وسفر التلاميذ من وادي ميزاب إلا بترخيص، كما قامت بأمر كل رئيس عشيرة أن يرافق تلامذة العشيرة إلى المدرسة فترة التسجيل للدخول المدرسي، حيث نجد إحصاء التلاميذ في المدارس الفرنسية الرسمية لسنة 1906 مايقارب 380 تلميذ[3]، مثل ماهو موضح في الملحق رقم 05 [4].

يلاحظ من خلال الجدول، أن العدد الكبير من تلامذة اليهود والفرنسيين الذين التحقوا بالمدارس الفرنسية كانوا متمركزين في مدينة غرداية فقط، أما باقي مدن ميزاب فقد كان العدد محتشم، وذلك راجع إلى مقاطعة الميزابيين تجاه المدارس الفرنسية، وذلك تخوفا من انسلاخ أبناءهم من المجتمع الإباضي الإسلامي تدريجيا.

إلى جانب مدارس التعليم العام الفرنسي قامت الإدارة المستعمرة بإنشاء مدارس التعليم المهني سنة 1896، والتي اهتمت بتدريس التجارة، ثم أُضيف إليها تعليم النقش على النحاس سنة 1909م[5]، والجدير بالذكر أن موقف الميزابيين من مقاطعة هذا النوع من التعليم لم يبق ثابتا، بل تغير مع مرور الزمن حينما تفطنوا إلى أهمية التكوين الفرنسي وحاجة أبناءهم إليه، كما طالبوا برفع مستواها وتحسين تجهيزاتها[6].

---

[1] – عبد الرحمان بكلي، **كلمات خالدة للبكلي**، مكتبة البكلي، العطف، ص: 339.

[2] – **المصدر نفسه**، ص: 339.

[3] – يوسف بن بكير، **المرجع السابق**، ص: 191.

[4] – ينظر الملحق رقم 05، ص276.

[5] – يوسف بن بكير، **المرجع نفسه**، ص:192.

[6] – قاسم بلحاج، **معالم النهضة، المرجع السابق**، ص: 81.

(ثانيا)– القضاء والأوقاف:

1– القضاء:

لقد كان القضاء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية متنوعا، حسب التركيبة المذهبية والعرقية للمجتمع الجزائري، حيث أقامته الإدارة الاستعمارية الفرنسية وفق نظامها القضائي، وهو متفرع على النحو الآتي:

- المحاكم الشرعية المالكية
- المحاكم الشرعية الحنفية
- المحاكم اليهودية
- المحاكم الفرنسية
- المحاكم الإباضية

قبل دخول القوات الفرنسية إلى منطقة وادي ميزاب سنة 1299هـ/1882، كان القضاء الشرعي الإباضي تحت سلطة حلقة العزابة، إذ كان على رأس كل قرية من قرى وادي ميزاب، أو أي تجمعات أخرى من الإباضية حلقة عزابة خاصة بها، ومن مهام شيخ العزابة النظر في جميع ما يرفع إليه من خصومات وفق المذهب الإباضي، وذلك في ساحة المسجد بين صلاتي الظهر والعصر، حيث تتسم إجراءاتها بالبساطة، ولا يأخذ شيخ العزابة مقابل مهامه أي أجر من المتاقضين أو غيرهم[1].

كان القضاة في ميزاب يحتفظون بشجرة النسب لاستعمالها عند التقاضي حيث يقول العقيد بورا: "إن القضاة هناك يحتفظون بأشجار النسب في أماكن ورسائل خاصة، وكانت مكتوبة على جلود الغن المدبوغة، وقد طلب من قائد الناحية إسمه بلالو، وكان قد تخرج من ثانوية الجزائر الفرنسية أن يرى ذلك بعينه، فجاءه بنموذج على يد القاضي، حيث ذكر أن من الأشجار النسبية

[1]– باباو اسماعيل يوسف، **اسهامات علماء الجنوب الجزائري في المجال القانوني (القضاء، التشريع، الفقه)**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج12، عدد: 02، 2019، ص: 990.

ما يرجع إلى عشرة قرون خلت، وكانت محفوظة في الجلود، مطوية طيا خاصا، وموضوعة في أنابيب من الحديد، لحفظها، واستعمالها عند الحاجة، كمعرفة الانساب وتقسيم التركات ونحو ذلك"[1].

وبعد الإعلان الرسمي عن إلحاق وادي ميزاب بفرنسا سنة 1299هـ/ 1882م، نزعت الإدارة الفرنسية سلطة القضاء من يد حلقة العزابة، وأصدرت في نفس السنة أمرا يقضي بإحداث سبع محاكم شرعية إباضية موزعة على قرى وادي ميزاب، تتشكل من قاضي وعدلين، وعلى رأسها مجلس الاستئناف بغرداية، الذي يتشكل بدوره من ثمانية أعضاء بما فيهم الكاتب (باشا عدل)[2]، ثم اتبع هذا الأمر بقرار 01 جانفي 1883، المتضمن تعيين قضاة المحاكم الشرعية الإباضية بوادي ميزاب ونوابهم، وقرار 28 فيفري 1883، المتضمن تعيين أعضاء مجلس الاستئناف بغرداية[3].

ومع تزايد سفر الميزابيين إلى المدن الكبرى شمالا، طالب الميزابيون وعلى رأسهم السيد **"صالح بن محمد أبو معقل الغرداوي"**[4] بانشاء محاكم شرعية خاصة بهم، لتبادر بعدها الإدارة الفرنسية بإصدار قانون 29 ديسمبر 1889، القاضي بإنشاء ثلاث محاكم شرعية إباضية في كل من الجزائر العاصمة، قسنطينة ومعسكر، ثم تحولت محكمة معسكر إلى وهران، بسبب انتقال الميزابيين إلى العمل فيها بكثافة، في سنة 1891 تم انشاء محاكم شرعية فرعية اباضية بكل من قصر البخاري، والأصنام وتيارت، باتنة، سوق اهراس، تشمل كل واحدة منها من قاضي وباشا عدل، وعدلين اثنين[5].

تشتغل هذه المحاكم بالقضايا المتعلقة بالزواج والطلاق والنفقة والحضانة، وتقسيم الميراث حسب الشرع الإسلامي وكذا النظر في الخلافات التي تقوم بين الناس، والحكم فيها حكما نهائيا في

---

[1]- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المرجع السابق**، ص: 317، 318.

[2]- يوسف بن بكير الحاج سعيد، **تاريخ بني ميزاب...، المرجع السابق**، ص- ص: 179- 184.

[3]- باباو اسماعيل، **المرجع السابق**، ص: 991.

[4]- هو من أعيان غرداية ورجالاتها العاملين، جمع ثقافته باللغتين العربية والفرنسية، من قدماء تلامذة قطب الأمة الشيخ احمد بن يوسف الطفيش، سافر إلى فرنسا لدراسة الحقوق، بلغ درجة المحاماة، له الفضل في اعتراف فرنسا بإنشاء محاكم إباضية في الجزائر...للمزيد بنظر: جمعية التراث، لجنة البحث العلمي، **معجم أعلام الإباضية**، قسم المغرب الإسلامي، تر: 512، ج2، ص: 233.

[5]- أبو اليقظان، **آخر سهم من كنانة المعمرين نحو الإسلام**، وادي ميزاب، العدد: 30، ص: 02.

بعض الحالات، وحكما ابتدائيا في حالات أخرى، حيث يمكن استئنافه في المحكمة الفرنسية، وللإشارة فإن لمحاكم الجنوب نفوذا أوسع وسلطة واسعة تشمل كل الوسائل المدنية بين المسلمين، وليس لقاضي الصلح أي تدخل فيها، كما لا يشترط على قضاة الجنوب التحصل على الإجازة العليا من المدرسة الثعالبية بخلاف قضاة التل، كما لا يشترط أي شرط علمي لإسنادة خطة القضاء، بل تكتفي أن يكون القاضي صاحب خطة، وذا سيرة حسنة داخل المجتمع الإباضي[1].

2- الأوقاف في وادي ميزاب:

لقد كان سكان وادي ميزاب يوقفون للمسجد ومصالحه وفروعه أوقافا من نخيلهم إما نخلة معينة أو عرجون تمر من كل نخلة، وهكذا توزعت الأوقاف على كامل واحات غرداية، بالإضافة إلى صدقات من الطعام تحضر لعمارة المسجد أثناء أوقات معينة[2].

ومع دخول الاحتلال الفرنسي للجزائر وطبقا لقرار القائد الأعلى لجيش إفريقيا الصادر يوم 07 ديسمبر 1830 المؤيد بقرار صدر 23 مارس 1843، و 03 أكتوبر 1848، والمادة الرابعة لقانون 16 جوان 1851، ضبطت كافة الأوقاف الإسلامية من سجلات القضاء الإسلامي وأُدرجت ضمن أملاك الدولة الفرنسية، كما وُزعت الأراضي الوقفية بين المستعمرين، وبهذا القرار تم القضاء على جميع الأوقاف عبر كامل التراب الوطني، باستثناء الأوقاف الميزابية، غير هذا لم يمنع الحاكم العسكري بالأغواط من توجيه أمر إلى أعيان ميزاب لتسجيل الأوقاف مما أحدث استياء وقلقا لديهم، حيث تم انتداب السيد الحاج إبراهيم بن بيوب من بني يزقن، حيث حاور رئيس الملحقة، وبين له قائلا :"إن كنتم تقصدون ما يطلق عليه إسم الأوقاف من عمارات، وحمامات وضيعات ومئات الهكتارات من الأراضي المنتجة، فذلك ما لا وجود له عندنا، وكل ما نملكه، ونطلق عليه إسم الوقف هو ماء عذب وعرجون من تمر النخيل وكذا طعام من القمح يُصنع الكسكس

[1]- حمو محمد عيسى النوري، **المرجع السابق**، 338.

[2]- مصطفى رباحي، **الأوقاف الإباضية نظام اقتصادي إسلامي**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد: 12، 2011، ص: 489.

بالسمن"، غير أن السلطة الفرنسية أسرت على إحصاء الأحباس بالمساجد والمقابر الميزابية[1]، حيث يبين الملحق رقم 06 [2] توضيح أحباس وادي ميزاب[3].

لقد مست العديد من المشاكل نظام الوقف الإباضي كافتقاد الأوقاف للعديد من عقود الشراء والملكية والاعتداء عليها بالاستغلال الانتهازي أو بحكم النفوذ المالي أو الاجتماعي أو السيطرة عليها بحكم الأقدمية، غير أن الهيأة المتحكمة لسير الأوقاف استطاعت أن تعالج هاته المشاكل بما يتوافق مع طبيعة المجتمع الإباضي وحاجته الاقتصادية والاجتماعية للأوقاف، ومن الأوقاف المنتشرة في قرى وادي ميزاب، ومما تعارفوا عليها وجرت عليها عادتهم أن تكون أوقافهم للمساجد والمقابر والتعليم[4]، كما أن هناك من الأوقاف العامة والخاصة من بينها: أوقاف موسمية تتمثل في الأعراس والعزاء، وأوقاف زراعية تتمثل في التمور والفواكه، أوقاف معمارية تتمثل في منازل ومساكن العشائر ومساجد، وأيضا أوقاف الوسائل والآلات، المكتبات وشاحنات المياه العذبة[5].

(ثالثا)– البيئة الاقتصادية:

إن ما يميز الحياة الاقتصادية في وادي ميزاب هو تلك الوحدة المتكاملة لسكانها رغم اختلاف حياتهم وأصلهم ومذهبهم، حيث يتفرغ اقتصاد ميزاب إلى اقتصاد محلي والذي يظهر من خلال انتعاش أسواقها بفضل تموين قبائل الشعانبة المقيمين بالمدن باللحوم والصوف وحجارة البناء، أما العرب المقيمين بالمنطقة فعملهم صناعة الجير وأعمال البناء، بينما يشتغل الميزابيون بالتجارة، وينفرد اليهود بصناعة الحلي من الذهب والفضة والنقش على الصواني النحاسية، أما القبائل المجاورة للمنطقة مثل ولاد نايل بالجلفة، والأرباع بالأغواط فقد ساهموا في تصدير اللحوم والأصواف والسمن

---

[1] – يوسف بن بكير الحاج سعيد، **المرجع السابق**، ص: 198.

2 – ينظر الملحق رقم 06،ص277.

[3]– **المرجع نفسه**، ص: 198.

[4] – موسى بن حاج إبراهيم، **نبذة مختصرة عن الأوقاف بوادي ميزاب (تينوباوين نموذجا) مشروعيتها كيفية أداءها**، ط2، 2016، ص: 15.

[5] – زرقون محمد بن صالح، **أوقاف التمور في قرى وادي ميزاب**، المطبعة العربية، غرداية، ص–ص: 15– 46، ينظر أيضا مصطفى رباحي، **المرجع السابق**، ص: 490.

للمنطقة، حيث أن الاقتصاد المحلي لميزاب يرتكز على المبادلات بين البدو والحضر، والذي يعتبر أهم عنصر اقتصادي في وادي ميزاب[1].

كما تعتبر غرداية المركز التجاري الأكثر أهمية في الأوساط الصحراوية إذ تعتبر ملتقى التجار حيث يظهر بها التعاون التجاري بين الإباضية والمالكية، اما فيما يخص الاقتصاد الخارجي لميزاب فقد قام الميزابيون بتوجيه تجارتهم نحو الشمال (الأغواط، المدية، الجلفة، الجزائر، البليدة)، كما تمركزوا في مدينة الجزائر حيث فتحوا محلات ودكاكين منذ القرن الرابع عشر ميلادي، ثم قاموا بتوسيع تجارتهم في كل من مدينتي قسنطينة ووهران، حيث أنهم مارسوا عدة فروع تجارية لا سيما تجارة الأقمشة والمواد الغذائية.

1- الصناعة:

إن أهم صناعة في وادي ميزاب صناعة النسيج من الزرابي وهي من الصوف، والتي كانت من اختصاص النساء أثناء أوقات الراحة، فلا يكاد يخلوا بيت من بيوت ميزاب من منسج، ولا توجد أنثى لا تحسن النسيج، إذ تختلف الصناعات من حيث المستوى تبعا للجودة والإتقان، حيث تشمل كل من الجلاليب، والحايك أو "الأحولي"، والقشابية، والبرنوس من صوف الغنم أو وبر الجمل، أما الزرابي فتتفاوت قيمتها تبعا لدقة صنعها ولتبعيتها لقصر دون آخر، فهي طليعتها، حيث تحتل زربية بني يزقن الصدارة في الإنتاج والنوعية. لقد كان التجار يقتنون هذه الصناعات قصد نشرها في أسواق الجزائر، كما يستهلك منها السكان المحليون الزرابي خاصة فئة الميزابيين، ويظهر ذلك في تجهيز العروس في ميزاب[2].

[1] – مفدي زكريا، **أضواء على وادي ميزاب ماضيه وحاضره**، تح: إبراهيم بحاز، منشورات ألفا، الجزائر، ط1: 2010، ص: 207.

[2]- Robin, **le mzab et son annexion a la France**, imprimeur, libreure de lacadimier , 1884, p:17

كما عرفت ميزاب انتشار صناعة الجلود، أبرزها "الفيلالي" ومنه تُستخرج البلاغي وأحذية النساء، غير أن هذه الصناعة نافستها المنتوجات القادمة من جنوب السودان، كما ظهرت صناعة الدلاء والقرب التي يستعملها الميزابيون في السقاية[1].

أما بالنسبة لصناعة الفخار فهي تعتبر من الصناعات الدخيلة أو الوافدة على وادي ميزاب، حيث يعتبر الشيخ "باي أحمد بن سليمان بن نوح" الليبي الأصل، الذي نشر هذه الحرفة بعد أن وصل إلى ميزاب سنة 395هـ/ 1004م، لتشتهر هذه الحرفة في "قصر مليكة"، إذ نظرا لشهرتها أصبح يسمى حي بإسم "حي أفران" نسبة إلى الأفران التي كانت تستعمل في تحضير الأواني الفخارية وإنتاج الجير والجبس[2].

ويظهر أن صناعة النحاس كانت حديثة العهد، فقد انتشرت في المدارس الحكومية، حيث نتج عنها ما يحسن صناعة الصحون المزركشة، والتي تحتل مركزا ممتازا في أسواق وادي ميزاب، بعد أن كانت من اختصاص اليهود وحدهم، فقد إجتهد الميزابيون في نقش الصواني النحاسية والأباريق الفضية، لتعرف إقبالا كبيرا من قبل السواح الأوربيين. أما صناعة الحلي فكانت من خاصيات اليهود، فصناع هذه الحرفة يصدرون هذه المنتجات إلى العالم العربي الإسلامي[3].

لقد غلب على المجتمع الميزابي الطابع العملي الجماعي، والذي يعتبر المركب الحيوي للأعمال الخاصة بالإقتصاد حيث تمارس المرأة الميزابية ما يصطلح عليه ب "التويزة" وهي عبارة عن عمل جماعي تطوعي تتشارك فيه مجموعة من النساء بغرض الصناعة، وإنتاج كميات كبيرة في أقل وقت، كما تعتبر من ركائز الإنتاج الاقتصاد المحلي لميزاب، كما لها أشكال متعددة كغزل الصوف مثلا الذي بلغ انتاجه السنوي في وادي ميزاب خلال القرن التاسع عشر ما يقارب سبعين ألف قطعة[4].

---

[1]-مفدي زكريا، **المرجع السابق**، ص: 223.

[2]- **المرجع نفسه**، ص: 223، هامش رقم 3.

[3]- **المرجع نفسه**، ص: 224.

[4]- عائشة بنت محمد، **المرجع السابق**، ص- ص: 71- 75.

2- الزراعة:

تميزت الزراعة في مدن وادي ميزاب كغرداية وبريان، والقرارة بزراعة النخيل بكل أنواعه، مع بعض المزروعات الموسمية كالقمح والشعير، والفول، وغيرها من المزروعات الصيفية والشتوية، فكل عائلة في وادي ميزاب تقريبا إلا ولها بستان من النخيل وأشجار خارج أسوار المدينة، كما اهتموا بزراعة الأشجار المثمرة، غير أن زراعة النخيل لها أهمية لدى الميزابيين كونها المصدر الرئيسي للإقتصاد، حيث بلغ عددها في القصور السبعة لميزاب 88 ألف نخلة[1]، كما يوجد في ميزاب ما يقارب 100 صنف من أصناف النخيل سبعة عشر بالمائة يغطي حوالي 90 بالمائة من واحات ميزاب[2].

من خلال إحصاء لأشجار النخيل المبين في الملحق رقم 07 [3] ،الذي قام به القائد العسكري الفرنسي "روبين" robin، رئيس المكتب العربي سنة 1884م، أين ركز فيه على عدد السكان والنخيل في ميزاب، مشيرا إلى نسبة الكثافة السكانية[4]:

وفي السياق ذاته نجد إحصائية أخرى[5] قدمها "مارسل مارسيال" Marcel Mercier، المتخصص في القانون، أين قدم إحصائية للكثافة السكانية سنة 1921[6]:

كما اعتنوا بزراعة الأشجار المثمرة كالتين، والعنب، والمشمش، والحمضيات، وزراعة النعناع والريحان، كما اعتبرت أشجار النخيل المصدر الأساسي للأخشاب والصناعة التقليدية التي يتم سقيها بواسطة مياه أبار الجوفية والسدود المحلية[7].

---

[1]- A.coyne, **le mezabe**, place du gouvernoment 4, 1879, p;20

[2] - يوسف بن بكير، **المرجع السابق**، ص: 201.

[3]- ينظر الملحق رقم 07،ص278.

[4]- Robin, **opcit**, p :16.

[5] - ينظر الملحق رقم 08،ص279.

[6]-Marcel mercier, **la civilisation urbaine au mzab**, imprimerie administrative et commerciale émile pfister, rue trollier, 1922, p.38.ملحق

[7] - الدهمة بكار، **المرجع السابق**، ص: 30.

لقد عرفت ميزاب بناء السدود لحاجتها الزراعية حيث تم إقامة أربعة سدود في الفترة الممتدة من 1883 إلى 1897م، والتي تمثلت في سد غرداية 1883، سد مليكة 1887، وسد بنورة 1887، سد الجديد في غرداية 1897، أما منطقة القرارة فقد تم إقامة سد سنة 1909 بين وادي زقرير وضاية "تلمز أمان" الموجود في تراب ملحقة الأغواط والتي كانت تبتلع مياه الوادي، أما فيما يخص الإحصائيات الخاصة بحفر الأبار لسنة 1899[1]، فنبينها من خلال الجدول في الملحق رقم 09[2].

3- التجارة:

عرفت منطقة وادي ميزاب نشاطا تجاريا منذ القدم حيث تعتبر إحدى العوامل الهامة في تطور مدن ميزاب، فقد شكلت شبكة هائلة عريقة من النشاطات والعلاقات في المؤسسات والبنى الاجتماعية والإقتصادية المحيطة بها، حيث كان لكل مدينة من مدن ميزاب علاقة خاصة مع القبائل البدوية التي تمارس التجارة الصحراوية، مثل علاقة مدينة مليكة بقبيلة الشعانبة بمدينة متليلي، وذلك راجع للدور الذي يلعبه الشعانبة في تسيير القوافل، بعد أن كانوا يسيرون قوافلهم بأنفسهم، كما تركوا دور حماية القوافل التجارية في الجنوب للقبائل البدوية[3].

لقد تطور التعاون التجاري بين الميزابيين والقبائل البدوية، بحكم الموقع الاستراتيجي لوادي ميزاب حيث يعتبر رأس خط تجاري يلتقي فيه تجار الجزائر بتجار أرض السودان، كما لعبت مركزا تجاريا هام في الجزائر، حيث احتوت كل مدينة في ميزاب على سوق للمبادلات الخارجية باعتبار المنطقة المحور الأوسط بين الجزائر والمدية و الأغواط، باتجاه توات ثم بلاد السودان، ومن ناحية الأغواط ترتبط بالمحور الغربي بين وهران و معسكر و عين ماض و بشار، ومنه إلى المغرب الأقصى

---

[1]- Robin, **opcite**, p :16.

[2] - ينظر الملحق رقم 09، ص280.

[3] - ناصر بلحاج، **النظم والقوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة في ما بين القرنين التاسع والثالث عشر الهجريين، الخامس عشر والتاسع عشر الميلاديين**، أطروحة دكتوراه تخصص تاريخ حديث ومعاصر، جامعة قسنطينة 02، 2013، 2014، ص: 250.

عن طريق "فقيق"، تطوان، مكناس، ثم فاس وغيرها[1]، كما ترتبط بالمحور الشرقي بين قسنطينة وزمورة و بسكرة، وما يبرز سيطرة الميزابيين على أهم الخطوط التجارية، ما قاله بليسي سنة 1830 عندما تحدث عن تجارة الميزابيين في مدينة الجزائر قائلا:" يمكننا لاحقا بواسطتهم جلب تجارة أهاليهم المارة بتونس وطرابلس"، كما يذكر الخطوط التجارية للميزابيين وهي غدامس بورنو، تمبكتو، وكل السودان، حيث يروجون سلعهم في أقطار تونس و طرابلس[2]

أما بالنسبة للسلع التي كانوا يتاجرون فيها يذكر الدكتور سعيدوني أنها كانت تعتمد على الحاجات الضرورية للعيش، إلى جانب بعض المواد الكمالية مقابل استيراد العبيد، وريش النعام وبعض المنتوجات المدارية الإفريقية[3].

كما كان بنو ميزاب يدفعون الإتاوة لتأمين أموالهم التي كانوا يتجارون بها في الصحراء، فبين ميزاب وتوات كانت قبيلة الشعانبة تقوم بهذا الدور، أما ما بعد التوات فهي خطوط تجارية خاصة بالتوارق الذين يتلقون بدورهم إتاوات لحماية رؤوس الأموال المتنقلة عن طريق القوافل، وهو منظر من أهم أوجه التعاون بين البدو والحضر من خلال التجارة الصحراوية[4]، بفضل ذلك أصبحت منطقة وادي ميزاب ميدانا للتبادل التجاري بين الشمال والجنوب، لاعتبارها همزة وصل بينهما، فالقوافل تزود الشمال بالتمور والذهب والصوف والبارود والملح، وسبع السودان الجنوبية[5].

كما ساهمت قبائل الشعانبة في الاقتصاد المحلي للمنطقة بجلب الحطب واللحوم وحجارة البناء، كما اهتموا بصناعة الجير، وعمل البناء، بينما اهتم الميزابيون بكل أنواع التجارة التي تزود البدو بكل ما يحتاجونه، كما انحصرت الحركة التجارية بعاصمة غرداية التي بها أهم الأسواق الأسبوعية[6].

---

[1] – **المرجع نفسه**، ص: 250.

[2] – بليسي، **حوليات جزائرية**، مج: 02، تر: بن تركي نصيرة، الأصالة، 2012، ص: 466، 467.

[3] – سعيدوني، **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1796– 1830)**، البصائر للنشر والوزيع، ط3: 2012، ص: 38.

[4] – بلحاج ناصر، النظم...، **المرجع السابق**، ص: 252.

[5] – مفدي زكريا، أضواء...، **المرجع السابق**، ص: 226.

[6]– robin, **opcite**, p :18.

ولليهود علاقة وطيدة بالميزابيين في المنطقة من الناحية التجارية، وذلك لنشاطهم البارز في التجارة، وسيطرتهم على السلع المجلوبة من الخارج، كما اهتمت فئة اليهود أكثر من غيرهم على توفير الأمن والاستقرار كي لا تتعرض تجارتهم للإفلاس والخسارة، لذلك حرصوا على تأمين العلاقة بين الفرنسيين وسكان المنطقة خلال فترة الاحتلال[1].

أما التجارة عند الشعانبة في مدينة متليلي، فتتم في سائر أيام السنة، ويعتبر فصل الخريف موسم إزدهارها، وذلك لعودة القوافل التجارية إليها المحملة بالصوف وجلود الحيوانات، ومنتجات الألبان، والثياب القطنية، كما أنشأ الشعانبة أسواقا ومحلات تجارية لأنفسهم حتى صاروا يغطون بذلك ما يقارب ثمانون بالمائة من التجارة في الجنوب الغربي بحسب الإحصائيات التي صدرت في سنة 1937، لتزدهر بعد ذلك في المنطقة إلى حد كبير[2].

خلاصة الفصل:

بعدما أمضى أعيان الإباضية اتفاقية مع الإدارة الفرنسية، فكان من أيدها من أجل المصلحة الاقتصادية الإباضية، نظرا لتجارتهم في الشمال، وأصبح الاستعمار حقيقة لا مفر منها وبغية تجنب الأضرار، وهناك من وقف ضدها باعتبارها تضر بالمؤسسة الدينية الخاصة بهم، وبين هذا وذاك استطاع الميزابيون أن يتفقوا مع الاستعمار الفرنسي بالحوار ودفع الضرائب والتهرب منها أحيانا أخرى، باللجوء إلى القضاء الميزابي وإخفاء الأوقاف وتعلم اللغة الفرنسية، والإندماج على قدر المصلحة في الحضارة الفرنسية.

إن الحكم في وادي ميزاب قد تغير بعد إلحاقها بالمستعمرات الفرنسية إذ أخضعته الإدارة الفرنسية إلى حكم ما يعرف بـ "القياد" التابعين بدورهم لحاكم عسكري محلي على مستوى غرداية ثم على مستوى الأغواط، حيث عينت في كل بلدة من يتولى مصالحها وتنفيذ سياستها ومراقبة حركات الأهالي.

[1] – مفدي زكريا، **المرجع السابق**، ص: 140.

[2] – فاطمة حاج عمر، **الطقوس الاحتفالية....**، **المرجع السابق**، ص: 132.

وعليه تقلصت مهام الهيئات الدينية والعرفية في تسيير المجتمع الميزابي، وانتزع منها الكثير مما كان لها في مجال الحكم والقضاء، غير أنهم خضعوا لهذا النظام ورأوا في سياسة احتواء حكم القياد وربط علاقات التعاون معهم خير من مقاطعتهم ونبذهم تخوفا من الانقلاب عليهم، حيث صاروا يقدمون للسلطات الاستعمارية أبرز الشخصيات من أعيانهم لكي تتولى اختيار من تراه مناسبا لها، فقد خدم هؤلاء القياد أحيانا مصالح البلد وصاروا مع الهيئات الدينية لوادي ميزاب في تعاون وتشاور، كما ظهر منهم من سار ضد الهيئات الدينية.

وعليه تم خلق نوع من التعايش مع الاستعمار الفرنسي وكذا الاستفادة من الحركة الإصلاحية التي ظهرت بوادرها بداية القرن العشرين في الجزائر عامة، هذا ما سنتناوله في الفصل الموالي.

الفصل الثاني:

الإرهاصات الأولى لظهور الحركة الإصلاحية والوطنية في منطقة وادي ميزاب

أولا: ظهور الحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي

ثانيا: الحرب العالمية الأولى وأثرها على الحركة الفكرية في الجزائر

ثالثا: الحكم الإستعماري الفرنسي في وادي ميزاب

رابعا: أبرز رواد الفكر الإصلاحي في وادي ميزاب

خامسا: البعثات العلمية

تمهيد:

لقد تأثرت الجزائر بعوامل داخلية وأخرى خارجية تلاحمت مع بعضها البعض، حيث كان نتاجها نخبة إصلاحية دافعت عن خصوصية الشخصية والهوية الإسلامية وحفظتها من الذوبان والانصهار في الحضارة الغربية الأوروبية ومن جملة هاته العوامل نذكر:

(أولا)– ظهور الحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي:

إذا كانت بوادر فكر الجامعة الإسلامية قد ظهرت من قبل في الجزائر خلال القرن التاسع عشر،ومطلع القرن العشرين، باعتبارها مرحلة إرهاص، حيث تزعمها الكثير من الكتاب والشعراء والعلماء، أمثال عبد القادر المجاوي، المولود بن الموهوب، وغيرهم هؤلاء الذين حاولوا ان يمهدوا ببعض اعمالهم الطريق امام نهضة شاملة حمل مشعلها من تبعهم فيما بعد، فلا يمكن التغافل عن العوامل التي كان لها التأثير الكبير على النهضة الجزائرية الحديثة فكرة الجامعة الإسلامية، حيث يرى الدكتور أبو القاسم سعد الله أن إسهامات الجامعة في النهضة والحركة الإصلاحية التجديدية قامت أساسا على انها قدمت أفكارا وتصورات جديدة من خلال الكتب والصحافة، كما شجعت الجزائريين على الهجرة نحو المشرق، حيث تم هناك التعريف بالقضية الجزائرية من خلال مهاجمتها للحكم الفرنسي وتشجيع الجزائريين على رفض التجنيس، كما أنها ضغطت على فرنسا بإدخال إصلاحات جديدية وساعدت على نقل المشكل الجزائري على مجال أوسع[1].

يُقصد بالجامعة الإسلامية بصفة عامة الأعمال المنتظمة في إطار جمعيات ومنظمات سرية ترتكز في عملها على مبدأ التضامن الإسلامي في إطار الخلافة العثمانية، وقد يتسع معناها ليشمل

[1] – سعد الله، **الحركة الوطنية 1900– 1930**، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط4: 1992، ص: 119.

كل نشاط ودعاية يقوم بها المسلمون ضد الإمبريالية الغربية، سواء كان بالتنسيق المسبق أو دونه بين العلماء والمفكرين[1].

إن فكرة الجامعة الإسلامية التي دعى إليها جمال الدين الأفغاني[2]، وناضل في سبيلها هي نفسها التي استقطبت العديد من المفكرين والمصلحين، حيث يرى أنها تعني في مفهومها الوحدة الإسلامية التي تضع المسلمين كافة في موقف واحد قصد مقاومة ومجابهة الاستعمار الذي أصبح يهمين على العالم الإسلامي، حيث يرى أن الوحدة والتضامن تقوم على أساس الثقافة الواسعة والغنية الصادرة من الدين، كما يرى وجوب نهوض وقيام الشعوب الإسلامية في وجه الاستعمار مستعملة كل قوتها بشكل جماعي[3].

كما ذهب السيد جمال الدين الأفغاني (1839-1897 م)، إلى أسباب فساد المجتمع الإسلامي، وضعفه وانحطاطه إلى الجهل بالتعاليم دينهم، ونتيجة سوء فهم جوهر الإسلام والعقيدة كما قدمها القرآن والسنة، إضافة إلى استبداد حكام الإسلام وتناحرهم وضعفهم أدى بفتح المجال للغزاة للسيطرة على أرض المسلمين، حيث يؤكد أن هذان الأمرين هما أخطر الآفات إلى إصابة المسلمين، كما يرى أن الحل للخروج من هذه الظاهرة يكمن في أمرين مهمين "الدعوة إلى الإسلام الأصيل وإصلاح ذات النفس باستناده على قوله تعالى " لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ

---

[1]- محمد عمارة، **جمال الدين الأفغاني المفترى عليه**، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1984، ص: 24.

[2] - جمال الدين الافغاني (1839-1897 م)، من مواليد قرية اسعد اباد ببلاد الافغان، رائد من رواد النهضة العربية، وحامل مشعل التنوير، واحد محركي الهمم في الاوساط الشعوب العربية، الاسلامية، وهب حياته للدفاع عن الامة الاسلامية، وقضاياها للمزيد ينظر : محمد عبد الرحيم الزيني، **جمال الدين الافغاني رائد التنوير**، الموافقات، مجلة دورية، ع 2، المعهد الوطني العالي للأصول الدين، الجزائر، 1993 م، ص96 .

[3] - حسن حنفي، الأصولية والعصر، **الحركة الإسلامية المعاصرة**، ضمن مؤلف حوار المشرق والمغرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1990، ص: 23.

لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ" [1]، والوحدة الإسلامية هي وحدة الأمة بكل أجناسها وألوانها وأوطانها فهي أمة واحدة تحت راية الإسلام على قول الله تعالى:" لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"[2].

هذا هو مشروع جمال الدين الأفغاني الكبير المتمثل في الوحدة الإسلامية، فالإصلاح عنده لا يقتصر على تطهير العقيدة فقط بل تجاوز إلى إصلاح حياة المسلمين سياسيا وثقافيا واجتماعيا انطلاقا من إصلاح نفوسهم وإصلاح المفاهيم الدينية وكذا الرد هلة تحدياتها العلمية والسياسية والعسكرية[3].

إذا كان الشيخ جمال الدين الأفغاني قد وضع الخطوط العريضة للحركة الإصلاحية بمبدأ مجابهة الاستعمار في الخارج والقهر في الداخل، فبالرغم من خروج الحركات الاستقلالية الوطنية من جبهة الأفغاني فقد فشلت الثورة العربية، مما أدى بمحمد عبده[4]، إلى ترك الثورة والدعوة إلى إصلاح ديني وتربوي وأخلاقي لغوي شرعي، على مدى طويل[5]، حيث جسدها في معالم أربع رئيسية تمثلت في[6]:

---

[1]-**سورة الرعد**، الآية 11

2- **سورة البقرة**، الآية 256

[3] – علي زيهو، **جمال الدين الأفغاني التغيير في الواقع والقيم**، جمال الدين الحسني الأفغاني رسائل في الفلسفة والعرفان، تق: هادي، إيران، ط2، 1221هـ، ص، ص: 22، 23.

[4] – محمد عبده (1849-1905 م)، هو تلميذ جمال الدين الافغاني، كان استاذ في جامعة الازهر، حاول ارجاع الاسلام الى السنة والقران، واراد ان يعطي للعالم العصري، مكانته في فهم العقيدة الاسلامية، اسس صحيفة العروة الوثقى رفقة جمال الدين الافغاني، للمزيد ينظر : amarhellel le mouvement reformistealgerien universitaires alger 2002 p101

[5] – حسن حنفي، **المرجع السابق**، ص: 24.

[6] – محمد عبده، **أعمال كاملة**، تح: محمد عمارة، ج2، دار الشروف، بيروت، ط1، 1994، ص: 318.

- تحرير العقل من قيود التقليد

- الفهم السليم للدين والتدين على طريق السلف الصالح

- إرجاع السلطة النهائية إلى القرآن والسنة

- دراسة الحقائق الدينية ضمن موازين العقل.

إن فكرة الإصلاح عند الشيخ محمد عبده(1849-1905 م)، لم تقف عند تنقية الدين من البدع والخرافات فحسب، بل ذهب إلى أبعد من ذلك حيث أراد أن يصلح العقل الإسلامي مستلهما بالإنجازات والفتوحات العقلية التي شهدها العصر الحديث[1].

لقد قام الشيخ محمد عبده ببناء فكره الإصلاحي على تحريره من أسر التقليد وفهم الإسلام على أسس عقلية وإعادة قراءة القرآن الكريم وتفسيره من جديد بتحديد معنى الإعجاز الحقيقي للقرآن، وعدم حسره في مجال اللغوي واللسان، وفي المجال العلمي، ذلك أن القرآن الكريم كتاب الله يهدي الناس إلى مجتمع أفضل وطريق سوي وخلف عظيم، وهذا مقصد القرآن وهدفه، أم ما جاء وراء هذا الجوهر القيم من مباحث علمية ولغوية وفقهية، فإنها تابعة له وخادمة له ووسيلة لتحصيله[2]، كما يجب إعطاء الأولوية للعقل في فهم الإسلام قرآنا وسنة، وعليه فلا يجب التمسك بالتفاسير والتأويلات السابقة، ذلك أن السلف كانت لهم تأويلات وتفسيراتهم ومناهجهم الفكرية، ومشكلاتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، كما يطلب المرء باستخدام معارفه ومكتسباته العلمية واللغوية الحديثة بالإستئناس بالسلف الصالح وعلماء الأمة، ومن جهة أخرى فهم الجوانب اللغوية والتاريخية، وأسباب النزول مستندا على السيرة النبوية[3].

[1] - محمد عبد، **المصدر نفسه**، ج3، ص: 314.

[2] - لطيفة عميرة، **هاجس النهوض بين زعماء الإصلاح**، مجلة مشكلات الحضارة، ص: 06.

[3] - محمد عبد، **المصدر السابق**، ج1، ص: 589.

كما اهتم الشيخ عبده بإصلاح اللغة العربية من حيث أسالبيها وطرق تعليمها، فإن اللغة لم تستطع مواكبة التطورات الفكرية والصحافية والسياسية لهذا أكد على إصلاحها من حيث الأسلوب والكتابة والتحرير، سواء في المخاطبات الرسمية بين الدواوين الحكومية ومصالحها أو فيما يخص الصحافة والترجمات من اللغات الأخرى[1].

كما أكد على النخبة المثقفة والمستنيرة في الأمة الإسلامية لتكون في الصدارة للنهوض بالأمة علميا وثقافيا واقتصاديا، ثم سياسيا، وبالتالي إزالة الاستبداد الذي تشكوا الأمة منه، حيث يرى أن إزالة الطاغوت السياسي مرهون بالتربية والتعليم للطبقات الدنيا والوسطى في المجتمع الإسلامي الذي يقود الأمة إلى بر الأمان[2].

وفي نفس السياق يذهب السيد رشيد محمد رضا (1865-1935)، الذي يعتبر من رواد الفكر الإصلاحي، شأنه شأن أستاذه محمد عبده، خاصة بعد قيام الثورة الكمالية في تركيا لإنهاء الخلافة وإقامة حكم علماني أوربي صرف، وكرد فعل مضاد بادر بإنشاء الحركة السلفية التي تدعوا إلى التمسك بالأصول[3]، وذلك عن طريق إصدار مجلة المنار التي مشت على خطى مجلة العروة الوثقى، كما كان فيها توجه سياسي يتعلق بالمسألة المصرية، وكذا المسائل الاجتماعية التي وضع أسسها جمال الدين الأفغاني بمشروع الوحدة الإسلامية، حيث يعتبر رشيد رضا صاحب مشروع إصلاحي كبير، كونه يرى أن أهم أركان الإصلاح الإسلامي هو جمع كلمة المسلمين على عقيدة واحدة وأصول فكرية وأدبية واحدة وقانون فكري واحد لا يحكم عليهم غيره في أي نوع من الأنواع،

[1] – محمد عبد، **المصدر نفسه**، ج2، ص: 180.

[2] – لطيفة عميرة، **المرجع السابق**، ص: 07.

[3] – حسن حنفي، **المرجع السابق**، ص: 24.

ولغة واحدة، حيث لا يتم ذلك إلا بإنشاء جمعية إسلامية تحت حماية الخليفة بهدف الرعاية بإصلاح الدين[1].

كما كان يرى أن التقدم والتخلف يخضعان لقوانين طبيعية ذاتية خاصة بالأمم والشعوب ولا يرجعان إلا للإنتماء للدين، كما أن الانتماء للإسلام لا يكفي إذ لم تأخذ الأمة الإسلامية بسنن الله، حيث يؤكد أن الدين هو العنصر الأبرز في صعود ونمو الأمة والعكس صحيح، أما من الناحية الإصلاحية فالإصلاح هو صلاح الفرد والمجتمع بعمارة الأرض وإدارتها، ولا يتم ذلك إلا بالتربية والتعليم[2].

برز محمد رشيد رضا كزعيم إصلاحي وحيد للتيار السلفي، كما شرع في تأسيس المدارس والجمعيات وكذا لعب أدوار سياسية تهدف إلى تحقيق جامعة إسلامية رابطة سياسية حيوية توحد العرب والأتراك لمقاومة النزاعات الانفصالية الوطنية، كما بادر بالاهتمام بالصحافة والزيارات المتعددة للبلدان العربية[3].

أ- وادي ميزاب والمد الإصلاحي:

لقد كانت ميزاب من المتأثرين بهذا المد الإصلاحي والنهضة في العالم الإسلامي خلال الحقبة الاستعمارية بقيادة شيوخها وزعماءها، وذلك بحكم علاقتهم الوثيقة بعبد العزيز الثعالبي (1874-1944)، من خلال دعمهم له، ودعم حزبه، كما أن الثعالبي كان دائما التردد على مقر البعثة الميزابية في تونس، وعند تأسيس لجمعيته السرية سنة 1917 بتحرير المغرب ونصرة الدولة العثمانية، تولى صالح بن يحي تجنيد وتأطير الميزابيين في تونس أمثال أبي اليقظان ويوسف بن بكير

[1] - فهمي جدعان، **أسس التقدم الفكري**، الإسلام في العالم العربي الحديث، الشبكة العربية للأبحاث والشر، بيروت، ط4، 2010، ص: 270.

[2]- المرجع نفسه، ص: 274.

[3]- علي مراد، **الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر البحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1925-1945**، تر: محمد يحيانن، دار الحكمة، 2007، ص: 448.

وعبد الله بن إبراهيم أبو العلاء، وأحمد ين الحاج إبراهيم بن كاسي وآخرون[1]، كما تأثر الشيخ إبراهيم بيوض بدعوات المصلحين في المشرق أمثال محمد عبده وجمال الدين الأفغاني و شكيب أرسلان، خاصة بعد لقاءه هذا الأخير في الحج سنة 1929، أين ترك فيه أثرا وتحمسا لفكرة الإصلاح، كما خصص الشيخ أبو اليقظان عددا كاملا من جريدة الأمة لشكيب أرسلان وجهاده، كما خصص عددا أخر لتأبين الشيخ محمد رضا[2].

ومن جهة أخرى احتكاك الميزابيين بسليمان الباروني المعروف بتبنيه فكرة الجامعة الإسلامية، حيث تعرفوا عليه خلال زيارته وتتلمذه على يد القطب سنة 1907 ببني يزقن، ولقاءه بالشيخ أبي اليقظان سنة 1913، وكذا تعزيته ميزاب في وفاة شيخها القطب سنة 1914، بالإضافة إلى دعمه المادي والمعنوي للمدرسة الصديقية العصرية بتبسة وكذا البعثة الميزابية بتونس، حيث زارها وتراسل مع المشرفين عليها[3].

وفي نفس السياق كان الميزابيون يحترمون المفكر الإصلاحي السيد مصطفى كامل (1874- 1908)، ويبجلون جهاده حيث كانوا معجبين بمقالاته التي كانت تنشرها صحيفة اللواء المصرية، حيث قام الشيخين عمر بن يحي وبكير العنق بكراء دار خاصة بالقرارة وجعلوها ناديا لقراء الصحف الوطنية والعربية والكتب المفيدة من بينها كتاب "كامل تاريخ مصطفى كامل" من ستة أجزاء للمؤلف فهمي كامل الذي طبع سنة 1910 بالقاهرة، حيث خصص مصطفى كامل

---

[1]- عبد القادر عزام عوادي، **الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي 1920- 1954** ، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة بن يوسف بخدة، الجزائر، 2008/2007م، ص: 42.

[2] - محمد صالح ناصر، **الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض مصلحا وزعيما**، دار ناصر للنشر والتوزيع، غرداية، ط4: 2017، ص: 17.

[3]- عزام عوادي، **الحركة الإصلاحية** ...، المرجع السابق، ص: 43.

جزءا خاصا يتناول فيه المسألة الشرقية مؤكدا على نواايا أوربا السيئة تجاه الإسلام وحقدها على الدولة العثمانية[1]

بالإضافة إلى تتبع الأخبار والمستجدات حدثا بحدث وتفاعلها الإيجابي معها من خلال الكتب والجرائد والمجلات التي كانت تصل إلى وادي ميزاب، حيث يقوم أعلام الإصلاح بعقد جلسات ومنتديات ومواعيد للاطلاع عليها وفهم أفكارها ورصد أهدافها والتي بدورها حركت فيهم رغبة التغيير واقتفاء الأثر والمنهج، كما ساهمت في نقل حرارة الغيرة على الدين والوطن والأمة لمحاربة الباطل والوقوف في وجه الفساد والتصدي للجمود والجهل[2]، ليوضحوا لطلبتهم الأوضاع التي يعيشها العالم الإسلامي بغية تغذية بروح الوطنية والوعي السياسي، وتقوية انتماءهم للأمة الإسلامية[3]. كما زودتهم بالوعي والفهم للصراع العالمي الدائر بين الشرق والغرب، وبين الإسلام والصليبية والصهيونية، وعرفتهم بمكايد الاستعمار ومخاطره، كما دربتهم على طرق رفع التحدي والمقاومة[4].

(ثانيا)– الحرب العالمية الأولى وأثرها على الحركة الفكرية في الجزائر:

لقد كان للحرب العالمية الأولى سنة 1332هـ/ 1914م أثر كبير على معظم شعوب العالم حيث هزت أركانه على مختلف الأصعدة وغيرت من واقع الحياة لديهم، حيث تعتبر الجزائر من المناطق التي تأثرت بها، ومن المعلوم أنه رغم الأثار السلبية التي أفرزتها هاته الحرب على معظم البلدان، إلا أنها كانت من عوامل تحريك عجلة النهضة والإصلاح فيها، حيث أن صدمة الأحداث المأساوية التي كان المجتمع الجزائري منخرطا فيها وذلك من خلال الهجرة (التجنيد)، وكذا قيام العديد من

[1] – محمد دبوز، **النهضة...، المرجع السابق**، ص: 33.

[2] – محمد ناصر، **بيوض مصلحا وزعيما، المرجع السابق**، ص: 17.

[3]– دبوز، **أعلام الإصلاح، ج3**، ص: 223.

[4]– قاسم الشيخ بلحاج، **معالم النهضة، المرجع السابق**، ص: 293.

السلوكات الجديدة بسبب انقلاب البنى التقليدية وبروز تيارات وأفكار جديدة كان من شأنها إحداث تحول حقيقي في السلوك الاجتماعي الجزائري[1].

علاوة على ذلك إن الشعوب والقبائل التي كانت منغلقة على بعضها البعض وجاهلة بالحقد الأوروبي اتجاهاه وجدت نفسها متقاربة مع بعضها البعض بفضل روابط جديدة وكذا معرضة لنفس الصعوبات والأخطار وخاضعة لنفس المحن، حيث وجد الشعب الجزائري نفسه منتشلا من سباته بفضل رجال تجرأوا على الكلام لا باسم قرية أو قبيلة ولا حتى باسم منطقة إثنية واقتصادية باسم جماعة وطنية واسعة وذلك بإدراكهم كيفية الاعتراف بوحدتهم الأصلية[2].

والجدير بالذكر أن هاته الجرأة التي اكتسبها رجالات الجزائر قد أفرزت وعيا فكريا إصلاحيا وطنيا تسارع عن طريق الصحافة الإسلامية ذات اللسان الفرنسي والعربي التي ازدهرت سريعا بعد نهاية الحرب بسبب تساهل الإدارة الفرنسية مع بعض الصحف الإسلامية، بالإضافة إلى رفع القيود عن الناطقين باسم الرأي العام الإسلامي في الجزائر، خاصة بعد تعيين "جونار"(Charles Jonnart) (1857 – 1927 م)، حاكما عام عليها سنة 1901 [3]، بالإضافة إلى الإصلاحات التي قدمها الحاكم "كليمنصو" (Georges Benjamin Clemenceau) (1841 - 1929)، والمتمثلة في سلسلة من التحسينات والإصلاحات التي تهتم بالوضع المادي والمعنوي للرعايا المسلمين سنة 1914، والذي وصف بالقانون السياسي للأهالي في الجزائر الذي يهدف إلى فتح الباب للتحرر الاجتماعي وإلى حد ما السياسي للمسلمين الجزائريين، وذلك بتوسيع القاعدة الانتخابية للمسلمين والتسهيل لهم الحصول على المواطنة الفرنسية رغم أثاره المحدودة[4]، غير

---

[1] – صبري كامل هادي التميمي، **موقف الحركة الوطنية من السياسة الاستعمارية ما بين الحربين 1919–1939، صفحات عن تاريخ الجزائر قديما، حديثا، معاصر**، دراسات تاريخية، ج2، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، ص: 143.

[2] – علي مراد، **الحركة الإصلاحية...، المرجع السابق**، ص: 47.

[3] – خالد بوهندة، **النخبة الجزائرية دراسة تاريخية واجتماعية 1892– 1942**، دار القدس العربي، وهران، ص: 200.

[4] – يحي بوعزيز، **سياسة التسلط الاستعماريةوالحركة الوطنية الجزائرية 1830–1954**، دار البصائر للنشر والتوزيع 2009، ص: 108.

أن الشباب المثقف بالثقافة الفرنسية (الفتيان الجزائريين)، فإن مطلبهم كان محصورا في المجال الاقتصادي المحلي وكذا نشر التعليم عن طريق المدارس الفرنسية، أما الثقافة العربية الإسلامية فكانت مقصية تقريبا في مطالبهم[1].

هذا ما يفسر ظهور صحافة عربية ذات توجه إسلامي حيث تطورت سريعا عن طريق الصحافة الإسلامية ذات اللسان الفرنسي، وذلك بسبب الإصلاحات التي قدمتها الإدارة الفرنسية من جهة، وتغلغل الفكر الإصلاحي المشرقي في الجزائر بواسطة الطلبة العائدين من القاهرة وتونس، والمناطق العربية الأخرى من جهة أخرى، بالإضافة إلى تخوف المصلحين في الجزائر من التقدم والتوسع الذي عرفته الفرنسة داخل أوساط الجزائريين المسلمين، وذلك بالتبني الحصري للسلوكات والعادات الفرنسية من قبل العديد من شبان الجزائر المسلمين جراء سنوات الحرب، وكذا انتشار ظاهرة الزواج المختلط بين الفرنسيين والجزائريين، ضف إلى ذلك التسهيلات التي قدمتها الإدارة إثر إصلاحات 1919 قصد الحصول على المواطنة "الجنسية" التي أغرت العديد من شرائح المجتمع الجزائري[2].

كل ذلك جعل علماء المصلحين يتساءلون حول مستقبل الدين الإسلامي في الجزائر، حيث شعروا بأنهم مُنذرون للدفاع عن الأمة الإسلامية من الخطر الخارجي الهادف إلى ضرب ومسخ الشخصية الإسلامية فبادروا إلى وضع أسس تربوية إسلامية حقيقية قصد تخليص أبناءها من الهيمنة الفكرية الغربية، والجدير بالذكر أن الحرب العالمية كانت سبب في تجنيد الكثير من شباب الجزائر من طرف الإدارة الاستعمارية قصد الفتال في صفوفها، هذا ما نمى فيهم الوعي الفكري ومكنهم من تجربة قاسية عاشوها، حيث نقلوا معهم ذكرياتهم إلى الجزائر التي تحمل كل أسباب وعوامل الرقي والحرية، حيث يؤكد ذلك محمد علي دبوز قائلا:" شاهد الجند الجزائري في أوربا كيف يرغمهم الأوربيون بالموت في سبيل الحرية والهزة والكرامة، ورأوا تسابقهم في العلم والخلق وأسباب القوة،

[1]– علي مراد، **الحركة الإصلاحية...**، **المرجع السابق**، ص: 49.

[2] – خالد بوهندة، **المرجع السابق**، ص: 246.

وتمسك الفرد في أوربا بالديمقراطية والحرية، فازداد أبناء الجزائر إدراكا لسبب تخلفهم وتسلط الاستعمار عليهم، فأغرموا بالعلم والإصلاح"[1].

(ثالثا)– الحكم الإستعماري الفرنسي:

إن فظاعة أعمال الحكم الفرنسي الذي حكم به وادي ميزاب من ظلم وقسوة وإفساد للقيم بما كان ينشره من سموم ومفاسد اجتماعية وتفرقة بين صفوف الأهالي وتولية القياد الفاسدين لضرب بعضهم البعض وكذا محاربة أي من نوع من الإصلاح أو التغيير لطمس قيم الأمة لغويا ودينيا بالتضييق على التعليم العربي الإسلامي وتخريب المجتمع الميزابي، هذا ما أدى إلى قيام حركة إصلاحية مضادة للتصدي لهذه المفاسد حيث يقول الأستاذ محمد علي دبوز :"ومما زاد بعض العقائد الفاسدة والتقاليد المضرة التي عالجها الشيخ بيوض وعلماء الإصلاح ليزيلوها، ومما زادها تأصلا ورسوخا حرص الاستعمار الصليبي على بقاءه، وعلى بقاء كل الأمراض الاجتماعية في الأمة الجزائرية، ولتكون دائما عليلة وهنة ولا تكسر قيوده ولا تغادر أقفاصه، وكان يزكي أذنابه الكثيرين الجامدين والمفسدين، فيزدادون تمسكا بالتقاليد والعقائد الفاسدة التي يهاجمها العلماء المصلحون ويدعون العامة الجاهلة إلى التمسك بها، ويصورونها على أنها من الدين المقدس الذي يهدمه المصلحون"[2].

لقد كانت هذه السياسة الاستعمارية المفسدة من أهم العوامل الداعية لقيام إصلاح اجتماعي من خلال التصدي لها ومقاومتها، وذلك بإيقاظ الضمائر وتنبيه العقول وتنبيهما وتحريك الهمم نحو التغيير والحذر من مناكرها ومكائدها، حيث تصدى المصلحون للقياد الفاسدين ودخلوا معهم في معارك حتى تعرضوا للسجن والقتل والتغريم والنفي، والإبعاد بسبب مواقفهم وجهادهم[3].

---

[1] – محمد علي دبوز، **النهضة، ج2، المرجع السابق**، ص: 07.

[2]– محمد دبوز، **الأعلام، ج5، المرجع السابق**، ص، ص: 57، 58.

[3] – يوسف بن بكير الحاج سعيد، **تاريخ بني ميزاب...، المرجع السابق**، ص: 165.

وفي الأمر ذاته يقول الدكتور علي دبوز حول دور الاستعمار في تحريك همم المصلحين:"من حسن حظ الجزائر والمغرب أن ابتلي بالاستعمار اللاتيني الصليبي الغاشم الأبله، سيما الاستعمار الفرنسي ولم يتسلط عليه الدهاء، إنه عداوة سافرة وصليبية عارية يعمدون إلى مكامن اليقظة وهي الدين، فينهالون عليها بالمطارق التي تنبه الأمة، ويجردون مداهم على اللحم الحي في جسد لأمة الجزائرية، فيعملونها فيه وهو الإسلام الذي هو حب قلبها، فتثور وتشعر بخطر الأعداء فتجادلهم"[1].

كما يشاركه في نفس الرأي المفكر مالك بن نبي في تحليله للظاهرة الاستعمارية التي مست معظم الشعوب الإسلامية، حيث يرى أن ما مني به العالم الإسلامي من استعمار بسبب تخلفه وقابليته للإستعمار، وما حرص عليه المستعمر من حرمان الشعوب من مختلف حقوقها وإذلالها وإذكاء الفتن في أوساطه وإبقاءها على جهلها، فكانت هذه السياسة الحاقدة الماكرة عاملا قويا على أن تولد المقاومة في النفوس، وتولد الإرادة على التحدي والمجابهة، وتولد العزيمة على التغيير والإصلاح والنهضة، وتولد الثورة على انتزاع الحقوق بالقوة، ثم الثورة على الاسترداد الوطني وطرد المستعمر نهائيا[2].

كما يشير إلى الدور الإيجابي للاستعمار قائلا :"ولكن ذلك يدفعنا إلى أن نحسبه شراكله، بل إن خيرا قد حققه الله على يديه من حيث لا ندري، فإن كان بطشه انتقاما ففي طياته رحمة، ولنتأمل ما الذي بعث العالم الإسلامي من نومه؟...إنه الاستعمار، إنه قد خلع عنا بابنا وزعزع دارنا وأخذ عنا أشياء ثمينة"[3].

---

[1]– محمد دبوز، **النهضة...، ج2، المرجع السابق**، ص: 04.

[2]– مالك بن نبي، **مشكلات الحضارة، شروط النهضة**، تر: عمر كامل مسقاوي، دار الفكر، لبنان، 1979، ص: 149.

[3] – **المرجع نفسه**، ص: 135.

(رابعا)– أبرز رواد الفكر الإصلاحي في وادي ميزاب:

1– الشيخ محمد بن يوسف أطفيش:

ولد سنة 1237هـ/ 1821م في بلدة غرداية، ترعرع في وسط علمي بحت، حيث أخذ العلم عن أخيه الأكبر إبراهيم، كما لازم حلقات البحث والعلم في بلدة بني يزقن موطأ علماء ميزاب، أهمهم الشيخ عمر نوح (**ت 1292هـ/ 1875م**)، والشيخ سليمان بن عيسى، كما كان ينتقل إلى بلدة غرداية لحضور دروس حلقة الشيخ بابا بن يونس(**ت 1280هـ/ 1863م**)، وقد عرف الشيخ بحدة ذكاءه وشغفه حيث انكب على دراسة الكتب والمصادر حتى جمع مكتبة ثرية في شتى العلوم، والتي اعتبرت ركيزة في التكوين والتحصيل في المنطقة[1].

يقول عنه الشيخ ابراهيمي القرادي " ما يجب أن يعرفه الناس عن هذا الإمام العظيم الذي عاش أكثر من تسعين عام، فقد حدثنا التاريخ عنه أنه بدأ التأليف وعمره ستة عشر عام ومات وعمره ستة وتسعون عاما، وقد أجاب برسائل عن أسئلة شرعية أيام قبل وفاته، كانت حياته حافلة بجلائل الأعمال، عامرة بالجد المتواصل، لا يفارق بلدته ولا مجلس تعليمه إلا للضرورة القصوى كالحج وبعض الرحلات لا تتجاوز القراراة وبريان وورجلان"[2].

كان مفسرا للقرآن الكريم، متحكما في اللغة العربية وأدابها، حيث خلف عدة قصائد شعرية، كما كان فقيها مطلعا على مختلف المذاهب الفكرية[3].

من مؤلفاته التي زادت عن ثلاثمائة كتاب في مختلف العلوم، منها نظم المغني، تلخيص المعاني من ربقة جهل المثاني في البلاغة، بيان البيان في علم البيان، ربيع البديعي في علم البديع،

---

[1] – علي دبوز، **النهضة...، ج1، المرجع السابق**، ص: 289.

[2]– قاسم بن الشيخ بلحاج، **معالم النهضة...، المرجع السابق**، ص:142.

[3]– تواتي بن تواتي، **منهج التفسير عند القطب أطفيش**، ضمن مؤلف جماعي بعنوان قطب الأئمة أطفيش العمل والعمل لصالح الجماعة والوطن، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2011، ص:31.

إيضاح الدليل إلى علم الخليل في علم العروض[1]، الحجة في بيان المحجبة في التوحيد بلا تقليد، شامل الأصل والفرع، الضخر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، شرح عقيدة التوحيد وكتاب أصول الدين وغيرها[2].

إلى جانب الجهود الإصلاحية في مجال التربية والتعليم كما ذكرنا سابق، للشيخ العديد من المواقف السياسة إزاء الاحتلال الفرنسي، منها رسالة أرسلها إلى الإدارة الفرنسية بالأغواط فحواها تفكيك القرار الصادر من الولي العام الفرنسي القاضي بالإلحاق وادي ميزاب، والإلغاء الاتفاقية التي نضمن العلاقات بين الطرفين منذ 1853، والرد على كل ما بررت فرنسا الإجراء الذي اتخذته بشأن هذه المنطقة، معتمدا على بنود الاتفاقية مقرا أن فرنسا هي التي لم تحترم ما أُتفق عليه في أثل المعاهدة، مستنبطا حجج من القانون الفرنسي، بهدف إقامة الحجة على فرنسا ببطلان إلحاق منطقة وادي ميزاب والتأكيد على استمرار المعاهدة[3].

2- الشيخ الحاج عمر بن يحي المليكي[4](1274هـ/ 1858م-1340هـ/ 1921م)[5]:

تلقى تعليمه بمسقط رأسه، ثم ارتحل إلى حلقة الشيخ بابكر بن الحاج مسعود –قاض بالمحكمة الإباضية- في غرداية، ثم انتقل إلى معهد القطب حيث درس فيه مدة عامين ونصف، ثم عاد إلى القرارة، وفتح حلقة التعليم في حدود سنة 1314هـ/ 1896م.

---

[1]- التواتي، **المرجع نفسه**، ص: 31.

[2] - مصطفى بن ناصر ونتن، **البحث العقدي منهجه وخصائصه عند الشيخ أطفيش**، ضمن مؤلف جماعي بعنوان قطب الأئمة أطفيش العمل والعمل لصالح الجماعة والوطن، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2011، ص: 36.

[3] - صالح بلعيد، **القطبية عن أطفيش**، ضمن مؤلف جماعي بعنوان قطب الأئمة أطفيش العمل والعمل لصالح الجماعة والوطن، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2011، ص، ص: 136، 137.

[4] -ينظر الملحق رقم:28، ص:301.

[5]- أحمد حماني، **ومضات...**، **المرجع السابق**، ص: 232.

إثر استقراره في بلدته القرارة شرع في حمل عبء الإصلاح مع مشايخ البلدة، أين ارتكزت جهودهم في تربية النشأ على الأخلاق الإسلامية وإعدادهم ليكونوا شبابا صالحين ومصلحين في المستقبل.

من الوظائف الدينية التي اشتغلها نجد مشيخة المسجد بعد وفاة شيوخه، الأمر الذي خول له تحمل مسؤولية الإصلاح، ومواصلة مسيرتهم الإصلاحية في محاربة الفساد الخلقي المترتب عن الإستعمار وأذنابه، ومحاربة آثار العصبيات والفتن، والتصدي إلى جبروت المستعمر وما يكان يفرضه من ضرائب وغرامات على الأهالي. كما توجه الشيخ إلى الإصلاح الديني والاجتماعي من خلال دروس الوعظ والإرشاد بالمسجد، كما وجه جهوده إلى إصلاح التربية والتعليم معتبرا إياها من الأولويات، ولعل من أكبر أفضال هذه الحلقات أنها رعت في أحضانها شباب الحركة الإصلاحية الذين أصبحوا قادتها فيما بعد أمثال: إبراهيم بيوض، أبا اليقظان إبراهيم، عدون شريفي، بكير العنق وغيرهم.

3- الشيخ محمد الطاهر بن عمارة شوشان (1292هـ/1875م- 1366هـ/1946م)[1]:

جزائري وُلد بمدينة "نفطة" بتونس، نشأ في أسرة علم ومعرفة خدمت الدين والمجتمع، من خريجي جامع الزيتونة بتونس، متمكن في علوم الدين والأدب، كما كان فقيها يقصده السائلون في مختلف المسائل. جمع مئات من الكتب والمراجع ونسخ العشرات منها، معتمدا عليها في الوعظ والإرشاد والفتوى، له أسانيد معلومة للفتوى في الزاوية التيجانية بتماسين، وبلدة العالية، وزاوية دمدة بـ "مسعد"، قضي معظم حياته بالقرارة يدرس بجامع الشرفاء والجامع العتيق والمسجد الكبير، وقد التقى بالعديد من علماء عصره في مقدمتهم إمام القطب "أطفيش"، والإمام "محمد بن شتيوي"،

[1]- ينظر الملحق رقم:26، ص:299.

كان له عدة مناظرات ومحاورات معهم في العديد من المسائل الفقهية. توفي في 1946/11/26م. بمدينة القرارة، ودفن بمقبرة الشرفاء، كما أُطبق إسمه على أول مدرسة رسمية بنيت في القرارة[1].

4- الشيخ الحاج إبراهيم بن عيسى البريكي (1292هـ/1875م- 1329هـ/1911م):

وُلد بمدينة القرارة، تربى وترعرع في بادية الجلفة، تعلم على يد الشيخ نائلي يدعى "أدك"، ثم استظهر القرآن بالقرارة والتحق بمعهد الحاج محمد بن الحاج قاسم الشيخ بلحاج، ثم انتقل إلى معهد القطب، حيث مكث إلى أن أتم دراسته الثانوية، بعدها عاد إلى القرارة وبدأ جهاده الإصلاحي في ميدان التربية والتعليم والتوعية العامة، كما فتح معهد ابتدائي وثانوي للتربية الإسلامية وتحفيظ القرآن وتدريس العلوم العربية والشرعية، كما حارب الفساد والبدع والعصبية القبلية، تخرج على يده العديد من المصلحين أبرزهم "إبراهيم البيوض"، وافته المنية يوم 15 ذي القعدة 1329هـ/ نوفمبر 2011م[2].

5- الشيخ محمد الغناي (ت 1297هـ/1880م):

ومن أبرز مواقفه الإصلاحية تأسيسه للمسجد العتيق المالكي سنة 1840م، أين منح منزله وقفا للصلاة، ودعا الناس لاتخاذها جامعا، وكان إماما به مدة أربعين عاما، وشهدت فترة إمامته بداية تحفيظ القرآن الكريم للناشئة وتعليم دروس الفقه والعبادات للصغار والكبار، وفي عهده شهد الجامع نهضة توجيهية تعليمية مؤثرة[3].

---

[1] - أحمد حماني، **ومضات...**، **المرجع السابق**، ص، ص: 221، 222.

[2] - **المرجع نفسه**، ص: 229.

[3] - مقابلة مع الشيخ "أحمد حماني التيجاني بن المازوزي"، يوم الأربعاء 10 أوت 2022، الساعة: الثانية زوالا، بمسكنه بالقرارة، غرداية.

6- الشيخان سعيد المغربي (ت 1343هـ/1925م) ومحمد الطرابلسي :

في مقابلة لنا مع الشيخ أحمد حماني الذي استرسل في الحديث عن دور هذه الشخصية في النهضة الإصلاحية عند مالكية المنطقة، على أنه أنشأ أول مدرسة للتعليم في القرارة، وذلك أنه لما كان المغاربة الحجاج ينزلون بركبهم عند المسجد العتيق للراحة والصلاة، كانت ترحب بهم "العطاطشة"، وفي أحدى الرحلات سنة 1901م، لاحظ أهل المنطقة شابا عالما يتفنن في قراءة القرآن فأعجبوا به وطلبوا من والده أن يتركه بالمنطقة بغية تعليم أبناءهم، حيث وافق على ذلك وانطلق بالتعليم في المسجد العتيق، كما وفروا له منزلا بالمنطقة، وفي نفس الفترة أتت قبيلة من ليبيا وهي إباضية المذهب رفقة عالم جليل إسمه "محمد الطرابلسي" أين أقام بالمنطقة بغية تعليم الناس، كما ذكر أن الشيخان كان يتوصلان ثقافيا ويتزاران، كما يرى أنهما النواة الأولى للإصلاح بالمنطقة، حيث تخرج على يديهم العديد من الطلبة كان الفضل في نشوء الحركة الإصلاحية بوادي ميزاب، وقد مدحهم الشيخ "أحمد حماني" قائلا[1]:

قمران لاحا في سماء القرارة * قمر من الشرق وقمر من الغرب**

(خامسا)- البعثات العلمية:

لقد تحدثنا سابقا أن الحالة التعليمية التي كانت سائدة في الجزائر عموما ووادي ميزاب خصوصا نهاية القرن التاسع عشر ميلادي ومطلع القرن العشرين، كانت متردية عموما يغلب عليها التقليد والجمود على الأساليب القديمة وعدم مسايرتها لعصرها في العمل على تطويرها والنهوض بها، مما دفع الكثير من الشباب الجزائري للتفكير في بدائل أخرى للحصول على التكوين العلمي الذي يتوافق مع طموحاتهم للوصول إلى درجات علمية عالية، تؤهلهم للحصول على شهادات علمية.

[1] - نفسه.

لقد كانت تونس خلال هذه الفترة الحاضرة العلمية الأقرب جغرافيا للجزائريين والمغاربة عموما، حيث كانت تعرف انتعاشا علميا ونهضة ثقافية، وحركة اجتماعية سياسية معتبرة، مكنتها بذلك أن تصبح قطبا علميا وثقافيا، يقصدها الطلبة من كل النواحي[1]، ومن جهة أخرى السياسة الاستعمارية التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية في الجزائر، أين عملت من خلالها على خنق أي مبادرة أو حركة تجديدية في المجال الثقافي والتعليمي، حيث عملت على إبقائه محصورا في الكتاتيب ودور العلم، وحرمت الشباب الجزائري للإلتحاق بثانوياتها ومعاهدها وجامعاتها[2].

لقد كانت لهذه الأوضاع الدافع الرئيسي وراء التفكير الجدي لدى علماء الإصلاح في إنشاء بعثات علمية طلابية قصد توجيهها إلى تونس، حيث يقول الشيخ عبد الرحمان بكري أحد مؤسسي هذه البعثات موضحا الدوافع الرئيسية وراء قيامها قائلا :"...فشعرت إذ ذاك بشدة حاجتها إلى عدة الكفاح، وهو التزود بالعلم الصحيح في صبغته الحديثة والتمرس بالعناصر الحية خارج حدود الوطن، لتأليف جيش مثقف يحمي راية الكفاح عن جدارة واستحقاق، ويجابه الحياة عن دراية وخبرة، ويستغلب عن مشاكلها بسلاح العلم وقوة العقيدة، فأرسلت البعثات إلى تونس"[3].

كما يذهب أيضا في هذا الصدد الشيخ إبراهيم أبو اليقظان المؤسس الفعلي لأول بعثة طلابية ميزابية: "ونحن إنما أسسنا البعثة تحت تأثير ودوافع الحاجة الملحة إلى ذلك لما توجسنا من تطورات الحياة وشيكا بما تدفع إلى ميادينها الزاخرة أبناء المدارس والكليات والجامعات، وخشينا نحن

---

[1] – محمد فاضل بن عاشور، **الحركة الأدبية والفكرية في تونس**، دار ترسنة للنشر، تونس، 1983، ص: 03، ينظر قاسم الشيخ بالحاج، **البعثات العلمية الجزائرية إلى تونس تاريخها ودورها الحضاري وادي ميزاب نموذجا**، العالمية للطباعة والخدمات، البليدة، 2016، ص: 08.

[2] – رابح تركي عمامرة، **التعليم القومي...**، **المصدر السابق**، ص: 122.

[3]– قاسم بن الحاج، **البعثات العلمية الجزائرية إلى تونس تاريخها ودورها الحضاري –وادي ميزاب نموذجا–**، العالمية للطباعة والخدمات، البليدة، 2016، ص: 08

من الذوبان، وتلاشي كياننا بصفتنا أمة لها كيانها وطابعها الخاص في الميدان الاقتصادي والاجتماعي بالقطر الجزائري شمالا وجنوبا، نحن نعد أنفسنا قد تأخرنا بيقضتنا عن الوقت اللازم[1].

كما يمكن القول أن العامل المباشر في أول ظهور أول بعثة طلابية ميزابية إلى تونس هو ما وقع للمدرسة الصديقية العصرية بمدينة تبسة سنة 1331هـ/1913م بإقدام الإدارة الاستعمارية الفرنسية بإغلاقها بطريقة تعسفية بعد ستة أشهر من نشاطها، فكان رد فعل أولياء التلاميذ إرسال أبناءهم لاستكمال دراستهم بتونس في مدارسها العصرية.

ومن جهة أخرى تظهر بعض المؤشرات تبدي أن فكرة البعثات الطلابية الميزابية كانت موجودة لدى بعض الشباب المثقف في وادي ميزاب الذي كان يرغب بالالتحاق بحاضرة تونس لاستكمال دراستهم فيها، كما لوحظ أن معظم الدراسات تؤكد أن أول من خرج من وادي ميزاب تجاه تونس بهدف استكمال دراسته والسعي وراء تكوين بعثة طلابية فيها هو أبو اليقظان، حيث كان ذلك سنة 1330هـ/ 1912م، بعد أن بادر بعرض فكرته على بعض رفقاءه الطلبة في حلقة شيخهم الحاج عمر بن يحيي بمدينة القرارة وعرضها على مشايخ الإصلاح المتحمسين، كما أنه تصوره للمشروع تمثل في تكفل المجتمع الميزابي بمجموعة من الطلبة الذين نالوا قسطا من العلوم بحلقة شيخهم، بهدف بعثهم إلى تونس للالتحاق بالمعاهد[2].

1- البعثة العلمية الميزابية الأولى (اليقظانية):

لقد كان ميلاد البعثة العلمية الميزابية سنة 1914م، بعد اتصال أعيان وادي ميزاب بالشيخ إبراهيم أبي اليقظان الذي كان متواجدا بتونس، والذي يعتبر زميلهم في مدرس الحاج عمر بن يحي

[1]- **المرجع نفسه**، ص: 09

[2] - عبد القادر عزام عوادي، **هجرة بني ميزاب إلى تونس ودورهم في الحياة الثقافية والسياسية التونسية 1881-1856**، دار نزهة الألباب، غرداية، ص:125.

بقصر القرارة، حيث قاموا بعرض الفكرة عليه قصد الاهتمام بالطلبة في تونس، فأبدى موافقته حيث رأى أن حلمه قد حان تحقيقه، وقد آن أوانه ليتحول إلى واقع[1].

تسلم إبراهيم أبو اليقظان هذه المهمة، حيث بادر بالاستعداد لاستقبال أول فوج من التلاميذ الميزابيين، وذلك سنة 1332هـ/ 1914م، حيث تراوح عددهم ستة تلاميذ، كما انضم إليهم مجموعة من أبناء العائلات الميزابية المقيمة بتونس حتى صار عددهم 15 تلميذ، مشكلين بذلك أول بعثة علمية جزائرية[2].

لقد قام الشيخ بتوجيه التلامذة إلى واجهتين هامتين والتي تمثلتا في[3]:

– توجيه التلاميذ إلى مدرسة عصرية عربية تتوفر فيها شروط التربية والتعليم على نسق المدرسة الصديقية بتبسة، التي أشرفت عليها عائلة آل العنق[4].

– وضع نظام داخلي محكم وثري في إقامة البعثة يضمن للتلاميذ رعاية شؤونهم ومراقبة أخلاقهم وحصانة دينهم واستكمال تربيتهم ومساعدتهم على التعلم والتكوين.

لقد قام أبو اليقظان باختيار مدرسة الشيخ محمد صفر أحد خريجي جامعة الزيتونة، والتي كانت تعتني باللغة العربية وعلومها والقرآن الكريم، وكذا تدريس العلوم العصرية واللغة الفرنسية، غير أنه بعد ثلاثة أشهر قام بنقل تلامذة البعثة إلى مدرسة السلام التي تأسست حديثا، والتي كان يديرها ويعلم فيها الشادلي المرالي[5].

---

[1]– محمد علي دبوز، **أعلام الإصلاح، المرجع السابق**، ج3، 150.

[2] – سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق**، 273.

[3] – قاسم الشيخ، **البعثات العلمية...، المرجع السابق**، ص: 15.

[4] – مقابلة مع الأستاذ محمد الأمين بلغيث، 23 جويلية 2022، 09:15، الجزائر العاصمة.

[5] –قاسم الشيخ بلحاج، **البعثات...، المرجع السابق**، ص: 16.

زاول تلاميذ البعثة دراستهم بمدرسة السلام مدة سنة كاملة، نالوا فيها نصيبا وافرا من التربية والتكوين، حيث جمعوا بين تعلم المواد العربية العصرية وحفظ القرآن الكريم والحديث الشريف والأناشيد الوطنية[1]، كما قام بتسطير برنامج مكثف بالأنشطة محكما بالأوقات وحازما في التربية، يهدف للجمع بين التربية والتعليم وبناء شخصية التلاميذ والقيام بالأشغال المنزلية والترفيهية والرياضية، كما حدد المهمات والأدوار، من حيث إلقاء الدروس في الفقه والعقائد ومراقبة أحوالهم الدينية العملية ، وكذا ضبط سيرهم وتقويم أخلاقهم وتفقد دروسهم المنزلية[2].

غير أنه مع اندلاع الحرب العالمية الأولى وتغيير الأحوال السياسية في تونس التي بدورها أثرت على الأوضاع الداخلية أدت بالشيخ إبراهيم أبو اليقظان إلى وقف المشروع العلمي وإعادة التلاميذ إلى وادي ميزاب في شهر ربيع الثاني سنة 1333هـ/ فيفري 1915م[3].

لقد كانت هذه التجربة فاتحة خير على وادي ميزاب، حيث كانت سببا في إقناع أعيان وادي ميزاب بأهمية التعليم العصري ودور البعثات العلمية في ذلك، كما قام أبو اليقظان بعد عودته إلى مسقط رأسه بإقناع رفقاءه بحلقة شيخهم الحاج عمر عن مزايا التعليم العصري وضرورة تطوير التعليم بوادي ميزاب، حيث قام بتأسيس أول مدرسة عصرية على نمط المدارس التونسية سنة 1915 بدعم من زملاءه[4] .

2- البعثة العلمية الميزابية الثانية (اليقظانية):

إن فكرة إعادة تجربة البعثات العلمية من جديد كانت وليدة اجتماع عدد من الطلبة خريجي حلقة الشيخ عمر بن يحي ببلدة القرارة، وذلك لرغبتهم في مواصلة دراستهم في تونس، والاستفادة

[1] - محمد دبوز، **الأعلام...، ج3، المرجع السابق**، ص: 173.

[2] - قاسم الشيخ بلحاج، **البعثات...، المرجع السابق**، ص: 17.

[3] - محمد دبوز، **الأعلام، ج3، المرجع السابق**، ص: 185.

[4] - قاسم الشيخ بلحاج، **البعثات...، المرجع السابق**، ص: 20.

منها، شرط أن تكون خاصة بالطلبة الكبار دون الصغار، وبعد المشاورات والترتيبات انطلقت البعثة بقيادة أبي اليقظان إلى تونس 1335هـ/1917م[1] متكونة من ستة طلبة، وما إن لبثت البعثة في تونس حتى لحق بها عدد من الطلبة من وادي ميزاب، حيث بدأ عدد أفرادها في تزايد مستمر حتى قارب مائة طالب وتلميذ خلال فترة العشرينيات[2]، مما أدى إلى تقسيمها لثلاثة أفواج يجمع بينهم التعاون والتنسيق والتبادل والتجارب حتى يتم التحكم في التقويم والتكوين[3].

أما فيما يخص التكوين العلمي فقد تم توجيه الطلبة إلى حلقات جامع الزيتونة والمعهد الخلدوني للعلوم العصرية، قصد تكوينهم تكوينا عصريا متزنا، يجمع بين العلوم الشرعية والعربية، والعصرية وتعلم اللغة الفرنسية، قصد إعدادهم للمستقبل، اما فيما يخص الجانب التنظيمي فقد كان مبني على النظام الذي أقره الشيخ أبي اليقظان، إذ قسم الأدوار التعليمية والتربوية والإدارية على مراقبين وموجهين، حيث اهتموا بالتركيز على أخلاق الشباب وضبط سلوكهم، واستكمال تربيتهم، كما ساهم القائمون على البعثة بتطوير برامج نشاطها في مجال الإدارة والتسيير، وأهم فقراتها[4]:

- الحرص على استقامة أخلاق الطلبة ومراقبة سلوكهم
- تقديم دروس يومية لهم في مواد الفقه والعقيدة.
- تكوين مجموعات صوتية ومسرحية.
- تنظيم جمعيات أدبية.
- تنظيم أمسيات وسهرات أدبية وفنية.

---

[1] – عبد القادر عزام عوادي، **هجرة بني ميزاب إلى تونس ودورهم في الحياة الثقافية**، المرجع السابق، ص: 141.

[2] – محمد دبوز، **الأعلام، ج3، المرجع السابق**، ص: 2016.

[3] – قاسم الشيخ بلحاج، **البعثات...، المرجع السابق**، ص: 22.

[4] – محمد دبوز، **الأعلام، ج3، المرجع السابق**، ص- ص: 219- 225.

- تنظيم برامج رياضية وترفيهية أثناء العطل.

لقد أشاد الكثير من علماء الإصلاح والكتاب والمؤرخين عن النظام والنشاط الذي شهدته البعثة الميزابية في تونس، والأدوار العلمية والوطنية التي قاموا بها، حيث يقول أبو القاسم سعد الله :"إن ما يلفت النظر في البعثات العلمية الميزابية هو الإشراف والتوجيه والانضباط، وكذلك وسائل الاستقبال وتسهيلات الإقامة والدراسة"، ويذكر الدكتور محمد صالح الجابري قائلا :"عان الطلبة الجزائريون في الطور من البعثة...ولا يستثنى من هذه الوضعية غير أبناء وادي ميزاب، الذي بدأ توافدهم على الزيتونة من الجنوب الجزائري في شكل مجموعات أكثر إحكاما من حيث التنظيم والإدارة، وأوفر حظا من النواحي المادية والمعنوية، إذ كان يعهد في كل مرة إلى أحد من علماءهم مهمة الإشراف على البعثة وتولي كل أمورها، وتجنيبها ما يتوقع من مصائب"، ويقول الدكتور محمد ناصر: "إن الأسس التي قامت عليها هذه البعثات العلمية إسلامية وطنية تعتز بالأصالة وتتفتح على الثقافة الأجنبية...كانت برامجهم اليومية تحتوى على وسائل عديدة مثل: صلاة الجماعة، مذاكرة القرآن أفرادا وجماعات، الاعتماد على النفس في القيام بشؤون البيت طبخا وتنظيفا وغير ذلك، ويصبح هذا النظام في البعثة جزء من التربية الإسلامية التي يحاسب عليها التلميذ حين يحاسب على دروسه"[1].

لقد احتوت نشاطات البعثة العلمية الميزابية عقد لقاءات وجلسات مع شخصيات علمية وسياسية وفكرية تونسية وجزائرية، حيث زارت البعثة أسماء بارزة في العلم والسياسة ولعل أبرزها من تونس الشيخ عبد العزيز الثعالبي والمناضل محمد رياحي ومن الجزائر الإمام الشيخ عبد الحميد بن

[1] – قاسم الشيخ بلحاج، **البعثات...**، **المرجع السابق**، ص: 20.

باديس، والشيخ حمو بن باحمد بابا موسى، والمناضل صالح بن يحي آل الشيخ، والشيخ الحاج بكير العنق[1].

كانوا طلبة البعثة خلال هذه اللقاءات يلقون خطبهم، كما يستعرضون فصولا من نشاطاتهم الثقافية ويؤدون الأناشيد الوطنية والمشاهد المسرحية، حيث سجل الإمام عبد الحميد بن باديس إنطباعه عن زيارته للبعثة اليقظانية سنة 1341هـ/1921م، في مقال نشره "بجريدة الصديق" بعنوان "نهضة جزائرية بالحاضرة التونسية"، قائلا : "إن الشعور الوطني إذا أفعم القلوب لابد أن تظهر ثمراته في الأعمال حتى تبلغ الأمة غاية الكمال، فهو كالماء تحت الجبال، لابد أن ينبعث فتشقق له الحجارة وتتفجر منه الأنهار، وهاهم أولاد إخواننا الميزابيين سرى فيهم شعور صحيح، فعلوا بالتقدم، وأخذوا يتمسكون بأسبابه بجد واجتهاد، أخذوا في طريق التجارة حتى ملكوا أزمتها، وصاروا العضو القوي الإسلامي بالجزائر فيها، وهاهم اليوم يسعون في طريق العلم ويرحلون في طلبه، وأخلق بهم أن ينالوا منه ما يريدون[2]".

كما يبين لنا أحوال طلبة البعثة في تونس قائلا :"...حللت بتونس فاستدعتني جماعتهم إلى عندهم في دارهم ليلا، فلما فرغنا من العشاء، خرجت إلى صحن الدار شبيبتهم المتعلمة بالمدارس التونسية على الأسلوب الحديث الذي يجمع بين العلوم الدينية والدنياوية، واللغة العربية والفرنساوية، مع حفظ القرآن الكريم فاصطفوا بنظام وشنفوا أسماع الحاضرين بالأناشيد الوطنية والمدرسية، وتحاوروا بالمناظرات السيفية القلمية، كل ذلك باللهجة الفصيحة والألسن الذلقة والجأش الثابت، فرأينا منهم أهلة توشك أن تكون أقمارا، وغروسا طيبة توشك أن تجني ثمارها"[3].

---

[1]- عبد القادر عزام عوادي، **هجرة بني ميزاب إلى تونس ودورهم في الحياة الثقافية والسياسية التونسية 1881-1956**، دار نزهة الألباب، غرداية، 2018.، ص- ص: 140- 142.

[2]- قاسم الشيخ بلحاج، **البعثات...**، **المرجع السابق**، ص: 30.

[3]- **المرجع نفسه**، ص: 30.

لقد حرص مشايخ الإصلاح على اقتناء وجلب المجلات التونسية والمصرية المناهضة للاستعمار، حيث قاموا بعقد جلسات مع طلبتهم لقراءتها وتحليلها، ليوضحوا لهم الأوضاع التي يعيشها العالم الإسلامي وكذا تغذيتهم بروح الوطنية، والوعي السياسي، وتقوية انتماءهم للأمة الإسلامية[1].

مكثت هذه البعثة ما يقارب تسعة عشر سنة استمرت على نشاطه في السعي لتكوين الطلبة، تكوينا علميا واجتماعيا وأخلاقيا، وكذا إعدادهم لتحمل المسؤوليات والمهام الحضارية في الجزائر عامة ووادي ميزاب خاصة، وبعد سنة 1926 ترأس السيد قاسم بن الحاج عيسى بن الشيخ عوضا عن الشيخ أبي اليقظان، كما استعان بكبار الطلبة الذين كانوا معه في إدارة البعثة إلى غاية 1936/1355م، حيث توقفت نهائيا بدخول مسؤولها إلى الجزائر وتخرج الطلبة[2].

3- البعثة العلمية الميزابية الثالثة (طلبة بني يزقن):

تعود البدايات الأولى لتأسيس هذه البعثة الأولى إلى فكرة الشيخ صالح بن يحي آل الشيخ المقيم في تونس، الذي عرض الفكرة على السيد صالح باعلي، حيث تعاونوا مع الشيخين أبي إسحاق إبراهيم اطفيش والشيخ محمد الثميني، فأسسوا البعثة اليزقنية سنة 1337هـ/1919م، على أسس ونظام وبرنامج البعثة اليقظانية، استمرت في نشاطها مدة من الزمن، ومع سنة 1341هـ/1922م، بادر القائمين على هذه البعثة بتقسيمها إلى قسمين أو إلى فرعين، فرع بقيادة الصالح باعلي والآخر بقيادة الشيخين أبي إسحاق والشيخ الثميني، غير أنه مع نفي الشيخ أبي إسحاق إلى مصر سنة 1342هـ/ 1923م، بقي الشيخ الثميني رئيسا للبعثة إلى غاية سنة 1378هـ/1958م

[1]-محمد دبوز، **الأعلام، ج3**، المرجع السابق، ص: 222.

[2] - **المصدر نفسه**، ص: 249.

تخرج منها العشرات من الشباب والرجال الذي عادوا إلى وادي ميزاب، للمساهمة في الحركة العلمية، وتوسيع نشاطهم في مختلف مجالات الحياة [1].

4- البعثة العلمية الميزابية الرابعة (غرداية):

أشرفت عليها جمعية الإصلاح سنة 1355هـ/1936م إثر توقف بعثة الشيخ أبي اليقظان، أشرف عليها الشيخ "بنوح مصباح" أحدي خريجي معاهد تونس وطالب سابق بالبعثة اليقظانية الثانية، احتوت أبناء مدينة غرداية وتلاميذ جمعية الإصلاح، دام نشاطها مدة أربع سنوات من التكوين والتأطير واستمرت إلى قيام الحرب العالمية الثانية، ليتوقف نشاطها بسبب سوء الأوضاع السياسية والأمنية بتونس، مما اضطر الشيخ بنوح للعودة بطلبته إلى وادي ميزاب[2].

5- البعثة العلمية الخامسة (البيوضية):

أثر الحرب العالمية الثانية على سيرورة البعثات العلمية المتجهة من الجزائر إلى تونس، حيث قامت السلطات الفرنسية مع بداية الأربعينيات بتطويق الخناق على حركة أسفار الجزائريين من الجزائر إلى البلدان المجاورة، وذلك بمنعهم من التنقل دون الحصول على رخصة من الإدارة الفرنسية، وبالأخص منع السفر إلى تونس من أجل التعلم، الأمر الذي رأت فيها الإدارة الفرنسية على أنه يشكل خطر عليها، خاصة بعد الوعي والنضج الكبير الذي أثمرته هذه البعثات، هذا ما جعل الجزائريون والميزابيون خاصة يتنقلون إلى تونس دون جوازات سفر وترخيصات من الإدارة الفرنسية، وذلك باجتياز المسالك الوعرة المنقطعة في الجبال التي لا تصل إليها أعين الإستعمار وجنوده[3]

---

[1] - يوسف بن بكير حاج السعيد، **المرجع السابق**، ص- ص: 297- 298.

[2]- محمد دبوز، **أعلام الإصلاح، ج3، المرجع السابق**، ص- ص: 251- 254.

[3] - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، المرجع السابق**، ص: 265.

مع نهاية الأربعينيات وبالضبط سنة 1368هـ/1948م وصل مجموعة من طلبة معهد الحياة إلى تونس، وذلك من خلال الطرق الملتوية، حيث التحقوا جامع الزيتونة ومعهد ابن خلدون، مشكلين بذلك النواة الأولى للبعثة العلمية البيوضية، وكان من أوائل هؤلاء الشيخ علي دبوز[1].

كانت جامعة الزيتونة في تونس هي المقصد الأول للطلبة الميزابيين في أول الأمر، ثم قدماء التلاميذ إلى الجامعات العربية نحو القاهرة ودمشق والكويت، غير أنه مع توافد طلبة معهد الحياة إلى جامعة الزيتونة بادرت الجمعيات الخيرية الميزابية بشراء بيت للطلبة في تونس بمساهمة تاجر الحاج يحي بن حمو الوهج سنة 1372هـ/ 1953م[2].

كما سعى مشايخ الإصلاح والأعيان الميزبيين لتوفير الجو الملائم للطلبة لمواصلة تكوينهم والتكفل بمصاريفهم وحاجياتهم المادية، وتأطيرهم بضبط نظام المراقبة والتوجيه والرعاية، كما تم تعيين كبار الطلبة على رأس البعثات العلمية[3]، فقد ترأس هذه البعثات وشارك في إدارتها كل من محمد عساكر والشيخ محمد، الشيخ بلحاج، والشيخ صالح باجو، والشيخ أيوب سماوي، والدكتور صالح خرفي[4].

سارت البعثة في نشاطها على روح البعثة اليقظانية من حيث نظامها وتسييرها، حيث قام طلاب البعثة البيوضية بنشاط معتبر في المجال الثقافي خاصة في المحافل التونسية، حيث استضافوا العديد من الوجوه السياسية والثقافية، من خلال تكريمهم وتنظيم حفلات على شرفهم، كما استفادوا من نصائح ومواعظ وتجارب هؤلاء الأعلام، لعل أهمهم الشيخ "طاهر بن عاشور"، والشيخ عباس تركي، والعقيد عميروش، فرحات عباس، بالإضافة إلى زعماء الحركة الإصلاحية بوادي ميزاب وأعيانها

---

[1]- محمد عي دبوز، **النهضة...، ج3، المرجع السابق**، ص: 117.

[2] - **المرجع نفسه**، ص: 212.

[3] - محمد دبوز، **الأعلام...، ج3، المرجع السابق**، ص: 266.

[4]- قاسم الشيخ بلحاج، **البعثات...، المرجع السابق**، ص: 52.

الذي كانوا يزورون البعثة لتفقد أحوالهم باستمرار على رأسهم الشيخ بيوض، والشيخ عبد الرحمان بكلي، والشيخ أبو اليقظان، والشيخ عدون، والشيخ حمو فخار[1].

كما كانت لهم عدة مشاركات في المهرجانات الجزائرية التي كان ينظمها الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في تونس تضامنا مع الثور التحريرية، وكذا إحياء المناسبات المختلفة، ولعل من أهم هذه الحفلات[2]:

- إحياء الذكرى السنوية الأولى لوفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس

- إحياء الذكرى السنوية لاندلا ع الثورة التحريرية.

- الاحتفال بميلاد الحكومة المؤقتة الجزائرية 1378هـ/1958م

لقد نتج عن مشروع البعثات العلمية التي لم يعهدها وادي ميزاب من قبل ردود فعل اجتماعية متباينة وعلى المعارضة الشديدة سببها عدم موافقة بعض المرجعيات الدينية والعلمية المتحكمة في المجتمع الإباضي الميزابي، حيث قاد هذه المعارضة جماعة من علماء ومشايخ العزابة الذين كانوا ضد فكرة التجديد في وادي ميزاب، وبالأخص الاستفادة من الحواضر العلمية المجاورة، وذلك لفتح الباب لأبناء وادي ميزاب للسفر والاغتراب قصد الدراسة والتكوين، حيث تمثلت دعواهم في رد ومقاومة هذه الفكرة ومعارضة الداعين لها، وذلك لعدة اعتبارات حسبهم منها: صغر سن التلاميذ المتجهين إلى تونس للتعلم وابتعادهم عن أسرهم وعائلاتهم، وكذلك مخالطتهم لبيئة مخالفة لوادي ميزاب في عاداتها وتقاليدها وأعرافها، أيضا دراستهم على يد المخالفين في المذهب مما

[1]- محمد دبوز، **الأعلام، ج3، المرجع السابق**، ص: 267.

[2] - **المرجع نفسه**، ص: 267.

ينشأ جيلا فاقد لحصانة المذهب الإباضي، كذلك تعليمهم علوم عصرية دنياوية غير شرعية لا فائدة منها، وكذا تلقينهم الفلسفة واللغة الفرنسية التي اعتبرت سلبا على عقيدتهم وتوجههم الفكري[1].

إن هذه وجهات النظر تحتمل جانبا من الصحة والصواب، وذلك لحرصها على أخلاق التلاميذ بسبب صغر سنهم وعدم رشدهم، وعدم استكمال تربيتها على يد أولياءها، وكذا تخوفها من فساد أخلاقهم في بيئة تونسية مختلفة عن بيئتهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد كان هؤلاء –المعارضين–يجهلون حقيقة تنظيم وتكوين هذه البعثات، الأمر الذي جعلهم يبالغون في توجيه اتهامات تمس الأخلاق والأعراض، متخذين من منابر المساجد والمحافل الاجتماعية واللقاءات المختلفة كوسيلة للتحذير من مشروع البعثات، وعدم تسليم أبناءهم لمشايخ الإصلاح، حيث نعتوا أصحابها بمختلف النعوت المهينة ، ووصفوهم بمختلف الأوصاف الشنيعة من رقة الدين والخروج من المذهب والضلال والانحراف [2]، وهو ما تؤكده الرسالة المعنونة بـ "البراهين القاصفة لتمويهات متبعي الفلاسفة"، والتي ورد فيها :"...فكل من توخ الحق، وتحر الصدق، اعترف بأن المنتحل إلى إحدى هذه المسائل السبع، خارج عن المذهب الإباضي"[3].

امتد الصراع بين أصحاب البعثات والمعارضين لها إلى ميدان الصحافة، منذ شهر ماي إلى ديسمبر من سنة 1922م، شارك فيها الشيخ صالح لعلي بخمسة مقالات، وأعقبها إصدار مؤلفات ورسائل في الموضوع أهمها: "رسالة كشف اللثام عن أغراض بعض اللئام" طبعت في أكتوبر سنة 1922م، والرسالة الثانية "البراهين القاصفة لتمويهات متبعي الفلاسفة" طبعت في جويلية 1924م، كرد على مقالين لأبي إسحاف أطفيش نشرهما في جريدة "الإتحاد"، الأول بعنوان "العلم

---

[1] – بن إدريسو مصطفى بن محمد، **قراءة في المسيرة التربوية للشيخ صالح لعلي**، أعمال يوم دراسي حول الشيخ الحاج صالح لعلي مدخل إلى جمع التراث ومحاولة قراءة، 19 محرم 1432هـ/ 25 ديسمبر 2010، تح: مصطفى وينتن، مطبعة الأفاق، غرداية، ص: 122.

[2] – قاسم الشيخ بلحاج، **البعثات...**، **المرجع السابق**، ص، ص: 40، 41.

[3] – مصطفى بن بكير حمودة، **الأثار العلمية للشيخ الحاج صالح بن عمر لعلي –الرسائل العلمية والردود–**، أعمال يوم دراسي حول الشيخ الحاج صالح لعلي مدخل إلى جمع التراث ومحاولة قراءة، المرجع السابق، ص: 101.

والتعليم"، والثاني "بيان الحقيقة" في شهر أكتوبر 1922م، كما كانت له رسائل أخرى للرد على كتاب أبي إسحاق "الدعاية إلى سبيل المؤمنين"، كتاب أبي اليقظان "إرشاد الحائرين"، فقد ورد في إحداها ردا على هذا الأخير :" وما قوله قال كشف اللثام، فابتداء بالكذب، فإني لم أقله، ولم أعونها، وما ابتدأت إلا بالبسملة والصلاة على النبي الكريم، وما اطلعت على العنوان إلا بعد الطبع، وما وضعه إلا المكلف بطبعها، وأما الأوصاف التي وصفني بها، فأن اعترف بأني لست بأهل لها"[1].

لقد خلّف هذا الصراع انقساما داخل المجتمع الإباضي الميزابي إلى فريقين، فريق معارض ساخط على هذه التصرفات، حيث قاموا باسترداد أبناءهم ومقاطعتهم عن دراستهم استجابة لنداء المشايخ المعارضين، أما الفريق الثاني الذي كان موافق ومتحمس ومشجع لأصحاب فكرة البعثات لما رأوه فيها من إيجابيات. ويمكن القول أن هذا الصراع قد كان بداية لتشكل فريق الإصلاح، من حيث بروز فكرته التجديدية، وتجميع صفوفه وتحوله إلى مدرسة لها خصائها وفلسفتها وأهدافها[2].

6- البعثة العلمية السادسة (الفيلالية):

بعد عودة الشيخ لخضر الفيلالي إلى منطقة وادي ميزاب بادر لفتح مدرسته من جديد ودعوة طلبته إلى العودة إلى طلب العلم بها حيث قام بعرض فكرة البعثة العلمية على طلبته تخوفا من قيام الإدارة الفرنسية بالقضاء على الحركة الإصلاحية في المنطقة وكان ذلك سنة 1946 حيث اختار ثلاث طلبة من بينهم الشيخ المصلح والمجاهد الأخضر الدهمة، وعليه انطلقت البعثة العلمية من مدينة غرداية نحو تونس على متن شاحنة حطت الرحال بمدينة ورقلة عند الشيخ "حمة" ثم إلى مدينة بسكرة حيث استقروا ثلاثة أيام، وبعدها واصلت الشاحنة طريقها نحو قسنطينة ليستقروا عند

---

[1]- مصطفى بن بكير حمودة، **المرجع نفسه**، ص، ص: 98، 99.

[2]- قاسم الشيخ بلحاج، **البعثات...**، **المرجع السابق**، ص، ص: 42، 48.

الشيخ "النعلوفي" الذي كان له الفضل في عبور الحدود الجزائرية التونسية، وذلك من خلال قيامه بإنشاء بطاقات هوية مزورة، لتسهيل مهمة مرورهم دون عرقلة من مراقبة الشرطة الفرنسية[1].

بعد وصولهم إلى تونس التحقوا بفروع جامع الزيتونة بالعاصمة في الموسم الدراسي 1946/ 1947، انضم إليهم جماعة مكونة من 13 فرد، إلا أنه هؤلاء لم يمكثوا إلا شهرين وعادو إلى وادي ميزاب، وبعد أربع سنوات من التكوين العلمي بالزيتونة تحصل الثلاثة على شهادة الأهلية التي سميت فيما بعد شهادة "التحصيل"، وبعد سنتين من التكوين بعد شهادة التحصيل تحصلوا على "شهادة التطويع" التي كانت تسمى أيضا "العالمية"،[2] أما فيما يخص البرنامج التعليمي كانت العلوم الشرعية واللغوية والتاريخية تؤدى داخل الجامع وفروعه وبعد تعديل البرنامج من طرف الشيخ طاهر بن عاشور أُضيفت الجغرافيا والرياضيات والطبيعيات التي كانت تؤدى في حجرات المدرسة الخلدونية.

بعد التكوين عاد الطلبة الثلاث إلى وادي ميزاب لمواصلة مشروع أستاذهم المتمثل في بعث الحركة النهضوية والإصلاحية والوطنية في وادي ميزاب عند المالكية[3].

خلاصة الفصل:

لقد تأثرت النخبة الإصلاحية في وادي ميزاب بعوامل داخلية وأخرى خارجية تلاحمت مع بعضها البعض، وأعطت لها دافعا للحفاظ على الهوية الإسلامية والشخصية الجزائرية بغية حفظه من الذوبان والانصهار في الحضارة الغربية، من بينها الحركة الإصلاحية التي ظهرت في المشرق، أين ألقت بضلالها على الجزائر عامة ومنطقة ميزاب خاصة، وكذا أثر الحرب العالمية ومخلفاتها، بالإضافة إلى السياسة الاستعمارية في الجزائر ومشارعيها الاستئصالية لكل ما هو أصيل في هذا البلد، دفعت

[1] – مقابلة مع الشيخ الأخضر الدهمة، يوم 2022/08/13، الساعة: 9:00- 12:00، المكتبة العلمية، متليلي، غرداية.

[2]– الأخضر الدهمة، نبذة مختصرة عن حياة الشيخ الأخضر الدهمة الجزائري، دار صبحي للطباعة والنشر، غرداية، ط: 01، 2020، ص: 15.

[3]– مقابلة مع الشيخ الأخضر الدهمة، يوم 2022/08/13، الساعة: 9:00- 12:00، المصدر السابق.

نخبة من العلماء إلى إرسال عدد من الطلبة إلى تونس والتي كانت مع بداية الحرب العالمية الأولى، بالإضافة إلى تجسيد عملها في مجموعة المطالب السياسية والاجتماعية والثقافية من خلال بعث وإحياء التراث العربي الجزائري، وكذا تقديم العرائض وبعث الوفود، من أجل مجابهة هذا المد التغريبي الاستدماري.

ويمكن القول أن منطقة وادي ميزاب كان لها السبق في الحركة الإصلاحية، إلا أنها بقيت مقسمة ومنغلقة على نفسها ما بين الإباضية والمالكية، هذا ما أفقدها جسور التعاون والتكامل طيلة هذه الفترة، وهذا ما جعلها محدودة ومحصورة على كل طائفة بعينها، وهذا ما تجسد في دور المؤسسات والوسائل في وادي ميزاب، وهذا ما سنتناوله في الفصل الموالي.

الفصل الثالث:

المؤسسات والوسائل الإصلاحية في وادي ميزاب

أولا: المساجد

ثانيا: الجمعيات الخيرية والثقافية.

ثالثا: المدارس العصرية

رابعا: الصحافة

خامسا: الكشافة الميزابية

سادسا: المسرح الميزابي

تمهيد:

ألقت البعثات العلمية الإباضية والمالكية بضلالها على وادي ميزاب، وقد كان لها انعكاس على المجتمع، فما أخذوا به العلماء بعد رجوعهم من إصلاح خارج الجزائر، قد أثمر ظهور الكثير من المؤسسات التربوية والدينية والاجتماعية خلال العشرينيات والثلاثينات من القرن العشرين، والتي اهتمت بالنهوض بالمجتمع الجزائري وإعادة بناءه في جميع المجالات كرد فعل على ما تعرض إليه من تهميش وتحطيم ومحو من طرف الإدارة الاستعمارية الفرنسية، حيث سعى علماء الجزائر والوطنيون إلى بناء المساجد والمدارس العربية الحرة، وكذا تأسيس الجمعيات الثقافية والخيرية وإصدار الصحف والمجلات لتكون بدورها مؤسسات ووسائل يمكن تمرير الفكر الإصلاحي للشعب الجزائري من خلالها، وليتعلم فيها لغته الوطنية وثقافته العربية الإسلامية.

ولعل من أهم هاته الوسائل والمؤسسات التي اعتمد عليها علماء الجزائر عامة وميزاب خاصة بغية تمرير فكرهم الإصلاحي وغرس القيم العربية الإسلامية وبعث النهضة العربية الحديثة التجديدية نجد المساجد والمدارس والجمعيات، ويضاف إليهم المسرح والكشافة، والصحف، وهو ما سنتناوله في هذا الفصل.

(أولا): المساجـد:

يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس: "المسجد والتعليم صنوان في الإسلام من يوم ظهر الإسلام، فما بنى النبي يوم استقر في دار الإسلام بيته حتى بنى المسجد، ولما بنى المسجد كان يقيم الصلاة فيه ويجلس لتعليم أصحابه، فارتبط المسجد بالتعليم كارتباطه بالصلاة، فكما لا مسجد بدون صلاة، كذلك لا مسجد بدون تعليم"[1].

[1] – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، **سجل مؤتمر الجمعية**، دار المعرفة، الجزائر، ص: 80.

حيث يعتبر التعليم إحدى وظائف المسجد الرئيسية في الإسلام بجانب أداء شعائر الصلاة والتقاضي، والاجتماعات العامة، وكذا تجهيز الجيوش أثناء أوقات الجهاد، لذلك فإن المساجد في الإسلام لم تكن خاصة بالعبادة فحسب بل شملت أعمالا أخرى، فالمسلمون منذ أول عهد لهم في التعليم اتخذوا المساجد والجوامع مدارس لهم، حيث كانوا يطلقون على التلاميذ المجتمعين حول أساتذتهم لتلقي العلم (الحلقة)، وينسبون كل حلقة في الغالب إلى أستاذها[1].

من هذا المنطلق سنحاول تسليط الضوء على مساجد وادي ميزاب وكذا توضيح دورها في نشر الفكر الإصلاحي في المنطقة، ومن أكثر المساجد شهرة نجد:

1- المسجد القديم (قصر بنورة):

تم بناءه تزامنا مع تشييد قصر بنورة القديم في القرن الخامس هجري والحادي عشر ميلادي، حيث يعتبر من أقدم المساجد في المنطقة، إذ يقع على قمة هضبية، أبعاده قصيرة مقارنة مع المساجد الأخرى[2]

يرى أحد الباحثين أن هناك رواية تاريخية تقول أن الشيخ دحمان بن الحاج الجربي الذي قدم إلى وادي ميزاب لإحياء العلم بها مع الشيخ عمي السعيد والشيخ بلحاج، قد استقام به المقام ببنورة، حيث تولى المشيخة بها، وينسب له تأسيس مسجدا ببنورة، والتي بدورها كان بها مسجدا واحدا، وقد عجز بعض

[1] – رابح تركي عمامرة، **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح**، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، ط5، 2001، 1422هـ، ص: 388.

[2] – بلحاج معروف، **العمارة الإسلامية مساجد ميزاب ...**، **المرجع السابق**، ص: 85.

الطاعنين في السن إلى الذهاب إليه فاتخذوا مصلى لهم في بنورة السفلى في أخفض منطقة في بنورة وهذا عكس مساجد بني ميزاب[1].

2- المسجد الإباضي العتيق بغرداية:

شُيد المسجد في منتصف القرن الخامس هجري الموافق للقرن الحادي عشر ميلادي، يعتبر أقدم مسجد في المدينة، بني بعد استقرار كل من "إبراهيم بن يوسف"[2] المعروف باسم "بابه أولجمة"، و"باعيسى أوتملوان" بالمنطقة سنة 447هـ/1053م[3].

كما يوجد به فضاءات ملحقة بالمسجد منها: قاعة الوضوء وقاعة الصلاة الخاصة بالنساء، بالإضافة إلى مخزن وقاعة للتعليم، يطلق عليه إسم (المحضرة) ومكتبة[4]، كما اشتهرت مساجد غرداية بغناها بالحبوس المختلفة الأصناف بمنطقة وادي ميزاب[5].

3- المسجد العتيق بمتليلي:

يعود تأسيسه بعد استقرار سكان الشعانبة بالمنطقة وذلك بعد تشيدهم للمدينة في 550هـ/1056م، تم توسيعه وترميمه في الأربعينيات من القرن العشرين 1946م، أعتبر مركزا إشعاع علمي في المنطقة يتوافد عليه العشرات من الطلاب من مختلف مناطق غرداية، كما كان زعماء الشعانبة

[1] – زدك براهيم، **الحركة العلمية في منطقة وادي ميزاب ما بين القرنين 10– 13هـ/ 16–19م**، دكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، وهران، 2019، ص: 176.

[2] – أحد مشايخ غرداية من واضعي النواة الأولى لغرداية، له أملاك للأجنة بالواحة العليا لغرداية، بادر باهتمام بالزراعة في وادي ميزاب حتى سمي بأبي البستان...ينظر: مجموعة مؤلفين، **معجم أعلام الإباضية، ج2**، ص، ص: 72، 73.

[3] – بلحاج معروف، **المرجع السابق**، ص: 9.

[4] – زدك براهيم، **المرجع السابق**، ص: 179.

[5]– Charles amat, **le mzab et les mzabites**, p,p:156,157.

يديرون الشؤون الاجتماعية والسياسية بالإضافة إلى دروس الوعظ والإرشاد وتحفيظ القرآن على يد أربع مشايخ: "بوكادي محمد"، و"بن دية علي"، "مولاي لخضر"، "شريف بكار"[1].

4- المسجد العتيق بالقرارة[2]:

بني المسجد مع تأسيس المدينة سنة1040هـ/1630م، حيث يشير أبو اليقظان أن سكان القرارة الأوائل هم الذين شيدوه قائلا[3]:

لكن مسجدنا غدا يتطور الأحوال لا يكفي لنيل مرام

فتشاوروا في الأمر فاتفقوا على رأي سديد لم يشب بخصام

قاموا كفرد واحدي بالجد في تحسين بيت المالكي العلام

ويحتل قمة الهضبة كباقي مساجد ميزاب، وهذا ما جعله يشرف مع مأذنته الهرمية الشكل على كل المباني الأخرى للمدينة[4].

5- المسجد المالكي العتيق بغرداية:

يعتبر أول مسجد مالكي بمدينة غرداية، أسسه الحاج محمد الزياني سنة 1830، وتمت توسعته سنة 1889 على يد مهندس إيطالي، عرف العديد من الأئمة المالكية المشهورين بالمنطقة، ولقد لعب هذا المسجد دورا كبيرا في الحركة الوطنية والإصلاحية، وذلك من خلال تكوين العديد من المناضلين الذين نشروا

[1] – الدهمة بكار، **المرجع السابق**، ص: 59

2 – ينظر الملحق رقم23، ص:296.

3 – زدك براهيم، **المرجع السابق**، ص: 182.

[4] – أحمد حماني، **من مساجد الله بالقرارة**، دار صبحي، متليلي، ط1: 2020، ص، ص: 27، 28.

الوعي الوطني، وكذا تبليغ الرسالة التعليمية لأبناء المنطقة، ومن أهم مشايخ هذا المسجد الشيخ ب"أوحميدة زيان بن إسماعيل" (ت 1930م)، بالإضافة إلى العلامة "محمد الأخضر الفيلالي"[1].

6- المسجد العتيق بضاية بن ضحوة:

تأسس سنة 1807هـ/ 1890 على يد المدعو خير الدين بلخضر بوحفص بالإتفاق مع سكان البلدة وذلك كرد فعل عن تأسيس كنيسة في ذات الحي التي كانت تعمل على نشر التنصير واستغلال السكان الفقراء، وقد لعب المسجد دورا هاما في نشر الفكر الإسلامي الإصلاحي على يد طالب يدعى "محمد المغربي" حيث تحول إلى منارة علمية، خاصة في مكافحة ومقاومة التنصير، ومن المشايخ الذي برزوا في هذا النشاط الشيخ "محمد لخضر الفيلالي" الذي لعب دور المدرّس والواعظ والمرشد، لذلك أعتبر هذا المسجد رمزا للمقاومة ضد الاستعمارية[2].

7- جامع الشرفاء (الحمالة):

يتربع على قمة القصر القديم المسمات بكدية العقارب، كما يطلق على الجبل الذي بنيت على مرتفعه بلدة القرارة، يقع شمال المسجد الكبير للإباضية، ولا يفصلهما سوى أقل من ثلاثون مترا، وتحديد عند مدخل الحمالة يسارا، والحمالة عبارة عن جيب يمتد طوله خمسون متر من الغرب إلى الشرق، وبعرض لا يتجاوز المترين، وبالرغم من كون مساحة المسجد لا تتجاوز 50 متر مربعا، إلا أن أهميته تكمن في الدور الذي قدمه كمنارة للتعليم القرآني والإشعاع الخلقي والتربوي والديني والاجتماعي، وذلك منذ العهد الأول لتأسيس البلدة، كما يعتبر معلما تراثيا من معالم المنطقة[3].

---

[1] – الدهمة بكار، **دور منطقة غرداية في الحركة الوطنية الجزائرية 1919– 1945**، رسالة ماجستير تخصص المقاومة الوطنية والثورة التحريرية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، ص: 61.

[2]– محمد علي دبوز، **نهضة الجزائر...المرجع نفسه**، ص: 60

[3] – **المرجع نفسه**، ص: 44.

8- المسجد العتيق مليكة:

كانت نواته الأولى قبل تسعة أو عشرة قرون، به خمسة صفوف وثلاثة أبواب رئيسية به محراب قديم الذي تداول عليه العديد من المشايخ الإباضيين، منهم: عبد الرحمان الكرثي وغيره، يعقد به حلقات العلم والوعظ والإرشاد والقضاء، كما يحتوى على محضرة للتعليم والتلقين[1]، بُني كذلك على أعلى قمة هضبية في المنطقة التي تتدرج فوقها مباني المدينة، تعرض للهدم والتدمير في الأربعينيات من القرن العشرين، حيث أعيد بناءه من جديد في الخمسينيات من نفس القرن، ولم يبق من ذلك المسجد سوى المأذنة التي رممت حسب ما يشير إلى ذلك التاريخ المسجل عليها سنة 1941.[2]

كما أنه وُجد أيضا مسجد بالجهة الشمالية الشرقية لقصر مليكه، وهو ما تبقى من القرية القديمة التي تم هدم ديارها من طرف المهاجرين، كما ذكر "دوماس" بأنه يوجد ثلاث مساجد في مدينة "مليكه"، أما مدينة العطف فقد تم بناء مسجدين بها[3].

(ثانيا): الجمعيات الخيرية والثقافية:

إن اهتمام الجزائريين بتأسيس الجمعيات الخيرية والثقافية يعود إلى مطلع القرن العشرين وبالذات حينما أصدرت الإدارة الفرنسية سنة 1901 مرسوما يسمح بتأسيس الجمعيات الغير سياسية، حيث بادر الجزائريون بتأسيس هاته الجمعيات والنوادي الثقافية لتنوير الشعب بغية إخراجه من دائرة الجهل والتخلف

[1] – مقابلة مع أستاذ بكير بن سليكان باعمارة، المسجد العتيق، مليكة، غرداية، يوم 2023/08/27، 10:00 صباحا.

[2] – **المرجع نفسه**، ص: 142.

[3]– Daumas, **le Sahara algérienne étude géographiques ,statistiques et historiques sur la région au sud du établissements français en Algérie**, alger, dubos frères rue bab azoun, 1845, p :63.

والانحطاط باعتبارها القاعدة الصلبة التي تقوم عليها الحركة الإصلاحية في الجزائر، ولعل أهم الجمعيات الثقافية التي ظهرت في وادي ميزاب نذكر:

1- جمعية النهضة[1] في مدينة العطف:

كانت في السابق جمعية خيرية، تأسست على يد الحاج بن مسعود بابا عمي، وقد ساهمت هذه الجمعية في أعمال كبرى عادت بالخير على المنطقة، وبعد وفاة مؤسسها سنة 1346هـ/1927م، قام زملاءه منهم: صالح بن الحاج بكير بكلي، صالح بن الحاج أحمد السماوي، والحاج عدون بن بكلي، الذين جمعوا ما بين النشاط التجاري والثقافي، وذلك من خلال المساهمة في المشاريع الخيرية التي نشأت في الشمال، كما أنهم كانوا من أنصار نادي الترقي، وفي مدينة العطف بوادي ميزاب قاموا بإنشاء أول مدرسة عربية حرة للتربية الإسلامية والتعليم سنة 1351هـ/1932م، حيث حققت نجاحا كبيرا وإقبالا عظيما، حيث تولى إدارتها والتعليم فيها كل من السيد عمر بن عيسى الحاج محمد، والأستاذ أحمد بن الحاج بكلي.

وفي سنة 1364هـ/ 1945م أصبحت الجمعية رسمية باسم النهضة[2]، ومما زاد في نشاطها إنضمام خريجي معهد الحياة، أين ساهموا في تسييرها[3].

2- جمعية الفتح في مدينة بريان:

المعروف عن هذه الجمعية أنها كانت سرية في قوانينها وأنظمتها وأجهزتها، حيث سميت بالجمعية الخيرية الوطنية، واهتمت بالميادين الثلاث: العلمية، الإصلاحية، والسياسية، قبل أن تتسمى بالفتح، بعد الحرب العالمية الأولى ابتدأت نخبة من الشباب المثقف على العمل لإنشائها سنة 1345هـ/ 1927م،

[1] - ينظر الملحق رقم:22، ص:295.

[2]- ينظر الملحق رقم:10، ص:281.

[3]- محمد علي دبوز، **المرجع نفسه**، ص: 247.

حيث أُنشأت في صفر 1346هـ/1927م، تحت شعار "الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء"، ومبدأها "الصدق في القول والإخلاص في العمل والإنصاف في المعاملة"، ولعل أبرز مؤسسيها السادة: سليمان بن الناصر حسني، الحاج سليمان بن الحاج إسماعيل فخار، علي بن عيسى دبوز وغيرهم، ومن قانون هذه الجمعية أن يؤدي كل عضو القسم على المصحف أمام رئيس الجمعية وأعضاءها، وبعد اليمين يمضي بخط يده تحت القانون الأساسي للجمعية[1].

3- جمعية الإصلاح في مدينة غرداية:

دعا إلى إنشاءها خريجو البعثات العلمية الميزابية إلى تونس في أول العشرينيات، أبرزهم الشيخ صالح بن قاسم بابكر، والشيخ أحمد بن عيسى، والأستاذ الشاعر حمودة بن سليمان رمضان وغيرهم، حيث تأسست في 14 أفريل 1346هـ/ 1928م، ووافقت عليها الإدارة الاستعمارية يوم 24 ديسمبر 1928م، ومن بين أعضاءها البارزين: بابكر صالح بن قاسم مديرا، محمد بن عمر نائبا، حدبان صالح بن براهيم محاسب مالي، رمضان صالح بن براهيم مساعد محاسب مالي، بادليس عيسى بن حمو كاتبا باللغة الفرنسية، بغباغا أحمد بن حمو كاتبا باللغة العربية، وغيرهم[2]، الذين كان لهم دور قبل تأسيس الجمعية من خلال إنشاء مدرسة منظمة حديثة سنة 1921م، أسند تسييرها إلى الشيخ بن بكير حفار، وتولى التعليم فيها سليمان بن بنوح، غير أن الإدارة الفرنسية قامت بإغلاقها سنة 1922م، ويعتبر الشيخ بن بكر صالح بن قاسم أول رئيس لهذه الجمعية، حيث يعاد انتخابه بالإجماع في كل مرة، كما اضم إليها خريجو معهد الحياة، مما زاد في نشاطها الإصلاحي[3].

---

[1] – أحمد حماني، ومضات...، **المرجع السابق**، ص: 88.

[2]– Anom68//departement des Qasis Djamaiet el islah, les nombres di l'association djamaiet el islah, 26 février 1930

[3]– محمد علي دبوز، **المرجع السابق**، ص: 251.

4- جمعية الاستقامة ببني يزقن:

تم إنشاءها في مدينة قالمة سنة 1349هـ/ 1930م على يد جماعة من التجار الميزابيين من بني يزقن، وعُين الشيخ محمد بن الحاج صالح التميمي رئيسا لها، وأعضاءها البارزون هم: عمر بن داود دواق، يوسف بن يحي التميمي، وموسى بن بكير بوراس وغيرهم. كما قامت بإنشاء مدرسة عربية حرة ونادي ثقافي في قالمة بعد سنة من إنشاءها.

وفي سنة 1365هـ/ 1946م قام علماء الإصلاح العاملون في بني يزقن بإنشاء جمعية أخرى (الإستقامة)، حيث قامت هذه الأخيرة بإنشاء مدرسة حرة ببني يزقن عام 1947م، غير أن الإدارة الفرنسية اعترفت بهذه الجمعية سنة 1948م، وكان أول رئيس لها هو "عمر بن داود دواق"[1].

5- جمعية الحياة في القرارة:

سميت بهذا الإسم في 16 جمادى الأولى 1356هـ/ 24 جوان 1937م، وهو يوم انعقاد مجلسها التأسيسي، حيث اعترفت الإدارة الاستعمارية بقانونها، وتعتبر الجمعية الخيرية التي كان يرأسها الشيخ الحاج بكير العنق، والشيخ الحاج عمر بن يحي، وقد خلفهم في رأستها وقيادتها بعدهم في القرارة الشيخ إبراهيم البيوض والشيخ أبو اليقظان، حيث رفعت لواء الإصلاح عاليا، وبلغت بجهادها نهضة القرارة، حيث قامت بإنشاء "مدرسة الحياة"، والتي كانت المسؤولة على كل مشروع خيري ينشأ في القرارة، ويعود الفضل لها في النهضة العلمية التي عرفتها الجنوب عامة والقرارة خاصة، وأول كاتب لها هو الشيخ عدون بن الحاج، والذي يعتبر من أكبر أسباب نجاحها[2].

[1]- محمد علي دبوز، **المرجع نفسه**، ص: 245.

[2] - محمد علي دبوز، **المرجع السابق**، ص: 259.

6- جمعية النور في مدينة بنورة:

أنشأت سنة 1364هـ/1945م على يد جماعة من الشباب الميزابي بمدينة تيهرت منهم: محمد بن الحاج بكير أبا إسماعيل، عمر بن إبراهيم سعيد، بادرت من نشاطها الإصلاحي من خلال العديد من الجوانب منها الجانب الاقتصادي، حيث بادرت سنة 1948م بإنشاء "شركة فتح النور" التجارية" –شركة تجارية إسلامية- بمدينة الجزائر، وكان دورها مزاحمة اليهود في التجارة، واعتبرت مركزا لمصلحي الجنوب، وبعد نشاط واسع تعرضت للحرق من قبل الإدارة الاستعمارية.

كما قامت الجمعية بنشاط في الجانب العلمي حيث فتحت مدرسة النور سنة 1962، حيث أعتبرت من أجمل المدرس الحرة في ميزاب والجزائر، كما قامت بأعمال عظيمة في سبيل إصلاح المجتمع، بالإضافة إلى إرسال بعثات من طلابها إلى "معهد الحياة"[1]

7- جمعية قدماء التلاميذ في القرارة:

تأسست بمدينة القرارة في 30 رمضان 1367هـ/05 أوت 1945م، كان الهدف من تأسيسها جمع شتات الطلبة خريجي معهد الحياة المنتشرين في قرى وادي ميزاب ومدن الجزائر في الوظائف والمهن والتجارة بهدف مساندة حركة التعليم العربي الإسلامي الحر، ومؤازرة مشايخهم، خاصة في الجانب المادي بعد أن توسعت مؤسسات الحركة الإصلاحية في وادي ميزاب وشمال الجزائر، وكثرت نفقاته وتكاليفه، مما احتاج إلى تضافر الجهود، حيث توسعت مهام الجمعية إلى العمل على توحيد البرامج والمقررات المعتمدة في التعليم، وضبط الخطط التربوية لكل المدارس التابعة للحركة الإصلاحية، ثم توسع نشاطها ليشمل الجانب الإصلاحي الاجتماعي كتنقية المجتمع من البدع والضلالات، ومحاربة الآفات الاجتماعية عن طريق

[1] – محمد علي دبوز، **المرجع نفسه**، ص: 243

استحداث الإذاعة باسم "إرم ذات العماد"[1]، حيث يبين الشيخ عدون الهدف من إنشاء جمعية قدماء التلاميذ في خطبة ألقاها في المستمر التأسيسي لها قائلا: "...نجتمع اليوم كمؤتمر عام لهذه الجمعية لتنفيذ أغراضها الأساسية من جمع شتات الأعضاء والمحافظة على الروابط المتينة التي عقدها المعهد زمن الدراسة، وبث تعاليم الأستاذ في نفوسهم، وفي الأوساط التي يتصلون بها وخدمة المشاريع العلمية بجميع الوسائل، والمشاركة في الإصلاح العام بقدر الاستطاعة، والنزول إلى ميادين الكفاح بصورة منتظمة وخطط مرسومة تحقق الغاية المطلوبة[2].

تكون أول مجلس إداري لها في القرارة من الأشخاص الآتية أسماءهم: الشيخ عدون بن الحاج، الأستاذ قاسم بن الحاج سعيد، الأستاذ سعيد بن عبد الله وغيرهم، ومن شروط العضوية أن يكون العضو محافظا على الصلاة، بارا بوالديه، أن لا يغشى أماكن الفسق، ان لا يجلس إلى طاولة القمار، ان يكون راشدا، أن يتعهد الجلسات العامة بالحضور والعمل[3].

8- جمعية الوفاء[4]:

قام بتأسيسها جماعة من بني يزقن، ترأسها السيد نوح نقنون، غايتها السعي في إيجاد أسباب التعارف والتآخي بين أبناء بلدة بني يزقن، مع استنكار كل فكرة طائفية أو شعبوية، حيث تعمل على تنشيط جميع الأعمال الخيرية من تعليم وتهذيب للأخلاق، كما تمتنع عن الخوض والتداخل في السياسة

[1]- مصطفى رمضان، **إبراهيم رمضان رجل العلم والنضال**، دار نزهة الألباب، غرداية، ط1: 2018، ص: 97.

[2]- عدون بالحاج، **معهد الحياة**، ص- ص: 83- 90.

[3]- مصطفى رمضان، **المرجع السابق**، ص، ص: 86، 87.

[4] -ينظر الملحق رقم:11، ص: 282.

والمسائل الخلافية، ولا يعتمد عليها أي حزب أو مذهب[1]، غير ان أعضاءها كانوا مراقبين من طرف الإدارة الفرنسية عن طريق شرطة الاستعلامات العامة لمنطقة غرداية[2].

9- الجمعية الإسلامية المالكية للتربية والتعليم بالقرارة:

تعود بدايتها الأولى عند اتصال جماعة من النخبة المالكية لمدينة القرارة منهم: سلامة سلامة بن أحمد، الساسي بن قدور، حماني مازوزي بن أحمد، حيث التقوا بالشيخ البشير الإبراهيمي وبعض علماء الجمعية سنة 1947م، للتشاور معهم في كيفية تبني جمعية العلماء المسلمين لمشروع إنشاء جمعية ثقافية في القرارة، الأمر الذي قوبل من طرف البشير الإبراهيمي بالترحاب لهذا المشروع الإصلاحي في المنطقة، إلا أن الوفد لقي معارضة من طرف بعض العشائر في المنطقة ظنا منهم أن البادسيين يحدثون ويبدعون ويخالفون الموروث الديني والعادات والتقاليد، إلا أن ذلك لم يمنع من تأسيس هذه الجمعية سنة 1947م، التي لعبت دورا كبيرا في ميدان التعليم من خلال تأسيس مدرسة عصرية تابعة لها سنتحدث عنها لاحقا[3]

(ثالثا): المدارس العصرية:

تلعب المدرسة الدور الأساسي في تشكيل أخلاق الطفل وسلوكه العام، فهي أول مجتمع يتصل به بعد أسرته وفي داخلها يجتمع بخليط كبير من الأطفال ينحدرون من طبقات مختلفة وبيئات اجتماعية متعددة منها الصالح ومنها الطالح، ذلك فإن فرص تشكيل الأطفال بالأخلاق الاجتماعية السليمة متوفرة داخل المدرسة بكونها تعتبر أعظم قوة خلقية في المجتمع بعد الأسرة باعتبارها مؤسسة تربوية اجتماعية تنوب عن الوالدين في تربية الأطفال وتعليمهم بحيث تنفرد بعملية نقل التراث الثقافي الذي تتكون منه ثقافة المجتمع إلى الأجيال الصاعدة، ومن هنا يتجلى دورها في بناء الجزء الأخلاقي في بناء شخصية الأطفال، هذا ما

---

[1]- ANOM 68/ société elwafa

[2]- ANOM 68// surveillance des indigenes a/s association elwafa de beni yezgen.

[3] - أحمد حماني، **ومضات...**، **المرجع السابق**، ص: 61

دفع علماء ميزاب للحث والتأكيد على بناء المدارس بمبدأ المدرسة منبع العلوم والمعارف"، حيث يؤكد الفرقد[1]، في مقال له قائلا :"يجب أن تؤسس على قواعد دينية باعتبارها مسألة من المسائل الهامة التي يستلزم الإسراع في حلها والتفكير بتقبلها باعتبارها المسألة التي يبنى عليها مجد الأكة وشرفها وعزتها وكذا مستقبلها"[2]، ولعل أبرز المدارس التي تم تأسيسها من طرف علماء الإصلاح في ميزاب وخارجها نجد:

1- المدارس العصرية داخل وادي ميزاب:

أ- مدرسة أبي اليقظان بالقرارة:

تأسست في جوان 1915 في القرارة على الطراز الحديث، حيث لقيت مؤازرة من طرف الميزابيين المؤيدين للعلم والثقافة، احتضنت ما يقارب 150 تلميذا، حيث اعتنت بدراسة القرآن والقراءة وعلم الأشياء والنحو، والسيرة النبوية، بالإضافة إلى التاريخ والجغرافيا، والفقه والحساب، والتربية البدنية، كما طبقت المنهج التربوي التونسي في برامجها التعليمية[3].

من التلاميذ الذين درسوا فيها نذكر: حمو بن عيسى المرموري، دحمان بن الحاج بكير المرموري، الحاج داوود بن الحاج احمد أحجوجة، عيسى بن يحي تعمونت وغيرهم، وقد تولى هؤلاء التلاميذ وزملاءهم المسؤوليات الدينية والاجتماعية في وادي ميزاب فيما بعد، إذ كان لأبي اليقظان دورا كبيرا في تعليمهم

[1] – هو بوجناح سليمان بن يحي المدعو الفرقد، من مواليد 15 جوان 1903م بمدينة غرداية، من أشهر السياسيين والوطنيين بمنطقة وادي ميزاب...، للمزيد ينظر: علي بن أحمد أوجانة، **بوجناح سليمان بن يحي (الفرقد) الوطني الثائر**، جمعية التراث، غرداية، 2020، ص- ص: 08- 11.

[2] – **الفرقد**، .....، **وادي ميزاب**، العدد: 86، ص: 03.

[3] – عبد القادر قوبع، **الحركة الإصلاحية في منطقتي الزاب وميزاب بين 1925– 1954**، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2008/2007، ص:87.

وتثقيفهم[1]، إلا أنها لم تدم إلا سنة وبضعة أشهر، وذلك بسبب عودة الشيخ أبي اليقظان إلى تونس وإتمام دراسته العليا، والاهتمام بطلبة البعثات العلمية بتونس[2].

ب – مدرسة النهضة بالعطف:

تم تأسيسها سنة 1924م، وذلك بعد عودة تلاميذ البعثة العلمية من تونس، حيث قام أعضاءها بفتح مدرسة علمية عصرية، وهم: داوود بن بكير، وأحمد بن الحاج يحي بكلي، حيث يذهب الشيخ محمد علي دبوز إلى أنها أفضل أو أحسن مدرسة في الجنوب في تلك الفترة، وذلك يعود إلى كفاءة أساتذتها، ومع سنة 1931م ظهرت مدرسة الشبيبة على يد عمر بن عيسى الحاج أحمد، والتي عرفت سنة 1945 باسم النهضة نسبة إلى جمعيتها التي تشرف عليها من حيث الاعتماد والتمويل، حيث استقطبت مائة طالب يشرف عليهم ستة معلمين[3]، توسعت بقسمين وتولى إدراتها الأستاذ إبراهيم بن يحي الحاج أيوب سنة 1947م فأحدث بنشاط وعلمه وتنظيمه تجديدا في المناهج المدرسة[4]، وإلى جانبها تم تأسيس مدرسة الشيخ محمد بن بوهون الحاج ابرهيم[5].

[1] – علي دبوز، **الأعلام، ج3، المرجع السابق**، ص: 203.

[2] – **المرجع نفسه**، ص: 205.

[3] – محمد دبوز، **الأعلام...، ج3، المرجع السابق**، ص: 256.

[4] – محمد الحسن فصلاء، **المسيرة...، ج2**، ص: 207.

[5] – محمد دبوز، **الأعلام...، ج3، المرجع السابق**، ص: 256.

جـ- مدرسة بنورة:

تأسست في 02 رمضان 1344هـ/ 15 مارس 1926م بإدارة الشيخ عيسى بن الحاج صالح إدريس اليزقني، حيث قامت بتدريس القرآن والتوحيد والفقه والكتابة والقراءة والحديث، والأمثال والحكم، بالإضافة إلى الشعر والأناشيد، ومبادئ الحساب والأدب، كما أضيف التاريخ فيها[1].

ويرى أحد الباحثين أن كل هذه المواد لم تدرس بشكل معمق، بل كان تدريسها سطحيا خلال هذه الفترة، لأن معهد الحياة رغم تطوره لم يستطع بلوغ هذا المستوى من المواد المدرسة، كما أن تلامذة بنورة استمروا في انتقالهم إلى القرارة لضعف المستوى العلمي بمدارسهم، كما قامت جمعية النور بالإشراف على هذه المدرسة منذ 1945م، حيث وصل عدد طلبتها إلى 34 تلميذا يؤطرهم ثلاث معلمين[2].

د- مدرسة الفتح بريان:

يعود تأسيسها إلى الطلب الذي قدمه أعيان بريان من الشيخ إبراهيم بيوض والمتمثلة في إرسال المعلم إلى أولادهم نتيجة لنجاح معهده في القرارة، حيث بادر إلى إرسال الأستاذ صالح بن يوسف ابسيس، لتتأسس في 15 جويلية 1927م[3]، حيث استقطبت عشر تلاميذ، كما قامت سنة 1934م بإرسال بعثة علمية نحو معهد الحياة، ومع سنة 1939 عرفت المدرسة تطورا بارزا من حيث هياكلها ومناهجها، وذلك بفض الأستاذ عبد الرحمان البكري، حيث استعملت فيها الطاولات والكراسي والسبورات، كما استعمل فيها الحبر بدلا من الصمغ التقليدي والأوراق بدلا من الألواح، كما أدرج فيها مواد جديدة كالفقه والتاريخ

[1]- محمد دبوز، **الأعلام...، ج3، المرجع نفسه**، ص: 256.

[2] - قوبع، **الحركة الإصلاحية...، المرجع السابق**، ص: 176

[3] - عمر بكلي، **كلمات خالدة، المصدر السابق**، ص: 344.

والجغرافيا، والنحو والحساب والقرآن الكريم[1]، ومع سنة 1946 تشكلت جمعيتها المشرفة عليها وهي الفتح، التي بادرت بدورها إلى أرسال بعثة علمية نحو تونس سنة 1947م[2].

هـ- مدرسة القرارة العصرية:

تأسست سنة 1931م، عرفت باسم المدرسة العصرية، أشرف على التدريس فيها كل من علي بن صالح أبو الحسن، وقاسم بن الحاج السعيد أبسيس، ومحمد بن باحمد بن منصور سعيدي، ومحمد يحي سليماني، اعتنت بالتلاميذ الصغار الذين ينتقلون فيما بعد إلى معهد الحياة، كما استفادت من حركة الإصلاح داخل معهد الحياة لقربها الجغرافي منه[3].

و- مدرسة الإصلاح غرداية:

أسستها جمعية الإصلاح بهدف السعي في تحسين حالة الميزابيين الأدبية وإصلاح ما تداعى منها بالإضافة إلى إنشاء مكتبة علمية ونادي أدبي، وكذا إنشاء مدرسة علمية من الطراز الحديث، بعد ترخيص الإدارة الفرنسية بفتح المدرسة بشروط توفير القوانين النظامية والصحية، وأن لا يتعدى عدد التلاميذ في القسم 20 تلميذ[4].

[1] – علي دبوز، **النهضة...، ج3، المرجع السابق**، ص: 256

[2]– عبد القادر قوبع، **المرجع السابق**، ص: 176

[3]– محمد دبوز، **النهضة...، ج3، المرجع السابق**، ص: 256.

[4]- ANOM 68 , département des oasis, société mozabite, djemaiel el islah, le recteur de la l'Académie dalger, 11 fevrier 1931

توسعت المدرسة وواصلت رسالتها الإصلاحية في سنة 1934م، حيث ارتفع عدد تلامذتها مما جعلها تتوسع في عدد أقسامها في كلا من بابا سعد، حي الراعي، بلغنم، كما قامت بتأسيس نادي لترقية الأخلاق وإنشاء مكتبة عمومية[1].

في يوم 1940/03/23 قام مدير المدرسة[2] السيد "بابكر صالح بلقاسم" بطلب من الإدارة الفرنسية الترخيص بفتح قسم جديد بالمدرسة، والذي جاء في مضمونه:" إن مدرستنا تحتوي على ثلاثة أقسام، نشغل منها قسمين واليوم إزداد عدد الطلبة وعدد الطبقات، مع أن واجب التعليم الصحي يقتضي علينا فتح القسم الثالث، لذا نرجوا الترخيص لفتحه"[3]، كما كانت له رسالة أخرى من نفس السنة لرئيس ملحقة غرداية السيد "فيقوروس" بطلب توظيف الأستاذ "عدون سليمان" بن ناصر" من فريق ولاد بلحاج[4]، الذي أتمم دراسته بالقرارة، حيث وافق قائد ملحقة غرداية بتوظيف السيد "عدون" بعد استشارة الشيخ بيوض[5]، أين قام هذا الأخير بإيجازته[6].

تعرضت المدرسة إلى الملاحقات والمضايقات الاستعمارية القضائية من جهة، ومن أنصار المحافظين من جهة أخرى، مما جعل أعضاءها عرضة للسجن والتغريم، لذلك تعرضت جريدة الشهاب لمدرسة الإصلاح في نشراتها[7]، ومن المواقف التي سجلت ضدها ما كتبه مجموعة من المعارضين لها من محافظين الإباضيين، في شكوى تقدموا بها إلى المحافظ العام الفرنسي بالجزائر بتاريخ 12 نوفمبر 1952م، جاء فيها

---

[1]- محمد حسن فصلاء، **المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، ج2**، دار الأمة، الجزائر، ط1، ص: 192.

[2]- ينظر الملحق رقم:12، ص:283.

[3]- ANOM 68 , département des oasis, société mozabite, djemaiet el islah, 23 mars 1940

[4]- ينظر الملحق رقم:13،ص:284.

[5]- ANOM 68 , département des oasis, société mozabite, djemaitl el islah, 09 avril 1940.

[6] - ينظر الملحق رقم:14، ص:285.

[7]- الدهمة بكار، **دور منطقة غرداية في الحركة الوطنية الجزائرية 1919- 1945م**، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، تخصص مقاومة وطنية وثورة تحريرية، قسم التاريخ، الجزائر2، ص: 58.

:"إلى السيد المحافظ العام للجزائر، عن الممضيين أدناه يرفعون هذه الشكوى ضد جمعية الإصلاح بغرداية، بعد أن تحصلت يوم الفاتح أكتوبر 1932م على الرخصة التي تسمح لها بإنشاء مدارس لتعليم القرآن والتربية الناشئة، يمنع القانون الأساسي للجمعية في مادته السادسة التطرق إلى السياسة والخروج عن المبادئ التي صودق عليها يوم الاعتماد، غير أنه لوحظ عكس ذلك أثناء اللقاءات العمومية، ففي كل أسبوع تسجل هذه الجمعية خرقا للقوانين، إذ تستغل المناسبات لانتقادات السلطات الإدارية الفرنسية، فعلى فرنسا الحق أن تتدخل لحد مفعول هذه الجمعية والبؤرة التي تقلق النفوس قبل فوات الآوان[1].

ز- المدرسة الجابرية ببني يزقن:

كان الهدف من تأسيسها تحفيظ القرأن الكريم وتعليم عقائد الإسلام، نسبت إلى الإمام بن جابر زيد التابعي، ومع سنة 1941م أُدخل بها الطرق العصرية، تحت إشراف الشيخ محمد ين الحاج بانونو، تعرضت للمضايقات الاستعمارية، وأصدر قرار إغلاقها مرتين بتهمة التحريض وتوعية الطلبة بالقضايا الوطنية[2].

ح – مدرسة بني يزقن:

تأسست سنة 1946 تحت إشراف جمعية الاستقامة، التي اعترفت بها الإدارة الاستعمارية سنة 1949، كما ظهرت إلى جانبها الجمعية التوفيقية التي منحت لها الرخصة في 25 جانفي 1947م برئاسة إبراهيم بانوح امتياز، كما استطاعت فتح مدرسة إصلاحية تابعة لها، بالإضافة إلى ذلك ظهرت مدارس أخرى في مليكة وغرداية وغيرهما، حيث استفادت كلها من الجمعيات التي تشرف عليها[3].

[1] – مصطفى رمضان، **المرجع السابق**، ص: 151.

[2] – الدهمة، **المرجع السابق**، ص: 59.

[3] – محمد دبوز، **النهضة...**، **ج2**، **المرجع السابق**، ص: 222.

ط- مدرسة التربية والتعليم:

تأسست يوم 20/ 12/ 1949م باعتماد من الجمعية الإسلامية المالكية للتربية والتعليم بالقراراة بحي الظهرة بدار الساسي عبد القادر بن قدور، تتكون من قسمين، تم هيكلتها من طرف المحسنين، وبذلك بإعداد 16 منضدة من طرف "السيد العنق محمد" وكذا سبورتين ثابتة ومتنقلة، وبعض المستلزمات الدراسية. استقطبت 16 تلميذا ذكور و 08 بنات في البداية، يوحدهم المظهر الخارجي (إرتداء المأزر والطربوش التركي)، كما اعتمدت على نظام الطبقات داخل القسم، الطبقة الأولى تعادل تلاميذ السنتين الأولى والثانية، الطبقة الثانية تعادل السنتين الثالثة والرابعة، والطبقة الثالثة تعادل تلاميذ السنتين الخامسة والسادسة، أما توقيت الدراسة فكان من الثامنة صباحا إلى الحادي عشر ونصف، ومن الثانية مساء إلى الرابعة ونصف مساء[1].

قامت بالعديد من النشاطات التربوية منها: تكوين فرقة للكشافة، وفرقة للأناشيد، وفرقة للتمثيل. أما فيما يخص المواد المدرسة: فهي التعبير الحر، الهندسة، النحو، الفقه، الحساب، العلوم وغيرها[2]

2- المدارس العصرية الميزابية خارج وادي ميزاب:

لم يكتف مشايخ الإصلاح بإنشاء مدارس داخل وادي ميزاب بل ساهموا بالشروع في إيصال الفكر والمنهج الإصلاحي إلى الميزابيين في مختل أرجاء الوطن بهدف رعاية وصيانة المذهب الإباضي من الاندثار والذوبان وكذا ربط أبناء وادي ميزاب بتاريخهم وعاداتهم ولغتهم، فقد أسست لهذا الغرض جمعية لكل مدرسة تتولى الإشراف والانفاق عليها، وكذا جلب المدرسين للتدريس بها، ولعل أبرز هذه المدارس نذكر البعض منها :

[1] - أحمد حماني، **ومضات...**، **المرجع السابق**، ص- ص: 65- 67..

[2] - **نفسه**، ص، ص: 77، 78.

أ- مدرسة غليزان:

تم افتتاح المدرسة تحت إشراف الشيخ بابا عمي الحاج أحمد بن الحاج موسى سنة 1929م، استقطبت حوالي 23 تلميذا[1]، حيث سارت على نهج مدرسة النهضة بتبسة، كما كانت تستضيف الشيخ عبد الحميد بن باديس لما يتوجه إلى تلمسان، زارها العديد من مشايخ الإصلاح منهم: أبو اليقظان، عبد الرحمان بكلي، مفدي زكريا، إبراهيم بيوض، كما استقبلت الشيخ عبد الحميد باديس سنة 1937م.[2]

ب- مدرسة الإخاء ببسكرة:

تأسست هذه المدرسة حوالي 1931، حيث كانت ثمرة للتعاون الذي كان بين المصلحين الميزابيين والبسكريين، حيث جمعت في صفوفها تلامذة التجار الميزابيين وأبناء بسكرة، اهتم بالتدريس فيها الشيخ محمد خير الدين، والشيخ محمد الحاج إبراهيم الطرابلسي الميزابي، كما اهتم كل من التاجر خبزي عيسى بن عمارة، وإبراهيم بن سليمان بربوشة، وبكوش سليمان، بتمويل المدرسة ماديا، دامت المدرسة خمس سنوات، ثم تعرضت للتوقيف من طرف إدارة الاحتلال الفرنسي، وذلك لما حققته من نتائج باهرة، وقد أشاد بها الشيخ عبد الحميد بن باديس، ودعى إلى مساندتها ومؤزارتها[3].

ج- المدرسة الرستمية الشيخ أفلح بتيارت:

هي المدرسة التي أسسها الميزابيون في تيارت، ولم تكن خاصة بهم وحدهم، وقد فسحوا فيها المجال لكل من يرتادها من التلاميذ المسلمين بقطع النظر عن مذهبهم ومشربهم. وجمعيتهم المحلية تكونت من خيرة بني ميزاب النازحين في تجارة لهم إلى تيهرت كما هو شأنهم، واستقروا فيها وعاشروا سكانها، واندمجوا

[1]- قويع، **المرجع السابق**، ص: 178.

[2] - محمد بوسعدة، **دور ميزاب في الحركة الوطنية والثورة التحريرية 1930-1962**، رسالة دكتوراه في تاريخ المغرب العربي المعاصر، تخصص تاريخ، جامعة حمة لخضر الوادي، 2020/2019، ص: 211.

[3] - دهمة بكار، **المرجع السابق**، ص: 210.

في حياتهم اليومية، ويمدون يد المساعدة لكل مشروع خيري، وخاصة مشاريع جمعية العلماء المسلمين، التي يتعاطفون معها بالمساندة والتأييد.

تأسست هذه الجمعية في غضون الثلاثينيات برئاسة السيد "بأحمد بن محمد العساكر" وفتحت قسما واحدا يتردد عليه نحو المائة والخمسين تلميذا وتلميذة، ينالون جميعا حظهم من التعليم فيه، ويتناوبون على توقيت المدرسة المقرر:

- صباحا من الساعة 5 إلى 7 والنصف

- مساء من الساعة 5 إلى 8 ليلا

ومجموع الساعات اليومية 5 ساعات ونصف يطبق فيها برنامج يشتمل على المواد الآتية:

- الدين الإسلامي بما فيه القرآن الكريم والتربية

- اللغة العربية بجميع فنونها

- التاريخ والجغرافيا والعلوم والحساب

- الأدب والمحفوظات والأناشيد

3- البرامج والمناهج:

ولما كان القسم الواحد لا يستوعب كثرة التلاميذ مع تعدد أفواجهم قام احد المحسنين الأخيار وهو السيد "الحاج سليمان فخار" فبنى بماله الخاص مسجدا فاخرا ومدرسة عصرية على الطراز الحديث، أثثها بما تستلزمه من المعدات والمقاعد والسبورات وغيرها ووضعها تحت تصرف الجمعية.

وتقع المدرسة حاليا في شارع الأمير عبد القادر حاليا عدد 38، وتشتمل على قسمين واسعين مجهزين مع سكنين للمعلمين، فتحول جهاز المدرسة الجديدة في سنة 1940م،[1] وشرعت في عملها تستقبل ما يزيد على مائتي تلميذ وتلميذة تحت رعاية الأساتذة من بينهم: الحاج سعيد بهون، علي الداودي عمر، عدون سليمان، بوراس بكير، وهذا الأخير قد استشهد في الثورة التحريرية.

وفي سنة 1944م عُين الأستاذ "أحمد بن الحاج عمر بكّلي" مديرا للمدرسة من طرف العلامة الشيخ البيوض مدير معهد الحياة بالقرارة، بحكم اندماجه في صفوف جمعية العلماء وتعاطفه مع الحركات الوطنية تدعيما للحركة العلمية والإصلاحية بتيهرت، وظل بها إلى أخر سنة 1952، فالمدرسة قد تطورت فعلا في عهده وحصلت على نتائج مرضية، وقامت بنشاطات مختلفة مثل الحفلات والأعياد والمواسم كالمولد النبوي الشريف، وإحياء ذكرى الإمام المصلح "عبد الحميد بن باديس"

وفي هذه الاحتفالات تعرض على المحتفلين نماذج في البطولة والتضحية والجهاد، ودروس في البعث واليقظة والتحرر.

وزارت شخصيات عديدة تيهرت فاستقبلتهم المدرسة بأبناءها ومعلميها بكل حفاوة وترحيب من بينهم الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء الذي أبدى إعجابه واطمئنانه بالمدرسة والقائمين بها، وحثهم على مواصلة السعي والمثابرة والاستمرار.

أما موقف الإدارة الاستعمارية فقد كان –كعادته– مناوئا لكل حركة من شأنها قلب الأوضاع ضد سيادته القائمة في هذا البلد، فقد تلقت المدرسة تهديدات بالإغلاق مرار مع الإنذار والترويع والوعيد، لكن ذلك قد تحطم على صخرة صمود الرجال الأبطال والمعلمين البواسل[2].

[1]– محمد الحسن فضلاء، **المسيرة الرائدة...، ج3، المصدر السابق**، ص: 111.

[2]– **المصدر نفسه**، ص: 112.

وحين اندلعت ثورة نوفمبر الخالدة كان من جحافلها أبناء المدرسة ومعلموهم في طليعة المجاهدين، ومن شهدائها: ثلاثة أسماء من تلاميذها وهم: سليمان بوذي، قاسم بلعديس، محمد جهلان، وهؤلاء الثلاثة قد سقطوا في المعارك مع الجيش، أما من الأساتذة "بوراس بكير" فقد أعدم أمام محله. لتستمر المدرسة في عملها بعد الاستقلال وما تزال إلى الآن تحت إشراف وزارة الشؤون الدينية تعلم القرآن وتفقه الدين[1].

(رابعا)– الصحافة:

1– الصحافة في الجزائر:

يرى أغلبية المؤرخين والباحثين في تاريخ الجزائر عامة، والجانب الإعلامي خاصة، بان ظهور الصحافة المكتوبة في الجزائر، يعود الى ما بعد الاحتلال الفرنسي 1830م. فقبل هذا التاريخ لم تشهد الجزائر، ميلاد صحيفة إعلامية، وهذا التأخر لا ينسب للجزائر فقط، بل العالم العربي أيضا الذي شهد بدوره تأخرا في هذا الميدان، باستثناء جريدة واحدة، أصدرها محمد علي بالقاهرة، عندما كان واليا على مصر ايام الدولة العثمانية[2] ، وهي صحيفة جورنال خديو، وكانت تكتب آنذاك باللغتين التركية والعربية[3].

إن الصحافة بمفهومها العصري، قد ظهرت بأوربا وتطورت في أحضانها وعرفت ازدهار كبيرا في القرن التاسع عشر، بحيث أصبحت وسيلة اتصال، بين السلطة والجماهير، وبين الفئات المختلفة، من المجتمع، توزع المعلومات وتنشرها بين الناس[4] .

---

[1]– **المصدر نفسه**، ص: 113.

[2] – عبد القادر كرليل، **نشأة الصحافة الجزائرية، المصادر**، ع 11، السداسي الاول، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954 م، الجزائر، 2005 م، ص 215

[3] – ابراهيم عبده، **اعلام الصحافة العربية**، ط2، مكتبة الادب، مصر، 1999 م، ص 11 .

[4]– زهير احدادن، **الصحافة المكتوبة في الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012 م، ص 25 .

ونظرا لأهميتها حمل الجيش الفرنسي، معه أثناء غزوه للجزائر، على غرار ما فعله نابليون في مصر، مطبعة وهيئة تحرير، مكنته من إصدار جريدة، تعمل على رفع معنويات جيشه، ودعم احتلاله للجزائر، فأصدر جريدة "ليستفيت دالجي"(lestivite d'alger)، التي كانت تصدر باللغة الفرنسية، يشرف عليها ضابط الجيش الفرنسي، تتضمن معلومات عن الحملة الفرنسية، مع بعض الاخبار السياسية، الخاصة بفرنسا [1].

والحقيقة ان هذه الجريدة، لم تعرف رواج كبيرا ولم تعمر طويلا، فهي وليدة ظروف الاحتلال، وكان هدفها منذ البداية محدودا لا يتعدى محيط الجيش الفرنسي، وسرعان ما عوضت بصحف اخرى، ذات الطابع الحكومي الاستعماري، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

جريدة الاخبار التي بدأت تصدر، في مدينة الجزائر سنة 1839 م وعرفت رواجا كبيرا، حتى سنة 1898 م.

وهكذا بدأت تتكون شيئا فشيا، فوق التراب الجزائري صحافة استعمارية تنطق باللغة الفرنسية، يشرف عليها فرنسيون تحمل رسالة استعمارية، قوامها الوجود الاستعماري، ومحاربة كل مقاومة لهذا الوجود[2].

لذا يمكن القول ان الجزائريين، عرفوا هذا الفن " الصحافة " مع دخول الفرنسيين غير ان الجزائريين، لم يعيروا هذا الفن أي اهتمام في بادئ الامر لأسباب عدة واهمها على الخصوص:

- ان هذا الفن كان يكتب بلغة لا يفهمها من افراده الا اشخاص قليلون.

- ان هذه الصحافة كانت تهتم بشؤون الغزاة من ادارة وجيش ومعمرين

[1]- عبد القادر كرليل، **المرجع السابق**، ص ص 217-218

[2] - زهير احدادن، **المرجع سابق**، ص 26

– انه سلاح يخدم مصالح الغازي الغشوم[1].

لقد ادركت السلطات الفرنسية، مدى ضرورة انشاء جريدة فرنسية، للإدارة جزائرية اللسان [2]، تلعب دور الوسيط بين الغزاة والجزائريين [3]،وتمهد للسيطرة على عقول الجزائريين فكريا، بعد ان تم اخضاعهم عسكريا، لهذا بادرت فرنسا بتاريخ 15 سبتمبر 1847 م بإصدار جريدة المبشر، وهي جريدة نصف شهرية تصدر باللغتين العربية والفرنسية، كانت فكرة تأسيسها من وحي ملك فرنسا، 'لويس فيليب ' [4]، الذي امضى مرسوما بشان تأسيسيها، وبادر الجنرال "دوماس " إلى تطبيقه [5]، فمنذ هذا التاريخ وبواسطة هذه الجريدة، عرف الجزائريون الصحافة العربية، وفن تحرير الصحف باللغة العربية، بعدما عرفوه باللغة الفرنسية[6]

وقد أشار الأستاذ "زهير احدادن " الى الاهمية والدور اللذين لعبتهما " صحيفة المبشر" على الساحة الاعلامية، ومدى استفادة الجزائريين منها بقوله : "...الحقيقة ان جريدة المبشر، لعبت دورا كبيرا في اظهار الصحافة الجزائرية، وقد كانت بمثابة مدرسة تخرج منها الصحافيون الأوائل، الذين أنشئوا الصحف

[1] – الزبير سيف الاسلام، **تاريخ الصحافة في الجزائر –رواد الصحافة الجزائرية** –، ط1، دار الشعب، مصر، 1981 م، ص ص 9-10

[2] – عبد القادر كرليل، **المرجع سابق**، ص: 221

[3] – الزبير سيف الاسلام، **المصدر السابق**، ص: 10 .

[4]– لويس فليب (1773-1850 م) :بايعته ثورة جويلية، ملكا على فرنسا، يوم 9 اوت 1830 م، في عهده، تم ارسال اللجنة الافريقية الى الجزائر، سنة 1830 م للدراسة الاوضاع، للمزيد ينظر : حمدان بن عثمان خوجة، **المراة**، تقديم محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 2005 م، ص258 .

[5] – عبد القادر كرليل، **المرجع السابق**، ص221.

[6] – الزبير سيف الاسلام، **المصدر السابق**، ص 11 .

باللغة العربية في الجزائر، مثل محمود كحول، ومامي اسماعيل ... او مثل عمر راسم[1]، والمولود الزريبي الازهري، الذي انشا فيما بعد صحف اهلية غير حكومية، كما تخرج كذلك عن جريدة المبشر، عدد من المترجمين والتقنيين الحرفيين الذين كانوا دعائم النشاط الصحفي في الجزائر ."[2]

أمام الزخم الكبير الذي عرفته الصحافة الكولونيالية، المتسمة بتحيزها الكلي للحكومة الفرنسية، أدرك المثقفون الجزائريون اهمية الصحافة كوسيلة، فعالة لتشرح مشاكلهم وتوصل مطالبهم، للحكومة الفرنسية، التي كانت هي نفسها، تبدي قلقا كبيرا ازاء تصرفات ممثليها في الجزائر[3].

لهذا شرع بعض الجزائريين، اواخر القرن التاسع عشر في اصدار صحف تكون بمثابة، منبر لتبليغ آرائهم وافكارهم سلموا اداراتها لأشخاص فرنسيين حتى يتجنبوا القوانين واعتمدوا في اصدارها على مساعدة بعض المستشرقين، ذلك ان القوانين السارية في البلاد كانت تمنع، كل من لا يحمل الجنسية الفرنسية، ان يصدر صحيفة[4].

2- نماذج من الصحف الإصلاحية :

إن الصحافة هي ترجمان الأمم، وهي أعظم واسطة يبلغ نفعها مصادر الخدمة العمومية، ووظيفتها اكبر الوظائف، في الإسلام لأنها احكم الوسائل وأقوم السبل لتربية الشعوب وترقية الأمم ... وهي الباعثة

---

[1] – هو عمر راسم، بن علي بن سعيد، بن محمد البجائي، اصيل مدينة بجاية، حسب لنسبة الملصقة باسمه، وحسيب صنهاجة، لأنه كان يوقع اسمه بأبو منصور الصنهاجي، ولد يوم الثلاثاء 1884 م بمدينة الجزائر، للمزيد ينظر ابو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5**، ط 1، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1998 م، ص 283 .

[2]– زهير احدادن، **مرجع السابق**، ص: 29 .

[3] – عبد كريل، **المرجع السابق**، ص- ص: 223-225 .

[4]– الزبير سيف الاسلام، **تاريخ الصحافة في الجزائر –صحافة الجزائر في عهد الامبراطورية الفرنسية الثانية (1850–1870 م)**، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982 م، ص 25 .

في عقول الأحرار روح الفضيلة واليقظة، فهي الآلة المؤثرة، في النفوس بالترغيب والترهيب والأمر والنهي "[1]،ولهذا تعتبر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، من أكثر الجمعيات الثقافية والدينية الجزائرية شهرة، ذلك أن سمعتها في تاريخ الإصلاح والثقافة، تعددت الجزائر، لتشمل العالم كله ،وبهذا اصبحت جمعية العلماء، عند الكثير من لباحثين اكبر حركة اصلاحية، عرفتها الجزائر في تاريخها الحديث[2]، ومن بين صحف الجمعية:

أ– المنتقد: جريدة ذات بعد وطني، جاء في صفحتها الأولى تحت عنوان الصحيفة: "جريدة سياسية تهذيبية انتقاديه، شعارها الحق فوق كل أحد، والوطن قبل كل شئ تصدرها نخبة من الشبيبة الجزائرية" وهو تلخيص لسياسة الصحيفة التي ستتبعها، وهي أنها ستدافع عن الحق، وفيه إشارة إلى الدين الذي هو فوق كل احد، وأنها ستضع مصلحة الوطن قبل كل شئ، وفيه إشارة أنها ستواجه كل الطرقيين الذين حرفوا الدين، والإدارة الفرنسية التي احتلت واستغلت الوطن الجزائري.

صدر العدد الأول الذي صدر يوم الخميس 11 ذي الحجة 1343هـ الموافق لـ 2- جويلية1925م دخل الشيخ ابن باديس في العدد الأول بصحيفة المنتقد إلى عالم الصحافة حيث يقول في افتتاحية العدد الأول: " بسم الله ثم باسم الحق والوطن ندخل عالم الصحافة العظيم شاعرين بعظم المسؤولية التي نتحملها فيه مستهلين كل صعب في سبيل الغاية التي نحن إليها ساعون...".

كما أشار في نفس العدد أن الهدف الذي تسعى إليه الصحيفة هو "لم شعب الأمة الجزائرية وإحياء روح القومية في أبنائها وترغيبهم في العلم النافع والعمل المفيد حتى ينهضوا كافة لها حق الحياة والانتفاع في العالم وعليها واجب الخدمة والنفع للإنسانية."[3]

---

[1] – ابراهيم مياسي، **مقاربات في تاريخ الجزائر (1830 –1962 م)**، دار هومة الجزائر، 2007 م، ص: 246 .

[2] – نورالدين ابو لحية، **جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما**، ط1، دار علي، الجزائر، 2015 م، ص19 .

[3] – **المنتقد**، العدد1، 2جويلية، 1925.

فقد حملت حملة صادقة على البدع والخرافات و الضلالات والموبقات التي يرتكبها الكثير من مشائخ، ولكنها عطلت نظرا لخطورتها بقرار من الإدارة الفرنسية بعد صدور ثمانية عشر عددا فقط، وكانت جريدة أسبوعية وقد تلقاها الشباب وأصحاب الفكر العربي النيّر بالقبول . كانت متحررة وداعية للنهضة والوطنية بأسلوب واضح وحماسي، وعملت على أن تلفت للجزائريين المسلمين إلى حقيقة وضعيتهم بين الأمم، بأنهم أمة واحدة لها قوميتها، ولغتها، ودينها وتاريخها، ولا ينقصها شيء من مقومات الأمم[1].

ب– الشهاب: أسسها عبد الحميد بن باديس سنة 1925م، شعارها "تستطيع الظروف أن تلغينا ولا تستطيع بإذن الله إتلافنا"، وتعد الشهاب من أشهر مجلات المغرب العربي على وجه العموم، وفي الجزائر على وجه الخصوص. كانت تتناول الفكر الإسلامي في أصالته وعمقه، وتسعى ألى بعث الشعب الجزائري وتذكيره بماضيه الحافل، ولغته السامية ودينه الحنيف.[2]

كانت لهجتها غاية في الاتزان والليونة والدعوة بالحسنى، وقد شرح محررها الخطة والمنهاج الذي تسير عليه الشهاب في النقاط التالية:

1- نحن والسياسة: "ليس لنا في الوقت الحاضر عن السياسة إلا سياسة الديمقراطيين من أحرار فرنسا، تلك السياسة المنبثقة عن المبادئ الثلاث "الحرية واللأخوة والعدالة"...نحن نريد من فرنسا ولفرنسا العدالة في الأحكام، وفي أسباب التقدم الفكري والرقي الإجتماعي والعمراني...حتى تصبح الجزائر عضوا فاعلا لا فاشلا".

[1] – الزبير بن رحال، **الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية 1889م– 1940م**، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص: 55.

[2] – **المرجع نفسه**، ص: 56.

2- نحن والإصلاح الديني: "أنه لا سبيل إلا بالقرآن والسنة، وسير السلف الصحيح، وليست لنا غاية إلا تصحيح العقائد، وتهذيب الأخلاق، وتقويم الاعمال، وتنزيه الدين مما احدثه المحدثون...إننا نسعى إلى الإصلاح الديني في خصوص الأمة الجزائرية التي نحن منها دون غيرها من الأمم برجالها عنا"

3- نحن والزوايا: "لا نريد هدم الزوايا وإنما نريد إصلاحها، لا كلام لنا مع الأموات، وإنما كلامنا مع الأحياء، لا ننكر الولاية...إنما ننكر الغلو في تقدير أهلها، لا ننكر الكرامة، وإنما نتحر في توفر شروطها...، في الزاوية وفينا وفي غيرنا شيء من الفساد، غير أن الفساد إذا نشأ من الزوايا عم انتشاره، لما لها من كثرة الأتباع..."[1].

جـ- البصائر (1935- 1939)، (1947- 1956): جريدة أسبوعية كان مديرها ورئيس تحريرها الشيخ الطيب العقبي في السنتين الأوليين، وفي سنة 1937م، عين الشيخ مبارك الميلي مديرا ومحرار لها خلفا للشيخ العقبي، استمر صدورها إلى غاية أوت سنة 1939م، حيث قررت جمعية العلماء تعطيل صحفها، حتى لا تتعرض للضغوطات والمساومات من قبل الإدارة الاستعمارية، لتعود البصائر بعد الحرب العالمية الثانية للعمل برئاسة الشيخ البشر الإبراهيمي إلى غاية 1956م[2].

ومن الصحف الإصلاحية أيضا:

د- الإصلاح: صحيفة وطنية تأسست بمدينة بسكرة سنة 1827م، من قبل الأستاذ الشيخ الطيب العقبي، و لم يخرج عددها الأول إلى عالم النور في وقته بسبب الإجراءات البيروقراطية للإدارة الفرنسية بتونس التي رغم استيفاء الجريدة لكل شروط طبعها بتونس لانعدام المطابع بالجزائر إلاّ أن الإدارة الفرنسية توجست خيفة منها -و لم تمنح الإذن بطباعة العدد الثاني الذي لم يظهر إلاّ سنة 1929م، بعد أن

[1] - مفدي زكريا، **تاريخ الصحافة العربية في الجزائر**، وجمع وتحقيق أحمد حمدي، منشورات مؤسسة مفدي زكريا، ص، ص: 89، 90.
[2] - الزبير بن رحال، **المرجع السابق**، ص، ص: 59، 60.

أسس الشيخ الطيب العقبي مطبعة بدائية لاستئناف صدور جريدته، و جاء في أهداف الجريدة أي الاصلاح أنها " الإصلاح آلمة جامعة شاملة يندرج في مفهومها العمل لكل خير و خير أنواع الاصلاح ما وافق المعقول و المشروع، و أتى المصلح في البيوت من أبوابها ... و أهم آل مهم و أولاه بالتقديم مسألة العقائد و آلام على تصحيحها ...و سنخصص الفصول الطويلة و الأبواب الكثيرة لمحاربة البدع التي ألصقت بالدين."

أشاد بها الشيخ البشير الإبراهيمي في السجل بقوله :تأسست جريدة الإصلاح ببسكرة فكان اسمها أخف وقعا و إن كانت مقالاتها أسد مرمى و أشد لذعا.

هـ- جريدة البرق: جريدة أسبوعية صدرت بمدينة قسنطينة يوم 1927/3/7م، و هي صحفية اجتماعية أدبية انتقادية سياسية اقتصادية فكاهية شعارها :خدمة الوطن و المصلحة العامة و استثمار المال حرر فيها أصحاب الأقلام الكبيرة مثل الشيخ محمد السعيد الزاهري و الشيخ الطيب العقبي والشيخ مبارك الميلي .و الشيخ الأستاذ الأمين العمودي و غيرهم آانت تتبنى الانتقاد السياسي و تتناول المواضيع الاجتماعية و الاقتصادية و لذلك لم تتحملها الإدارة الاستعمار فأوقفته[1].

3- صحف إبراهيم بن عيسى حمدي أبو اليقظان:

أ- جريدة وادي ميزاب 1926- 1929: صدرت في الجزائر العاصمة في أول أكتوبر 1926م، وقد جاء في افتتاحية عددها الأول مايلي "جريدة وطنية إسلامية بإسم "وادي ميزاب"، تصدر مرة في كل جمعة في عاصمة الجزائر، وهي إن كانت لسان حال الأمة الميزابية، إلا أنها قبل كل شيء لسان حال الفكر الإسلامي عموما والجزائري خصوصا"[2].

---

[1] - عبد المجيد بن عدة، **أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه بعنوان "الخطاب النهضوي في الجزائر 1925- 1954م"، ج1**، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2004- 2005، ص، ص: 156، 157.

[2]- جريدة وادي ميزاب، العدد الأول، 01 أكتوبر 1926، ص: 01.

كما عرفت الجريدة باتجاهها الوطني الإصلاحي، حيث انتهجت الصراحة والوضوح في طرح ومعالجة المواضيع الاجتماعية والوطنية، حيث أعلن عن منهجها في إحدى افتتحياتها قائلا:"إن منهج الجريدة هو الصراحة والنزاهة، والصدق والإصدار بالحق وخدمة الصالح العام، لا يعرف إلا التدجيل، والمواربة والتملق، والكذب والنفاق سبيلا، فهي تجتهد قدر المستطاع في إحقاق الحق وإبطال الباطل بكل إقدام وشهامة..."[1].

اضطر أبو اليقظان إلى طبع جريدته بتونس من ماله الخاص، وذلك للصعوبات المالية والإدارية التي واجهها في الجزائر، أصدر خلالها 119 عددا، بالإضافة إلى محاولات التعطيل التي واجهها من طرف الإدارة الفرنسية، وذلك لعدم رضاها بما تنشره من مقالات في تلك الفترة [2]، كما اهتم كل من السيد "محمد الثميني"، والسيد "قاسم بن عيسى" على الإشراف على طبع الجريدة، وتصحيح موادها، وكذا إرسالها إلى الجزائر[3]، أما فيما يخص الإشراف والتوزيع فأسندت إلى السيد "تعمورت عيسى"[4].

وتعتبر امتداد للصحافة الإصلاحية، فإن الذي يميزها ويفردها عن بقي الصحف العربية الأخرى، هو ما تتفرد به من حرارة اللهجة في مخاطبة السلطة الاستعمارية الحاكمة، ومواقف ثابتة في مواجهة مظاهر الانحراف. الأمر الذي جعلها تفتح جبهات في وقت واحد.

---

[1] – محمد ناصر، **أبو اليقضان وجهاد الكلمة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزئر، ط2، 1983م، ص: 189.

[2]– سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، ج5**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998، ص: 264.

[3] – صادق بلحاج، **الصحافة العربية في الجزائر بين التيارين الإصلاحي والتقليدي 1919– 1939**، رسالة ماجستير في تاريخ الجزائر الثقافي والتربوي، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2012/2011، ص: 43.

[4] – عيسى بن يحي تعمورت (ت 26 جمادى الثانية 1403هـ/ 09 أفريل 1983م)، من مدينة القراراة من ميزاب تلقى العلم في مسقط رأسه، تتلمذ على يد الشيخ عمر بن يحي والشيخ أبي اليقظان، كما اختاره في إصداره جرائده الثمانية بداية من سنة 1927، كما كانت لهم مشاركات في الأمة وغيرها، بالإضافة إلى إصدار جريدة المغرب باسمه، وكذا جريدة البستان...للمزيد ينظر: محمد بن أحمد جهلان، **قضايا الإصلاح الاجتماعي في الأمة**، المرجع السابق، ص: 204.

عملت على فضح الانحراف الديني المتحجر في الجمود الفكري، والتعصب المذهبي.

سارت الجريدة ضمن خطة مرسومة بدقة وإحكام، مستوحاة من واقع الأمة الجزائرية في بداية نهضتها، فوجهت اهتماماتها الكلية إلى توجيه الجزائريين وتوعيتهم في جميع الميادين الحيوية، اجتماعا واقتصادا وسياسة وثقافة، وأشد ما كانت عنايتها ملحة وأكيدة هو بماء شخصية وطنية، والتشبث على مقومات، سواء كان ذلك في محيط القطر كجزائريين، أو في دائرة الوطن العربي الإسلامي، كعرب مسلمين. ففي الميدان السياسي هاجمت التجسس والاندماج وحكمها على المتجنس بالردة والكفر وتبيانها بصراحة لأن الذي يقبل بهذه السياسة هو خائن لدينه ووطنه. ونددت بالمتفرنسين الذين انجروا مغمورين بالحضارة الأوربية، واختاروها كبديل لحضارتهم وأصالتهم، وهو نوع من التجرد الوطني، وفي الميدان الاجتماعي قاومت العصبيات الضيقة عرقية كانت أو مذهبية، وبينت في كل مناسبة بأن مهمتها الكبرى هي التفرقة، ومعالجة إياها في العديد من المقالات، ومحاربة الآفات الإجتماعية من فسق، وخمر، وقمار وتسكع، وقاومت الأخلاق المنحرفة.

وفي الميدان الديني الدعوة إلى تحرير الأفكار من أوهام عصر الانحطاط، فحاربت التزمت والتعصب، وفي الميدان الثقافي ترغيب الجزائريين ليقبلوا على التعليم، وأن يجتهدوا في تنشأة أبناءهم تنشأة إسلامية صحيحة، فخصصت في هذا المجال قرابة خمسين مقالا، وحاربت الأمية، وبينت أضرارها على المجتمع.

– لم تنس من ناحية أخرى أن تبين عقم طرق التعليم العتيقة، وما في طرق التعليم الاستعمارية من تهتك وانحلال، فربطت الوطنية بالتعليم[1].

[1] – محمد ناصر، **أبو اليقضان وجهاد الكلمة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزئر، ط2، 1983م، ص–ص: 180- 187.

توقفت الجريدة بعد صدور قرار من وزارة الداخلية المؤرخ في 19 جانفي 1929، يأمر بتوقيف نشاط وادي ميزاب، بمنع طبعها وتوزيعها وبيعها، كما حمل القرار تعطيل كل ما يصدر من صحف تسير على خطاها، غير أن الدافع الحقيق لقرار المنع هو تلك المقالات التي مست الوجود الفرنسي، حيث رأت هذه الأخيرة تجاوزات لا يحق للأهالي القيام بها، لأن حرية الصحافة آنذاك كانت مقتصرة على المعمرين، في حين كانت الصحف العربية في الجزائر تخضع للمراقبة باعتبارها صحفا أجنبية[1].

ب- جريدة ميزاب:

بعد المراجعات والدراسات التي قامت بها الإدارة الفرنسية فيما يخص منع الكتابة الصحفية عن أبي اليقظان مدة سنة كاملة، سمحت له بعدها بمواصلة عمله الصحفي، ليقوم بعدها بإصدار جريدة جديدة بإسم "ميزاب"، حيث طبع العدد الأول منها في تونس، صدر في 05 جانفي 1935، حافلا بمواضيع قيمة، ولسوء حظها قام الولي العام "بورد" bord، بتوقيفها عن النشاط قبل أن تنتشر وتُعرف[2].

ج- جريدة المغرب:

صحيفة أسبوعية، صدر العدد الأول منها في 26 ماي 1930، ظهر 32 عددا، وطبع منها 26 عددا بالمطبعة الإرشادية بالجزائر العاصمة، أما ما تبقى من الأعداد فطُبعت بالمطبعة العربية التي أسسها أبو اليقظان في فيفري 1931.[3]، ونظرا للمتابعة والمراقبة التي كان يتعرض لها الشيخ أبو اليقظان من طرف الإدارة الفرنسية، وتخوفا من توقيف جريدته لجأ إلى إسناد إدارتها لزميله "تعمورت عيسى"، وقد اهتمت

[1]- صادق بلحاج، **المرجع السابق**، ص: 43.

[2]- محمد ناصر، **أبو اليقظان**....، **المرجع السابق**، ص: 199.

[3] - **نفسه**، ص: 201.

مواضيعها بالمجال الاقتصادي والقضايا الوطنية، إذ صادف صدورها فترة الاحتفالات المئوية، كما اهتمت بالقضايا السياسية العالمية[1].

لم تسلم جريدة المغرب من الواقع المرير الذي عاشته باقي الصحف العربية، فقد داهمت القوات الاستعمارية مقر المطبعة العربية بغرداية في السابع من مارس 1931م، ليأتي قرار التعطيل أسبوع بعد ذلك، وقامت بعمليات تفتيش دقيقة علها تجد أدلة تدين بها القائمين عليها، ثم جاء قرار التعطيل أسبوع بعد ذلك، وبالمناسبة يقوب اين باديس :"روعت الصحافة الإسلامية الجزائرية بنبأ تعطيل رصيفتنا " المغرب"، فكان الأسف عليها شديدا وكيف لا تُروع، والتعطيل إثر التعطيل، والمصرع إزاء الصرع؟ أم كيف لا نأسف والتنقيص ما برح، يعمل في عددها القليل؟، إننا لا نجهل للصحافة العربية دائرة إواء صراع؟ أم كيف لا نأسف والتنقيص ما برح يعمل في عددها القليل؟ إننا لا نجهل للصحافة العربية دائرة ضيقة لا يؤذن لها بمجاوزتها، ولكننا نرجو من الحكومة أن تكون أوسع صدرا وأكثر حلما، فإن تيار حرية الصحافة الفرنسية كثيرا ما يحمل أصحاب الصحف العربية فيخرجهم عن دائرتهم، وكل شيء يعدى حتى الحرية، وما دامت الحكومة تعرف من حسن النية فليس تسامحها بعجيب"[2].

د- جريدة النور:

طُبعت لأول مرة بالمطبعة العربية مدينة الجزائر في 17 سبتمبر 1930، صدرت في أربعة صفحات ذات توجه إصلاحي[3]، كما ورد في مقال أبي اليقظام:"...إن الغرض من إنشاء جريدة النور وإرسال أشعته إلى الدور والقصور، وهو تنوير الأذهان وتثقيف العقول وتهذيب النفوس وتعريف المسلمين للمسلمين، وإنعاش روح المؤمنين بانتعاش روح المخلصين الصادقين، وتقوية القلوب الضعيفة وتطهريها من الخور والجبن

[1] - **نفسه**، ص- ص: 203- 212.

[2] - الشهاب، ج4، مج7، أفريل 1931، ص: 01.

[3]- محمد ناصر، **جهاد الكلمة، المرجع السابق**، ص: 223.

باليأس والقطون، وملؤها بروح الأمل والرخاء، وتعميم الأخوة، والتنمية المحجبة الإنسانية الإسلامية بين المسلمين، والإشادة بذكر الفضيلة ودعوة الناس إليها، ومقاومة أثار الرذيلة وتحذير الناس منها"[1]، ونظرا للمراقبة الشديدة المفروضة على صحف أبي اليقظان من طرف الإدارة الاستعمارية أوكلت مهمة كتابة المقالات الافتتاحية للشيخ "عدون بن بلحاج شريفي"، الذي كان يوقع مقالاته باسم "سعيد" قصد التمويه وإبعاد أنظار الإدارة الاستعمارية[2]

لقيت هذه الجريدة نفس مصير الصحف اليقظانية بعد ظهور العدد 78 بتاريخ 02 فيفري 1933، وهو آخر عدد يصدر منها لعل سبب التوقيف راجع إلى المقالات التي كانت تهاجم السلطات المحلية والإدارة الفرنسية[3].

هـ- جريدة البستان:

جريدة أسبوعية فكاهية، انتقادية، صدر العدد الأول منها في 26 أفريل 1933، تحت امتيازات السيد "تعموت عيسى"، عالجت مواضيع اجتماعية إصلاحية وسياسية بأسلوب فكاهي وموجه صريح، مما كان ينذر بتعطيلها وعلى الرغم من كل الإجراءات التي اتخذها أبو اليقظان ليضمن سيرها، فإن ذلك لم يمنع السلطات الاستعمارية من إصدار قرار تعطيلها، بعد صدور العدد العاشر منها في 12 جويلية 1933[4].

[1] - بلحاج صادق، **المرجع السابق**، ص: 46

[2] - محمد ناصر، **جهاد الكلمة، المرجع السابق**، ص: 224.

[3] - صادق بلحاج، **المرجع السابق**، ص: 47.

[4] - محمد ناصر، **أبو اليقظان وجهاد الكلمة، المرجع السابق**، ص، ص: 235، 236.

و- جريدة النبراس:

جريدة أسبوعية تصدر كل يوم جمعة بالجزائر العاصمة، ذات اتجاه إصلاحي، تنوعت مواضيعها بين الاتجاه الإسلامي والبعد الاجتماعي، بالإضافة إلى اهتمامها بالقضايا السياسية والنشاطات الثقافية والتربوية، ناصرت الفكرة الإصلاحية في الجزائر وميزاب والجزائر والوطن العربي، صدر منها ستة أعداد فقط أخرها في 25 أوت 1933 بقرار من الإدارة الفرنسية[1].

ز- جريدة الأمة:

جريدة أسبوعية ظهرت في الثامن من سبتمبر من سنة 1933، وهي امتداد لجريدة "النبراس"، واجهت مضايقات عديدة من طرف الإدارة الفرنسية، مما أدى لإيقافها بعد نشاط مدة سنة، لتبرز من جديد بإصدار العدد الثاني في 25 سبتمبر 1934، لم تختلف عن سابقاتها من الصحف اليقظانية شكلا ومضمونا، أسلوبا وأفكارا، أصدرت 170 عدد، اهتمت بجميع الميادين الوطنية والدولية، وكل ما يهم الفرد العربي المسلم دينيا اجتماعيا ثقافيا واقتصاديا وسياسيا[2].

قامت الإدارة الفرنسية بتوقيف ومصادرة المجلة يوم 08 مارس 1938، كون الجريدة أصبحت المنبر للرئيسي لحزب الشعب الجزائري الممنوع في الجزائر، ومن ثم صدور قرار عن وزارة الداخلية بباريس في 14 ماي 1938 يمنع تداول وبيع وتوزيع وشراء ونشر الجريدة العربية "الأمة"، حيث شيعها ابن باديس قائلا :"جريدة الأمة خلف جرائد عده، كل استشهدت في سبيل واجبها، والأستاذ أبو اليقظان في كل مرة يتحمل من أضرار ماليو وأدبية، ويعود للجهاد، وقد عُطلت جريدة الأمة مثل أخواتها، فضمت وساما

[1]- **المرجع نفسه**، ص- ص: 247- 256.

[2]- محمد بن أحمد جهلان، **قضايا الإصلاح الاجتماعي في مقالات جريدة الأمة**، جمعية التراث، غرداية، ط1: 2013، ص: 65.

جديدا إلى صدر الأستاذ، ونحن ننتظر من همته أن يطلع على قراءه في أمد قريب، إنه من الظلم والاحتقار للصحافة العربية أن تبقى هكذا نحت سيف التعطيل دون سؤال ولا جواب"[1].

قامت السلطات الفرنسية بتوقيف نشاطها بعد إصدار العدد السادس منها في 02 أوت 1938 بحجة أنها نسخة جديدة من جريدة الأمة، وتعد آخر ما أصدر أبو اليقظان من جرائد، وختم نضالها الصحفي الوطني الذي دام 13 سنة[2]، بعد تعطيل تعطيلها أوردت البصائر خبرا بعنوان "الفرقان تلحق الأمة"، وجاء فيه:" لم يكد يجف مداد الإعلام في أسف عن تعطيل صحيفة الأمة للشيخ أبي اليقظان حتى وقع علينا نبأ تعطيل خليفتها صحيفة الفرقان، ونحن لا نقول إزاء هاته المعاملة كلمة غير الإعجاب بهمة الشيخ أبي اليقظان أمام كوارث التعطيل المتتالية"[3].

ح- جريدة الفرقان:

بعد صدور قرار تعطيل جريدة الأمة أصدر أبو اليقظان جريدة "الفرقان" في الخامس من جويلية 1938، كل يوم ثلاثاء بالمطبعة العربية، لم تختلف لا من حيث الشكل ولا المحتوى عن جرائد أبي اليقظان السابقة، فقد عالجت القضايا الاجتماعية والسياسية الوطنية والعالمية[4].

[1]- مجلة الشهاب، ج3، مج4، ماي 1938.

[2] - مفدي زكريا، **تاريخ الصحافة، المرجع السابق**، ص، ص: 165-166

[3]- البصائر، العدد: 129، السنة الثالثة، 1938، قسنطينة، ص: 03.

[4]-محمد ناصر، **أبو اليقظان وجهاد الكلمة، المرجع السابق**، ص: 287.

(خامسا)– الكشـــافـــة الميزابية:

من الوسائل الإصلاحية الهامة نجد الكشافة الإسلامية الميزابية، والتي ظهرت بعد التأثر بالكشافتين التونسية والفرنسية، حيث تأثر الميزابيون بالكشافة التونسية لما احتكوا بها بدار البعثة في تونس، أما الكشافة الفرنسية فشاهدوا نشاطها واستعراضاتها في الجزائر[1].

قام مشايخ الإصلاح بمبادرة الشيخ عدون الشريفي بتأسيس "جمعية كشافة الجنوب" سنة 1369هـ/ 1948م، بصفة رسمية إذ حصلت على الاعتماد من طرف السلطة الاستعمارية، حيث أنشأوا لها هيئة مسيرة من كبار طلبة معهد الحياة ومن بعض المتخرجين وبعض الأعيان، انخرط فيها في البداية ما يقارب 60 شابا، ثم توسعت فروعها وعددها مع الخمسينيات، حيث شمل نشاطها المشاركة في الأعياد والمسرح والاحتفالات والاستعراضات والمخيمات، وكثرت رحلاتها وجولاتها الاستكشافية مشيا على الأقدام في الصحاري المجاورة، وكذا تدريب الطلبة على مختلف الأعمال الفلاحية خاصة تسلق النخيل وتأبيرها، وقطع ثمارها، كما ساهمت بأدوار فعالة في المشاريع الخيرية التطوعية[2]، وبناء المساجد والمدارس والدور العشائر والسدود، حيث كانت تنظم لأعضاءها حملات تطوعية للمشاركة في إنجاز هذه المشاريع في أيام عطلهم[3].

تعتبر كشافة الجنوب أعرق مؤسسة عرفتها الحركة الإصلاحية الميزابية واعتنت بها جيدا وسخرت لها عقولها وصرفت أموالها في سبيل إعلاء صرحها وبلوغ مرامها، حيث اعتبرتها مصنع الإنسان النموذج

---

[11] – قويع عبد القادر، **الأنشودة الإصلاحية في وادي ميزاب 1920– 1970 الشكل والمحتوى**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج13، ع2، 2020، ص: 1187.

[2]– سعيد شريفي، **المصدر السابق**، ص، ص: 91، 92.

[3] – محمد علي دبوز، **النهضة...، ج3، المرجع السابق**، ص: 220.

الذي ارتضته الحركة الإصلاحية لتحمل أمانة الدين والوطن[1]. وكنماذج ومحتوى للنشاطات الثقافية نجد الأناشيد التي كانت تصدح بها الكشافة في الأوساط الشعبية في وادي ميزاب، منها[2]:

كشاف هيا * طلقا المحيا**

أدى إلى الهدى * رسالة الفدا**

بأيد صفرة * كرام بررة**

كشاف هيا * هيا يا كشاف...**

ومن الأناشيد أيضا:

نحن كشافة البلاد خير ركن للوطن

في طريق الحق نمشي لا نبالي بالمحن

شيمة الكشاف صدق وهو لا يرضى الهوان

مذهب الكشاف رفق قلبه رمز الحنان...

وأيضا كشافة الحياة صالح باجو مطلعها[3]:

كشافة الحياة قوموا يا أيها الأشبال

ثابر: مرموري، مطلعها:

---

[1] – قاسم الشيخ بلحاج، **معالم النهضة...**، **المرجع السابق**، ص: 546.

[2] – مصطفى رمضان، **المرجع السابق**، ص- ص: 119- 120.

[3]– قويع عبد القادر، **المرجع السابق**، ص: 1187.

ثابر في مناهج الكمال صابر فالعلا صعب المنال

إلى الوغى: علي معمر، مطلعها:

إلى الوغى تقدموا أيها الأشبال

ومن صور الاعتماد على الأناشيد الكشفية لمواجهة الحكم الاستعماري، وغرس الروح الوطنية والقيم الدينية الصحيحة والانتماء القومي في نفوس الشباب قيام الإمام محمد بن عمر بوحميدة بتكوين مجموعات صوتية من البنين والبنات، وقد استغل في إحدى مناسبات المولد النبوي الشريف وجود بعض من الفرنسيين على رأسهم الحاكم الفرنسي وحاشيته، فطلب الشيخ من المجموعة الصوتية إنشاد نشيد "شعب الجزائري مسلم" ونشيد "دمت يا بيضاء مادام الزمان"، "ياشباب أحمد لذو بالإله"، والقصد من ذلك هو كسر حاجز الخوف الذي كان ينتاب الناس[1].

هكذا لعبت الكشافة الميزابية دوار كبيرا في الحفاظ على هوية المنطقة في كل أشياءها، في روحها واتجهاها، وحديثها، وحفلاتها، وشعاراتها، هذه كلها بالعربية الفصحى، لرسوخ أهل الجنوب في العربية، وشيوع الثقافة العربية، واللغة الفصحى في شباب ميزاب[2].

(سادسا)– المسرح الميزابي:

1– المسرح الفرنسي في الجزائر:

لم يكن التمثيل المسرحي بالجديد على الجزائريين، بل كان عندهم نوع من المسرح يسمى الكركوز ولكن الفرنسيين ألغوه سنة 1841م بدل أن يطوروه ويهذبوه، ومن المعروف اهتمام الفرنسيين بالمسرح

[1] – جمال الدين بوحميدة، **صفحات من مآثر وجهاد الإمام محمد بن عمر بوحميدة**، تق: محمد مصطفى زرباني، مطبعة صواطي، غرداية، 2022، ص: 37.

[2] – علي دبوز، **النهضة...**، **ج3**، **المرجع السابق**، ص: 226.

بمختلف أنواعه، معتبرين إياه من لوازم حياتهم الاجتماعية، والتمثيل عندهم لا يقتصر على المدنيين بل كان العسكريون يمثلون أيضا، ولا يقتصر الأمر على الرجال وقد مثل بعضهم دور النساء، وفي كل مدينة احتلها الفرنسيون نصبوا خشبات المسرح ومثلوا عليها بأسلوبهم وبطريقتهم.

سايرت هذه الحركة المسرحية الفرنسية في الجزائر ما كانت تعرفه المدارس الأدبية والفنية في أوربا مثل الروماتيكية والواقعية وغيرها، لكن المواضيع التي كانت تتناولها هذه المسرحيات كانت متعلقة بالجزائر وقصصها وتاريخها في أغلب الأحيان، ولذلك كانت المسرحيات الأولى تحمل أسماء معروفة من الواقع الاجتماعي، مثل العربي، والبدوي، والبربري والميزابي، واليهودي، وسالم التومي، والكاهنة وغيرها. ثم أسماء نسائية تاريخية مثل: زفيرة وسوفونيزية، وعائشة، واليهودية، بالإضافة إلى أسماء محمد وقدور وابن عيسى. وكذلك موضوعات ألف ليلة وليلة[1].

استوحى الفرنسيون من التاريخ المحلي ومن الحوادث ما يؤثرون به على من يشاهد مسرحياتهم، وعرفت الفترة ما بين 1830- 1925 ما لا يقل عن 43 مسرحية، جمعت بين الدراما والكوميديا، ومن بين المسرحيات التي تبين مكر فرنسا في المساس بالرموز الجزائرية نذكر: مسرحية "عبد القادر في باريس" التي عرضت في باريس سنة 1842م، وقيل عنها من باب السخرية إنها مسرحية أكثر رشاقة من أسد وأكثر لطفا من جمل، ومن جهته قدم موقيرو"Moqirô" سنة 1830 مسرحية "أسير الداي" في باريس أيضا، وكانت للدعاية السياسية والدينية، الأمر الذي جعل الجمهور يبكي من المصير الذي ينتظر الأسرى النصارى على يد جلادي الداي في الجزائر، وتنتهي المسرحية بقتل أسير وابنته أمام الجمهور[2].

ومنذ العشرينيات من القرن تطور المسرح، ولم يعد مقصورا على المسارح البلدية، وإنما تنوعت ونشأت حفلات القالا (GALA)، المحببة للعسكريين والشباب التي توقفت مع الحرب العالمية الثانية،

[1]- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج5**، ص: 410.

[2] - **المرجع نفسه**، ص: 411

لتشهد سنة 1949م بداية أخرى للمسرح الجزائري الفرنسي، وذلك من خلال النجاح الذي حققته الفرقة الفرنسية الجزائرية في باريس وغيرها من المدن الفرنسية، كما ظهرت مسارح محلية متنوعة بالعاصمة منها: مسارح مايو Mayoux، ومسرح الجوهرة، والمسرح الإيطالي في شارع القناصل، والمسرح الإسباني في باب الواد وغيرها[1].

ومن الحفلات المسرحية التي تهدف إلى زرع الثقافة الغربية، يذكر سعد الله توجيه الدعوة إلى الجزائريين لحضور هذه المسرحيات، التي عرضت سنة 1858م، وقد جيء بشاب عربي في العشرينيات من عمره لتذويقه الحضارة الفرنسية، وكان مع دليله الفرنسي، ودارت المسرحية حول سيدة فرنسية تزوجت محبوبها بطريقة فردية دون الرجوع إلى أهلها، وأنجبت ولدا، ثم تخاصمت مع هذا الزوج، فتزوجت رجلا إنكليزيا، وجرى بينها وبين زوجها الأول حوارا طويلا، وقد فهم الشاب العربي أن الحوار سنتهي بقتلها، ولكنها لم تقتل، فخرج العربي غاضبا مما حدث، وهو متعجب من هذه العلاقات الزوجية المنحلة[2].

2- البدايات الأولى للمسرح الجزائري:

أما بالنسبة للمسرح الجزائري فيعود ميلاده إلى مرحلة العشرينيات من القرن العشرين، فرغم مكوث الفرنسيين حوالي قرن في الجزائر فإن الجزائريين لم يقلدوهم في هذا الميدان من أول عهدهم، نظرا لما كان يقدمه المسرح الفرنسي من فن خليع، عبارة عن قصص ماجنة من الزواج والطلاق والغراميات المصطنعة، أو موضوعات تتخذ الجزائريين للسخرية والاستهزاء وتشويه تاريخهم وحياتهم[3].

ولقد لاحظ أحمد توفيق المدني، سنة 1930م إهمال الجزائريين للتمثيل، وقال إن الجزائر قد تأتي بعد الجزيرة العربية في هذا المجال، وقال أيضا أن بعض الأجواق أو الفرق قد تألفت بالعاصمة ولكنها

[1] - **المرجع نفسه**، ج5، ص: 413.

[2] - **المرجع نفسه**، ص، ص: 412، 413.

[3] - **المرجع نفسه**، ص، ص: 416، 417.

سرعان ما اختفت بعد تمثيل مسرحية أو اثنتين، وقد أقر أن جوق مدينة الجزائر كان يمثل بعض المسرحيات خلال شهور رمضان من كل سنة، وهي روايات بالعامية مستخرجة من ألف ليلة وليلة أو مقتبسة من مسرحيات فرنسية، وقد لقي ذلك رواجا كبيرا، ويرى كذلك أن الشعب مستعد لدعم المسرح العربي الفصيح، وأن الوقت قد حان لجمع الشمل وإنشاء المسرح العربي الذي ستكون له رسالة خاصة، وهي الارتقاء بالأخلاق والآداب والذوق الاجتماعي وتعليم العربية[1].

ونظرا للصعوبة في تقديم العروض المسرحية باللغة العربية الفصحى، دعا الشيخ المدني إلى تهذيب العامية والصعود بها نحو الفصحى، ذلك لما رآه من نجاح الذي حققته العامية على حساب الفصحى، التي طغت على المسرح الحديث الذي كانت بدايته منذ 1926م حين وظف علي سلالي (علالو) ورشيد قسنطيني اللهجة العامية لأداء تمثيليات تاريخية ونقدية، وكان رشيد قسنطيني ت (1944م) موهوبا في فن الكوميديا، أم علالو فقد نسب إليه معظم النقاد ومؤرخي المسرح كتابة وتمثيل أول مسرحية سنة 1926م، وكان عمره إذاك حوالي 24 سنة[2].

لتعرف مرحلة الثلاثينيات إقبالا كبيرا للتمثيل باللغة العربية الفصحى، نتيجة تقدم الحركة الوطنية والاعتزاز باللغة، ولكثرة المدارس العربية التي أنشأتها جمعية العلماء المسلمين والتشجيع عليها. وقد كانت هذه المدارس تمثل مسرحيات باللغة الفصحى في المناسبات الدينية والاجتماعية والتاريخية، ومعظم مؤلفيها كانوا من المعلمين، أما الممثلون فهم تلاميذ المدارس، حيث مثبت ما بين 1937م و1939م خمس عشرة مسرحية بين مدرسية وغيرها، وكانت تعالج في معظمها موضوعات دينية وتاريخية واجتماعية وغيرها[3].

[1] -**المرجع نفسه، ج5**، ص، ص: 421، 422.

[2] - **المرجع نفسه**، ص، ص: 423، 424.

[3] - **المرجع نفسه**، ج5، ص: 427.

ولم يكن علماء ميزاب بمنعزل من معرفة أهمية المسرح في الإصلاح، وهو ما يلتمسه أي مطلع على نشاط الحركة الإصلاحية الميزابية، فقد اعتبروه أداة ضرورية للنهضة والإصلاح، حيث أن التمثيليات الهادفة تبني في ليلة واحدة ما تبنيه الوسائل الأخرى في مدة زمنية طويلة، لأنه مظهر من مظاهر التلاقي المباشر بين الممثل أو صاحب الفكرة والمتلقي من الجمهور دون وسيط، فقد ساعدت الحركة الإصلاحية على كسب الأنصار وكانت الوفود تتوافد من قرى وادي ميزاب قصد مشاهدة المسرحيات، رغم صعوبة التنقل وقلة الأمن[1].

لقد اتخذ علماء الإصلاح من المسرح آلية لإحياء الأمة، وذلك لما لها من أثر في توجيه الجمهور والارتقاء بمستواه الذهني والنفسي، وهو ما يؤكده الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض قائلا: "إنني ما رأيت مظهرا من مظاهر نهضتنا ومجلى من مجال أعمالنا أثر على دهاء العامة، واجتذابها بقوة وعنف إلى حضيرة الإصلاح مثلما فعل التمثيل بها، وأبان عن تأثير المدرسة في تثقيف العقول، وتقويم الألسنة وتهذيب الخلق وتربية الذوق الفني، وتنمية ملكة الابتكار والإبداء وتمرين النفس على التكيف بما شاءت، والتشرب بروح من هوت، وتقوية الذاكرة، والربط على القلب بشجاعة، حتى ليظهر الحدث في مظهر غير مألوف من مظاهر الرجال في الاتزان والاعتدال ومزاوجة الأقوال للأعمال، يضبط موقفه في القصة على طوله واختلاف أطواره كأنه حقيقة لا مثال".[2]

كما يصف لنا الشيخ تأدية التلاميذ لأدوارهم المسرحية قائلا: "...لا تطرفوا له عين ولا يندى له جبين، ولا ترتعد له جارحة، ولا تحتبس على لسانه كلمة في موقف خطير مخجل، حدقت فيه الأبصار، وأرهفت فيه الأذان، قد تنفجر فيه الصدور بالآهات والآنات، وتنطلق ألسنة بعبارات الشكر والعجب

[1] – محمد صالح ناصر، **الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض مصلحا وزعيما**، دار ناصر للنشر والتوزيع، غرداية، ط4: 2017، ص: 85.

[2] – **المرجع نفسه**، ص: 86.

والاستحسان، أو بالألفاظ السب والشتم والاستهجان بما يطير له لب الحليم، لكن أولئك كأن بينهم بين الناس سد ذي القرنين، قد فنوا فيما هم فيه، كأنهم غيرهم أو كأن الناس غير الناس، إلى غير ذلك ما نسمع الناس يتحدثون به ويعجبون له، ويشرحونه شرحا وافيا دقيقا يحار فيه الفنان".

وقد خلف التمثيل المسرحي في بداياته في ميزاب العديد من ردود الفعل بين مؤيد ومعارض، ومن بين المعارضين له نجد الشيخ أبو اليقظان الذي انتقده في كتاباته، على أنه تلهية للتلاميذ عن دراستهم، كما عارض اختلاط النساء بالرجال، بالإضافة إلى معارضته لباس الرجل للباس المرأة في تأدية الأدوار المسرحية التي تمثل شخصية نسوية.

غير أن الشيخ بيوض حاول توضيح ما للمسرح والتمثيل من أهمية للمنطقة، خاصة وقد فقدت فيها المسليات بين الناس، قد ألفوا المسارح والسينما، الأمر الذي أدى إلى إيصال الرسالة الإصلاحية عبر الأدوار التمثيلية، واختصار ما تحمله المقالات والخطب في إيصال الفكرة إلى العامة، لأنه المشاهدة ترسخ في الأذهان أكثر من سماع القراءة، كما يستشهد البيوض في ذلك بجماعة من ورقلة شهد بعضهم رواية الهجرة "ورواية بلال"[1]

خلاصة الفصل:

باعتبار المسجد النواة الأولى في المجتمع الإسلامي، فمنه خرجت الحركات الهادفة إلى المقاومة الشعبية، ومنه انطلقت الحركة الإصلاحية في وادي ميزاب: العطف، مليكة، بنورة، غرداية، متليلي، القرارة، وبريان، ومن هذه المساجد ظهرت الجمعيات الخيرية مثل: جمعية النور، جمعية الاستفامة، جمعية النهضة والإصلاح، وجمعية الحياة وغيرها، والتي أطرتها مدارس لها مناهج وبرامج كان من وراءها علماء كالشيخ بيوض، والشيخ الفيلالي والشيخ أبو اليقظان وغيرهم، وقد انعكس نشاط هاته الجمعيات في الكشافة

[1] – المرجع نفسه، ص: 87.

الإسلامية والصحافة العربية الإصلاحية التي كان لها صدى في الجزائر والوطن العربي كالمنتقد والشهاب والبصائر، والأمة ووادي ميزاب وغيرها، التي أعطت بعدا إصلاحيا وطنيا وعربيا.

وعليه اعتمد علماء الإصلاح في وادي ميزاب على هاته الوسائل والمؤسسات بغية تنفيذ وانجاح منهجهم في الدعوة والإصلاح، حيث سعوا من خلالها إلى وضع الضوابط قصد توجيه سلوك الفرد بما يحقق الفلسفة الإصلاحية في المجتمع، وذلك راجع إلى أن العمل المؤسساتي يمكن الكثير من فئات المجتمع أن يشاركوا ويساهموا في نشاطه، فهو الذي يوجد التلاحم بين الأفراد ويحقق التواصل بين الأجيال، ويضمن الاستمرار قدما في البناء والعمل على النهوض بالمجتمع حيث ركزوا على بناء المدارس وإنشاء الجمعيات الثقافية والنوادي الأدبية وكذا إنشاء الصحف العربية.

الفصل الرابع:

رواد النهضة الإصلاحية والوطنية وأسسهم الفكرية في وادي ميزاب

أولا: رواد النهضة الإصلاحية والوطنية في وادي ميزاب

ثانيا: الأسس الفكرية للنهضة الإصلاحية والوطنية في وادي ميزاب

1: التربية والتعليم

2: الوعظ والإرشاد الديني

تمهيد:

لقد كان الشغل الشاغل لعلماء الإصلاح في الجزائر بداية القرن العشرين هو النهوض بالمجتمع الجزائري والعمل على ترقيته وتكوينه، وذلك بتمكينه من قسط وافر من العلم والمعارف، ليتسنى له الخروج من دائر الخروج من الجهل والتخلف التي عاشها تحت وطأة الاستعمار الفرنسي الذي عمل على تهميش أعمدته التي يقوم عليها، من لغة ودين، زد على ذلك ضرب كل القيم الفكرية والأخلاقية التي يستمد منها أصوله ووجوده، انطلاقا من هذا بادر المشايخ أمثال الشيخ بيوض، الشيخ أبو اليقظان، والشيخ بن عمر بن محمد الساسي، الشيخ بوقلمونة، الشيخ الأخضر الدهمة وغيرهم، إلى إقامة دعائم النهضة الجزائرية المعاصرة، وذلك بالتأكيد على الجانب الروحي العقائدي بهدف تنقيته من الشوائب والأوهام والخرافات، وكذا تجاوز حالة التخلف والجهل والأمية التي كانت تهدد المجتمع الجزائري، وذلك بسبب السياسة الاستدمارية الهادف إلى محو أو اقصاء الإرث الثقافي الجزائري، بهدف دفن ذاكرتها وقطع جذورها، ولعل أبرز المحاور التي اهتم بها علماء وادي ميزاب تنحصر في البناء الروحي والفكري والعلمي، وهو ما سنتناوله في هذا الفصل.

(أولا)– رواد النهضة الإصلاحية والوطنية في وادي ميزاب:

إن علماء الحركة الإصلاحية في وادي ميزاب خلال القرن العشرين هم الطلبة الذين تلقوا فكرا إصلاحيا من مشايخهم الذين سبقوهم في الإعداد لها، كما بينا ذلك سابقا، وهم الذين قادوا صفوفها ونظروا أفكارها، كما صنعوا أحداثها ببناء مؤسساتها التجديدية، وذلك بتقاسم الأدوار والانسجام والتكامل والتعاون وكذا التشاور بينهم من أجل نشر معالم الإصلاح في المنطقة من مختلف جوانبه، من هنا سنقف على ترجمة أبرز هذه الشخصيات قبل التطرق إلى جهادهم ودورهم الإصلاحي في المنطقة.

1- الشيخ إبراهيم بن محمد أطفيش أبو إسحاق (1305هـ/ 1886م- ت 20 شعبان 1385/ 26 ديسمبر 1965م) [1]:

أحد علماء الجزائر ووادي ميزاب ويعتبر من رواد النهضة الإصلاحية المعاصرة، وُلد في بلدة بني يزقن في وادي ميزاب، حفظ القرآن الكريم في سن الحادي عشر من عمره، ثم انكب على مختلف العلوم العربية والشرعية، أخذ العلم بمسقط رأسه ببني يزقن عن جده قطب الأمة أطفيش، ثم توجه إلى العاصمة ليأخذ العلم عن الشيخ عبد القادر المجاوي، ثم سافر إلى تونس سنة 1917 ضمن بعثة علمية، حيث انخرط مع طلاب جامعة الزيتونة، كما كان عضوت بارزا في الحزب الحر الدستوري بزعامة الشيخ عبد العزيز الثعالبي في سنتي 1339/1338هـ- 1920/1919م، رفقة أبي اليقظان والشيخ الثميني، عُرف في الأوساط السياسيةوالثقافية في تونس بكره الشديد للاستعمار الفرنسي.

تم إبعاده من تونس من طرف الإدارة الفرنسية 1342هـ/ 1923، ليستقر بالقاهرة ويشتغل بالتأليف والتحقيق والطبع والفتوى، حيث كانت له علاقة مع الداعية محيي الدين الخطيب صاحب مجلة الفتح، والتحق سنة 1930 بدار الكتب المصرية كعضو مصحح، حيث شارك في تصحيح بعض النفائس الإسلامية مثل: تفسير القرطبي، ونهاية الأرب في أجزاءه الأخيرة.

ترك رصيدا علميا كبيرا أهمها: مجموعة مقالات نشرت أغلبها في مجلة المنهاج، الدعاية إلى سبيل المؤمنين، تأويل المتشابه، صلاة السفر، منهاج السلامة فيما عليه أهل الإستقامة، تاريخ الإباضية، الفنون الحربية في الكتاب والسنة، شرح الملاحن، كتاب النقض، مختصر الأصول والفقه للمدارس، عصمة الأنبياء والرسل، تحقيق العديد من أمهات الكتب وطبعها منها:

ثلاثة أجزاء من كتاب النيل، شامل الأصل والفرع للقطب، مسند الربيع بن حبيب في الحديث، الدعاية في سبيل المؤمنين، كتاب الملاحن، جامع أركان الإسلامي لسيف بن ناصر الخروصي، شرح عقيدة العزابة، تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان.

[1]- مجموعة من الباحثين، **معجم أعلام الإباضية، المرجع السابق، ج2**، ص: 24.

كان له إسهام فعال في الثورة العمانية، حيث كان عصوا في مكتب إمامة عمان بالقاهرة، كما كان ممثلا لقضية عمان في هيئة الأمم المتحدة[1].

2- الشيخ إبراهيم عيسى حمدي أبو اليقظان[2] (29 صفر 1306هـ/ نوفمبر 1888م- ت 26 صفر 1393هـ/ 30 مارس 1973)[3]:

هو حمدي أبو اليقظان إبراهيم بن عيسى، ولد بمدينة القرارة سنة 1306هـ/ 05 نوفمبر 1888، أخذ مبادئ العلم بالكتاب بمسقط رأسه تتلمذ على يد الشيخ عمر بن يحي المليكي، ثم عليد القطب الشيخ أطفيش بمدينة بني يزقن، في سنة 1912 سافر إلى تونس والتحق بالزيتونة ثم بالخلدونية، و ترأس أول بعثة علمية جزائرية ميزابية سنة 1332هـ/ 1914م ثم انتقل إلى جامع الزيتونة ودرس على يد علماءها منهم الشيخ الطاهر بن عاشور،،[4] ، شارك في الحياة الثقافية والسياسية بتونس مشاركة فعالة ما بين 1917-1925، ومع عشرينيات القرن العشرين أصبح عضوا في الحزب الدستوري، كما ترأس البعثة الميزابية الثانية من سنة 1335هـ/ 1917م إلى غاية 1345هـ/ 1925م[5].

يلقب بشيخ الصحافة الجزائرية، حيث أصدر ثماني جرائد وطنية إسلامية باللغة العربية ما بين سنة 1345هـ/ 1357- 1938/1926م، وهي كالتالي[6]:

---

[1] - محمد صالح ناصر، **مشايخي كما عرفتهم، المرجع السابق**، ص- ص: 13- 16.

[2]-ينظر الملحق رقم:27، ص:300.

[3]- **معجم أعلام الإباضية، مرجع سابق**، ج2، ص: 324.

[4] - أحمد محمد فرصوص، **أبو اليقظان كما عرفته**، دار البعث، قسنطينة، ص: 15.

[5] - أحمد فرصوص، **المصدر نفسه**، ص: 15.

[6]- مفدي زكريا، **تاريخ الصحافة العربية في الجزائر**، تح: أحمد حمدي، مؤسسة مفدي زكريا، الجزائر، 2003، ص: 166، و مقابلة مع السيد أحمد بكلي (ابن الشيخ المصلح عبد الرحمان بن عمر بكلي)، بمكتبة الشيخ بكلي، مدينة العطف، يوم 14 أوت 2022، من 9:00- 12:00 سا.

إسم الجريدة	بروزها	أعدادها	تعطيلها
وادي ميزاب	1926/01/01	119 عدد	1929/01/18
ميزاب	1930/01/25	01 عدد	-
المغرب	1930/05/29	38 عدد	1931/03/09
النور	1931/09/15	78 عدد	1933/05/02
البستان	1933/04/27	10 أعداد	1933/07/13
النبراس	1933/07/21	06 أعداد	1933/08/22
الأمة	1933/09/08	170 عدد	1938/06/06
الفرقان	1938/07/08	06 أعداد	1938/08/03

أوقفتها الإدارة الاستعمارية الواحدة تلوا الأخرى، كما يعتبر أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين، وانتخب عضوا في مجلسها الإداري سنة 1934 حيث كان نائب أمين المال فيها [1]، كما أسس سنة 1931 المطبعة العربية بمدينة الجزائر، حيث تعد من أوائل المطابع العربية بها، كما قدمت خدمات جلة للحركة الوطنية والثقافية ما بين 1931 حتى 1961، وعُين عضوا في حلقة العزابة حيث كان ينوب على الشيخ بيوض في دروس الوعظ بالمسجد الكبير، بالإضافة إلى تعيينه عضوا في جمعية الحياة الإصلاحية سنة 1937، وكان عضوا قياديا بإدارتها بأراءه ومواقفه[2]

[1]- شفيقة خنيفر، **تحديات الصحافة الدينية الإسلامية في الجزائر أثناء الاحتلال**، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد:31، ديسمبر 2007، ص: 412.

[2] - محمد ناصر، **مشايخي كما عرفتهم**، **المصدر السابق**، ص: 60.

نشر مقالات وبحوثا في جرائد ومجلات عربية مثل : "الفاروق"، "الإقدام، "المنتقد"، "الشهاب"، "البصائر"، "المنار" بالجزائر، و"المنير"، "الإرادة"، "الصواب" بتونس، و"المنهاج" بالقاهرة[1]

أصيب بالشلل النصفي سنة 1335هـ/ 1957م[2]، بعد أن تعرض إبنه عيسى إلى التعذيب والسجن[3]

أيضا ترك أعمالا علمية كثيرة وثرية تقترب من ستين عنوانا منها: سلم الاستقامة، سليمان باشا الباروني، ديوان أبي اليقظان، ملحق سير الشماخي[4]، فتح نوافذ القرآن، إرشاد الحائرين، سبيل المؤمن البصير إلى ربه، تاريخ صحف أبي اليقظان، الإباضية في شمال إفريقيا مخطوط، نشأتي مخطوط[5]

3- الشيخ الطالب علي بن ديبة (1310هـ/1892م-رجب 1407هـ/1987):

هو أبو الطيب علي بن مبارك بن امحمد بن ديبة من عرش أولاد عبد القادر فرقة أولاد حميش ، ولد بالقصر القديم بمتليلي، حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ محمد بن عبد الرحمن بالمسجد العتيق، ثم انتقل إلى مدرسة الشيخ محمد عبد الله السوسي بمتليلي،وفي سنة 1910 انتقل إلى حلقة الشيخ أحمد بوكادي حيث تعلم الفقه المالكي، وبعد سنة انتقل إلى ضاية بن ضحوة قصد التعليم حيث مكث إلى غاية بداية العشرينيات ،ثم عاد إلى متليلي ليفرغ للتعليم والوعظ و الإرشاد في مقام سيدي سليمان[6].

---

[1] – محمد ناصر، **مشايخي كما عرفتهم، المصدر السابق**، ص: 61.

[2]– محمد بن أحمد جهلان، **قضايا الإصلاح الاجتماعي في مقالات جريدة الأمة لأبي اليقظان 1934– 1938**، جمعية التراث، ط1، 2013، ص: 60.

[3] – محمد ناصر، **مشايخي كما عرفتهم، المصدر السابق**، ص: 61.

[4]– محمد بن أحمد جهلان، **قضايا الإصلاح الاجتماعي في مقالات جريدة الأمة لأبي اليقظان 1934– 1938**، جمعية التراث، ط1، 2013، ص: 60.

[5] – محمد ناصر، **مشايخي كما عرفتهم، المصدر السابق**، ص: 62.

[6]– مقابلة مع الأستاذ علي بن ديبة حفيد الشيخ علي بن ديبة، مهتم بتاريخ المنطقة ،له أعمال علمية حول الشيخ علي بن ديبة، متليلي، غرداية، 2023/06/16 ، 22:15 – 23:10 .

قام الشيخ بشراء غابة سنة 1930م حيث قام ببناء مدرسة قرآنية بها بمساعدة الطالب اسماعيل بكار الشريف، حيث كان التدريس بها من الفترة الصباحية إلى المساء، وفي بعض الأحيان يداوم التدريس بها من المغرب إلى العشاء،كما كان ذا مكانة كبيرة وسط المجتمع بمتليلي هذا ما ساعده لنشر فكر الإصلاح والتعليم بالمنطقة، توفي يوم الخميس 19 مارس 1987م ودفن في مقبرة مولاي سليمان بمتليلي[1].

4- الشيخ الحاج محمد بن يحي لكعص (1313هـ/1896م- ذو القعدة 1400هـ/1980)[2]:

من علماء وأئمة المالكية في القرارة، نشأ وترعرع في بيت قرآني أدخله والده محضرة الشيخ المصلح الطالب "سعيد المغربي" حيث تلقى عليه القرآن الكريم، فستظهره وكان أحد رموزه، كما تلقى عليه مبادئ الفقه المالكي، والأحاديث النبوية الشريفة، وكذا بعض المتون وعلم الفرائض وغيرها مما كان متاحا في زمانه[3].

لازم شيخه في تحفيظ الطلبة إلى حين وفاته، حيث خلفه بعد ذلك إلى أن بادر بفتح مدرسة بحي حمالة الشرفاء في مستهل العقد الثالث من القرن العشرين، حيث تعلم وتخرج على يده العديد من الطلبة، كما كان يشغل المناسبات الدينية والاجتماعية قصد الوعظ والإرشاد والتوجيه[4].

كما بادر بنسخ العديد من أمهات الكتب التي كانت تصله من المشرق، واعتبر مرجعا للفتوى وكاتبا لعقود الزواج والبيع والوصاية. توفي يوم الأحد 28 سبتمبر 1980 ودفن في موكب جنائزي مهيب بمقبرة "سيدي الشيخ عبد القادر" بالقرارة، كما أطلق إسمه على إحدى مدارس القرارة عام 1987[5].

---

[1]-**المرجع نفسه**

[2] -ينظر الملحق رقم:25،ص:298.

[3] -حماني أحمد التجاني، **ومضات من تاريخ القرارة**، المرجع السابق، ص: 226.

[4] -**المرجع نفسه**، ص: 227.

[5] -مقابلة مع الشيخ الأخضر الدهمة، يوم 2022/08/13، الساعة: 9:00- 12:00، المكتبة العلمية، متليلي، غرداية.

5- الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض[1] (11 ذي الحجة 1313هـ/ 21 أفريل 1899م- ت 08 ربيع الأول 1401هـ/ 14 جانفي 1981م): [2]

ولد يوم 11 ذي الحجة 1313هـ/ 21 أفريل 1899م- ت 08 ربيع الأول 1401هـ/ 14 جانفي 1981م) بمدينة القرارة في وادي كيزاب جنوب الجزائر، كان والده من أعيان الإصلاح في البلد، درس المدرسة القرآنية في سن مبكرة حيث استظهر القرآن الكريم سنة 1911م وعمره 12 سنة، وانظم إلى حلقة "إروان"، أخذ مبادئ الفقه واللغة العربية عن مشايخه الحاج إبراهيم الإبريكي، أبو العلا عبد الله بن براهيم، والشيخي الحاج عمر بن يحي، حيث كان محظيا عند شيخه الحاج عمر فلازمه باعتباره رأس النهض الإضلاحية في المنطقة فكان يخدمه ويحضر جلسات أعيان البلدة عنده، فكان ذلك المدرسة الاجتماعية التي تكون فيها، وقد نبغ في اللغة والفقه فناب شيخه في تدريس البلاغة والمنطق خاصة في بحث رحلاته العلمية إلى ورقلة، جُند غصبا للخدمة الإجبارية بعد الحرب العالمية الأولى، كما كان من أبرز المحتجين على التجنيد الإجباري في المنطقة حتى استصدروا قانونا جديدا بإلغاء الحكم والتجنيد العسكري على وادي ميزاب، ومع سنة 1340هـ/ 1921م خلف شيخه عمر بن يحي في قيادة الحركة العلمية والوعظ والإرشاد، كما دخل معترك العمل الاجتماعي والدعوي والتربوي ومع سنة 1359هـ/ 1940 عين شيخا لحلقة العزابة في القرارة[3].

انضم سنة 1921 كعضو في حلقة العزابة التي تعتبر الهيئة العليا بالمسجد والمشرفة على الشؤون الدينية والاجتماعية في المنطقة، كما عُين شيخا للتدريس والوعظ بالمسجد، ومع سنة 1931 انتخب رئيسا لمجلس العزابة، أسس معهد لحياة للتعليم الثانوي سنة 18 شوال 1343هـ/ 21 ماي 1925م، مركزا على الثقافة الإسلامية والعربية والعلوم المعاصرة وسماه "معهد الشباب" الذي كان شعاره ينادى بالعمل بالإصلاحي والوطني "**الدين والخلق قبل الثقافة، ومصلحة الوطن**

[1]- ينظر الملحق رقم:29،ص:302.

[2] - مجموعة من الباحثين، **معجم أعلام الإباضية، ج2، المرجع السابق**، ص20.

[3]- مجموعة من الباحثين، **معجم الأعلام، المرجع نفسه، ج2**، ص: 20.

قبل مصلحة الفرد"، وفي سنة 1931 افتتح درس الحديث من "فتح باري شرح صحيح البخاري"، واختتمه بحفل علمي سنة 1945[1].

ومع سنة 1650هـ/ 1931 شارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كما ساهم في صياغة قانونها الأساسي وانتخب عضوا في إدارتها الأولى كما أسندت إليه نيابة أمين مالها، وبعد سته سنوات أسس جمعية الحياة بالقرارة المشرفة على نشاطه العلمي والاجتماعي، حكمت عليه الإدارة الفرنسية بالإقامة الجبرية داخل القرارة مدة أربع سنوات،كما أسس سنة 1937 جمعية الحياة بالقرارة رائدة النهضة العلمية الإصلاحية في وادي ميزاب[2].

كانت له مشاركة فعالة بمقالات إصلاحية ووطنية في الصحافة الوطنية والتي كانت تنادي إلى الدعوة الوطنية والتمسك بالمقومات الشخصية، واستنفاظ عام من أجل مستقبل أفضل في إطار الدين الإسلامي، واللغة العربية لغة القرآن، كما كانت له اهتمامات بأحداث العالم الإسلامي والعربي[3].

في سنة 1940 حُكم عليه بالإقامة الجبرية في القرارة مدة أربع سنوات، مستغلا ذلك في نشر الوعي السياسي الوطني والإصلاحي، كما دخل معترك الحياة السياسية والنضالية بعد خروجه من الإقامة الجبرية، وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية طالب بإلحاق الصحراء بالجزائر مناهضا بذلك الدستور الذي منحته السلطات الفرنسية للجزائر قبل 1947، وفي سنة 1948 كان من بين الممضيين على برقيات ورسائل التأييد باسم اللجنة الجزائرية الفلسطينية لقضية فلسطين في الجامعة العربية، كما كان عضوا في لجنة "إغاثة فلسطين".

---

[1] – مسعود قلوسي، **الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض وتفسيره في رحاب القرآن**، الملتقى الأول لفكر الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض 2000/04/14، المطبعة العربية، غرداية، ص:273

[2] – مسعود قلوسي، **المرجع نفسه**، ص: 273

[3]– مقابلة شفوية مع الشيخ صالح بن باحمد حدبون (كاتب الشيخ بيوض وخادمه)، في غرداية، المقر المنزل الشخصي، يوم 16 أوت 2022، من 10:00- 13:00، سا.

ومع سنة 1368هـ/ 1948م دخل معترك الحياة السياسية بعد الحرب العالمية الثانية، فطالب لإلحاق الصحراء بالجزائر، كما انتخب يوم 11 جمادى الثانية 1367هـ/ 20 أفريل 1948 ممثلا لوادي ميزاب في المجلس الجزائري، كما أعيد انتخابه سنة 1371هـ/ 1951م لعهدة ثانية، كما كان منذ سنة 1374هـ/ 1954م إلى استقلال الجزائر محور النشاط الثوري بميزاب، كما كان على اتصال وقيق بالمراسلات السرية مع قيادات جبهة التحرير الوطني والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائري بالمهجر، كما عارض مؤامرة فصل الصحراء عن الجزائر. كما عين عضوا في اللجنة التنفيذية بعد الاستقلال وأسندت إليه مهمة الشؤون الثقافية [1]

وفي سنة 1383هـ/ 1963م انتخب رئيسا لمجلس عمي سعيد في وادي ميزاب إلى يوم وفاته،خلف الشيخ البيوض رصيدا علميا غزيرا، تنوع بين الأشرطة المسجلة بدروس ثرية متنوعة، مقالات في مختلف الجرائد والمجلات، مذكراته الخاصة، وتفسير مسجل لأكثر من نصف القرآن ومئات من الأشرطة للدروس القيمة لمناسبات الدينية واجتماعية وسياسية، وفتاوى على أسئلة فقهية وعلمية. ومن ثمار جهاده الإصلاحي أجيال من الرجال على قوله :"شُغلت عن تأليف الكتب بتأليف الرجال"، توفي مساء يوم الأربعاء 08 ربيع الأول 1401هـ/ الموافق 14 جانفي 1981 عن عمر يناهز 83 سنة، شُيع جثمانه في موكب حاشد بحضرة نخبة من مسؤولي الدولة، وذلك صبيحة يوم الجمعة 16 جانفي 1981، وقال عنه الرئيس السابق شادلي بن جديد سنة 1980 :"أما مآثر الشيخ بيوض فكثيرة وجهوده في سبيل الدين والوطن جديرة بكل تقدير..."[2].

[1] – محمد ناصر، **مشايخي كما عرفتهم، المصدر السابق**، ص: 116.

[2] – صالح بن باحمد حدبون، **حياة مع القرآن**، مر: جابر بن صالح حدبون، جمعية التراث، غرداية، ط1: 2020، ص-ص: 161- 165.

6- الشيخ عبد الرحمان بكلي الملقب بالبكري (..1319هـ/03 أكتوبر 1901م- ت 03جمادى الأولى 1406هـ/ 13 جانفي 1986) [1]:

من علماء وادي ميزاب وأحد رواد النهضة الإصلاحية المعاصرة، ولد سنة 1901 بمدينة العطف في وادي ميزاب، لقب بالبكري نسبة إلى أبي بكر الصديق الذي ينهي نسبه إليه، تعلم القرآن ومبادئ التوحيد بمحضرة المسجد العتيق بمسقط رأسه ، والتحق بالمدرسة الفرنسية، دخل حلقة "إروان" وعمره عشرون سنة، طور معارفه الدينية والعربية على يد عمه الشيخ عمر بكلي والشيخ يوسف بن بكير حمو علي[2] ، كما انتقل إلى الجزائر العاصمة لتعلم اللغة الفرنسية، درس عند الشيخ الأزهري، التحق بالبعثة العلمية الميزابية في تونس سنة 1341هـ/ 1922م، درس بجامع الزيتونة، كما التحق بالمدرسة الخلدونية للعلوم العصرية، وما بين 1923 حتى 1929 تبلورت أراءه السياسية في الندوات التي يعقدها طلائع حسب الدستور، وكان من بين الحاضرين للجلسة التأسيسية لجمعية العلماء المسلمين، كما عين عضوا في لجنة صياغة قانونها الأساسي، ومع سنة 1353هـ/ 1934م عين عضوا في حلقة العزابة بالعطف، وله العديد من المقالات بجرائد أبي اليقظان، في عام 1358هـ/ 1939م تفرغ للتعليم بمدينة بريان، كما عين واعضا ومرشدا في مجلسها ثم رئيسا لحلقة العزابة، شارك في تأسيس جمعية النهضة سنة 1362هـ/1945م، وعين رئيسا لها[3]، كما بادر بتأسيس جمعية الفتح ببريان للإشراف الحركة العلمية بها[4]، وشارك في الثورة التحريرية وألقي عليه القبض سنة 1957، وبعد إطلاق صراحه واصل نشاطه حتى الإستقلال، وفي سنة 1386هـ/ 1966م عين عضوا بالمجلس الإسلامي الأعلى، وفي لجنة الإفتاء التابعة لها، كما خلف الشيخ بيوض في تولية مجلس عمي سعيد، وقد ترك الكثير من الأعمال العلمية منها: فتاوى البكري، جمهرة

---

[1]- مجموعة من الباحثين، **معجم أعلام الإباضية، المرجع السابق، ج2**، ص: 250.

[2] - محمد ناصر، **مشايخي كما عرفتهم، المصدر السابق**، ص: 243.

[3] - **المرجع نفسه**، ص : 243.

[4]- محمد ناصر، **الشيخ عبد الرحمان بكلي شاعر الإصلاح**، مجلة الحياة، العدد: 09، 1426هـ/ 2005م، جمعية التراث، غرداية، ص: 209.

خطب البكري، جمهرة رسائل البكري، مسيرة الإصلاح في جيل، حقق كتاب النيل للشيخ عبد العزيز الثميني، وكتاب قواعد الإسلام للشيخ إسماعيل الجيطالي.

تخرج على يده العديد من الطلبة الذين خلفوه في العمل الإصلاحي والتربوي، كما ترك مكتبة ثرية بالكتب والمخطوطات بمدينة العطف[1].

7-الشيخ عدون بن الحاج شريفي (1319/ 1902- ت 19 رمضان 1425هـ/ 02 نوفمبر 2004):

من رواد النهضة الإصلاحية المعاصرة في وادي ميزاب، ولد في بلدة القرارة، دخل الكتاب بمسقط رأسه، التحق بالمدرسة الرسمية بسريانة، عاد إلى القرارة سنة 1915 ليتلقى تعليمه الأول على يد الشيخ محمد الطرابلسي، لينقطع بعدها عن الدراسة مدة أربع سنوات ليستظهر القرآن الكريم، سافر إلى باتنة للعمل في التجارة، عاد إلى حلقات العلم سنة 1339هـ/ 1920م، انضم إلى حلقة إروان، ودخل إلى معهد الشيخ الحاج عمر بن يحي، حيث تعرف على الشيخ إبراهيم البيوض ولازمه في حركته العلمية والإصلاحية منذ بدايتها، حيث كان عضده الأيمن، وفي سنة 1923 بادر مع زوملاءه إلى وضع خطة جديدة لتطوير التعليم في القرارة، أصبح عضوا بارز في إدارة المعهد سنة 1921، وفي سنة 1925 كان أول مدير لمعهد الشباب النظامي في القرارة، كما شارك في تسيير جرائد الشيخ أبي اليقظان، كما كان يغطي بقلمه تلك الجرائد بإمضاء إسم سعيد منذ 1930 إلى غاية 1939، تفرغ للإشراف على الحركة التعليمية في القرارة

كما تولى مهمة إدارة معهد الحياة من سنة 1368هـ/ 1948م[2].

[1]- قاسم بن أحمد الشيخ بلحاج، **معالم النهضة، المرجع السابق**، ص: 217.

[2]- أحمد حماني، **ومضات...، المرجع السابق**، ص: 241.

ومع سنة 1356هـ/ 1937م تولي مهمة تفتيش المدارس القرآنية، تولى رئاسة مجلس عمي السعيد بعد وفاة الشيخ عبد الرحمان بكلي 1406هـ/ 1986م[1]، وشارك في تأسيس جمعية الحياة التي تعتبر أم للحركة الثقافية والتعليمية بالقرارة وهي التي أنشأت الجمعيات الأدبية والكشفية والرياضية والتي كانت تعمل كلها تحت إشرافه وتوجيهاته، وكان مشرفا على مجلة معهد الشباب التي نبغ فيها الأدباء والفقهاء والشعراء، وفي سنة 1943 التحق بحلقة العزابة وأصبح رئيسا لها بعد وفاة الشيخ بيوض، كما شارك في تأسيس جمعية قدماء التلاميذ سنة 1948،[2]

تخرج على يده الألاف من الطلبة والشباب، ترك تراثا مهما من الرسائل التي تعد وثائق تاريخية على الحياة العامة في وادي ميزاب[3]. توفي يوم الثلاثاء 19 رمضان 1425هـ/ الموافق لـ 02 نوفمبر 2004. [4]

8- الشيخ صالح بن قاسم بن عيسى بابكر (1322هـ/ 1904- ت 1395هـ/ 21 مارس 1976):

من زعماء الحركة الإصلاحية الحديثة بوادي ميزاب، ولد بمدينة غرداية، وهو إبن قاسم بن الحاج عيسى ولالاة بنت عمر بن سليمان، من عرش ولاد الحاج مسعود[5]، تلقى دراسته الأولى بمسقط رأسه وفي سن الرابعة عشر سنة سافر إلى تونس ضمن البعثة العلمية الميزابية الأولى سنة 1917 التي كان يترأسها الشيخ أبو اليقظان فكان من أقدم أفراد البعثة، تحصل على شهادة الفخر

[1]- مصطفى بن صالح باجو، **الشيخ سعيد بن الحاج شريفي في الخالدين**، مجلة الحياة، العد: 10، 1427هـ/ 2006م، ص: 250.

[2] - محمد ناصر، **مشايخي كما عرفتهم، المصدر السابق**، ص: 301.

[3]- محمد بن صالح ناصر بوحجام، **من رسائل الشيخ عدون إلى الشيخ أبي اليقظان**، مجلة الحياة، العدد: 09، 1426هـ/ 2005، ص: 118.

[4] - محمد ناصر، **مشايخي كما عرفتهم، المصدر السابق**، ص: 302.

[5] - ANOM, 3f/ 141, communauté mozabite, certificat de bonnes vie et meurs. Annexe de ghardaia

بمدرسة السلام وهي مدرسة قرآنية علمية حرة سنة 1921م[1]، وبعد عودته إلى غرداية استطاع مع رفاقه انشاء جمعية الإصلاح الخيرية، حيث كان أول رئيس لها، قام بتأسيس مدرسة الإصلاح الابتدائية سنة 1346هـ/1928م، وضل مديرا لها قرابة خمسين سنة إلى يوم وفاته[2].

تحصل على الجنسية الفرنسية يوم 14 جوان 1932م[3]،

بادر سنة 1370هـ/1950م بإنشاء أول مدرسة للبنات بمدينة غرداية، كما سخر كل ثروته التجارية لخدمة المجتمع ونصرة الحركة الإصلاحية بالمنطقة، ألقي عليه القبض وزج به في السجن سنة 1932 وذلك لدوره الفعال في الحركة الوطنية عبر مراحبها المختلفة، إذ كان ضمن أعضاء اللجنة الثورية بوادي ميزاب سنة 1956، وذلك قبل تكوين المجالس المدنية لجبهة التحرير الوطني، وقبل توحيد المجالس الثلاثة للجيوش: الزيان، الحواس، ابن قهيوة، وبعد توحيدها صار عضوا في المنظمة المدنية بغرداية، وقد ألقي عليه القبض للمرة الثانية سنة 1957 مع زميله ناصري علي بن عومر، حيث سجن في سجن الأغواط ستة أشهر وبعد خروجهما واصل نضالهما السياسي إلى غاية الاستقلال[4]

9- الشيخ بوقلمونة محمد بن آمحمد (1328هـ/1910م- ت 1429هـ/2008م):

رائد من رواد النهضة الإصلاحية المدافعين عن القيم الإسلامية بوادي ميزاب، من مواليد مدينة متليلي ترعرع في أسرة محافظة عرفت بالوعي والحكمة وحب الخير والوطن، تلقى تعليمه القرآني على يد والده الشيخ آمحمد بن عبد القادر، وتلقى الفقه الإسلامي وعلوم الدين على يد مشايخه الأجلاء: الحاج قويدر محمد بن عبد القادر، والشيخ آمحمد بن عبد العالي بمساجد متليلي، ثم انتقل إلى القرارة ليواصل تعلمه على يد الشيخ المصلح "محمد الطاهر شوشان"، ثم عاد بعدها إلى مدينة غرداية لينظم إلى حلقات الشيخ المصلح الأخضر الفيلالي، وبعد نفي الشيخ وإغلاق مدرسته اعتمد

[1]- ينظر الملحق رقم:15، ص:286.

[2]- مجموعة باحثين، **معجم أعلام الإباضية، ج2، المرجع السابق**، ص: 231.

[3]- ينظر الملحق رقم:16، ص:287.

[4]- مجموعة باحثين، **معجم أعلام الإباضية، ج2، المرجع السابق**، ص: 232.

على نفسه بحثا عن العلم والجلوس في حلقات العلم أينما وجدها، هذا ما مكنه من التوسع في شتى المعارف والتعرف على كثير من علماء المنطقة[1].

بعد تمكنه وحصوله على نصيب علمي ومعرفي عاد إلى بلدية متليلي الشعانبة ليتفرغ إلى الدعوى وتنوير العقول، ونشر الوعي الديني والوطني والخلقي في أوساط المجتمع وذلك بمسجد سيدي الزغيم بمتليلي.

في سنة 1949 استلم إمامة مسجد سيدي الزيغر العامر، حيث نظم حلقات العلم وتحفيظ القرآن.....، وكذا عقد الزواج وإصلاح ذات البين، ونشر الحس الوطني في أوساط الشباب، حيث إنظم إلى مجلس أعيان البلوة، ضمن المجلس البلدي قصد تغطية نشاطه الوطني، ومع اندلا ع الثورة باشر إلى الدعوة لها[2].

وبعد الاستقلال نصب على رأس بلدية متليلي نظرا لجهاده وإخلاصه وكفاءته، وفي 1966 عين ناظرا للشؤون الدينية والأوقاف لدائرة غرداية تحت ولاية الواحات، توفي سنة 2008. [3]

10- الشيخ باسليمان إبراهيم المنور (1320هـ/1912م- ت محرم 1377هـ/1957م):

ولد بمدينة بريان وتعلم القرآن الكريم والفقه الإباضي بالكتاب، كما كان من البارعين في الكتابة، الأمر الذي جعله يتقن كتابة الشكاوى والعرائض حيث كان يتعرض لمضايقات من قبل الإستعمار الفرنسي.

كان من مناصري ومشجعي وكذا المدافعين عن مدرسة الفتح الإصلاحية أما الإدارة الفرنسية التي كانت تعارض وتمنع فتح المدارس الحرة وتقمع المدرسين والمعلمين بكل الطرق والوسائل ولم يكن الشيخ من المدافعين عن التعليم فحسب بل كان من أنصار تعليم الفتاة في المنطقة، كما تصدى ودافع عن هذا المشروع أما الإدارة وأما المجتمع المحافظ الذي كان يرفض تعليم البنت ويعتبره

[1] -إبراهيم أولاد الطاهر، **رجال وأعلام، المرجع السابق**، ص: 136.

[2] -المرجع نفسه، ص: 136.

[3] -مقابلة مع الشيخ إبراهيم أولاد الطاهر، منزله، بريان، غرداية، اليوم: 15 أوت 2022، من الساعة 18:00- 20:00.

محرما ومساسا بالمجتمع وقيمه، من هنا بادر بإدخال ابنته إلى المدرسة حيث كانت أول بنت في مدينة بريان تدخل المدرسة وتتعلم مع الذكور[1].

لم يتوقف الشيخ عند هذا التحدي فقط بل بادر إلى محاربة الجهل والتخلف والشعوذة والتنصير ضف إلى ذلك قام بتوسيع ميدان عمله في الحركات الوطنية وجمعيات العلماء المسلمين الجزائريين وكذا الأحزاب المحلية التي كانت تنشط في المنطقة، حيث يقول الشيخ عبد الرحمان البكلي في هذا الصدد :" إن سليمان كان من الناشطين المدافعين عن الإصلاح ورموزه، كان الحاكم الفرنسي يُكن له العداء وينعته بعدو فرنسا".

بعد الحرب العالمية الثانية شرع مع مجموعة من المناضلين بجمع السلاح وتخزينه في دكانه حيث كان يقدمه إلى الشهيد "بخاري سائح" حيث كانت كلمة السر بينهم "شكارة الملح"، كما كانت له علاقة وطيدة مع الشهيد بن يامي موسى بن الحاج الذي كان وسيط بينه وبين الثوار في بريان وغرداية، كما واصل نشاطه الثوري مع المجموعة الأولى التي جاءت من الولاية الأولى "الأوراس" بقيادة الحاج قنتار[2]..

أُلقي عليه القبض هو والشيخ المصلح عبد الرحمان بكلي من طرف الإدارة الاستعمارية حيث أخضعتهما للتعذيب والاستنطاق، وسجنوا بالسجن العسكري بمدينة الأغواط، وتم الحكم عليه بالإعدام رميا بالرصاص يوم 17 أوت 1957 بعد منتصف الليل[3].

11- الشيخ محمد لخضر الفيلالي:

هو عالم وقطب من أقطاب العلم والإصلاح، أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أتى به بعض التجار من سكان حي الحفرة وهم: زرباني عبد القادر بن مرزوق، وأخوه زرباني بوبكر وعمراني علي بن عيسى حينما كانوا يترددون على مدينة أفلو، حيث كان أستاذ ممتازا

[1] -إبراهيم أولاد الطاهر، **رجال وأعلام، المرجع السابق**، ص: 77.

[2]- مقابلة مع الشيخ ابراهيم أولاد الطاهر، المصدر السابق.

[3] -إبراهيم أولاد الطاهر، المرجع السابق، ص: 78.

وأحد فطاحل علماء العلوم خاصة االلغة العربية، بادر التدريس بالمسجد العتيق بحي المذابيح "الحفرة" الذي يسمى الأن مسجد خالد بن الوليد على أن تنتقل مدرسته في كل صيف إلى المسجد العتيق بضاية بن ضحوة، حيث يلتقي الأخوة المذابيح إلى بساتينهم هناك، حيث كان للشيخ الفيلالي حلقة أوسع في كلل من غرداية والضاية يلقي فيها دروس للعامة موضوعها شرح الأحاديث الشريفة اعتمادا على كتاب "بلوغ المرامي من أدلة الأحكام" وغير ذلك من المواضيع التي تدعوا إليها الحاجة، كما كان الشيخ يعتمد على أكبر طلبته ليقدم له الأحاديث بالشرح ألا وهو "محمد بن عمر بوحميدة"، أما دروس الشيخ في المدرسة فقد اشتملت على اللغة العربية وعلومها كالبلاغة وقواعد النحو والصرف والإملاء وصناعة الإنشاء.

تم سجنه ونفيه من طرف الإدارة الفرنسية سنة 1946، ويعود ذلك إلى الشكوة التي قدمها كبير المسيحين بغرداية بدعوة أن الشيخ الفيلالي ينهي ويحذر أولياء البنات بعدم إرسالهم إلى مدارس أخوات البيض خوفا عن عقيدتهن الإسلامية. عاد الشيخ إلى غرداية ليمارس نشاطه الإصلاحي الذي أثمر على تكوين أول بعثة عربية مالكية علمية إلى تونس، والتي مكثت في تونس بين سنتي 1946- 1950.[1]

12- الإمام محمد بن عمر بوحميدة (1332هـ/1914م- ت 1385هـ/1965م):

هو محمد بن عمر بوحميدة بن سليمان وإبن فاطمة بنت الإمام الفقيه المالكي زيان بن إسماعيل بوحميدة، ولد بحي الحفرة بغرداية وهو ينتمي إلى فرقة ولاد بوحميدة التي تنتمي إلى قبيلة المذابيح المنحدرة عن بلدة المايا التابعة لبلدية تاجرونة ولاية الأغواط.

أخذ العلم على يد جده من أمه سي زيان وذلك في محضرة مسجد خالد بن الوليد في حي الحفرة، بعد وفاة جده سنة 1939، أخذ العلم على يد خاله الشيخ زيان عبد القادر الزغيدي، كما التحق بمدارس الآباء البيض لتعلم اللغة الفرنسية بحي "تيضفت" وذلك على يد الرهبان والأب

[1] - مقابلة مع الشيخ الأخضر الدهمة، المصدر نفسه.

"داوود وسالم"، كما من السباقين في الالتحاق بمدرسة الشيخ المصلح محمد لخضر الفيلالي الإصلاحية[1]..

استفاد محمد بن عمر من دروس شيخه الفيلالي حتى صار متضلعا في علوم اللغة والفقه والتفسير كما كان كثير المطالعة والتعمق للمجلات المشرقية والمحلية، ولعل أهمها "مجلة الإسلام" ومجلة المسلمون التي يصدرهما الأزهر الشريف، وكذلك مجلتي الشهاب والبصائر اللتين تصدرهما جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ضف إلى ذلك مجلة العروة الوثقى لجمال الدين الأفغاني، أما الكتب التي كان يطالعها ويعتمد عليها في دروسه منها[2]: نفح الطيب من غصن الأندلس لصاحبه لسان الدين ابن الخطيب، الدواتي على رسالة ابن زيد القيرواني لصاحبه أحمد مهنا المقراوي المالكي، دليل قانون العقوبات الفرنسي وكتاب الإنجيل باللغة الفرنسية، الأديب وصناعته المترجم بصاحبه "روي كاودن"، كتاب سر الليالي في القلب والإبدال لأحمد فارس، ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالبيان في شرح الديوان، البحر المحيط في التفسير، المنتقى في شرح الموطأ، فتح الشام لمحمد الواحدي،كتاب الأمالي لأبي علي إسماعيل القالي البغدادي.

عُين مدرسا وإماما بصفة رسمية بمسجد خالد بن الوليد من طرف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كما كان عضوا في لجنة تسيير شؤون المسجد سنة 1943، كما كلفه شيخه الفيلالي بالتعليم بالمدرسة الإصلاحية مقابل راتب شهري سنة 1946 بعد حصوله على شهادة التدريس من طرف الجمعية، حيث بادر بتعليم البنت أو الفتاة بغرداية سنة 1948، ولعل من أبرزهن "الحاجة منصورة بنت يوسف بوحميدة" و"الحاجة زرباني فاطمة بنت العلمي"، كما قام بتكوين

[1]– مقابلة مع الأستاذ جمال الدين بن محمد (نجل الشيخ المصلح محمد بن عمر بوحميدة)، في منزله، مدينة غرداية، يوم 13 أوت 2022، الساعة من 17:00- 21:30.

[2]– جمال الدين بوحميدة، **الإمام محمد بن عمر بوحميدة**، تق: محمد مصطفى الزرباني، مطبعة سواطي، غرداية، 2022، ص: 24.

مجموعات صوتية من البنين والبنات ومنهن ("باية بنت خمارة"، و"عائشة الزمالة" و"حرزلية بنت الزيدي" و"حبيبة بنت القاضي"، و"ساسية بنت معط الله")، وكذا فرقة المسرح بغرداية[1]..

يعتبر من رواد الحركة الإصلاحية بوادي ميزاب خاصة عند المالكية، فقد اهتم بالوعظ والإرشاد والتعليم وكذا مجابهة الحركة التبشيرية والتنصيرية بالمنطقة. وقد تم اعتقاله يوم 03 فيفري 1957 من مسجد خالد بن الوليد على خلفية الإضراب العام الذي أعلنته جبهة التحرير الوطني وعلى كونه مصلحا اجتماعيا وداعيا وكذا مناضلا في الحركة الوطنية الجزائرية ومجاهدا في ثورة التحرير، ومن بين ما عاناه الشيخ جراء نشاطه الوطني والثوري قيام الإستعمار بتعذيبه والتنكيل به، ثم تم نقله إلى عدة سجون منها سجن الحراش وبعدها إلى سجن البليدة، ومن صور التعذيب الكي بسجائر الدخان في الرأس والرقبة، وإرغامه على شرب الخمر بالقوة. ولعل من المواقف التي تدل على شجاعة هذا الرجل وإيمانه الراسخ بنشاطه الإصلاحي وسط أحلك الظروف كان يلقي دروسا داخل السجن، كما اغتنم في إحدى الليالي فرصة الاحتفال بعيد من أعياد النصارى ليلقي محاضرة حول الحركة الإصلاحية على جميع السجناء البالغ عددهم 100 سجين، وقد أُطلق سراح الشيخ بعد الاستقلال إلى أن وفته المنية سنة 1965[2].

13- الشيخ الأستاذ عمر بن آمحمد الساسي 1333هـ/1915م- 1373هـ/1954م):

من مواليد سنة 1915 بمدينة القرارة، توفي والده وهو صاحب ثلاث سنوات، كفلته شقيقه الأكبر الساسي دحمان الذي استوطن مدينة الأغواط، التحق بالمدرسة الابتدائية "أحمد الشطة حاليا"، وبعدها مدرسة "حمام المدرسة" بالجزائر العاصمة التابعة لجمعية العلماء المسلمين، كما تم إرساله في بعثة طلابية إلى تونس من طرف الجمعية حيث التحق بجامع الزيتونة[3].

[1]- مقابلة مع الشيخ الأخضر الدهمة، بمكتبته الخاصة، مدينة متليلي، يوم 13 أوت 2022، من الساعة 9:00- 12:00.

[2]- مقابلة مع الأستاذ جمال الدين بوحميدة، المصدر السابق.

[3]- أحمد حماني، **ومضات...**، **المرجع السابق**، ص: 239.

في عام 1940 أنهى دراسته حيث عاد إلى الوطن والتحق بمدرسة ابن عكنون بالجزائر للترجمة، فبادر سنة 1942 إلى فتح مدرسة التربية والتعليم بمدينة المنيعة، حيث شرع في نشر الوعي الديني والوطني، غير أنه واجه مضايقات من طرف الإدارة الفرنسية هذا ما أرغمه إلى التوجه إلى مدينة عين صالح أين التقى بزوملاءه المصلحين السيد أولاد باهون عمارة بن كاسي والسيد العلمي علي بن العلمي، حيث اتفقوا على إنشاء مدرسة للتعليم بالمنطقة مساهمين بذلك في إعداد مجموعة كبيرة من المواطنين الراغبين في إصلاح الوضع الاجتماعي والتعليمي[1]..

بعد إنشاء مدرسة بعين صالح عاد الشيخ عمر ساسي إلى مدينة القرارة، حيث قام بتأسيس جمعية التربية والتعليم التي أشرفت بدورها على فتح مدرسة عصرية بعد ترخيص الحاكم الفرنسي، حيث بادر الشيخ بتعليم وتدريس أبناء المنطقة، كما فرض على أعضاء الجمعية بتعليم بناتهم فكن الرائدات في وقتهن، تخرج على يده نشأ متعلم متشبع بالروح الإسلامية والوطنية، كما يعود إليه الفضل في نشر الوعي الإسلامي لدى طبقة واسعة من أبناء القرارة الذين شاركوا بفعالية كبيرة في الثورة التحريرية، ونافلة القول أنه كان شغوفا بالعلم وأهله، قصد الزيتونة سنة 1932 طالبا للمعارف، انتقل إلى بلدة المنيعة التي اشتغل فيها بالتدريس والوعظ، أسس أول مدرسة حرة للبنين، أبعده الاستدمار من المنيعة إلى القرارة سنة 1946، ركز على تعليم الفتاة مدركا دور المرأة في صناعة الجيل ، التزم المسجد العتيق بالقرارة شيخا معلما و واعضا مفتيا ومصلحا اجتماعيا ، قال عنه الشيخ بيوض : " هنيئا للشيخ عمر لأنه يطير بجناحين، وفي ذلك إشارة لتمكنه من لغة المستدمر الفرنسي"[2].

[1]– مقابلة مع الشيخ أحمد حماني، في منزله، القرارة، يوم 12/10 أوت 2022.

[2]- إبراهيم بن ساسي، **دور علماء الجنوب الجزائري في خدمة العلم والأدب من خلال معاهد الزيتونة**، مجلة الذاكرة، العدد 1، 2012 .

وافته المنية بعد مرض عضال، ودفن في مقبرة آقبو بمدينة بجاية يوم 23/04/ 1954، كما أُطلق إسمه على مدرسة ابتدائية عام 1974 بالقرارة[1].

14- الشيخ حماني المازوزي بن أحمد (ربيع الثاني 1333هـ/ 1915- 24 ربيع الثاني 1431/ أفريل 2010):

ولد ببلدة القرارة، والده أحمد بن المازوزي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن قويدر، التحق بمحضرة الطالب تريعة جلول بالقرارة، ثم بمحضرة الطالب لكعص محمد بن الحاج يحي الكائنة بحمالة الشرفة، استظهر القرآن الكريم بعد 05 سنوات، ساهم منذ نشأته مع الطلبة والمشاييخ في إحياء المناسبات الدينية، كما تطوع لتعليم الصغار القرآن الكريم في محضرة شيخه واستخلافه عند غيابه[2].

بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين، سارع رفقة زوملاءه في تأسيس جمعية التربية والتعليم بالقرارة سنة 1947 إلى غاية 1957 حيث أغلقت من طرف الإدارة الفرنسية، ثم أعيد فتح المدرسة لتواصل نشاطها، كانت له اتصالات بقيادات الحركات السياسية في الشمال، لعل أبرزهم حزب البيان، حزب الشعب، فتشكلت الخلية السياسية الأولى من نوعها في القرارة[3].

غداة اندلا ع الثورة اتصل بزميله العلمة سلامة سلامة بمبعوث الثورة القائد سي زيان، حيث عقد اجتماع سنة 1955 فتشكلت إثر ذلك لجنتان شهيرتان سميتا 70 و 71 اللتان كانتا النواة الأولى لالتحاق القرارة بالثورة التحريرية، وخلال إضراب ثمانية أيام ألقي القبض على أعضاءها وزج بهم في سجن غرداية.

كل سنة 1962 بمسؤولية مكتب الإصلاح، كما عين مسؤولا لقدماء المجاهدين والمعتقلين السياسيين، عين مشرف على بناء مشروع بناء مدرسة التربية والتعليم بالقرارة، عين نائبا لرئيس بلدية

[1]- أحمد حماني، **ومضات...**، **المرجع السابق**، ص: 239.

[2] - مقابلة مع الشيخ حماني المازوزي، المصدر السابق.

[3] - المصدر نفسه.

القرارة سنة 1965، رئيسا للجمعية الدينية لمسجد عمر بن الخطاب توفي 24 ربيع الثاني 1431هـ/ 09 أفريل 2010[1].

15- الشيخ شريف بكار بن إسماعيل (1333هـ/1915م- 26 رمضان1422هـ/ديسمبر 2001م):

ولد بمدينة متليلي من أسرة شريفة، نشأة وترعرع وتلقى تعليمه القرآني فيها وبالخصوص بالمسجد العتيق على يد ماشيخ أجلاء منهم: الطالب علي بن الذيبة، ثم واصل تحصيله في العلوم الشرعية، فدرس علوم التوحيد والفقه والسيرة والتصوف، كما كان يسافر أسبوعيا إلى مدينة غرداية لتلقى علم الفرائض على يد العلامة الشيخ صالح البوزيدي، كما تفقه على يد الطالب عبد العلي والطالب كديد محمد، كما تولى التعليم القرآني الكريم بمدينة متليلي[2].

أصبح إمام لمسجد عمر بن الخطاب بحي الحديقة، ثم انتقل إلى المسجد العتيق بمتليلي 1975، وانخرط في صفوف الحركة الوطنية وجبهة التحرير الوطني، فكان ضمن مجلس أعضاء الثورة بالناحية الثالثة إلى استقلال، وارتبط نشاطه بالولاية الأولى ثم الخامسة، كما تولى الأوقاف والعرش ودعم الثورة[3].

نشط الشيخ في ميدان التعليم القرآني وتولى الإمامة بمسجد عمر بن الخطاب ثم العتيق، تخرج على يده عدد كبير من الطلبة، كما تمكن في الفقه المالكي، من بين مساهماته مشاركته في إصلاح ذات البين، إضافة إلى نشاطه الاجتماعي والتربوي في الوعظ والإرشاد والتوجيه، حيث اهتم بتربية الروح البشرية بالعلم والمعرفة[4].

---

[1] – إبراهيم أولاد الطاهر، **رجال وأعلام، المرجع السابق**، ص: 167.

[2] – أحمد سليماني، **تاريخ المدن الجزائرية**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص: 191.

[3] – بطاقة معلومات، المركز الثقافي الإسلامي، غرداية.

[4] – المرجع نفسه.

16- الشيخ الأخضر الدهمة:

هو عبد الله الأخضر الدهمة بن قويدر بن أحمد بن قدور بن موسى، وُلد بمدينة متليلي سنة 1925، أدخله أبوه إلى محضرة قرآن بجوار المسجد العتيق في متليلي، وهو بعمر السبع سنوات، تعلم على يد الطالب محمد كديد، ومع سنة 1941 انتقل إلى مدينة غرداية والتحق بمدرسة الشيخ الفيلالي حيث تعلم اللغة العربية وقواعدها، وكان أحد وأبرز تلامذة البعثة العلمية إلى تونس التي نظمها وتبناها الشيخ الفيلالي، حيث التحقوا بجامع الزيتونة من سنة 1946 إلى غاية سنة 1950، أين نهلوا من العديد من العلوم كالفقه والنحو والصرف والإعراب وغيرها، كما تحصل على شهادة الأهلية ثم شهادة التحصيل، وبعد العودة من تونس انطلق في مجال التربية والتعليم والإصلاح بمدرسة حرة بعين بسام إلى غاية 1957، وبعد إغلاق المدرسة من طرف الإدارة الفرنسية فرّ إلى مدينة غرداية لمواصلة رسالته التربوية بمدرية العرفان التالعة لمسجد حمزة مع بعض الزملاء[1].

بعد الاستقلال التحق بالمدرسة الرسمية إلى جانب قيامه بمهام ثقافية وسياسية واجتماعية في حزب جبهة التحرير الوطني وإدارية كعضو بالهيئة التنفيذية، بالإضافة إلى عضويته في مجلس القضاء إلى غاية 1976، ثم انتقل إلى مسقط رأسه بمدينة متليلي حيث تولى مهام الاستشارة التربوية، ومن مؤلفاته قطوف دانية من آيات قرآنية، أضواء على سورة الحجرات، دروس من سورة الحشر، وكتاب نبذة مختصرة من حياة الشيخ الأخضر الدهمة[2].

[1] – الأخضر الدهمة، **نبذة مختصرة...، المصدر السابق**، ص: 14.

[2] – مقابلة مع الشيخ الأخضر الدهمة، المصدر السابق.

(ثانيا)– الأسس الفكرية للنهضة الإصلاحية والوطنية في وادي ميزاب:

1– التربية والتعليم:

يقصد بالتعليم في مفهوم الحركة الإصلاحية ذلك الجهد الذي يبذل في سبيل تثقيف المجتمع وإشاعة العلم والمعرفة بين شرائحه، بما يمكن أفراده من إدراك واجباتهم الشرعية ومسؤولياتهم الوطنية، ليساهموا في بناء مجتمع قوي صالح بدينه وعمله وعلمه[1].

إن مسيرة التعليم في وادي ميزاب تعود إلى قرون ماضية كثيرة، كما أنها لم تشهد انقطاعا أو توقفا رغم كل ظروف وتقلبات العصور التي شاهدها المجتمع في المنطقة، كما بقي فيها العلم شيئا مقدسا محترما ينظر إليه بكثير من التقدير والوقار رغم ما أصاب أهله من تهميش وتضييق وإبعاد.

بادر علماء ومشايخ الإصلاح بحمل لواء التعليم من جديد خلال القرن العشرين فأفرغوا جهودهم وأموالهم وأوقاتهم في سبيل تطويره وتوسيع رقعته وكذا رفع شأنه لدا الناس بهدف الوصول إلى محو الأمية نهائيا من المجتمع والسعي وراء تلقي كل أفراد المجتمع نصيبه من العلوم الشرعية والدنياوية، حيث يقول في هذا الصدد الشيخ سعيد عدون محددا الغاية من الاهتمام بالتعليم بقوله: "تكوين الملكات العلمية في مختلف الفنون وتثقيف العقل وتنوير الأذهان وكذا تربية النفس تربية صحيحة وإعدادها لتحمل قسط من عبئ الإصلاح الديني والوطني، فإن الدين والملة والوطن تطلب منا رجال أكفاء للعزابة والقضاء والعدالة والوكالة والافتاء والتدريس والكتابة والخطابة والشعر ونحو ذلك من الأعمال الجليلة والمشاريع العظيمة والإصلاحات العامة"[2].

كما اتجه رجال الإصلاح إلى إشاعة الثقافة بين الأهالي ونشر المعارف المتعلقة بعلوم الحياة المختلفة التي تمكن الأفراد من الأعمال والمسؤوليات والوظائف والحرف على ضوء ما توصلت إليه

[1] – محمد علي دبوز، **النهضة...، ج3، المرجع السابق**، ص: 119

[2] – سعيد بن الحاج شريفي، **معهد الحياة نشأته وتطوره**، تق: محمد صالح ناصر، جمعية التراث، غرداية، ط2: 2009، ص: 59.

العلوم العصرية، الجانب الذي كان منعدما في وادي ميزاب لأسباب اجتماعية وفكرية عديدة، حيث نشط العلماء والمشايخ على توفيره للناس والأجيال الصاعدة لإدراكها أن مسايرة العصر وعيش قضاياه وتحمل مسؤولياته، لا تأتي إلا بتزويد الأجيال بهذه المعارف الضرورية، كما أن التمكين لنهضة الأمة لابد له من الجمع بين العلوم الشرعية والعلوم الدنياوية، حيث كان هذا التوجه نحو التمكن من العلوم العصرية في وادي ميزاب منعطفا جديدا وخاصية مميزة لحركة الإصلاحية التجديدية عن الفكر السائد من قبل، والذي كان يرى خلاف ذلك بنظرته إلى هذه العلوم بعين الازدراء وتحاملهم على من يتعلمها وانكار على من يدعوا إلى إدخالها في المدارس أو المعاهد بكونها علوما تهدد الدين والمذهب وشخصية المسلم [1].

هذا ما ولد صراعا فكريا وسجلا كلاميا بين الفريقين (الإصلاحيين، المحافظين)كل يرى الصواب فيما ذهب إليه، حيث يقول في هذا الصدد الشيخ إبراهيم أبو اليقظان:" بتلك العلوم الدنياوية استولت أوروبا عليك وعلى بلادك استلاء سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، وصيرتك عبدا مأسورا مسلوب الحرية...وقيدت أرجلك عن السير ويديك عن العمل ولسانك عن النطق، بل دخلت في دماغك فحجرت عليك التفكير، وفي قلبك فنزعت منه الإخلاص والصدق والغيرة، وفي نفسك فأزاحت منها العزة والنخوة"[2]، وفي نفس السياق يحث الشيخ حمو بن الحاج بني ميزاب في مقال له تحت عنوان "العلم والحرية" قائلا: "إخواني يلزمكم وأنتم في هذا الدور وهو دور التعليم أن تجّدوا وتكدوا وتعضوا على العلم، وتبرهنوا على صحة مبدأكم"[3]، كما يؤكد ذلك إبراهيم الخياط بقوله :" آن أن نستيقظ ونستدرك ما فاتنا ونهيأ لمستقبلنا أسباب السعادة بتعاطي العلم الصحيح

[1] – مصطفى ونتر، **المرجع السابق**، ص- ص: 116- 122.

[2] – قاسم بن أحمد الشيخ بلحاج، **معالم النهضة الإصلاحية...**، **المرجع السابق**، ص: 325.

[3] – حمو بن حاج، **"العلم والحرية"**، وادي ميزاب، السنة الأولى، العدد:42، 29 محرم 1346هـ/ 29 جويلية 1927، ص: 01.

ومكارم الأخلاق وسعي كل فرد منا في حمل نفسه وأولاده وأقاربه ومن في يده على طلب العلم، والكّد في الحصول عليه، ويضحي في سبيله بالنفس والنفيس، وذلك نصل إلى سعادة الدارين"[1].

ويتحدث الشيخ "بكير بن حاج سليمان" عن أهمية الأسرة والمدرسة في التربية والتعليم، على "أن الأخلاق تنبت كالنبات، إذا سقيت بماء المكرمات"، قاصدا بذلك أولا أن التربية هي تهذيب النفوس وتعويذها على الأشياء الحسنة والأخلاق الفاضلة وسقيها بماء الإرشاد والنصيحة حتى تصبح ملكة راسخة، وبالأخص عند الأطفال الصغار، وثانيا يرى أن تربية الناشئة متوقفة على الوالدين والمعلمين بشكل كبير، حيث قسمها إلى ثلاثة أقسام: الدور المنزلي، والدور المدرسة، أما الدور الثالث فخصصه للعمل داخل المؤسسة[2].

وتعتبر التربية وظيفة أبوية في الحقيقة، لكنها قد انتقلت من عهد بعيد من الأب إلى المعلم، حيث ساد الجهل في هذه الأمة، ويعتبر المعلم المثلث الأعلى الذي يقتدى به كي يكون المتعلم مستقيما.[3]

ومن واجب الأساتذة أن يدخلوا وهم نشطون للعمل، نشطون للدرس، نشطون للإملاء، نشطون للتفهيم، وأن يخاطبوا التلاميذ بما يجعلهم متحمسين لتلق الدرس، ومتلهفين لسماعه، ويجب أن تكون أخلاق الأساتذة وسمعتهم وسيرتهم مع بعضهم البعض، ومع الناس، ومع التلاميذ بالخصوص هي نفسها درسا تطبيقيا وعمليا، هي نفسها كلاما صامتا للتلاميذ ليتخلق التلاميذ بأخلاق الأستاذ.

---

[1] – إبراهيم الخياط، **"بالعلم تسعد الأمة"**، وادي ميزاب، السنة الأولى، العدد:34، 02 ذي الحجة، 1345هـ/ 04 جوان 1927م، ص:02.

[2]– محمد بن بكير بن سليمان، **"التربية سبب رقي الأمة"**، السنة الأولى، العدد: 23، 07 رمضان 1345هـ/ 11 مارس 1927، ص: 03.

[3] – الطاهر الزواغي، **"نحن قوم لا نعتني بتربية أبناءنا"**، البصائر، السنة الأولى، العدد: 13، 21 محرم 1355هـ/ 13 أفريل 1936م، ص، ص: 06، 07.

ومن واجب الأباء نحو أبناءهم، ونحو المدارس التي يتعلم فيها أبناءهم أن يأدوا نفقات التعليم للقيمين بشؤون المدارس، وبعض الآباء يُدخل ابنه إلى المدرسة أو الكتاب بغاية تعلم مبادئ القراءة والكتابة، ليخرجه بعد ذلك، ويوجهه إلى العمل في الدكان والتجارة.[1]

أما بالنسبة للتعليم، فيذكر "مبارك الميلي" أن المغزى التشريعي الإسلامي في الإبتداء بالتعليم هو الثمرة الطيبة في هناء الإنسانية وسعادة المسلمين، ولهذا وجب الاهتمام بالتعليم، من خلال فتح المدارس الحرة لتعليم الصبيان الحروف العربية، والقرآن الكريم، ومبادئ الإسلام ولغته، وذلك لإصلاح الأبناء وتنشأتهم تنشأة دينية، ويذكر أن مسؤولية حرمان المسلمين من التعليم بالمساجد وبالنوادي والمدارس كانت من وراءها شيوخ الزوايا المتسببين في هذا الحرمان، والإدارة الفرنسية من جهة أخرى. وأن الواجب على الشعب المسلم الغيور على دينه ولغته، أن يطالب بحقه في التعليم مطالبة قانونية[2].

كما يذكر مؤطر النهضة التعليمية الشيخ "عبد الحميد بن باديس": "أن العلم حق مشاع لجميع البشر، وأن التعلم من حق كل إنسان، من قول ربنا "علم الإنسان مالم يعلم"، وقول نبينا "إنما العلم بالتعلم"، وأن التعليم أشرف مهنة بشرية، ومن قول نبينا :إنما بُعثت معلما"، على هذه العقيدة انبنى تاريخ ممالكنا الإسلامية كلها، فلم يعرف عن مملكة إسلامية مقاومة لغة من اللغات، ولا معارضة أحد في طريق التعليم والتعلم، وعلى هذه العقيدة قامت جمعية العلماء المسلمين، لتعلم الأمة الجزائرية، وتهذيبها وتثقيفها على مبادئ الإسلام، وبلغته العربية في دائرة قوانين فرنسا[3].

---

[1] – "**المدار والأباء واجب كل منهما**"، البصائر، السنة الأولى، العدد: 46، 19 رمضان 1355هـ/ 04 ديسمبر 1936م، ص، ص: 03، 07.

[2] – مبارك الميلي، "**التعليم التعليم**"، البصائر، السنة الثالثة، العدد 114، 20 ربيع الأول 1357هـ/ 20 ماي 1938، ص: 2.

[3]– عبد الحميد بن باديس، "**نريد المعاونة لا نريد المعارضة**"، البصائر، السنة الثالثة، العدد: 115، 27 ربيع الأول 1357هـ/ 27 ماي 1938م، ص: 04

كما يتحدث الشيخ "مبارك الميلي" حول منزلة التعليم في المجتمع، ومنزلة المعلم، مستشهدا بقول الشاعر والكاتب المصري"أحمد شوقي" (1868 - 1932) ، الذي يعد من أعظم شعراء العربية في العصور الحديثة:

قم للمعلم وفيه التبجيلا...كاد المعلم أن يكون رسولا

حيث تترسم الخطة يسلكها صلاح المعلم، وهي طريق الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن يتخذ تهذيب المجتمع غاية له في الوجود والرجوع إلى الرسول.

كما يُقال أن كل شيء ينقص بالإنقاق إلا العلم، لكن إلى جانب ذلك النظم العصرية تشترط في المعلم سلامة البنية، مثل ما تشترطها في الجندي، على أن عمل المعلم أشق وفائدة المجتمع منه أجل[1]، وعليه ركزت الحركة الإصلاحية في تثبيت هذه القيم الحضارية في الأذهان وتجسيدها على أرض الواقع بتأسيس المدارس وفتح المعاهد والمواد، وحلقات العلم، لتكوين أجيال المجتمع، وتوسيع معارفها بإرسال البعثات العلمية إلى البلدان الإسلامية المجاورة وبرعاية الكفاءات العلمية بعد إكمال تكوينها بفتح فرص التعليم والدعوة والخطابة أمامها[2]، هذا ما أكده رائد الحركة التجديدية في وادي ميزاب الشيخ بيوض قائلا: "عرفنا منذ زمن بعيد أن لا إصلاح للوطن إلا بالعلم الصحيح، فدرجنا في سبيله وضيحنا فيه بكل عزيز"[3]، كما يؤكد في نفس السياق ان النهضة الإصلاحية هي استمرار للنهضة الدينية والعلمية التي بدأها مشايخ ميزاب سابقا الشيخ الأفضلي والشيخ الثميني، والشيخ أطفيش بعدهم[4].

[1]- مبارك الميلي، **"المعلم"**، البصائر، السنة الثالثة، العدد: 05، 08 جمادى الآخرة 1357هـ/ أوت 1938م، ص: 07.

[2] - محمد دبوز، **النهضة...، المرجع السابق، ج3**، ص- ص: 119- 177.

[3] - محمد دبوز، **أعلام الإصلاح، المرجع السابق، ج4**، ص: 72.

[4] - **المرجع نفسه، ج4**، ص: 141.

لقد كانت مسيرة التربية والتعليم في فكر الحركة الإصلاحية في وادي ميزاب مبنية على عدة مجالات أهمها: توعية الناس بأهمية التعليم وإلحاق أبناءهم به وعدم قطعهم على الدراسة وسط الطريق، والدعوة إلى الإنفاق عليه لبناء المدارس وأماكن الإيواء وصرف الأجور[1]. كما بادروا بإخراج المجتمع الجزائري عامة والميزابي خاصة من ورطته الحضارية عن طريق إعداد جيل صاعد الذي يحمل أمانة الإصلاح ومواصلة مسيرته قصد محاربة الأمية والجهل ومحاربة الجمود والتعصب، كما جسدت العملية التربوية التعليمية في فكر الحركة الإصلاحية الميزابية أن يسري البعد العقدي في كل المواد المدرسة وأثناء كل الحصص، وكذا أن يحرص الأستاذ والمعلم على أن يكشف لتلامذته علاقة موضوع الدرس بالجانب الإيماني، وأن يجعلهم يتأثرون بذلك[2].

كما رأى مشايخ التعليم في ميزاب أن ضرورة النهوض بالتعليم، يستوجب معالجة الضعف الذي كان سائدا في تكوين الأساتذة والمعلمين، من حيث طرقهم التقليدية المشوشة في إلقاء الدرس وكذا نظرتهم التربوية الخاطئة في الحد من حرية التلميذ وجهلهم التام ببعض الفنون الضرورية وتدريسهم ببعض المواد التي يجهلونها[3]. كما انتقدوا المعلم الفرنسي وذلك لما يلقيه في عقل التلاميذ من أفكار تغريبية تشيد بالحضارة الأوربية وتقصي كل ما يتعلق بالهوية الإسلامية[4].

من هذا المنطلق بادروا إلى تكوين الأساتذة والمعلمين تكوينا وتأطيرا، حيث يقول الدكتور محمد ناصر في هذا السياق عن منهج التربية بالقدوة قائلا:" القائمون على التعليم...يُختارون بعناية فائقة أساسها السلوك الحسن والتمسك القوي بالدين الإسلامي عقيدة وقولا وعملا، وبذلك تضع

[1] – محمد بن بكير بن الحاج سليمان، "**أين التعليم**"، وادي ميزاب، السنة الأولى، العدد: 20، 01 شعبان 1345هـ/ 18 فيفري 1927م، ص: 03.

[2] – محمد دبوز، **أعلام الإصلاح، المرجع السابق**، ج4، ص: 148.

[3] – "**العلم والتعليم الصحيحان**"، وادي ميزاب، السنة الأولى، العدد: 06، 28 ربيع الثاني 1345هـ/ 05 نوفمبر 1926م، ص: 01.

[4] – محمد الناصر، **أبو اليقظان وجهاد الكلمة، المرجع السابق**، ص: 49.

المؤسسة أمام التلميذ النموذج الذي ينبغي الاحتذاء حذوه، والمثل الذي يقتدي به، ومن المعلوم أن من قواعد التربية الإسلامية ما يطلق عليه التربية بالقدوة كما علمنا القرآن الكريم"[1].

ومن جملة الشروط في اختيار الأستاذ، نستكشف ذلك من خلال رسالة[2] من الشيخ بيوض إلى كل من الإدارة الفرنسية ومدير مدرسة الإصلاح "محمد بن صالح بابكر بن قاسم بن الحاج عيسى"، والتي هي عبارة عن شهادة في حق المترشح الأستاذ "عدون سليمان بن صالح" لتولية منصب أستاذ بالمدرسة الابتدائية، حيث ورد فيها بعض الشروط التي تخول له تولي مهنة التدريس والتعليم، ومنها: حفظ القرآن قراءة ورسما، جمع الحديث الشريف رواية ودراية، ضبط الأحكام الدينية والأصول العقائدية، متمكنا من قواعد اللغة والصرف،...[3].

2- الوعظ والإرشاد الديني:

لقد اهتم علماء الإصلاح والتجديد في وادي ميزاب بتوعية الناس ووعظهم بواجباتهم الدينية بالإضافة إلى ترغيبهم إلى فعل الخيرات والاستقامة، وتحذيرهم من فعل المنكرات والانحراف، متخذين بذلك أسلوب الترغيب والترهيب والخوف والرجاء، ويعتبر الوعظ التذكير المستمر بالعلاقة الوطيدة والربط المحكم بين جانب العقيدة القلبية الإيمانية والقرآن الكريم والسنة النبوية، وجانب العمل والالتزام بالأخلاق والتشريعات ونظم الآداب الإسلامية، حيث اتخذ علماء ميزاب من المسجد منبرا لتقديم دروس الوعظ وتوعية الشباب للأمراض التي يتعرض لها المجتمع من مساوئ الأخلاق التي تضر به، حيث يذكر الدكتور محمد ناصر عن أثر دروس الوعظ التي يلقيها الشيخ بيوض في نفوس وعقول الناس :" كانت تفعل فيهم فعل السحر، إليها يرجع الفصل في توحيد صفوف الأمة وتحسيسها بقيمة دينها الإسلامي ولغتها العربية وإليها يرجع الفضل في القضاء على البدع والخرافات التي تسربت في أذهان الناس...ومقاومة كل مظاهر الانحراف والانحلال الخلقي"[4].

---

[1] - قاسم بن أحمد،الشيخ بلحاج، **معالم النهضة، المرجع السابق**، ص: 488.

[2] - ينظر الملحق رقم:17، ص:288.

[3]- ANOM 68 , département des oasis, société mozabite, djemaiet el islah.

[4]- قاسم بن أحمد، **معالم النهضة...، المرجع السابق**، ص: 327.

كما يؤكد تلميذ الشيخ بيوض الأستاذ محمد علي دبوز عن الدور الذي كان يلعبه المسجد في الوعظ والتوعية قائلا:" ...دروس المسجد يجب أن تتعرض لأمراض المجتمع، مساوئ الأخلاق فتشدد عليها النكير، وتشرحها فتبين أضرارها للفرد والمجتمع، إن الدروس من هذا النوع تصغي إليها العامة خاشعة متأثرة، منتشية بتحليل الشيخ الفلسفي للأخلاق، وتشريحه لأمراض المجتمع وبيان الدواء[1]، حيث يبين لنا أثر الخطاب المسجدي وفاعليته في توعية العامة لترك المفاسد والمنكرات وللاتجاه نحو فعل الخيرات، وبالتالي تحرك الفعل الإنساني الإيجابي نحو صناعة الحضارة[2].

لقد كان الخطاب المسجدي خلال القرن العشرين يدعوا إلى الاستقامة والعلم والعمل في سائر أيام السنة وفي أوقات متعددة من الفجر للعشاء، كما كانت تستمر لساعات طويلة لغرس القيم في نفوس الحاضرين، ليقوم هؤلاء بتطبيقها بين عامة المجتمع، حيث أصبح الدروس الوعضية تتعدى منابر المساجد لتنزل للمجتمع ومؤسساته ليصل صداها إلى الأسرة التي اعتبرها رائد النهضة في ميزاب –الشيخ بيوض– الركيزة الأولى في البناء الاجتماعي، بصلاحها وتماسكها يصلح المجتمع تقوى شبكات علاقته الاجتماعية، ويؤدي الأب دورا كبيرا في إيصال الرسالة الوعظية والتوعية لأسرته، من خلال إعادة الدرس على مسامع عائلته، وكذا ترديدها في الشوارع خاصة في التجمعات والمناسبات، لتتحول إلى عقد اجتماعي يحكم تصرفات الناس، متخذا من الطرقات والمنتديات والساحات منبرا من منابر الوعظ والتوعية[3].لتوجيه جهوده نحو البناء والعمارة وتكوين الفرد وإنشاء المجتمع الصالح[4].

كما اتخذ مشايخ الإصلاح المناسبات الاجتماعية كالأعراس والمآتم، والتجمعات في الشوارع والأسواق منابر لهم لتوعية الناس وغرس القيم الإسلامية والأفكار النهضوية، حيث استطاعوا

[1]– محمددبوز، **النهضة...، ج1، المرجع السابق**، ص: 198.

[2] – مالك بني نبي، **ميلاد مجتمع**، ص: 27.

[3] – قاسم بن أحمد، **معالم النهضة...، المرجع السابق**، ص، ص: 328، 329.

[4] – محمد دبوز، **النهضة...، ج1، المرجع السابق**، ص: 197.

أن يقنعوا العامة بأفكارهم الإصلاحية بغية إخراجهم من الانعزال والجهل قصد توضيح أولوياتهم ورفع الغشاوة عن أذهانهم لتتجند للعمل على رفع غاية النهضة والإصلاح[1].

من هنا اتخذها رجال الإصلاح في القطر الجزائري عامة وميزاب خاصة، ميادين دعاية لنشر آرائهم، بدون أن تكلفهم ماديا، خاصة وأنها تسهل لهم حشد مختلف طبقات المجتمع، وللخطباء الدور الكبير في إصلاحها، خاصة وأن وجود الخطباء في الاحتفالات يبقى أمرا ضروريا فوجودهم هو الفارق الجوهري بين مسمى "احتفال" ومسمى "زردة"[2].

إن ما يؤكد أهمية هذه التجمعات الناتجة عن هذه المناسبات عند الجزائريين، هو ما شهده حضور الشيخ "عبد الحميد بن باديس" لأحد المناسبات الاحتفالية، وإلقائه بعد ذلك لمحاضرة بأحد الجوامع، فقال له أحد الحاضرين المدعو "محمد بن دويدة المربعي"، حيث يقول "...أيها الأستاذ، إن إصلاح الأمة دينيا ودنيويا وترقيتها ماديا وأدبيا، يحتاج إلى أعمال عظيمة فوق مقدور الفرد، وأهمها في نظري هو الاجتماعات والاختلاطات بالأمة على اختلاف طبقاتها، في أعراسها، في مآتمها، في محلاتها العامة. فإن السواد الأعظم الذي نعتمد عليه في نهضتنا لا يقرأ مجلة ولا يعرف معنى جريدة..، فاجتماع صغير كهذا خير من عشرين مقالة رنانة وعشرين قصيدة بليغة..."[3]

وفي نفس السياق يؤكده الشيخ بيوض الذي يرى أن المواسم الإسلامية: عيد الفطر، وعيد الأضحى، وليل المولد النبوي، وليلة عاشوراء، وليلة النصف من شعبان، وليالي رمضان كلها، هذه المواسم كلها هي التي يمتلئ فيها المسجد أكثر، وشعور السامعين في أعيادهم وفي شهر صومهم يكون أقوى، ولهذا لابدا من اغتنام الفرصة لتقديم الدروس والمواعظ وطرح العديد من القضايا الاجتماعية[4]

---

[1] – محمد ناصر، **الشيخ بيوض مصلحا وزعيما، المرجع السابق**، ص:84

[2]– محمد البشير الإبراهيمي، **الآثار، المصدر السابق، ج1**، ص: 328.

[3] – **"يومان للأستاذ باديس في الوطن الساحلي"**، الشهاب، محرم 1348هـ/ جويلية 1929م، ص: 46.

[4]– محمد علي دبوز، **أعلام الإصلاح في الجزائر 1921– 1975**، ج3، عالم المعرفة، الجزائر، ص: 122.

تعتبر الاحتفالات أحد مظاهر الوحدة الدينية والقومية الوطنية، والقيام بتلك الاحتفالات كل سنة هو دليل على تمساك أفراد الأمة، و"كلما كثرت أعياد الأمة، وكلما بالغ شعب في العناية بمواسمه كان ذلك دليلا قويا على شدة الاحتفاظ بالوحدة المنشودة، وعلى قوة الإرادة والعزيمة في تقوية روح التماسك، وتجديد رابط الأواصر التي هي على وشك الانحلال، ومقاومة طغيان الظروف بكل وسيلة"[1].

خلاصة الفصل:

مع بداية القرن العشرين ظهر عنصر التحدي ما بين الحضارتين الغربية والعربية الإسلامية، فقد تجلى الصراع في ردة فعل العلماء بإقامة دعائم دينية حصينة للشباب تمثلت في تكوينه وتربيته بالرجوع الدينية المبنيةعلى العقيدة السليمة والمتجلية في حب الوطن النابع من تضحيات الأباء والأجداد، حيث خطوا أسماءهم بإبداعهم العلمي والفكري في المجال الإصلاحي، وكذا تنوع منهل التكويني لهم، وتعدد مجالاتهم العلمية والاجتماعية، هذا ما أهلهم بأن يكونوا أكفاء في شتى الميادين التي أسهموا فيها.

وإذا خص الكلام حول الميدان التعليمي والديني فإن تضلع الشيوخ في أبجدياته يتضح من خلال الأثار المادية واللامادية في مختلف القضايا التي فصلوا فيها بصفتهم علماء وأئمة وشيوخ ومدرسين، وكذا المؤلفات والدراسات الفقهية والعلمية التي أبدعوا فيها وتركوها في مختلف الفروع والتي تنوعت بين العلوم النقلية والعلوم العقلية، حيث تنوعت العلوم النقلية بدرورها بين التفسير، والحديث، الفقه والعقيدة، حيث كان انتاجها غزيرا من حيث الكم، ومختلفة من عالم لآخر، والتي ارتكزت على النصوص الشرعية من الكتاب والسنة.

[1] – "**رمز وطنية كل أمة يتجلى في الاحتفال بأعيادها**،" الشهاب، ذو الحجة 1349هـ/ ماي 1931م، ص:309.

غير أن هذا المسلك لم يكن على طريق سهل ومعبد، فقد واجهوا شتى أنواع العراقيل والمضايقات بمختلف الوسائل، سجن وتهجير، وتوقيف عن أداء المهام من طرق الإدارة الاستعمارية في المنطقة.

الفصل الخامس:

مظاهر الحركة الإصلاحية التعليمية والدينية والاجتماعية في وادي ميزاب

أولا: الإصلاح التعليمي

1-التعليم الإبتدائي

2-التعليم الثانوي(معهد الحياة)

ثانيا: الإصلاح الديني والاجتماعي

1- مقاومة الحملات التبشيرية والتنصيرية

2- التصدي للتجنيس والإندماج

3- محاربة الإنحراف الخلقي

4- المرأة الميزابية في الإصلاح التعليمي والديني والاجتماعي

تمهيد:

إن العلماء الذين سبق وأن تحدقنا عنهم في الفصل السابق يرجع لهم الفضل في الحركة الإصلاحية التعليمية والدينية والاجتماعية في وادي ميزاب، فمن مظاهر الإصلاح أنهم اهتموا بالتعليم الابتدائي لأهميته القصوى في تربية الأجيال، فقد عملوا على تطويره وإصلاحه ومرافقة النشأ والتكفل به وتشجيع الطلبة على الالتحاق بالمدارس وتقسيمهم إلى مستويات حسب سنهم، مع وضع برامج دراسية تتماشى مع قدراتهم العقلية، بالإضافة إلى ما تتطلبه الحياة من شروط، وهذا بهدف التوازن الاجتماعي المبني على العلم والمعرفة وإصلاح أول خلية في المجتمع المكونة من المرأة والرجل والأولاد، ألا وهي الأسرة في ثوب متجدد مبني على الإصلاح ومسايرة المجتمع للتصدي لكل أنواع الاندماج والتنصير والتجنيس التي كانت تريده فرنسا لمنطقة وادي ميزاب، كل هذا ما سنتعرف عليه في هذا الفصل.

(أولا)– الإصلاح التعليمي:

1– التعليم الابتدائي:

لقد برزت الجهود الفعلية لعلماء الحركة الإصلاحية الجزائرية عامة والميزابية خاصة في ميدان التربية والتعليم مع مطلع العشرية الثالثة من القرن العشرين، وذلك بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى حيث نبه المربون الجزائريون إلى ضرورة العمل على ترقية التدريس كما شنوا دعاية واسعة استعملوا فيها منابر المساجد واللقاءات والمناسبات والمحافل الاجتماعية المختلفة، وعقدو الرحلات إلى مدن الشمال حيث توجدوا تجمعات التجار الميزابين بهدف تصحيح النظرة الخاطئة عن التعليم، فقد كان الناس لا يعطون أي أهمية لتعليم أبناءهم فيبقون محرومين منه ويدفعون إلى الأشغال والأعمال في الحقول والمتاجر والحرف، حيث يقول الشيخ أبو اليقظان في هذا الصدد :"إن أغلبية أبناء الأمة يرون أن السعادة والحياة لا تتوقف على العلم

والتعليم وإنما تتوقف على المال ووفرة الجاه، ولا دخل للعلم في العز والحياة، بل ربما رأى البعض العلماء عائقا في سبيل تحصيل المال، وهذا هو السر في الزهد العام تقريبا من الأمة في العلم والرضا بالجهل"[1].

ضف إلى ذلك الحالة العامة للتعليم التي كانت جامدة متردية لم تشهد أي تطور، حيث يصور لنا الشيخ عبد الرحمان بكلي وضعيتها قائلا:" أما التعليم في وقتنا فقد كان ضوءه ينطفأ إن لم نقل أنه انطفأ تماما، كيف يزدهر وغالب من يزعم أنه المتعاطي له يسلك طريقة عقيمة...كيف يزدهر والأفراد الذين وقفوا إلى طريقة من طرقه المنتجة تشن عليهم الغارات ليلا نهارا"[2].

في نفس السياق أعاب الشيخ ابن الهاشمي على رجال التربية ما كانت عليه الكتاتيب القرآنية من جمود وتخلف في طرقها التعليمية وتحفيظ القرآن الكريم من دون أدنى فهم[3]، كما قام الشيخ أبا يقظان بإرجاع ضعف التعليم إلى ضعف المعلمين في مستواهم وطرق تدريسهم واستعمال العنف بدل الحوار[4].

استمر علماء الإصلاح في شن حملتهم الدعائية الواسعة للحركة الإصلاحية التعليمية خلال العشرينيات والثلاثينيات من القرن لإقناع الناس من جدوى التعليم المعاصر والأخذ بأسباب التمكين العصرية، كما كانوا أحيانا يتصلون بأرباب العائلات ورؤساء العشائر بإقناع الأولياء بتعليم أبناءهم، حيث كانت معظم مواضيع الدروس والاجتماعات خلال هذه الفترة حول أهمية التعليم وجدواه والتحذير والتقصير فيه[5].

---

[1] – أبو يقظان، **الأمية حيث الأمم شلل**، جريدة وادي ميزاب، العدد: 105، 04 جمادى الأولى 1347هـ/ 19 أكتوبر 1926، ص: 01.

[2] – عبد الرحمان بكلي، **نحن إلى التربية أحوج منا إلى العلم**، جريدة وادي ميزاب، العدد: 02، 20 ربيع الأول 1345هـ/ 08 أكتوبر 1926، ص: 01.

[3]– عبد المجيد بن عدة، **الخطاب النهضوي...**، **المرجع السابق**، ص: 369.

[4]– أبو اليقظان، **العلم والتعليم الصحيحان**، جريدة وادي ميزاب، العدد: 06، 28 ربيع الثاني 1345هـ/ 05 نوفمبر 1926، ص: 01.

[5]– قاسم الشيخ بلحاج، **معالم النهضة...**، **المرجع السابق**، ص: 507.

عارض محافظي بني ميزاب على إنشاء المدارس العصرية، برؤية منهم على أنها بدعة وانحراف على النهج المستقيم الذي تركه مشايخهم وأجدادهم وأنها تقليد للكفار وتأثر بهم، واستعمال وسائلهم من الطاولات والكراسي والأدوات وأساليب التدريس وتقليدهم في تدريس العلوم العصرية الحياتية التي هي من علوم الدنيا والتي بدورها ستأثر سلبا على الأجيال وتفسد دينهم وعقيدتهم وأخلاقهم ودعوا إلى الاكتفاء على إبقاء الكتاتيب والمحاضر فقط، كما شنو حملات دعائية ضد المصلحين فسمو المدارس العصرية بالمهارس، واعتبروها أوكارا لإفساد الطبائع والأخلاق والابتعاد عن الدين والمذهب[1]، ومن جهة أخرى واجه المشروع في بناء المدارس العصرية معارضة من قبل لإدارة الفرنسية التي راحت تعرقل ذلك بإصدار تعليمات لمنع نشاطها إلا برخصة تسلم من قبل مصالحها، ولم تكتفي بذلك بل راحت تعتقل المعلمين والعلماء وتضطهدهم، هذا ما أدى بالعلماء لاستعمال أساليب المراوغة والتمويه على نشاطهم للحفاظ على مدارسهم، كما كانت تقر للحكام العسكريين بأن مدارسها مجرد كتاتيب تقليدية كانت موجودة من قبل، وتارة تفتحها بجوار المسجد حتى تكون محسوبة على مرافقته لتنجو من المراقبة، كما كان مدراء المدارس يغلقونها ويمنعون التلاميذ عند المدرسة عند زيارة القياد والقادة العسكريين الفرنسيين[2].

كما عرفت جماعة المالكية في المنطقة حركة إصلاحية في بداية القرن العشرين في المجال التعليمي وذلك بعد خمود الثورات المسلحة التي قادها وشارك فيها السكان بتأثير من الطرق الصوفية القادرية والسنوسية والشيخية الذي أثر على الجانب الثقافي مما جعل السكان يقعون في الخرافات والدجل والشعوذة، هذا الوضع جعل علماء المنطقة المحليين يحشدون الوعي الجماعي بأشعار تتغنى بالعروبة والإسلام، كما سارعوا إلى استقدام علماء من مناطق خارج الوطن مثل: الإمام العروسي محمد من تونس، وكذا معلمين من منطقة توات لتجديد المدرسة المالكية بالمنطقة، كما توجت الحركة الإصلاحية لدى المالكية في وصول الشيخ محمد لخضر الفيلالي مبعوث الشيخ الإبراهيمي إلى غرداية، حيث انتسب العديد من التلاميذ المالكية

[1] – محمد علي دبوز، **الأعلام، ج5، المرجع السابق**، ص: 26.

[2]– تركي رابح عمامرة، **التعليم القومي...، المرجع السابق**، ص: 221.

في متليلي وغرداية والقرارة إلى مدرسته التي اعتبرت وسطا خصبا للفكر الإصلاحي بتطبيق مشروع جمعية العلماء في المنطقة[1].

لقيت هذه المبادرة المعارضة كغيرها مما لقته الإباضية حول إصلاح التعليم، وقد شن هاته المعارضة مقدمي الطرق الصوفية أبرزهم مقدم الطريقة القادرية سي الحاج الطيب قويدر، حيث اتهموا مالكية ميزاب بالباديسية والعقبية[2]

أ- جهود علماء ميزاب في تطوير وإصلاح التعليم الابتدائي:

بعد أن أثمرت جهود المدارس العربية الحرة في كل أرجاء الجزائر ووادي ميزاب استطاعت أن تضم في صفوفها ألاف التلاميذ وعشرات المعلمين والمربين، حيث أن المشروع التربوي الابتدائي قد توسع وأصبح بحاجة إلى المتابعة والتطوير والتحكم في سيره الحسن، لذا رأوا علماء الإصلاح ضرورة مواكبة هذا التغيير وضبطه أكثر، بادروا بإنشاء رابطة تربوية تجمع بين كل معلمي المدارس ومدراءها وتنظم لهم اجتماعات دورية، وملتقيات سنوية ليتدارسوا أوضاع التعليم ومستجداته لإيجاد حلول مشتركة، وذلك من خلال تجاربهم للوصول إلى نتائج تحدد أساليبها في العملية التربوية، وكانت الاجتماعات تعقد في صائفة كل سنة في وادي ميزاب يحضرها المعلمون من كل مدارس الإصلاح في الجزائر، تدوم ليومين كاملين برعاية مشايخ وكبار أعيان ميزاب، يتمخض عنه اقتراحات وتوصيات عملية يتم تطبيقها بداية السنة الدراسية المقبلة[3].

كما بادر معلمو مدارس وادي ميزاب إلى ترقية البرامج التعليمية ومناهجها من خلال توحيدها، خاصة بين مدارس الشمال والجنوب، وكان يجد التلاميذ المنتقلين من الشمال إلى الجنوب أو العكس كتبا غير كتبهم ومناهج غير التي ألفوها، الأمر الذي يجعلهم يتعذرون على مواصلة الدراسة فيضيعون[4]، كما كان

[1] – الدهمة بكار، **المرجع السابق**، ص: 48.

[2] – **المرجع نفسه**، ص: 49.

[3] – قاسم الشيخ بلحاج، **معالم النهضة....**، **المرجع السابق**، ص:513.

[4] – دبوز، **النهضة...**، **ج3**، **المرجع السابق**، ص: 223.

زعماء النهضة ومديرو المدارس العربية الحرة يتمنون أن يكون لمدارسهم منهج واحد ومفتش عام يطلع على سير التربية والتعليم فيها، من هنا سعى وبادر الشيخ عدون بن صالح إلى دعوة مدرسوا المدارس العربية الميزابية وأساتذتها البارزين في الشمال والجنوب إلى عقد اجتماع عام في مدينة بريان سنة 1945، إذ فاتحهم في مسألة توحيد المناهج والكتب المدرسية، كما رغبهم في ذلك فوجدهم عند حسن ظنه، فشرعوا في دراسة المناهج المتبعة والكتب المقررة وانتهوا من اجتماعهم الذي دام خمسة أيام بوضع برنامج كامل بأحسن المناهج في التربية والتعليم واختيار أحسن الكتب في التدريس، كما قاموا بانتخاب لجنة مثلت فيها كل المدارس لتنعقد في كل عام لتجديد النظر في المناهج والكتب وتنفذ ما يشير به المفتش العام للمدارس مركزها القرارة، ومن ثم أصبحت المدارس العربية الابتدائية موحدة في مناهجها الدراسية منسجمة بمعهد الحياة[1].

كان الشيخ عدون الشريفي بصفته مفتشا عاما يزور كل المدارس مرة كل سنة، يعاين سير العملية التربوية ويتابع مدى التزام المعلمين والمديرين بتطبيق توصيات الملتقيات ونتائج أعمال وحدة التعليم، وينصح ويرشد المعلمين الجدد، وبعد ذلك يقدم تقريرا مفصلا عن كل هذه الزيارات وعن ملاحظته وتقويمه لكل مدرسة إلى الهيئات العرفية في وادي ميزاب وإلى مشايخ الحركة الإصلاحية[2].

ولإصلاح الخلل الموجود في المنظومة التربوية دعا أبو اليقظان إلى مراعات تحسين حالة المعاهد العلمية الحالية وكذا زيادة معاهد جديدة ومراعات تحسين أسلوب التعليم وإدخال نظم الجديدة عليه، وكذا تأسيس المكتبات وانتقاء الكتب القيمة لتسهيل المراجعة وإرسال البعثات العلمية إلى منابع العلم لإكمال دراستهم ومساعدتهم على ذلك[3].

---

[1] – **المرجع نفسه**، ص: 224.

[2] – قاسم بن الشيخ بلحاج، **معالم النهضة...**، **المرجع السابق**، ص: 513.

[3]– أبو اليقظان، **كيف الوصول إلى العلم النافع**، جريدة وادي ميزاب، العدد: 09، 20 جمادى الأولى 1345هـ/ 26 نوفمبر 1926، ص:01.

ب- تشجيع تلاميذ المدارس الحرة على الالتحاق بالمدارس الفرنسية:

كما تحدثنا سابقا أن منطقة وادي ميزاب عرفت المدارس الرسمية مع إلحاقها بالحكم العسكري سنة 1300هـ/ 1882م، حيث سارعت الإدارة الاستعمارية إلى فتح مكاتب تعليمية لهم في كل قصور وادي ميزاب، كما قامت بترخيص للأباء والأخوات البيض لفتح مدارس خاصة بهم بالإضافة إلى فتح مؤسسات للتكوين في المهن والصنائع، إلا أن سكان المنطقة كان موقفهم سلبي معادي تجاه هذا النوع من التعليم فبادروا إلى مقاطعته، كما شن مشايخ العزابة حملة دعائية ضد الالتحاق بها، وذلك باعتبارهم أنها مصدر خطر على المجتمع الإباضي، وأنها وُجدت لمسخ الشخصية الإسلامية العربية، كما اتخذوا عدة طرق وحيل لإبعاد أبناءهم عنها كما ذكرنا سابقا.

استمرت هذه الحالة إلى غاية نهاية العشرينات من القرن العشرين، حيث قام رجال الإصلاح وعلى رأسهم الشيخ بيوض لدراسة موضوع إلحاق وتسجيل أبناء وادي ميزاب في المدارس الرسمية، وذلك بإدراكهم أن إلحاق أبناءهم بهاته المدارس أصبح أمرا واقعيا، كما أدركوا أنهم بحاجة ماسة إلى تدريسهم اللغة الفرنسية والعلوم العصرية التي تعتني بها هاته المدارس وأنه من الخطأ إبقاءه على حالته الراهنة، ضف إلى ذلك أن الإدارة الاستعمارية تتعامل باللغة الفرنسية، ومن جهة أخرى رأوا أن السلطات الاستعمارية صارت تشترط في تولي الوظائف في مصالحها الإدارية شهادة التعليم الابتدائي من مدارسها الفرنسية، فلا يمكن أن يبقى أبناء ميزاب خارج هذه الوظائف، بعيدين عن تولي هذه المناصب بسبب مقاطعة التعليم الفرنسي[1].

كما أنه بواسطة هاته الشهادات الابتدائية يستطيع أبناء ميزاب موصلة دراستهم في الثانويات والجامعات الفرنسية والتخصص في العلوم العصرية الضرورية من الطب والصيدلة والقانون والتجارة، وذلك لإعدادهم للتخلص من التبعية الدائمة للإدارة الفرنسية واليهود المستحوذين على كل المجالات الحيوية في المنطقة[2].

[1]- قاسم بن أحمد الشيخ بلحاج، **المرجع السابق**، ص: 515.

[2] - دبوز، **الأعلام، ج5، المرجع السابق**، ص: 34.

إن هاته الأفكار جعلت أعلام الإصلاح يقتنعون بإنهاء مقاطعة المدارس الفرنسية حتى لا يذهب أبناء ميزاب ضحية للنظرة الخاطئة، وضحية الجمود والتعنت، في سبيل هذا عزموا على تغيير نظرة المجتمع الإباضي الميزابي تجاه هذا النوع من التعليم، حيث أعلن الشيخ بيوض حملة دعائية واسعة استعمل فيها كل المؤسسات الإصلاحية من مساجد ومحافل اجتماعية، داعيا فيها إلى ضرورة إلحاق كل التلاميذ بالمدارس الفرنسية في وادي ميزاب وضرورة إيقاف مقاطعتها مع تغيير النظرة إليها، بالإضافة إلى ضرورة حرس الأولياء على متابعة أولياءهم في دراستهم حتى حصولهم على شهادة التعليم الابتدائي الفرنسي[1].

كما أشاع الشيخ بيوض دعايته في كل قصور وادي ميزاب، وفي أرجاء الجزائر أينما حل وارتحل،كما كان يحضر يوم فتح مكاتب التعليم الفرنسي لتسجيل التلاميذ الجدد، ليتأكد من التحاق كل أبناء ميزاب إليها[2].

من جهة أخرى واجهت دعاية الشيخ بيوض وعلماء الإصلاح معارضة شديدة وثورة عارمة من طرف تيار المحافظين الذين اعتبروه توجها خاطئا يحمل أفكار منحرفة خارجة عن الدين، يدفع أجيال وادي ميزاب إلى حافة الهلاك، والخروج عن الدين الإسلامي[3].

مع كل هاته المعارضة واصل الشيخ بيوض دعايته التي تدعوا إلى الالتحاق بالمدارس الرسمية لما رأوه فيها من إيجابيات وأن مفاسده يمكن معالجتها عن طريق التعليم العربي القرآني في المدرس الحرة التي تعتبر معلما حضاريا بارزا في غرس القيم الإسلامية وبناء الشخصية العربية الإسلامية، لقد غيرت دعوات علماء الإصلاح نظرة سكان وادي ميزاب إلى التعليم الفرنسي حيث نجحت بإلحاق عدد كبير من التلاميذ بها يتلقون تعليمين عربيا وفرنسيا متوازنين في نفس الوقت، حيث علق الدكتور أبو القاسم سعد الله على ذلك قائلا:" إن التلاميذ في ميزاب يترددون على المدارس الفرنسية في النهار والمدرسة العربية عند الفجر

[1]- **المرجع نفسه**، ص: 34.

[2] - **المرجع نفسه**، ص: 36.

[3]- محمد دبوز، **الأعلام...**، **ج5**، **المرجع السابق**، ص: 34.

والمساء".[1]، وفي السياق ذاته يذكر الباحث قاسم بن أحمد الشيخ بلحاج قائلا :"...تعليم عربي يبتدئون به يومهم بعد صلاة الفجر مباشرة بمقدار ساعتين، ثم يذهبون في صبيحة اليوم إلى التعليم الفرنسي لتلقي مختلف العلوم العصرية واللغة الفرنسية، وف المساء يعودون إلى التعليم العربي بمقدار ثلاث ساعات يتلقون فيها مختلف العلوم العربية والشرعية"[2]، وكإحصائية للعدد الإجمالي للتلاميذ بالمدارس الرسمية في وادي ميزاب من سنة 1914 إلى 1922 كانت كالأتي[3]:

السنة	التلاميـــــــــذ
1914	450 تلميذ
1915	462 تلميذ
1916	532 تلميذ
1917	567تلميذ
1918	586 تلميذ
1919	605 تلميذ
1920	615 تلميذ
1921	598 تلميذ
1922	594 تلميذ

تم إنشاء مدرسة فرنسية رسمية في كل قرى وادي ميزاب ما عدا مدينة بنورة، ومع مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين ارتفع عدد التلاميذ إلى 750 تلميذ حيث كان عدد الناجحين بشهادة التعليم الابتدائي سنة 1938، 33 تلميذا[4]، ومع مطلع الأربعينيات اكتضت مدارس التعليم الفرنسي بالتلاميذ حتى صارت عاجزة عن ضم أعداد من المقبلين على التسجيل فيها، هذا ما دفع علماء الإصلاح بتقديم طلبات إلى الإدارة الفرنسية من بينها توسيع مدارسها وبناء أقسام وفروع جديدة لها، العناية بالتعليم الفرنسي وتوفير

[1] – سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي...**، **المرجع السابق، ج3**، ص: 298.

[2] – قاسم بلحاج، **معالم النهضة...**، **المرجع السابق**، ص: 518.

[3] – يوسف بن بكير، **المرجع السابق**، ص: 250.

[4] – **المرجع نفسه**، ص: 250.

لوازمه، والعمل على تطويره ليواكب التعليم الفرنسي الموجود في الشمال، ويوحد برامجه ومقرراته، ويظهر ذلك في كطلب الشيخ بيوض أمام لجنة الإصلاحات الفرنسية سنة 1364هـ/ 1944م، والمتمثل في توسيع نطاق التعليم الفرنسي وترقيته[1].

كما تحمل علماء الإصلاح في المنطقة نفقات بناء بعض المدارس وترميم بعض الأقسام التابعة للتعليم الفرنسي وذلك بغرض دفع عجلته والإسراع في إحداث إصلاحات عليها، كما قام الشيخ بيوض بإرسال بعثة طلابية من القرارة سنة 1358هـ/ 1939م، إلى مدرسة التكوين المهني بغرداية لتكوينهم، كما تولى رعايتهم حتى تخرجهم، ثم بادر بمساعدتهم في فتح ورشات لهم[2].

2- التعليم الثانوي (معهد الحياة):

لقد كان شغل واهتمام رجال الإصلاح في وادي ميزاب بعد الحرب العالمية الأولى اعداد ناشئة صالحة وذلك بتكوينها بتربيتها تربية دينية صحيحة، وتعليمها تعليما عصريا راقيا يصل بهم إلى ما يصبوا إليه بُنات النهضة في ميزاب، لذلك أُنشأ معهد الحياة بالقرارة[3]، وذلك بعد الشد والجذب بين أنصار الإصلاح والمحافظين في معهد الشيخ عمر بن يحي، بادرت جماعة الإصلاح بتأسيس معهد جديد وقرر أن يكون ذلك يوم الجمعة في 28 شوال 1343هـ/ الموافق لـ 21 ماي 1925م، وذلك في دار الشيخ بيوض حيث أقام وليمة حضرها أعضاء العزابة وأعيان البلد، وأنصار الإصلاح في مدينة القرارة، حيث خطب فيهم الشيخ رفقة زميله الحاج بكير العنق، لتكون بذلك الخطوة الأولى لإنشاء معهد يختص بالتعليم الثانوي في ميزاب[4]، حيث أُنشأ على منهج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي قامت على أساس استثمار طاقات المسلمين في تكوين الشباب وتزويدهم بالعلم والمعرفة، لتمكينهم من فرض وجودهم ضد الإدارة

[1] - محمد علي دبوز، **أعلام الإصلاح، ج5، المرجع السابق**، ص: 43.
[2] - يوسف بن بكير، **المرجع السابق**، ص: 250.
[3] - محمد دبوز، **النهضة...، ج3، المرجع السابق**، ص: 17.
[4] - **المرجع نفسه**، ص: 21.

الاستعمارية، ولاقتناعهم بنجاحها حيث أن الشخصيات البارزة في الجمعية كانت تنتمي إلى سلك التربية والتعليم، وليس للأحزاب المتنافسة على السلطة في المجالس المنتخبة[1].

أ- إدارة المعهد:

لقد كان الشيخ "سعيد شريفي عدون" يتحمل أكبر جزء من تسيير المعهد إداريا وعلميا وتربويا، وذلك لعدة اعتبارات منها كثرة الطلبة وتعدد الأساتذة بالإضافة إلى كثرة أعمال الشيخ بيوض الخارجية، حيث أصبح الشيخ يجمع وظيفة المدير والناظر معا حيث يقوم بالوظيفتين أحسن قيام، إذ يقول في هذا الصدد الشيخ محمد علي دبوز الذي عايش مراحل نشأة المعهد وتطوراته طالبا وأستاذا قائلا:" وكان مع الشيخ بيوض في هذه الخصائص ناظر المعهد في أطواره الأولى ومديره بعد ذلك، أستاذنا الجليل الشيخ عدون بن الحاج، الذرع الأيمن للشيخ بيوض في جهاده العلمي وفي بناء المعهد وتسييره...وهو من الأسباب الكبرى في نجاح المعهد في التربية، فلولاه لا تعب الشيخ بيوض وكانت نتائج المعهد أقل، وعمره أقصر وصموده أقل بكثير مما هو الآن"[2].

ب- البرامج الدراسية بالمعهد:

لقد كان هدف العلماء من إنشاء معهد الحياة تكوين رجال صالحين، لذا بادر كل من الشيخ بيوض والشيخ عدون والشيخ أبو اليقظان وغيرهم من العلماء المتشبعين بالفكر الإصلاحي من وضع برامج جديدة تعليمية تربوية حديثة على البرامج السابقة، حيث كتب الشيخ أبو اليقظان سنة 1925م: " أما بعد، فلما كان التعليم في كافة الشعوب أخذا في التدرج والارتقاء إلى ميزاب ولا سيما بلدة القرارة منه، فقد بقي على أسلوبه القديم القليل النتيجة، فكر بعض شبيبتها المخلصين في وضع نظام للتعليم الجديد

[1] - عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ص، ص: 250، 251

[2] - محمد دبوز، **النهضة...، ج3، المرجع السابق**، ص: 28.

يكون مزيجا من الأسلوبين القديم والحديث، ويكون مرحلة انتقال إلى ما هو أكمن وأليق بالعصر، وقد اعتبر في وضعه أهمية العلوم في نزر الشعب ونفسية أهل البلدة وحالتهم الأدبية والمادية"[1].

من هنا يتضح أن معهد الحياة ساير النظريات الحديثة في وضع برامجها التربوية والتعليمية، والتي اعتبرها المشايخ اللبنة الصحيحة التي تبنى عليها البرامج في المعهد، وذلك بهدف استقلاليتها من الجمود وانتقالها نحو الأصالة، وفي السياق ذاته قام الشيخ بيوض في منهجه التربوي بالمزج بين النظرية والتطبيق لضمان ترسيخ المعلومات في ذهن الطالب واختبارها في الميدان، فأنشأ نظام الجمعيات الأدبية ملحقة ببرامج الدراسة النظرية بالمعهد، ليتسنى للطالب التدرب على توظيف أفكارهم ومعارفهم في المقالات والخطب والقصائد الشعرية والمسجلات الأدبية، والمجلات الثقافية، بالإضافة إلى الإذاعة المسموعة وذلك لتأهيلهم لتحمل المسؤولية وتقدمهم في مواقع الصدارة[2].

رافق هذه البرامج العمل على تطوير أسلوب التدريس، إذ لم تقتصر على الطريقة التسميع والطريقة الإلقائية التي كانت تُطبق آنذاك بل جدد في طريقة التدريس كما وصف ذلك الشيخ محمد علي دبوز :"كان الشيخ البيوض لا يكتفي بالمعنى الظاهر للنص بل يستخرج معانيه العميقة، ويبين سبب حسنه أو ضعفه، فيعلم تلامذته بهذا حسن النظر في الأدب والنقد الصحيح لنصوصه، وكان الشيخ يشرك التلامذة في فهم النصوص، ويستعمل عقولهم للترقي وكان يسعى في دروسه إلى اتباع طرق المناقشة والاستنتاج وربط القديم بالجديد والانتهاء بخلاصة وأسئلة، وكان غرضه من درس الأدب والعلوم العربية الأخرى هو ما يصرح به عندما يلتقى بنا: "إن غرضي الأسمى من تدريس الأدب والبلاغة والعلوم العربية الأخرى أن أكون عقولا تفهم بلاغة القرآن والسنة، وأقلاما ينصر الله بها دينه"[3].

---

[1] – حميد أوجانة سليمان، **أسس التربية والتعليم بمعهد الحياة**، مجلة الحياة، العدد: 08، رمضان 1425هـ/ نوفمبر 2004، ص: 117.

[2] – مصطفى بن صالح باجو، **نموذج التربية الاجتماعية عند الشيخ بيوض من خلال تلميذه الشيخ حمو فخار**، مجلة الحياة، العدد: 24، رمضان 1440هـ/ جوان 2019م، ص: 137.

[3] –محمد دبوز، **النهضة...، ج3، المرجع السابق**، ص: 67.

كما كان الشيخ بيوض يكثر من مطالعة الكتب والجرائد المشرقية ليطعم بها دروسه، كما كان يوصي التلاميذ بالاطلاع عليها قائلا: إن غرضي من هذه الدروس أن أنشأ عقولا تفهم بلاغة القرآن ونفوسا دارعة بعدة الفصاحة والبلاغة، إن جهادنا يستلزم هذه العدة، وهذا لا يكون إلا بعملكم أنتم، ألا فاعملوا، طالعوا دروسكم قبل الدرس وراجعوها مرار بعده، واعتمدوا على أنفسكم"[1].

كان ينتقي المجلات والصحف المصرية والوطنية التي تصله في كل أسبوع ليقرأها ويشرحها على طلبته، كما كان يبدي اعجابه بكتاب وشعراء الذين كانوا يكتبون في المجلات، كما يشجع طلبته على قراءتها[2].

كان الشيخ بيوض يعتمد في بادئ الأمر على البرامج والمواد التي كانت تدرس في معهد شيخه دون أن يحدث أي تغيير عليها، غير أنه بعد مضي ثلاثة أشهر من انطلاق مسيرة التعليم في المعهد اجتمعوا علماء الإصلاح بمدينة القرارة للنظر في تطوير وتحديث نظام التعليم في المعهد من بينهم الشيخ إبراهيم بيوض، الشيخ أبو اليقظان، الشيخ عدون، قاسم بن الشيخ، عمر بوحجام، صالح بن يوسف، عبد الله بن براهيم الدلال، باعتبارهم المؤسسين الأوائل لإدارة المعهد، حيث اتفقوا على أن يسير التعديل في التطوير والتحديث وفق مراحل لمراعاة الأوضاع العامة للمجتمع وقدرات الطلبة على الاستيعاب[3].

أسفر هذا الاجتماع على ضبط سير التعليم في المعهد كما يلي:

- تقسيم البرامج إلى قسمين: قسم يتناول العلوم، وقسم بتناول القرآن.

- تقسيم الطلبة إلى ثلاثة طبقات: الطبقة الكبرى، المتوسطة، الطبقة الصغرى، مع مراعاة السن والمستوى الدراسي، وكذا تحديد الكتب المعتدة والعلوم المقررة لكل طبقة، وهو ما يتضح في الجدول الآتي[4]:

---

[1] - حميد أوجانة سليمان، **المرجع السابق**، ص: 117.

[2] - محمد دبوز، **النهضة...**، **ج3**، **المرجع السابق**، ص: 78.

[3] - قاسم أحمد، **معالم النهضة...**، **المرجع السابق**، ص: 526.

[4] - سعيد شريفي، **معهد الحياة نشأته وتطوره**، تق: محمد ناصر، جمعية التراث، غرداية، ط2: 2009، ص، ص: 63، 64.

الطبقة الكبرى		الطبقة المتوسطة		الطبقة الصغرى	
المادة	الكتب	المادة	الكتب	المادة	الكتب
الفقه أصول الفقه البلاغة النحو الصرف المنطق	كتاب النيل كتاب طلعة الشمس الجوهر المكنون ابن عقيل شذا العرف السلم	التوحيد والفقه النحو الصرف	مختصر الخصال كتاب القطر لامية الأفعال	التوحيد والفقه النحو دروس عمومية	تلقين الصبيان الأجرومية قناطر الخيرات

كما حددوا لشهر رمضان برنامجا خاصا تدرس فيه مواد إضافية مثل التاريخ والحساب والمواريث، وذلك لتكوين الملكات العلمية في مختلف الفنون وتثقيف العقل وتنوير الذهن، وتربية النفس تربية صحيحة، وكذا إعدادها لتحمل عبأ الإصلاح الديني والوطني[1]، يضاف إليهم التاريخ والجغرافيا والهندسة والعلوم الطبيعية وعلم النبات والرياضيات، الخطابة والبلاغة، بالإضافة إلى اللغات الأجنبية بهدف معرفة لغة القوة الأجنبية المهيمنة، ومن ناحية أخرى التمكن من نشر الإسلام بين الشعوب الأجنبية[2].

[1] – محمد علي دبوز، **النهضة...**، **المرجع السابق**، ص: 24.

[2]– Augustin jomier, **un réformisme islamique dans l'Algérie coloniale oulamas ibadite et société du mzab** (**1880–1970**), these de doctorat, histoire moderne et contemporaine, université nantes, 2015, p :374,375.

سار المعهد وفق هذه البرامج عددا من السنين، حيث كان الشيخ بيوض عمدة في تدريس المواد الشرعية والعربية، والشيخ عدون في تدريس بعض المواد اللغوية، والقيام بمراقبة سلوك التلاميذ، وكذا متابعة دراستهم، حيث كان توقيت التدريس في المعهد طوال النهار، وبين المغرب والعشاء، وساعة بعد العشاء[1].

جـ- شروط الالتحاق:

يجب أن يكون الطالب حافظا للقرآن الكريم، وذلك باستظهاره على إمام المسجد قبل البدئ في العلوم، لذلك أنشأ في المعهد في بدئ الأمر قسم خاص لحفظ القرآن يتولاه معلم خاص، لقد اشترط حفظ القرآن للمنتسبين للمعهد شرطا لا مناص منه، وذلك لأنه يهيأ عقل التلميذ ولسانه للتعليم الثانوي، وكذا تقوية إرادته وتزويده بفصاحة اللسان، وتمكنه من اللغة العربية الفصحى، لاعتباره أن القرآن مصدر المعارف وأم العلوم، ويعتبر دستور المسلم في حياته[2]، كما يشترط إلى المنتسبين للمعهد السلامة من الأمراض الجسيمة والعاهات الخلقية، وأن يكون طالبا مسلما عقيدة وعملا، ملتزما بأداء جميع فرائضه الدينية، وسالما من الآفات الاجتماعية خاصة التدخين، والرذائل الخلقية[3].

شهد المعهد مع مرور الزمن عدة تطورات وتعديلات في المواد والبرامج والمقررات، كما تغير إسمه إلى معهد الحياة بعد تأسيس جمعية الحياة الخيرية الإصلاحية المشرفة عليه سنة 1356هـ/ 1937م.

خلال الأربعينيات أحدث الشيخ بيوض في معهده دروسا اجتماعية وسياسية في الوطنية والقومية، وهي عبارة عن حلقات علمية ثقافية أدبية، مفتوحة للمناقشة وتبادل الرأي حول مجريات أمور العمل في العالم الإسلامي، حيث كان الشيخ يستقي مادتها العلمية من المجلات والجرائد المصرية والتونسية التي كانت تصله بصفة دورية إلى القرارة، حيث كان يتابع أخبار الأمة الإسلامية من خلالها، ومن أهم هذه المجلات

[1]- سعيد شريفي، **المصدر السابق**، ص: 65.

[2] - محمد دبوز، **النهضة، ج3، المرجع السابق**، ص: 24.

[3] - مصطفى صالح باجو، **الشيخ بيوض مربيا، كتاب الملتقى الأول لفكر الإمام إبراهيم بن عمر بيوض**، جمعية التراث، القرارة، المطبعة العربية، 1422هـ/ 2002م، ص: 253.

نذكر: مجلة الفتح، والرسالة، والصرخة المصرية[1]، وفي هذا السياق يقول الشيخ عدون مبينا أثر هذه الدروس قائلا: "لم يقتصر المعهد على هذا النظام الموضوع له عند افتتاحه بل سار على سنة التطور، فكان في تقدم مستمر على توالي الأيام، فقد أحدث فيه الشيخ بيوض دروسا اجتماعية ووطنية وسياسية، ألهبت في الطلبة الحماس الوطني، وكان لها أثر بليغ في ثقافتهم العامة وتطورهم نفسيا وتربيتهم اجتماعيا وسياسيا"، كما أحدث في معهده دروسا أدبية رفيعة اعتمد فيها على عدة كتب مثل: كتاب الأمالي لأبي علي القالي، وكتاب "عصر المأمون: لأحمد فريد الرفاعي، وذلك لإنماء الجانب الأدبي والبلاغي للطلبة، كما أحدث درسا يوميا كل صباح لشرح الحديث النبوي الشريف، ابتداء بشرح مسند الربيع بن حبيب إلى شرح صحيح البخاري معتمدا على كتاب "فتح الباري" للحافظ بن حجر، بقيت هذه الدروس متواصلة قرابة عشرين سنة من 1345هـ/ 1926م، واختتمها سنة 1363هـ/ 1945م، حيث يقول الشيخ محمد علي دبوز أحد شهود هذه الدروس عن كيفية تدريس الشيخ لكتاب الصحيح البخاري قائلا: "كان الشيخ البيوض بعد أن يقرأ التلميذ النص يشرحه ويستنبط ما فيه من أحكام، ويقارن بين أقوال المذاهب فيه، يذكرها كلها، فيرجح ما يرجح بالحجة والبرهان، لا يتعصب لمذهبه، ولا يقلد أحدا فيما اختاره"[2].

كما يقول أحد خريجي المعهد:" وقد أسهم هذا المعهد في إنارة الفكر الإسلامي وإنماء الشعور الديني وإذكاء الحس الوطني في نفوس الشباب الذي كان إما متسكعا أعرض عن هذه الحياة وعافاها، وزهد فيها معتقدا أنها خلقت للآخرين، وأن حظه سيعظم في الآخرة بقدر الزهد في الدنيا أو تحللت أخلاقه من خلال احتكاكه بالأجانب الذين غزو وطنه وحرموه من نور العلم والمعرفة"[3].

---

[1]- Augustin jomier, **opcite**, p :373.

[2]- محمد دبوز، **النهضة...، ج3، المرجع السابق**، ص: 67.

[3]- مصطفى بن صالح باجو، **نموذج التربية الاجتماعية عند الشيخ ابراهيم بيوض من خلال تلميذه الشيخ حمو بن عمر فخار**، مجلة الحياة، العدد:24، 1440هـ/ جوان 2019، المطبعة العربية، غرداية، ص: 135.

من هنا يتضح أن مشايخ معهد الحياة بادروا بتغيير الشباب إلى الحياة من نظرة استسلاميه رضيت بالوضع والمصير المحتوم، تكاد تعتقد أن وجود الحكم الاستعماري على الجزائر قضاء من الله، حيث أصبحت نظرتهم بعد تخرجهم نظرة سليمة تعتقد أن الجزائر تعيش أوضاعا وظروفا غير طبيعية وأن طول أو قصر مدة السيطرة الاستعمارية مرهونة بيد أبناء الجزائر، حيث بادروا برفع مشاعر النور والإصلاح بالمجتمع، متمسكين بنصائح وإرشادات علماءهم.

ونظرا لتزايد عدد الطلبة والوفود على المعهد جعل إدارة المعهد تجتمع لإعادة النظر في هيكلته وبرنامجه لتستطيع استيعاب عدد كبير من طلبة العلم، فوضعت له نظام جديدا، أهم ما احتوى عليه: إعادة تقسيم الطلبة إلى أربع طبقات بدلا من ثلاثة، لتتقارب الأعمار والمستويات العلمية، وبعد سنة من التقسيم أُضيفت سنة خامسة، وتم أيضا استبدال القديمة المعتمدة في التدريس بكتب أخرى حديثة تكون أنسب لمستويات التلاميذ، وتعزيز المعهد بأساتذة أكفاء من جامعات ومعاهد عليا من داخل الجزائر وخارجها، كما أضيفت فيه مواد جديدة مثل: علم النفس، الرياضيات، الجبر والهندسة والفيزياء ،كما تم تأسيس مجلس علمي سنة 1375هـ/ 1955م، يضم كبار الشخصيات العلمية والإصلاحية في المنطقة للنظر في برامجه ومتابعة سيره العلمي [1].

كما أُقر لطلبة المعهد إجراء امتحانات أخر السنة الدراسية في آواخر شهر جويلية في كل المواد التي يدرسونها وكذا إنشاء لجنة امتحانات تتكون من أساتذة المعهد وبعض قدماء التلاميذ، حيث تقرر أول امتحان سنوي سنة 1940م، كما أُضيفت في السنة الموالية امتحانات وسط السنة[2].

وللإشارة أنه كان للمعهد العديد من المؤسسات والوسائل المدعمة لنشاطه العلمي والثقافي، منها: جمعية الشباب التي تأسست سنة 1345هـ/ 1926م، بصفة سرية، على يد الشيخ عدون شريفي،

[1]- قاسم بن أحمد الشيخ بلحاج، **معالم النهضة...**، **المرجع السابق**، ص-ص: 532- 535.

[2] - محمد دبوز، **النهضة، ج3**، **المرجع السابق**، ص: 89.

لتتأسس بصفة رسمية علنية سنة 1937م، وهي عبارة عن نادي أدبي يجمع الطلبة خارج أوقات دراستهم لتدريبهم على إلقاء الخطب والمحاضرات، وعلى طلاقة اللسان وفصاحة اللسان والتمرن على كتابة الأشعار والقصص والروايات والتمرس على طرح الأفكار ومناقشتها، وتبادل الأراء، وتعلم النقد والتحليل[1].

وضع لهذه الجمعية قانون ونظام يسيرها حيث كانت جلساتها تنعقد كل أسبوع، كما تطورت وأصبح لها فروع ومجلة خاصة بها سميت "جريدة الشباب" لتدوين والتأريخ للكثير من الأحداث التي شهدتها الحركة الإصلاحية في المنطقة، حيث كانت مفتاح انطلاق الكثير من الأسماء الكبيرة وبروزها في الأدب والخطابة والشعر والدعوة والدين[2].

كما كان للمعهد مكتبه تعج بالكتب نواتها كتب الشيخ بيوض، والذي جعلها تحت تصرف طلبته، ثم أصبحت المكتبة تكبر مع الوقت من خلال الهدايا التي تصله من أهله العلم، بالإضافة إلى الطلبة الذين كانوا يسافرون إلى مدن الشمال، كما احتوت على تركات بعض المشايخ من الكتب التي أوقفوها في سبيل العلم حتى أضحت مكتبة متكاملة للعلوم الشرعية والعربية، حيث بادرت إدارة المعهد بفهرستها وتخصيص قاعة مستقلة لها[3].

(ثانيا)– الإصلاح الديني والاجتماعي:

يعد الإصلاح الديني العلامة البارزة في المشروع الإصلاحي الجزائري، بل اقترن بها واحتل مكانة مهمة لدى مشايخ الإصلاح حيث يظهر ذلك جليا في دعوتهم إلى وجوب إعادة الإحياء ووجوب الاجتهاد وإعمال العقل واعتباره محركا لعملية التوظيف الحقيقي للتراث العربي الإسلامي الجزائري، حتى يمكن

[1] – عبد القادر عزام عوادي، **قراة تاريخية في الحضور الإباضي الميزابي في الجزائر ودوره في تثبيت دعائم الشخصية الوطنية والهوية الإسلامية**، مجلة الحياة، العدد: 23، 1439هـ/ جوان 2018، ص: 215.

[2] – **المرجع نفسه**، ص: 215.

[3] – بلقاسم الشيخ بلحاج، **معالم النهضة...**، **المرجع السابق**، ص: 540.

الاستفادة منه في حركتهم الإصلاحية ففي نظرهم أن اجتهاد العلماء يمكنهم من تأويل التعاليم الإسلامية تأويلا جديدا يتلائم مع العصر، ثم إن إعادة تنشيط الاجتهاد الذي يصب الماضي بالحاضر، ويستشرف أفاق المستقبل هو عين التجديد الذي يهدف إلى جعل المسلمين يتجاوزون المشاكل التي تعترض طريق نهوضهم بعد أن انحطت هذه الأمة في دينها ودنياها بسبب تمسكها بفهمها السخيف لأمور دينها[1]، زد على ذلك الحملات التبشيرية والتنصيرية التي كانت تستهدف الأمة الجزائرية مستغلة الأوضاع المزرية التي كان يعيشها أبناءها، وذلك لحماية الأسس التي يقوم عليها المجتمع من كل خلل وزعزعة قد تكون عواقبه وخيمة على مستقبل الأمة الجزائرية المسلمة ووحدتها الوطنية.

1- مقاومة الحملات التبشيرية والتنصيرية:

أمام النشاط الكبير الذي قام بها المبشرون الأوربيون لتمكين المسيحية في الجزائر وكل الشمال الإفريقي بل وكل العالم الإسلامي منذ أن بسط الاستعمار الفرنسي قبضته على البلاد سنة 1830، تفطن رجال الإصلاح إلى هذا الخطر الذي بات بالفعل بدعم من الإدارة الفرنسية يهدد الإسلام والهوية، فبادروا بمحاربته بكل الطرق حيث شنوا حملات دعائية ضد النشاط التبشيري بواسطة الصحافة العربية الإسلامية التي كانت بدورها تساهم في توعية الجزائريين من مكائد رجال التنصير والتبشير، حيث يقول الشيخ البشير الإبراهيمي في هذا الصدد: "...لكننا نعتقد كما هو الواقع أن الأقوال ليست هي السلاح الذي نحارب به التبشير، مهما كانت حارة بليغة مبنية الحجة وقصارها التحذير من الوقوع في إشراك المبشرين، وإنما السلاح الماضي الفتاك في هذا الميدان هو المال، ولا عمري كيف تستطيع أن تقاوم الجمعيات المنظمة من وراءها أمم غنية، تغدق عليها المال مجهزة بالجيوش الوفيرة من الرهبان والراهبات والأطباء والممرضات، يوجد الجميع أخلاق ممتازة من العبر والثبات والإيمان الجازم بحسن عاقبة ما وقفوا أنفسهم له، ولو عند الأغنياء المسلمين

[1]- عبد المجيد بن عدة، **المرجع السابق**، ص: 195.

بعض ما عند هؤلاء من سماحة اليد في بيل الدين لا طووا هذا التبشير الزائغ ولا نشروا الإسلام في أقطار الأرض كلها..."[1].

في نفس الاتجاه قام الشيخ أبو اليقظان بملاحقة ومحاربة المبشرين من خلال صحفه، حيث نشر في العدد الثامن عشر في جريدة وادي ميزاب مقالا يحث فيه الجزائريين على العمل وينعي على الكسلاء الذين يعتذرون عن العمل بقرب نزول عيسى عليه السلام، فما كان من المبشرين إلى أن اغتصبوا هذه الكلمة واتخذوها سلما لتعليق شروحهم، وكان قصدهم في ذلك التوصل إلى بث مهازلهم بين المسلمين من نبوة عيسى وألوهيته من جهة وفديته يذمه للخلق من جهة أخرى، وكونه واسطة لهمم تقربهم إلى الله وزلفة وتدوين أسماءهم في سجله"[2].

زيادة على ذلك قام الشيخ بتوجيه حملة ضد المبشرين من خلال مقال كتبه تحت عنوان يتقمصون في تبشيرهم حيث سفه فيه معتقداتهم القائمة على ألوهية المسيح عليه السلام، طالبا تنزيه أنفسهم من ذلك واعتباره عيسى عليه السلام بشرا ورسولا قائلا: "...إن موضوع الفصل يا لصوص العقول في البحث عن العمل ونبذ الكسل، لا في شرح نزول المسيح، فإذا كان لكل شيء من تعليق فليكن في الموضوع لا في خارجه، إن كانت لكم نوايا حسنة، وقبل أن تخوذوا مسألة نفوذه، وأن تدخلوا فيما استأثر الله به يلزمكم أن تجردوه من ألوهيته المزعومة وأن تؤمنوا به أنه بشر ورسول، وقبل أن تخوذوا في شرح نزوله وأن تدخلوا فيما لا يعنيكم يلزمكم أن تصدقوا أنتم وأممكم بكل ما جاء به، تبشيركم برسول يأتي من بعده أحمد، أما

[1]- **المرجع نفسه**، ص: 252.

[2]- أبو اليقظان، **الإسلام يحتضر والمسلمون يهزلون**، جريدة وادي ميزاب، العدد: 18، 25 رجب 1345هـ/ 28 جانفي 1927م، ص: 03.

أن تكفروا به وبما جاء، ثم تبشروا بألوهيته وتدعوا الناس ان يكونوا من تلامذه فهذا نهاية الجنون وأنتم أحوج الناس لأن تدعوه إليه ويحملكم على الإيمان به"[1].

كما قام الشيخ بالاحتجاج لدى الإدارة الاستعمارية محملا إياها مسؤولية سكوتها عن هذه الأعمال التبشيرية المنافية لما وعدت به الشعب الجزائري من احترام عقائدهم، كما تسائل عن سبب صمتها على الفساد الذي يقوم به المبشرين قائلا :"ونحن مع تأملنا في هذا الصنيع منها لم ندرك سره ولا وجدنا له سببا يبرره فإذا كان قصدها بذلك تمهيد الطريق لها فقد تمهدت وملكت على المسلمين ديارهم وأموالهم، وأي شيء بقي لها لم تصل يدها إليه، وإذ كان قصدها به امتلاك قلوب المسلمين إن هذا يبعدها جدا عن المقصود ولا تزداد به إلا بعدا ولن تملك قلوب المسلمين بغير العدل والمساواة والإحسان ومراعاة لمصلحتها ومصلحة المسلمين فإننا نحتج ضد وجود تلك الجماعات التبشيرية بالبلاد لا سيما في وادي ميزاب ونرجو منها بكل إلحاح إلغاءها وحلها"[2].

وفي نفس السياق وكمقاومة للنشاط التبشيري للمبشرين في وادي ميزاب بادر أعيان المنطقة برفع احتجاجهم إلى الإدارة الفرنسية ضد ما يقوم به المنصرون وسياستهم الممنهجة، مطالبين رئيس دائرة غرداية والأغواط والولي العام "بيار بورد" (pierre bordes)، بضرورة مراقبة نشاط التنصير الذي يستهدفوا دين الجزائريين وسياسة الحكومة الفرنسية[3].

كما قام الشيخ محمد بن يوسف أطفيش برفع شكوى إلى الولي العام يحتج فيها على تصرفات المسيحين في وادي ميزاب فحواها :"قد ضاع ديننا بطلوع النصارى الصوامع وإشرافهم على النداء في الديار

---

[1]- أبو اليقظان، **يتقمصون في تبشيرهم في وادي ميزاب**، جريدة وادي ميزاب، العدد: 77، 14 شوال 1346هـ/ 06 أفريل 1928م، ص: 03.

[2]- **المصدر نفسه**، ص: 03

[3] - خيري الرزقي، **القضايا الوطنية في صحافة الشيخ أبو اليقظان 1926- 1938**، أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2018، ص: 406.

والدخول على النساء بلا إذن وربما أدى ذلك إلى إسقاط الجنين وقد أفضى ذلك إلى مرض النساء بذلك، وسمعت أن امرأة ماتت بذلك، فمن فضل الله ثم من فضلكم أن تكتبوا إلينا كتابا يتضمن منعهم من ذلك"[1].

كما كان للإمام محمد بن عمر بوحميدة أسلوبا آخر في تعامله مع التنصير والتبشير، حيث أنه كان يبعث بعض النسوة إلى مراكز الأخوات البيض بحي الحفرة بيوم الأحد، أو مناسبات أعياد النصارى، فيزودهن ببعض الأغراض التي هي من حاجات البنات كالحلويات والأمشاط وزيت الشعر والعطر والحناء، ليقمن بنشر العقيدة الإسلامية خفية في الوسط النسوي داخل مركز الأخوات البيض، ومن الأمثلة على ذلك ما روي عن المسماة "أم الخير" قيام النساء بترديد عبارات "لا إله إلا الله محمد رسول الله" بصيغة ونغمة محببة فتناجيها إذ اقتضى الأمر لتعرف البنت انتماءها القومي والديني[2].

2- التصدي للتجنيس والإندماج:

أكد الشيخ أبو اليقظان على مبلغ الأضرار التي تصيب الأمة من التجنيس والاندماج، وذلك بتعطيل شريعتها والانسلاخ من جذورها، حيث يقول في هذا الصدد: "التجنس الذي عرفوه هو الانسلاخ عن الجنسية الإسلامية والدخول في الجنسية الفرنسية، بمعنى الاعتراف لفساد الشريعة الإسلامية وعدم الالتزام بأحكامها والاعتراف بصلاحية التشريع الفرنسي الوضعي والالتزام بأحكامه عليه وعلى ذريته من بعده"[3].

بالإضافة إلى ذلك كان حكم الشيخ على المتجنسين بالردة قائلا :"وأي ردة أكبر من الانسلاخ عن الجنسية الإسلامية والرجوع عن الشريعة الإسلامية إلى اعتناق الجنسية الفرنسية والنزول في الأحكام

[1]- محمد بوسعدة، **دور ميزاب في الحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية 1930 1962**، أطروحة دكتوراه تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة حمه لخضر، الوادي، 2019/ 2020، ص: 117.

[2] - مقابلة مع الأستاذ جمال الدين بوحميدة، يوم 13 ماي 2022 (من 17:00- 21:30)، غرداية.

[3]- أبو اليقظان، **رأينا في التجنيس**، جريدة وادي ميزاب، العدد:70، 25 شعبان 1346هـ/ 17 فيفري 1928، ص: 01.

على الشريعة الوضعية الفرنسية، أم كيف يعد المتجنس مؤمنا والله سبحانه وتعالى يقول "**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**"[1] ، كما اعتبر وأكد أن المارق عن دينه والمنسلخ عن جنسيته شخص لا أخلاق له، فهو أسير شهواته، مبينا ذلك بقوله "إن من ينسلخ من قوميته، ويمرق عن بيئته لا خلق ولا حظ ولا شأن له، حتى من عند من يسخر لمآربه، بل يبقى شأنه مدة حياته شأن القرد المسلوخ، لأن سيده يعلم يحق العلم من انسلخ من قوميته واندمج في عنصره، إلا هو جدير بأن يبيع هذا بقشرة بصل، فهو أسير سهوات لا أسير مبدأ"[2].

وفي نفس الصدد نشر الشيخ عيسى حمو نوري قصيدة بجريدة البصائر، يعتز فيها بالشرف والانتماء إلى الأمة العربية الإسلامية حيث يقول في بعض أبياتها[3]:

للشرق من جمال خال * تفنوا لها في العالم الأقطاب**

من رائعات الشرف ببيوض الذي * نسل الشمال وأنجبت ميزاب**

والعبقرية من فضائل نبته * إن أرجعت لأصولها الأعشاب**

ودم العروبة في العروق مراجل * تغلي وتومض تحتها الأنساب...**

كما أشار الشيخ أبو اليقظان من خلال ما كتبه في صحفه سنة 1928 في هذا الشأن بأن كل مسلم متجنس بالجنسية الفرنسية هو مرتد عن الدين[4]، وهي الفتوى الذي أجمع عليها علماء جمعية العلماء المسلمين سنة 1937[5]، وما زاد الطين بلة بروز الشيوعية واعتلاءها سدة الحكم في فرنسا سنة 1936

---

[1]- سورة النساء، الآية 65.

[2]- أبو اليقظان، **رأينا في التجنيس، المصدر السابق**، ص: 01.

[3] - عبد المجيد بن عدة، **المرجع السابق**، ص: 489.

[4] - أبو اليقظان، **التمدن الممسوخ**، جريدة وادي ميزاب، العدد: 72، 09 رمضان 1346هـ/ 06 مارس 1928، ص: 01.

[5] - عبد القادر قوبع، **الحركة الإصلاحية...، المرجع السابق**، ص: 211.

برمز "الجبهة الشعبية" التي تركت أثرا كبيرا على الشباب الجزائر والميزابي في الشمال، أدى بتخوف العلماء من إنزلاق الشباب نحو الفرنسة، مما دفع الشيخ إبراهيم أطفيش إبداء تخوفه منها خاصة لما علم بتحمس أحد مترجمي ميزاب للفكر الشيوعي الذي يعتبرها حركة إباحية بقوله :"إن المسلم المطلق يستحيل أن يعتنق فكرة الشيوعية، فكيف للإباضية وهم من أشد الناس تعلقا بالإسلام وأرسخهم فيه، وما لا يقبله العقل أن يجمع المسلم الراسخ بين عقيدة الإسلام وعقيدة الإباحية"، كما أكد بعض العلماء بعد الحرب العالمية الثانية على مخاطر أفكارها وزيف إدعاءاتها كالعدالة والمساواة بهدف نشر المادية والإباحية، كما انتقد الشيخ بيوض الشباب المتأثر بالفكر الأوروبي قائلا :"يسبحون بحمد أوروبا"[1].

كما كان يحذر طلبته في المسجد بالحذر في انتقاء الكتب التي يقرؤونها قائلا: "فاحذروا مما تقرؤون خاصة أنتم أيها الطلبة المبتدؤون...فأكثر الكتب التي فيها زيغ وكفر وإلحاد، وكذا كذب وإسرائيليات...خاصة ما يكتب اليوم..."[2].

3- محاربة الانحراف الخلقي:

أمام التطورات السياسية والاجتماعية التي عرفتها الجزائر خلال القرن العشرين من طرف الإدارة الفرنسية التي أكدت على مباركتها لضرب الشخصية الجزائرية والهوية الإسلامية كان ولابد من أن تنصب جهود علماء الإصلاح في الجزائر عامة لمقاومة الموجات الخطيرة التي أخذت تنتشر في أوساط العامة والتي نتج عنها طوفان خطير من انحراف الخلق والإلحاد في الدين والاعتقاد الزائف والانسلاخ من القومية، حيث باردوا إلى إعداد مثقفين متشبعين بالفكر القومي، ولعل من أبرز العلماء الجزائريين والكتاب الصحفيين الذين اهتموا بهذه الظاهرة الخطيرة فترة العشرينيات والثلاثينيات نجد الشيخ بيوض والشيخ أبا اليقظان

[1] - **المرجع نفسه**، ص: 212.

[2]- عيسى بن محمد الشيخ بلحاج، **حرص الشيخ بيوض على حصور الطلبة درس المسجد**، مجلة الحياة، العدد: 24، جمعية التراث، 2019، ص: 45.

اللذين أكد على التحذير من الغزو الفكري الغربي الذي يستهدف المسلمين ودينهم[1]، حيث أكدوا أن كل المصائب والبلايا التي أصابت ولازالت تصيب العالم الإسلامي عموما والجزائري خصوصا مرجعها التيارات الفكرية الغربية التي غزت الفكر الإسلامي والعربي.

كما يرى الشيخ بيوض أن الفساد قد مس كل نواحي الحياة عقيدة وأخلاقا، حيث يقول :"وجدنا الدين مهملا، والأخلاق فاسدة، والعقائد متزلزلة، والأعمال فاسدة، ليس على طريقة وسنة الرسول وصحابته، والجهل عم الدنيا في التجارة والصناعة والفلاحة"[2]، كما يصف لنا الشيخ أبو اليقظان حالة المجتمع المأساوية على مختلف الأصعدة من وطأة الاستعمار الغربي والفقر والجهل والتخلف، بالإضافة إلى أثر النعرات العرقية والطائفية عليه، حيث يؤكد أنه يجب على المصلحين محاربة البدع والخرافات وتطهير نفوس الناس منها، ليتسنى إيصال الرسالة الإصلاحية كاملة دون مجادلة الباطل وأهواء النفوس لأن ترك النفوس لسيطرة الخرافات والأوهام يؤدي لصعوبة تمرير الرسالة الإصلاحية وتقبلها من طرف الأفراد قائلا:"...وجوب البداية بتطهير النفوس من تلك الخرافات والأوهام وتنقيتها من الزيغ والظلام والعقائد الفاسدة، وإعدادها لتلقي العلوم الصحيحة..."[3].

إن مسألة تخلف والانحراف الخلقي صارت الشغل الشاغل لعلماء ميزاب حيث صوروها كالسيل الجارف الذي يريد أن يأتي على كل ما تبقى من هذه الأمة من مكارم الأخلاق فزيادة عن الجهل الذي جعل من بعض الآفات حسنات يتشبثوا بها، راح البعض يقلدون غيرهم حتى يصيروا أمثلة وذلك لأنهم لم يحسنوا التقليد لقصور أذهانهم، والمعلوم أن المغلوب مولع بتقليد الغالب في ملبسه ومركبه وفي سائر أحواله[4]،

---

[1] – محمد ناصر، **أبو اليقظان وجهاد الكلمة...**، **المرجع السابق**، ص: 51.

[2]– محمد دبوز، **أعلام لإصلاح**، **المرجع السابق**، **ج4**، ص: 224.

[3]– أبو اليقظان، **موجة الإصلاح الديني والعلمي بالقطر الجزائري**، جريدة البصائر، العدد: 01، الجزائر، 01 شوال 1345هـ/ 27 ديسمبر 1935، ص: 05.

[4] – عبد المجيد بن عدة، **المرجع السابق**، ص: 271.

كما اعتبر الشيخ أبو اليقظان أن غياب التربية الصحيحة هي السبب في استفحال الظواهر الاجتماعية المشينة في الأوساط الشعبية، كما ثار بشدة منتقدا الفئة التي تتستر وراء خدمة الوطن وبناء المشاريع وهم في نظرهم كاذبون، لا يقيمون من المشاريع إلا ما يكون هداما لأركان المجتمع ومسخ أركانه وقيمه، حيث يذكر في أحد مقالاته الإصلاحية ":...يشيّدون المراقص فيقومون لعمارة الوطن، يفتحون المقامر، فيزعمون أنه اعتلاء شأن الوطن، يعلنون عن الخمور، دون أن يشجعوا بضائع الوطن، ينظمون حفلات الرقص والغناء، فيختلط الحابل بالنابل، فيعلنون عنها بلا خجل أن ما يتجمع منها لفائدة المشروع الخيري الوطني"[1].

شكلت جريدة وادي ميزاب منبرا للشيخ أبو اليقظان لمحاربة هذه الآفات، فمنها نشر خمس حلقات مطولة بعنوان "حكمة التشريع الإسلامي"، معتمدا في ذلك على الأدلة العقلية والنقلية، مبينا حكمة التوحيد وإرسال الرسل وإنزال الكتب والإيمان بالله واليوم الآخر، وتأثير ذلك على سلوك الفرد وعلاقته بالمجتمع، مؤكدا سبب خوضه مضمار المقاومة لما رآه وعاشه من جرائم الزندقة والالحاد التي انتشرت من الغرب إلى الشرق[2].

عرف أيضا المجتمع الميزابي انتشار ظاهرة البغاء بتشجيع من السلطات الاستعمارية، هذا ما دفع علماء الإصلاح إلى محاربة هذه الظاهرة عن طريق التوعية، وهذا ما يقف عليه القارئ لمجلة وادي ميزاب لسان حال علماء الإصلاح، فمن بين المقالات المناهضة لهذه الآفة مقال بعنوان: "وباء الفجور" للشيخ أبي اليقظان، تحدث فيه عن الأثار السلبية الناتجة عن فاحشة الزنا، فمن الناحية المادية فهي مفلسة لصاحبها، وتجعله مسرفا مبذرا، ومن أثارها أيضا تفكيك الأسرة، من خلال فساد العلاقة بين الزوجين

[1] – أبو اليقظان، **وادي ميزاب في سنتها الثانية**، جريدة وادي ميزاب، العدد: 52، 10 ربيع الثاني 1346هـ/ 07 أكتوبر 1927، ص: 01.

[2] – أبو اليقظان، **حكمة التشريع الإسلامي**، جريدة وادي ميزاب، العدد: 72، 09 رمضان 1346هـ/ 02 مارس 1928، ص: 01.

بسبب الخصام التي تؤدي في الغالب إلى التفكيك العائلي، ومن الناحية الدينية فإن الزاني يخالف أوامر دينه حيث يمزق بذلك لباس العفاف ويهتك شرف عائلته[1].

كما ندد علماء قصر القرارة بانتشار البغاء بين مسلميها، حيث كتب أحدهم مستغربا "...وكيف تكون الخافية والمواخير ملأ بالنساء الأحرار الميزابيات يهواهن الأجانب والمستعمرون"، لذا لجأ مشايخ العزابة لتسليط سلاح البراءة على كل ميزابي وميزابية يمارسون البغاء أو يتواجدون بالحي اليهودي[2].

ونظرا لزيادة تفشي هذه الظاهرة في الوسط الميزابي، قام علماء الإصلاح بالاجتماع يوم الخميس 11 أفريل 1951 للبحث عن سبل للقضاء على هذه الظاهرة، فأوكلوا المهمة إلى "منظمة الجندي"، والتي هي عبارة عن منظمة سرية أسست من طرف جمعية الإصلاح، حيث قامت بالبحث عن طريقة لنفي العاهرات والمغنيات من وادي ميزاب[3].

أيضا عمل علماء الإصلاح على الحد من انتشار ظاهرة القمار والميسر، التي تعتبر منافية للشرع الإسلامي، وذلك لما ينتج عنها من تحطيم لأركان المجتمع، وتهديم لعروشه، وذلك على حد قول الشيخ عبد الرحمان بن عمر:"إن القمار أو الميسر أعضل داء في الهيأة الاجتماعية ومن العلل الوحيدة الآيلة بالأمة إلى الدمار والمفضية بها إلى الاضمحلال والفناء...لقد اجتمعت الأمة الغربية وخانت عاقبته وسنت لذلك قوانين زاجرة وضربت عقوبات على أرباب محلاته حذرا من أن يعشش ويفرخ فراخه المفسدة لبذور الإصلاح"[4].

---

[1] – أبو اليقظان، **وباء الفجور**، جريدة وادي ميزاب، العدد: 90، 17 محرم 1347هـ/ 06 جويلية 1928، ص: 01.

[2]– عبد القادر قوبع، **الحركة الإصلاحية...**، **المرجع السابق**، ص: 207.

[3] – مصطفى رمضان، **المرجع السابق**، ص: 128.

[4]– عبد الرحمان بن عمر، **القمار ألة الدمار**، جريدة وادي ميزاب، العدد: 40، 15 محرم 1346هـ/ 15 جويلية 1927، ص: 01.

4- المرأة الميزابية في الإصلاح التعليم والديني والاجتماعي:

أ- المرأة الميزابية من الإصلاح التعليمي:

تعتبر المرأة في المجتمع الميزابي الإباضي الركن الركين، حيث ينظر إليها على أنها حصن للهوية وحامية للذاكرة بصفتها المربية والموجهة والمراقبة، وهي العمود الفقري وبوصلة المجتمع لما تقوم به من حماية القيم وتمريرها واستمراريتها عبر الأجيال، فالمرأة في ميزاب هي الماضي والحاضر والمستقبل[1]، لذا فقد اهتمت بها التنظيمات والهيئات الاجتماعية محاولة تنظيم مراحل حياتها بنتا فزوجة فأما[2].

- تعليم المرأة:

ظل التعليم في وادي ميزاب حكرا على الذكور دون الإناث وذلك لاعتقادهم أن المرأة ليست بحاجة للتعلم، ما دام نشاطها يقتصر على البيت، حيث كانت تنشأ منذ صغرها تنشأة منزلية، وفي سن معين ترسل إلى بعض منازل النساء حيث تتعلم قسطا من القرآن، كما تتدرب على اكتساب بعض الحرف الضرورية لحياتها كالخياطة والغزل والنسيج لا سيما الزرابي والألبسة الصوفية[3]، كما تُعود على إدارة شؤون المنزل، وفي سن البلوغ تدرب تطبيقيا على الصلاة وما يتعلق بها من فقه، وقد ارتكز إعداد المرأة في هذه المرحلة على أساسين[4]:

1- ديني: تعليم المرأة أمرا دينها من عقيدة وصلاة وغيرها من أركان الإسلام، وكذا تلقينها قسطا من القرآن الكريم.

2- دنيوي: تعليمها التدابير المنزلية وبعض الحرف التي تساعدها في تسيير بيتها ومساعدة زوجها.

---

[1] - عائشة بنت محمد أطفيش، **المرجع السابق**، ص: 08.

[2] - إميلي ماري قواشون، **المصدر السابق**، ص: 223.

[3] - عائشة بنت محمد أطفيش، **المرجع السابق**، ص- ص: 69- 71.

[4] - إميلي قواشون، **المصدر السابق**، ص- ص: 223- 251.

لقد كانت رئيسة هيأة التمرسدين مامان سليمان تتبع في تعليم المرأة الميزابية منهجين مختلفين، عقائدي وأخلاقي، حيث تنوعت محاضراتها وشملت شرح وتفسير القرآن بالميزابية وسير الأنبياء والرسل، كما شكلت محاضراتها نصائح عملية حول الواجبات المنزلية اليومية، أما فيما يخص المناسبات الهامة فإنها تقسم موضوعاتها على شكل سلسلة لمدة 30 يوم[1]، حيث كانت تعتمد في تعليمها على مخطوطات وكتب ومحاضرات الشيخ أطفيش، ولعل أهم الكتب المعتمدة نجد: كتاب نواوير القرآن الكريم لعرش المفاهيم الأخلاقية على أساس آيات من القرآن، وكتاب العقيدة، أما فيما يخص دروس مناسبات الأعياد كعيد الأضحى وعيد الفطر فتعتمد على كتاب خطبة الثلاثي لأبي سليمان دواود بن إبراهيم، بالإضافة إلى مؤلفين للشيخ أطفيش فيما يخص القضايا الأخلاقية هما كتاب أجور الشهور يعرض فضائل شهر رمضان وغيره، وكتاب أساس الطاعات لجميع العبادات لشرح طريقة بدء الأعمال بصيغة النية[2].

وفي قصر القرارة كانت "بايا بنت بكر بن بانوح بن مرزوق"، والتي عرف عنها أنها تختلف عن باقي النساء حيث كانت مقربة من الشيخين إبراهيم بيوض وأبا اليقظان، عُرفت بحفظها للقرآن الكريم، كما تلقت مبادئ الفقه والحديث النبوي عن علماء القرارة واعتبرت مصدر نصح للشيخين، كانت تلقن وتعلم النساء في بيتها، مركزة على بحث الفكر الإصلاحي داخل المجتمع الأنثوي في القرارة[3].

قبل سنة 1950 كان إلحاق البنات بالمدارس التعليمية الإباضية منعدما في وادي ميزاب، حتى أن علماء المنطقة لم يجعلوها موضوعا للنقاش، لا من طرف الإصلاحيين ولا المحافظين، حتى أنهم لم يتطرقوا لمسألة تعليم المرأة حتى في مقالاتهم الصحفية، ولعل أول مبادرة جادة ظهرت من طرف علماء الحركة الإصلاحية في وادي ميزاب فيما يخص تعليم البنت، كانت من طرف جمعية الإصلاح بغرداية سنة 1369هـ/ 1948م، إذ قامت بخطة عملية جريئة كان وراءها أحد مؤسسيها الذي طالب الجمعية بضرورة

[1] - **المرجع نفسه**، ص: 230.

[2]- **المرجع نفسه**، ص: 232.

[3]- augustin jomier, **opcite**, p :436.

فتح مدرس حرة للبنات وبضرورة الالتفات إلى تعليمها وذلك بعد ملاحظة الفرق الواسع بينها وبين الذكور، وذلك تخوفهم على مستقبلها[1].

قامت هيئة إدارة جمعية الإصلاح مع معلميها بعقد اجتماع يوم الأربعاء 08 شوال 1368هـ/ 1949، أُثيرت فيه قضية تعليم البنات في وادي ميزاب، حيث انتهت القضية بإجراء انتخابات حول قبول أو رفض تعليمها، وكانت النتائج كالآتي: 20 صوت مؤيدا مقابل 12 صوتا رافضا[2]، ليتمخض عن ذلك فتح صف خاصا للبنات شعاره[3]:

إن البنات الناشئات * سيصرن يوما أمهات**

فإن نشأن على التقى * والعلم كن كاملات**

العقل حسن حلية * والعلم أجمل حلة**

والدين خير ذخيرة * للطيبات المحسنات**

يكون التكوين فيه ثلاث سنوات، يدرسهم المربي المدعو عمر راسنعامة[4] باعتبارهم أحد الطلبة السابقين للشيخ بيوض، اهتم بتدريس البنات اللغة العربية الفصحى وتعليم القراءة والكتابة والإملاء والرسم وتحفيظ القرآن الكريم، ومن جهة أخرى اهتمت زوجته بتعليم البنات الممارسات الحرفية كالطرز والنسيج[5]،

---

[1]- **ibid**, p:437.

[2] – مصطفى رمضان، **المرجع السابق**، ص: 74.

[3]- **المرجع نفسه**، ص: 75.

[4] – عمر راسنعامة، ولد يوم 02 أوت 1922، التحق بمعهد القرارة لكنه لم يستقر فيه طويلا لظروفه الاجتماعية، انظم إلى سلك التعليم، وأشرف على أول قسم للبنات، كان لوالده إبراهيم بن عمر الفضل في تقديم له طابقا من داره ليجعله قسما لتعليم البنات. ينظر مصطفى رمضان، **المرجع نفسه**، هامش رقم 01، ص: 75

[5]- augustin jomier, **opcite**, p:437.

افتتحت المدرس أبوابها بالضبط في صفر 1370هـ/ ديسمبر 1950، ضمت نحو 50 فتاة من الأسر الإصلاحية يتراوح أعمارهن بين سنة السابعة وسن الثامن عشر[1].

أما في مدينة القرارة فقد دعا الشيخ عدون إلى إلحاق البنات بالتعليم العربي القرآني وفتح أقسام لها رغم معارضة الشيخ بيوض له وعدم موافقته، فقد بادر الشيخ في مسعاه وابتدأ بتعليم أسرته حيث رافق ابنته إلى مدير المدرسة العربية الحرة بالمنطقة، وطلب أن يوافق على تدريس إبنته مع الذكور، ويجلسها في مؤخرة القسم، بعد أن ألبسها لباسها المتمثل في الطاقية والعباءة البيضاء، ثم توسعت الفكرة لتتحول إلى أقسام ثم إلى مدرسة مستقلة بطاقمها الإداري والتربوي والتعليمي، وذلك بعد الدعم الذي لقيه الشيخ من طرف زميله الشيخ عبد الرحمان بكلي، والذي كان يقول في نفس السياق :"نحن لا نعاكس تعليم البنت مادام في حدود الدين، وما دامت في حصانة مما يفسد عقيدتها وأخلاقها وسلوكها، ومادام ذلك لا يصدها عن القيام بوظيفتها الإنسانية الكبرى التي هيأها الله لها وظيفة الأمومة"[2]. وكذلك في منطقة بريان قام الشيخ باسليمان إبراهيم المنور بالتصدي للمجتمع والإدارة الفرنسية المعارض لتعليم البنت، وكخطوة أولى في هذا الصدد قام بإدخال ابنته إلى المدرسة حيث كانت أول بنت تتعلم مع الأطفال، حيث دعمه في ذلك الشيخ عبد الرحمان بكلي[3].

كما كان للفتيات حظ من التعلم في المدرسة العصرية التابعة لمسجد خالد بن الوليد بغرداية، ومن اللواتي درسن فيها حسب شهادة الأستاذ جمال الدين بوحميدة[4] نذكر الحاجة منصورة بنت يوسف

---

[1]- قاسم الشيخ بلحاج، **المرجع السابق**، ص: 559.

[2]- **المرجع نفسه**، ص: 564.

[3] - إبراهيم ولاد الطاهر، **رجال وأعلام من صحراء الجزائر، ج1**، تق: الشافعي درويش، دار صبحي، متليلي، ط1: 2022، ص: 77.

[4] - هو إبن الإمام محمد بن عمر بوحميدة رائد الحركة الإصلاحية المالكية في غرداية

بوحميدة، والحاجة زرباني فاطمة بنت العلمي، وباية بن خمارة، عائشة بنت الزمالة، وحرزلية بنت الزيدي، وحبيبة بنت القاضي، وساسية بنت معطلة[1]

وكان سن المرأة يتحكم في تدرجها التعليمي من مرحلة إلى أخرى، ففي سن السادسة حتى سن الثاني عشر فقد كانت تُلقن مبادئ القراءة والكتابة والحساب وبعض الحرف اليدوية، وما إن تبلغ السن الثالث عشر تنتقل من المدرسة إلى معهد النساء حيث يتم تلقينها أحكام الطهارات والعبادات وحقوق الأزواج، وآداب المعاشرة وما يهيأهن ليكن زوجات مثاليات[2].

تضاربت المواقف بين مؤيد ومعاضر لتعليم المرأة داخل المجتمع الميزابي الإباضي، فمن جهة هنالك من رآه خروجا عن الدين والمذهب وطريق نحو انحرافها وضربا لأسس المجتمع، واتخذت المعارضة أشكالا من التهديد والاعتداء والتشنيع على أصحابها وإطلاق الإشاعات المغرضة على المعلمين والبنات اللواتي يزاولن التعليم، ومن جهة أخرى نجد من رحبوا بالفكرة وشجعوها، مثل الجمعيات الإصلاحية التي سارعت إلى توسيع مشروع تعليم المرأة ومن هذه الجمعيات "جمعية النهضة الإصلاحية" بالعطف التي فتحت أقساما لتعليم البنات، ثم تلتها "جمعية الفتح" ببريان، و"جمعية الحياة" بالقرارة[3].

ب- مساهمة المرأة الميزابية في إصلاح ومحاربة البدع داخل الوسط النسوي الميزابي:

1- بعض العادات والتقاليد المصاحبة لاحتفالات المرأة الميزابية:

من المعلوم أنه تصاحب الاحتفالات العديد من الممارسات والشعائر، لكل منها أهميتها الخاصة، وكما هو معروف فإن الشعائر هي نوع من التصرفات والممارسات التي تخضع لقواعد مقررة، القصد منها

[1] - جمال الدين بوحميدة، **صفحات من مآثر وجهاد الإمام محمد بن عمر بوحميدة**، تق: محمد مصطفى زرباني، صطلعة صواطي، غرداية، 2022، ص: 31.

[2]- إيميلي ماري قواشون، **المصدر السابق**، ص: 93.

[3]- قاسم بن أحمد، **المرجع السابق**، ص: 560.

تتابع بعض الأفعال والحركات الموجهة لتحقيق غاية معينة، الواجب تكرارها كما هي بدون تغيير شكلها، كلما حلت مناسبة إجراءها، إذ تعتبر الممارسة سنوية أو دورية، تساهم في تجديد وشد أواصر العلاقات بين الأفراد بعضهم البعض بشعور الانتماء أو الترابط[1] ومن الممارسات التي كانت سائدة في المجتمع النسوي الميزابي نذكر:

2- الاحتفال بسقوط المطر:

تعرف منطقة وادي ميزاب عموما كباقي المناطق الصحراوية الأخرى بالجنوب الجزائري بمناخها الجاف، لذا فإن الأمطار تكون شحيحة جدا وفي فترات غير منتظمة، كما يمتاز مناخ المنطقة بتباعد حدين حرارين في اليوم الواحد وبين الصيف والشتاء، إذ تبلغ درجة الحرارة صيفا 84 درجة، وتنزل إلى درجة الصفر شتاء، تهب على المنطقة رياح شمالية تكون باردة في فصل الشتاء، وتسمح بتساقط كمية من الأمطار وقد تكون غربية، وأما في فصل الصيف في غالب الأحيان رياح جنوبية، تكون جافة وحارة وهي المسؤولة عن ال[2]حرارة الشديدة التي تشتاح المنطقة في هذا الفصل[3].

إن هذه الظاهرة الطبيعية أدت بظهور العديد من الطقوس الاحتفالية العديدة والمتنوعة، من بينها احتفالية نزول المطر، التي كانت منتشرة في أغلب المجتمعات البربرية، ففي نهاية كل خريف في منطقة وادي ميزاب يخرج أبرز الشيوخ من العلماء والحكماء إلى الواحة عند حافة الصحراء لتشخيص السحب، إذ كان هنالك احتمالية لنزول المطر، ففي حالة نزوله يتم إطلاق البارود، ويتضاعف البكاء في ميزاب، ثم ينطلق

[1] – فطيمة حاج عمر، **التماسك الاجتماعي والاحتفالية الدينية في الوسط النسوي دراسة ميدانية للتجمعات الاحتفالية للأسر في الموبد النبوي بمنطقة غرداية**، شهادة ماجستير في تخصص علم الاجتماع التربوي والديني، جامعة غرداية 2010- 2011، ص: 63.

[3]- Mercier marciel, **la civilization urbaine au M'zab**, P.A.D, alger, 1932. P :38.

الخيالة للقاء الواد الذي يتدفق وصولا إلى السد، ليمر عبر قنوات المياه، ليغزوا الحدائق، يُسمح للنساء بالخروج والتمتع بالمطر[1] حيث تذهبن إلى حافة الماء بالغناء وشكر الله، ومن العادات الشائعة في هذه الاحتفالية إطلاق الزغاريد عند كل عتبة منزل، كما يقمن بصنع دمية يُطلق عليها إسم "بوغنجة" بواسطة ملعقة كبيرة مخصصة لصلصة الكسكس، يتم تثبيتها بقصبة في الجزء العلوي، حيث يظهر الرأس بشكل ذراعين، يرتدي قطعة كبيرة من القطن الأبيض يسمى –تارباعيت– بشكل ثوب، مع محرمة في رأس الملعقة الكبيرة، ويتم تغطية الهيكل، بكمية من مجوهرات العروس، بعد ذلك يتم تحضير "المعروف" في البيت الذي صُنعت فيه دمية بوغنجة، بعد ذلك تُحمل هذه الدمية من قبل أحد الفتيات الصغار في نزهة عبر الوادي مع الميزابين الصغار الذين يغنون:

بوغنجة يطلب الرجة...ياربي بكبك راسو

في نفس اليوم يوضع لجميع الفتيات الصغيرات نقطة من الجص الأبيض في كل عظمة من عظام الخد، مع خط يبدأ من جذر الشعر إلى قاعدة الأنف، مقطوع بكشل عرضي بخط أفقي صغير عند الأنف[2] بالإضافة إلى قرع أنغام المزامير والطبول[3] والهدف من ذلك استحضار الرموز التي تشكل جزاء مهما في الاحتفالات، سواء من خلال استحضاره في الذهن الشيء الشبيه له أو ما يرمز له، لجلب السعادة والمرح والبهجة في جو الاحتفالات[4].

[1]– إيميلي ماري قواشون، **المصدر السابق**، ص: 187.

[2]– **المصدر نفسه**، ص، ص: 261، 262.

[3]– يوسف بن بكير، **تاريخ بني ميزاب...**، **المرجع السابق**، ص: 65.

[4] – فاطمة حاج عمر، **المرجع السابق**، ص، ص: 64، 65.

3- الاحتفالات المصاحبة لاستقبال المسافرين:

بمجرد الإعلان عن عودة الشباب الميزابي من المدن الشمالية في الجزائر إلى وادي ميزاب، يتم لقاءهم من طرف رجال العائلة ورفقاءهم، حاملين قصبة يعلوها علم أبيض صغير، بالإضافة عمامة حريرية تُلف حول ساق المسافر، منزلقة داخل خلخال من الفضة رمزا للثروة المالية التي سيكتسبها، وفي اليوم الموالي من عودته يجتمعن نساء العائلة للإحتفال والاستماع للأغاني الخاصة بهذا الحدث، كما يتم وضع دمية "أجون" في يد المسافر والتي هي نموذج من دمية بوغنجة، تتكون من جسم من قصب، يشغل مكان التسريحة قطعة من نسيج القطن الأبيض المشترك، أما شكل لباس الدمية، فتثبت في الوسط بحزام من القماش، يسمى بالميزابية "أمليباني".

تبدأ النسوة الميزابيات بإنشاد بعض الأغاني الخاصة بهذا الحدث، عبارة عن أبيات، منها[1]

البارود انفجر في أوزيل...قيل لي، لارباع هنا؟

سيدي لديه فرس السرج ...قلبي مضغوط مثل الرمان

قلبي يرتجف مثل القصب...قلبي خضر كي العشب الجديد...

4- احتفالات الزفاف:

كانت هذه الحفلات في وادي ميزاب صاخبة وطويلة، مليئة بالغناء والزغاريد، تُنقل العروس إلى عريسها على صوت الطبول والأغاني، أما العريس فيُصطحب على الأغاني وأنغام الغايطة، أما الحفلة الكبيرة فقد كانت تقام في خيمة العريس المسماة "تاخامت" بالوادي لمدة سبعة أيام من الأفراح والموسيقى، كما

[1] - إيميلي، قواشون، **المصدر السابق**، ص: 182.

كان يُسمح للمرأة بالخروج حافية القدمين والبقاء دون كساء، اما الفتيات فكن محجبات بقطعة من قماش خفيف لا يغطي وجوههن [1]

5- زيارة القبور والأضرحة:

من العوائد الشائعة في ميزاب تقديم معروف على شرف أضرحة شيوخهم وأولياءهم بدلا من أن يطلبوا منهم الحصول على خدمة أو التبرك بهم، حتى أضحت في نظر العامة كأنها من الواجبات التي لا ينبغي التنازل عنها[2]ويتم تقديم هذا المعروف في المنزل أو عند الضريح، وليس من الضروري أن تكون الوجبة ضخمة، حيث يتم توزيع التمور والبطيخ على الفقراء، وللإشارة أنه لا يوجد زوايا وأضرحة خاصة بالنساء، لكن كل قبر لشخصية تقية في ميزاب وجهة للتبرك والزيارة، وهناك عدد من القباب الصغيرة ذات الزخرفة، وهي عبارة عن شاهد تذكاري في المكان الذي كان الشيخ أو الولي يصلي ويذكر فيه، كما تأتي النسوة لحرق الشموع والطواف فيه، لكن هذه الممارسة نادرة[3].

من الشخصيات المبجلة في الميزاب "أمي سعيد"، الذي ينحدر أصله من "جربة" التونسية، هاجر في نهاية القرن العاشر هجري إلى وادي ميزاب حينما حدثت تفرقات بين المجموعات، تحول ضريحه مرتع لممارسة العديد من الطقوس، حيث يأتون إليه للتبرك والصلاة ضد العدو، ويطلبون منه التوسط حتى يفقد العدو قوته، ومن جهة أخرى دعوة النساء الأرامل الميزابيات اللواتي يرغبن في الزواج، حيث يبادرن بإحضار الطعام وتوزيعه على الفقراء، أما فيما يخص الفتيات الصغيرات والشابات المطلقات، فيصعدن إلى الجبل ويتزحلقن إلى أسفله، حتى يتمكن الزوج من القدوم إليهن بالسرعة التي تزحلقن بها[4].

---

[1] - **المصدر نفسه**، ص: 263.

[2]- قاسم الشيخ بلحاج، **المرجع السابق**، ص: 85.

[3]- إميلي ماري قواشون، **المصدر السابق**، ص: 285.

[4] - **المصدر نفسه**، ص: 249.

6- عادات وطقوس مسيحية في الوسط النسوي:

من المعلوم ان نشاط الآباء البيض لم يكن يخلوا من الخلفية والطابع التبشيري، مستغلين تدهور الأوضاع الاقتصادية في المنطقة، ولعل المجال الذي اعتمدت عليه الأخوات البيض هو التعليم، خاصة وأن رجال الدين المسيحين يتولون ذلك، ومن أجل ذلك كانوا يقدمون دروسا في التربية الروحية المسيحية، موجهة بشكل مباشر للأطفال، وعليه لم يكن غرض الآباء المتحمسين لنشر التبشير تعليم الأطفال فحسب، بل التشكيك في المعتقد الديني للمتعلمين، والشروع في تمرير القيم الدينية المسيحية، ريثما يتمكنون من تحويلهم دينيا بترسيخ المعتقدات المسيحية في أذهانهم تدريجيا، وفي هذا الصدد يقول الأب نوبي Nouet: "أن المعامل والورشات هي المكان المناسب للتعليم، وتزويد التلاميذ بالأفكار المسيحية، وتشكيكهم في دينهم الإسلام، ثم تركهم بعد ذلك، ليبحثوا عن الحقيقة المسيحية"[1].

ليتحول هذا النمط من التعليم إلى ممارسات وطقوس مستمدة من الديانة المسيحية، ومن صور هذه الأخيرة في الوسط النسوي، قيام فتيات مراكز التكوين المهني وورشات تعلم النسيج والخياطة والطرز...، فتُلزمن على الصلاة والدعاء على الطريقة المسيحية مرتين في اليوم، عند الوصول صباحا وعند المغادرة مساء. ومن الأمثلة أيضا استقطاب فتيات المنطقة ونساءها، وتكليفهن بترديد أغاني قداس يوم الأحد، وخُصصت لهن سيارة تحت تصرفهن لتسهيل تنقلهن كل يوم أحد. كما استغل الآباء البيض الوضعية الصعبة للأيتام ذكورا وإناث، فعملوا على احتواءهم، وتوفير الرعاية الكاملة لهم بمراكز خاصة، والعمل على تمسيحهن تحت ستار العمل الإنساني، ومن الممارسات المفروضة على تلميذات هذه المراكز، تلقينهن التعليم المسيحي الصريح بعد سنة السابع عشر، ويصلون مع الآباء البيض، ويتلقون السر المقدس في مصلى الكنيسة،

[1]- عمر داود، **المرجع السابق**، ص- ص: 141- 143.

ويُستبدل اسمهم بعد ذلك، ومن أجل هذا الغرض استقدمت الأخت مارغريت Marguerite بعض طالبات الداخلية الأكبر سنا إلى غرداية مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين للقيام بمهتهن هناك[1]

7- ظهور الحركة الإصلاحية في الوسط النسوي الميزابي:

ممالا شك فيه أن الحركة الإصلاحية النسوية قد تربت في أحضان كبار مصلحي وعلماء ميزاب، فقد كانت المصلحة "مامان سليمان" (1863- 1931) المتأثرة بالفكر الإصلاحي عند قطب الإصلاح "الشيخ طفيش" كما سنرى لاحقا، وفق هيئة تنظيمية صارمة، ومبادئ وقوانين تضبط الحركة الإصلاحية في الوسط النسوي، وتتمثل في هيئة التمرسدين[2]

يعقد التمرسدين العديد من الاجتماعات تسمى بـ"ملتقى لا إلاه إلا الله"، تلقى فيه دروس دينية متنوعة مثل الفقه والعقيدة والتفسير، بالإضافة إلى مناقشة ومعالجة المسائل الدينية والأخلاقية في المجتمع الإباضي، يعود تأسيسه إلى أوائل القرن السادس هجري خلال فترة حياة الشيخ "عبد الرحمان الكرثي" يضم كل هيئات قصور وادي ميزاب[3]، وفق العديد من الضوابط والقوانين، التي سمكن أن نستخلص البعض منها في النقاط التالية[4]:

- عدم ارتداء الفساتين النسوية من الطراز الفرنسي، أو الأحذية العربية في الجزائر
- عدم الخروج بالمجوهرات أو وضع عدد مفرط منها.
- عدم الخروج إلى الشارع حافية القدمين أو بدون حجاب.

---

[1] - **المرجع نفسه**، ص- ص: 143- 147.

[2]- بكير بن سعيد أوعشت، أحمد بن حمو كروم، **مسلمات صالحات في روضة الإيمان**، مؤسسة شيخ ناصر للكتاب، ط1: 2016، ص: 139.

[3]- عائشة بنت محمد أطفيش، **المرجع السابق**، ص: 28.

[4]- إيميلي قواشون، **المصدر السابق**، ص، ص: 235، 236.

- عدم وضع الوشم، ويجب استبداله بالرسومات والحنة كعادة ميزابية.

- عدم قسم شعر المرأة بشكل صليب على الرأس، مع عدم ارتداء الضفائر الجانبية للشعر

- منع المرأة من الاستماع إلى الرجال وهم يعزفون الناي.

8- موقف الحركة الإصلاحية النسوية من الممارسات والطقوس:

عملت الحركة الإصلاحية النسوية بقيادة هيئة التمرسدين على التصدي للبدع والعادات الدخيلة على المجتمع النسوي الميزابي، فمن بين مواقفها من العادات والممارسات السابقة الذكر، قامت بمنع الاحتفالات المصاحبة لسقوط المطر، حيث أن رئيسة التمرسدين "مامان سليمان" قد وجدت في هذه العادة تلميحا معينا للوثنية، بسبب طريقة الاحتفال لطلب المطر، مما أدى بها إلى حظر ومنع كلا العادتين الاحتفاليتين، كما منعت الكثير من الممارسات من هذا النوع من أجل المطر[1].

أما بالنسبة للاحتفالات المصاحبة لاستقبال المسافرين بادرت المصلحة "مامن سليمان"، بإلغاء مراسيم الخروج للاحتفال بعودة المسافرين، كما بادرت بمحاربة ومنع اخذ دمية "أجون" لاستقبال المسافرين، أما فيما يخص أغنية العودة فقد مُنعت وأوزيلت تماما، بحيث أصبح يُنشد شيئا قليلا في المنازل[2].

وفيما يخص حفلات الزواج، قامت الهيئة النسوية بالعمل على إصلاح هذه العادات المنتشرة، من خلال فرض الحجاب والذي يُشترط على المرأة المسلمة عامة، وبشكل صارم على النساء في الأعراس[3]، بالإضافة التستر بكساء سميك يسمى "أحولي- بمعنى الحايك[4]، وعدم التزين أمام الرجال، كما أضافت

[1]- يوسف بن بكير، **المرجع السابق**، ص: 284.

[2] - إيميلي، **المصدر السابق**، ص: 183.

[3] - علي يحي معمر، **الإباضية في موكب التاريخ**، المرجع السابق، ص: 444

[4]- Agnes de feo, **le haik** (**ahouli**) **des femmes mozabites marqueur de l'exception en algerie ibadite en algerie**, horizons maghrébins le droit le droit à la mémoire, N: 76, 2017, p :52.

مزيدا من الصرامة، فقد تركت حفلات الزواج ومنعت الغناء والزغاريد، واستبدلتها بإنشاد الأبيات الدينية داخل البيوت، كما دعت إلى التقليل من وضع الحلي والمجوهرات، وحافظت على عدم تزوج المرأة الميزابية بالرجل العربي[1].

أما فيما يخص زيارة القبور والأضرحة فقد لقيت هذه الممارسات معارضة من قبل المصلحة "مامان سليمان"، حيث تكبدت عناء وقف ومنع هذه العادة طيلة حياتها، في سبيل إصلاح دين وفكر النسوة اللواتي تمارسن هذه الطقوس والعادات المتوارثة[2]، والتي عبر عنها الشيخ إبراهيم البيوض وفق توجهه الإصلاحي قائلا:" سرت إلى المجتمع الميزابي بعض الأمراض، كتقديس قبور بعض الأولياء، يعتقدون أن لهم تأثيرا في الكون، وأنه سبب النفع والضر للأحياء، هذه العقيدة الخرافية للدين، ووجدنا في الأعراس عادات لا تليق من الإصراف وغيره، تضر صاحب العرس والمجتمع[3].

أمام المد التبشري عملت الحركة الإصلاحية على التصدي له في المنطقة ، وخاصة وما انجّر عنه من طقوس دخيلة على المجتمع الميزابي المسلم، ولهذا بقين الميزابيات متحفظات في تعاملهن مع الأخوات، بفضل جهود داعيات ومرشدات هيئة تمرسدين، اللائي كن يطلبن تجنب الانسياق في التعامل مع الأخوات، والحذر من إغراءاتهن المختلفة، ومن الداعيات من حرّمن ذلك، لأنهن مهما فعلن من "خير" تبقين مسلمات، ما جعل المرأة الميزابية محافظة على خصوصياتها الذاتية وصامدة أمام هذا النموذج الثقافي الذي كان يحاول جاهدا اكتساح مجالاتها الاجتماعية[4].

خلاصة الفصل:

[1] – إيميلي قواشون، **المصدر السابق**، ص، ص: 259، 263.

[2] – **المصدر نفسه**، ص: 249.

[3] – قاسم بلحاج، **المرجع السابق**، ص: 86.

[4] – عمر داود، **المرجع السابق**، ص: 155.

اهتم علماء وادي ميزاب بالحركة التعليمية وذلك من خلال دروس الوعظ والإرشاد بالمساجد ولتحقيق أهدافه بادر ببناء المساجد وتأسيس المدارس العصرية وإقامة الجمعيات والنوادي وكذا الإهتمام بتطوير التعليم العربي بشقيه الإبتدائي والثانوي بهدف توعية الناس بأهمية التعليم بإلحاق أبنائهم به، والدعوة إلى الإنفاق قصد بناء المدارس العربية العصرية النظامية الحرة وإيواء الطلبة وكذا إرسال البعثات العلمية إلى الخارج، كما ألح علماء وادي ميزاب على الإدارة الفرنسية بتطوير التعليم الفرنسي وتوسيع نطاقه، من هنا كان على علماء ميزاب التقارب والتقاطع في أفكارهم إباضيين أم مالكيين، من أجل إخراج المجتمع من دائرة التخلف والجهل والإنحطاط بغية إعداد قيادات ونخب تواصل مسيرة النهضة في المستقبل وكذا غرس القيم الإسلامية الحضرية في نفوسهم.

أما فيما يخص تعليم المرأة فقد كان سابقا حكرا على الذكور دون الإناث، وكل ما كان يسمح به للبنات في الأغلب هو تلقي مهارات يدوية مثل النسيج وصناعة الزرابي والأغطية، التي كانت منتشرة في المنطقة، وكذا الخياطة والطرز، حيث كانت هيئة التمرسدين المسؤولة عن كل المسائل النسوية في المنطقة، بالإضافة إلى حرصها على تعليم الفتاة عن طريق الحفظ سمعا وبعض الصور القرآنية ومبادئ القرآن والكتابة ومع مطلع الأربعينيات من القرن العشرين بادر بعض المصلحين بالمطالبة لتعليم الفتاة، وذلك ضمن سياسة الإصلاح التي انتهجوها.

والجدير بالذكر أن مشروع تعليم الفتاة في وادي ميزاب خلال تلك الفترة يعتبر نقلة نوعية وركنا أساسيا في بداية تغيير النظرة تجاه المرأة رغم التخوف والحذر الذي ساد المجتمع الميزابي، والذي بدوره كان عاملا لمحدودية واجتهادات علماء الإصلاح، وعموما كانت هذه المبادرة خطوة أساسية لبداية اليقظة النسوية وعاملا لدمج المرأة الميزابية ضمن مشروع الحركة الإصلاحية في وادي ميزاب. كما بسطوا كل جهودهم في إصلاح أفكار وعقيدة المجتمع في المنطقة، ومحاربة الأفكار والعادات المخالفة لتعاليم الدين الإسلامي.

هذه الحركة الإصلاحية التي عرفتها منطقة وادي ميزاب أدت إلى الاحتكاك والتقاطع أحيانا مع الحراك السياسي والوطني في المنطقة، وهذا ما سنتحدث عنه في الفصل الموالي.

الفصل السادس:

مظاهر الحراك السياسي والوطني في وادي ميزاب

أولا: التجنيد الإجباري

ثانيا: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

ثالثا: المؤتمر الإسلامي

رابعا: لجنة الحقوق الإسلامية

خامسا: المسألة الإنتخابية والتمثيل البرلماني لمنطقة غرداية 1948

سادسا: حزب الدفاع عن حقوق ميزاب

تمهيد:

إن دراسة مظاهر الحراك السياسي والوطني في وادي ميزاب، يفرض علينا التطرق إلى دراسة الحركة الوطنية والنضال السياسي الذي عرفته منطقة وادي ميزاب بداية من القرن العشرين إلى غاية اندلا ع الثورة التحريرية 1954، والتطرق إلى أبرز القضايا السياسية والفكرية التي شهدتها المنطقة، انطلاقا من قضية التجنيد الإجباري الذي فرضته الإدارة الفرنسية على سكانها والتي كان له أثر كبير على الميزابيين، بالإضافة إلى إبراز أثر جمعية العلماء المسلمين في نشر الوعي السياسي بغية الحفاظ على الهوية الوطنية، وكذلك قضية انتخابات المجلس الجزائري، حيث يبحث في تفاصيلها ومدى تأثر المنطقة بهذا الحدث.

(أولا) – التجنيد الإجباري:

إن النزعة الاستعمارية التي ميزت السياسة الفرنسية خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ولدت لدى الدولة الفرنسية الحاجة إلى توفير قوة عسكرية يقع على عاتقها أداء المهام التي تتطلبها الحركات الاستعمارية داخل وخارج إفريقيا، حيث ظهر الحديث عن مشاريع مختلفة تقتضي اللجوء إلى الموارد البشرية التي تمتلكها المستعمرات من بينها الجزائر، حيث فرضت على أبناءها ما يسمى بالتجنيد الاجباري الذي بدوره يضاف إلى القوانين الاستثنائية التي كانت تثقل كاهلهم على رأسها قانون مجلس الشيوخ، قانون الأهالي، المحاكم الرادعة وغيرها، وعليه ما هو القانون الإجباري؟، وفيما تتمثل خلفياته وظروفه؟.

1– قانون التجنيد الإجباري:

هو قانون سياسي ينص على تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي من قبل البرلمان الفرنسي سنة 1912، يقر بإجبارية الجزائريين على الخدمة العسكرية بصفتهم رعايا فرنسيين، حيث جاء هذا القانون بعد تضارب مختلف الأراء السياسية والعسكرية من خلال المشاريع الأولى التي هدفت إلى تجنيد الجزائريين،

وذلك منذ النصف الثاني من القرن 19. صدر هذا القانون في صفوف الجيش الفرنسي أثناء استعدادات فرنسا للدخول في حرب ضد ألمانيا ولإتمام احتلالها للمغرب الأقصى، ويعود ذلك إلى تراجع تعداد الجيش الفرنسي، وكذا توتر الأوضاع السياسية في أوروبا بسبب التنافس الاستعماري على المغرب الأقصى[1].

2- فرض التجنيد الإجباري على الجزائريين وبداية ظهور المعارضة الميزابية:

بعد إصدار السلطات الفرنسية لمرسوم 03 فيفري 1912الخاص بتجنيد الأهالي الجزائريين في الجيش الفرنسي، تعالت أصوات المعارضة والاحتجاجات ولعرائض في مختلف المدن الجزائرية، فمن الأهالي الجزائريين من سلكوا مسلكا التظاهر وأخذ الآخر مسلك بعث العرائض والوفود، كما لجأ بعضهم إلى الهجرة والتنقل نحو الجبال والمناطق النائية، وما كان على الإدارة الفرنسية إلا أن ترد بالقهر والقوة، والاكيد على تجنيد الشبان الجزائريين المعنيين بالتجنيد البالغين سن 18[2].

أما فيما يخص منطقة وادي ميزاب فالأمر لم يكن يعنيها بعد، وذلك لأن مرسوم قانون التجنيد الإجباري فرض على الإقليم المدني فقط، أي العمالات الثلاث، لكن كان يمس السكان القاطنين بالمناطق الشمالية وذلك لما تنص عليه المادة الثامنة منه "يسجل على قوائم الإحصاء لكل بلدة أو قرية الأهالي الجزائريون البالغون سن 18 غير المولودين بها، شرط أن يكون مقيمين بها منذ أكثر من سنة"، وهذا القرار يمس عدد كبير من الميزابيين المستقريين في الشمال الذين تمركزوا بها قصد التجارة، التي يعتمدون عليها في كسب قوتهم كما أسلفنا ذكره سابقا، من هنا ظهرت معارضة الميزابيين للتجنيد الإجباري، ضف إلى ذلك فرار الشبان الجزائريين إلى المناطق الجنوبية للجزائر -الإقليم العسكري- وذلك لأنه لم يكون معني بعد بمرسوم

[1]- حميد آيت حبوش، **قانون التجنيد الإجباري 1912 دراسة في ظروف صدوره وموقف الجزائريين منه**، مجلة الحوار المتوسطي، مج9، العدد:02، 2018، ص: 278.

[2]- حمو محمد عيسى النوري، **المرجع السابق**، ص: 316.

03 فيفري 1912 هروبا من التسجيل في قوائم التجنيد، حيث تم تسجيل هجرة داخلية من مدن التل إلى مدن الجنوب مثل سكان منطقة وادي ميزاب القاطنين في الشمال الجزائري[1].

توالت الإحتجاجات ضد التجنيد الإجباري خاصة في منطقة وادي ميزاب، حيث بعث بنوا ميزاب يوم 23 فيفري 1912، بشكاوي إلى كل من رائد غرداية والوالي العام ورئيس الحكومة، كما تبعها تقرير إلى رئيس الحكومة يوم 08 جوان 1912 يشرح فيها أسباب رفض التجنيد الإجباري التي تتلخص في تعارضه مع الدين الإسلامي، ونتائجه الإقتصادية على بني ميزاب، وكذا مخالفته لبنود إتفاقية1853.[2]

يوم 26 فيفري من نفس السنة اتجه وفد من سكان وادي ميزاب إلى باريس متكونا من السيد الحاج محمد بن حمو بوجناح، يحي بن القاسم، أبو بكر بن الحاج قاسم الشيخ بلحاج، بزعامة زكري زكريا بن سعيد لتقديم إعتراض سكان وأهالي منطقة وادي ميزاب لقرار التجنيد، حيث قدموا عريضة جاء فيها ما يلي: "اجتمع سكان وادي ميزاب والتجار في التل من العمالات الثلاث في شأن النظر في مسألة التجنيد العسكري الذاتي على شبابنا، فاتفق رأي الجميع على إرسال وفد منهم إلى باريس يطلبون من السادات رجال الدولة الفرنسية أن يصرفوا عنهم هذه القضية"[3].

حيث مكثوا في باريس ما يقارب 10 أيام أقاموا من خلالها علاقات مع محاميين فرنسيين باسم سكان المنطقة، بهدف تقديم لهم النصح والتوجيه من بينهم: المحامي "هانري برنارد"Bernard Henry، كما كلفوه بمتابعة قضيتهم على مستوى السلطات الفرنسية[4].

---

[1]- يوسف بن بكير الحاج السعيد، **المرجع السابق**، ص: 256.

[2] - حموش حميد، **المرجع السابق**، ص:288

[3] - يوسف بن بكير، **المرجع السابق**، ص: 256.

[4] - صالح بن عبد الله أبو بكر، **القرارة من دخول الاستعمار الفرنسي إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى 1882- 1921**، الحلقة الثانية، جمعية التراث، القرارة، 2015، ص، ص: 629، 630.

في سنة 1914 أرسلوا بني ميزاب السيد يحي بن باحمد بلالو إلى باريس للمطالبة بإعفاءهم من التجنيد رفقة السيد يوسف بن ناصر من قصر بنورة، غير أن ظروف اندلاع الحرب العالمية الأولى ألزمتهم بالمكوث 08 أشهر بفرنسا[1]، ضف إلى ذلك أن سكان المنطقة كانوا يدفعون ضريبة سنوية قدرها 45 ألف فرنك فرنسي، بموجب اتفاقية 1853م، لذلك عارضوا أن يتم فرض التجنيد عليهم [2].

من جهة أخرى ما يؤكد الوضع الخاص الذي تمتاز به منطقة وادي ميزاب عن باقي المناطق الجزائرية المستعمرة هو مرسوم أكتوبر 1870 (كريميو) حيث لم يشمل اليهود الذين يستوطنون المنطقة مما أدى بهم إلى إرسال العرائض والشكاوي إلى السلطات الفرنسية للحصول على حقوق المواطنة كغيرهم من يهود الجزائر[3].

لقد كانت كل الأدلة تشير إلى أن سكان منطقة وادي ميزاب غير معنيين بقرار التجنيد الإجباري بمقتضى القانون الفرنسي، لكن الإدارة الفرنسية أكدت أنها يمكن أن تنقض أي اتفاق أو وعد أو عهد إذ اقتضت مصلحتها لذلك.

لم تكن منطقة وادي ميزاب خلال الحرب العالمية معنية بأمر التجنيد لكونها منطقة عسكرية، لكنها كانت ملجأ الشباب الفاريين من التجنيد من مدن التل مثل ما يؤكده تقرير الحاكم العام "لوتو" lotou، حيث وصف حالة الجنوب قائلا :"لقد كانت باقي مناطق الجنوب تدين بولاءها بشكل واضح...وهو ليس حال غرداية التي سيرها الميزابيون بؤرا للعناصر الثائرة والخطيرة ومصدرا للأخبار السيئة...لذلك لابد من فرض عقوبة وقيود جد صارمة وقاسية تجاه العناصر المعادية لنا بتلك المنطقة...وربما

[1] – يوسف بن بكير، **المرجع السابق**، 257.

[2] – قاسم الشيخ بلحاج، **معالم النهضة...**، **المرجع السابق**، ص: 291.

[3] – ناصر بلحاج، **موقف سكان بني ميزاب من التجنيد الإجباري في الجيش الفرنسي ما بين 1912–1925**، مجلة الحياة، العدد:11، 1428هـ/2007، ص: 113

قد تنامت هذه الروح العدائية لنا بعد زيارة السيناتور التركي "سليمان الباروني" في جوان 1914 الذي ترك في الميزابيين أثارا بليغة"[1].

3- انطلاق عملية التجنيد في وادي ميزاب وردود الفعل:

أصدرت السلطات الفرنسية في شهر ديسمبر من عام 1918 أمرا يقضي بتجنيد 238 شابا من منطقة غرداية لدفعة 1919، حيث تركت أمر إحصاءهم للقياد الذين حددوا بدورهم يوم إجراء القرعة كما أعلنوا قائمة الشبان المعنيين بالتجنيد في الفاتح من جوان 1919، بإرسال استدعاءات لهم للحضور إلى الثكنة في اليوم المحدد، لكن لم يلتحق أي شاب في الموعد، وهو ما اعتبرته الإدارة الفرنسية تمردا، واعتبرتهم الفارين من التجنيد متمردين على الإدارة الفرنسية، كما سلطت عليهم عقوبات قانونية صارمة[2].

توالت الاحتجاجات ضد التجنيد الإجباري إلى أن قدم وزير الحرب إلى الولي العام يوم 12 ماي 1920 تقرير يصرح فيه أن الميزابيين رعايا فرنسيين مثل غيرهم من الجزائريين وأنهم ملزموم بالتجنيد، كما أصدر مرسوما يوم 05 مارس 1921 يبين شروط تطبيق التجنيد الإجباري للأهالي في أراضي الجنوب، من هنا ظهرت الاجتماعات بوادي ميزاب، حيث تم تنظيم اجتماع ببني يزقن في 19 مارس 1921 لمناقشة تطورات الأمور مع وجهاء البلدة، وفي 25 من نفس الشهر اجتمع كافة أعيان مدن وادي ميزاب السبع، لدراسة تطورات قضية التجنيد الإجباري في المنطقة خاصة وأن الإدارة الفرنسية في المنطقة أضحت تستعمل القوة في اقتياد الشباب إلى الثكنات[3].

[1] – ناصر بلحاج، **المرجع نفسه**، ص: 112.

[2] – صالح بن عبد الله أبو بكر، **المرجع السابق**، ص: 630.

[3] – يوسف بن بكير الحاج السعيد، **المرجع السابق**، ص: 259.

في 01 جويلية 1921 أعلن كافة قياد وادي ميزاب أن الحصة المقررة لدفعة 1921 هي 150 رجلا، وذلك بضغط القياد على العشائر لتقديم هذا العدد من المجندين حيث جُند 21 شابا بصفة التعويض وقبل نهاية السنة تم تجنيد 36 شابا [1].

استمر سكان منطقة وادي ميزاب في إرسال العرائض من سنة 1922 إلى غاية 1925، إلى السلطات الفرنسية على مختلف المستويات، إلى أن جاء الرد من طرف مجلس الشورى بتاريخ 16 أوت 1922 رافضا كل ما تقدم به سكان ميزاب من حجج، حتى أصدر مجلس الدولة قراره في 15 ماي 1925 رافضا كل الحجج التي تقدم بها الميزابيون، وهو القرار الذي خيب أمال سكان المنطقة للحصول على الإعفاء من التجنيد الإجباري[2].

كما قام الشيخ أبو اليقظان بتحريض وحث الميزابيين على التكاتف وتوحيد كلمتهم من خلا العمليات الاحتجاج والإضراب، والمظاهرات للتعبير عن رفضهم الشديد لتجنيد شبابهم وذلك من خلال الرحالات والسفارات التي قام بها بين غرداية ومدن الشمال[3]، كما بادر بمقاومة مسألة التجنيد الإجباري من خلال صحفه حيث جاء في العدد الثالث من جريدة وادي ميزاب:"مقاومة هذه السياسة العقيمة والمطالبة بسياسة أخرى صحيحة يرتكز عليها عز الأمة وحفظ وجودها، وصيانة كيانها في دائرة الإسلام واجب[4].

كما راح يهاجم مشروع التجنيد الإجباري بعد أن أصبح ساري المفعول في كامل القطر الجزائري في مقال نشر في مجلة "الإقدام" سنة 1922، وبين في هذا المقال وجهة الميزابيين من مشروع الإعدام كما كان يطلق عليه، هذا المشروع الذي كان من بين الأسباب المباشرة الدافعة بأبي اليقظان لخوض معترك

[1] – ناصر بلحاج، **موقف سكان وادي ميزاب...**، **المرجع السابق**، ص، ص: 09، 10.

[2] – يوسف بن بكير، **المرجع السابق**، ص: 260.

[3] – محمد الناصر، **أبو اليقظان وجهاد الكلمة**، **المرجع السابق**، ص: 17.

[4] – أبو اليقظان، **المرحلة الثالثة لوادي ميزاب**، العدد: 103.

الصحافة حيث بين الأثار الخطيرة الناجمة عن هذا المشروع على الأمة المسلمة دينيا واجتماعيا واقتصاديا، كما أبدى إسراره لرفض المشروع مهما استعملت الإدارة الفرنسية طرق لفرضه قائلا :"أما مواقفنا لها في ذلك الاختيار فمستحيل، فأما جبرا فإن ندعها تفعل ما تشاء، ولكننا نحتج ضد صانعيها، هذا بكل ما لدينا من الحجج الشرعية ونحاكمها أمام الرأي العام الفرنساوي وأمام التاريخ ما بقي فينا رمق من الحياة"[1].

كما قام بنشر مقال بمجلة المنهاج تحت عنوان "ميزاب الخالدة" وهي عبارة عن قصيدة أرسلها إلى الولي العام متأثرا بما أصاب أبناء وادي ميزاب جراء قانون التجنيد الإجباري قائلا[2]:

حيي يوما ذهبيا خالدا كشف الشعب بذلك اللثام

عزم الولي فيوليت على أن يحبس النبض إذا أحس السقام

فأراد الشعب أن يبدي له كل ألام عسى يحظى الاهتمام

وأتت نوالا حاملة كل أمال له تشفي الأواما

في نفس الصدد عبر الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض عن رفضه للتجنيد الإجباري خاصة في منطقة القرارة قائلا: "وقد تقوت الحركة الإصلاحية في الجزائر وميزاب بعد الحرب العالمية الأولى، وف أول عام 1919 قام الناس في القرارة في ميزاب لمناهضة التجنيد الإجباري، وقد جندت فرنسا جماعة من شبان الإصلاح انتقاما منهم وانتقام من أباءهم المصلحين، وتجريدا لمعاهد العلم من طلبتها النجباء، وفي هذا العام ارتكب الاستعمار فضائع كثيرة في المصلحين بالقرارة...لقد قتلوا جماعة من المصلحين...وسجنوا الحاج

[1]- محمد الناصر، **جهاد الكلمة، المرجع السابق**، ص: 94

[2] -حبيب كدومة، **صدى التجنيد الإجباري في منطقة وادي ميزاب من خلال مجلة المنهاج 1925-1931 للشيخ أبو إسحاق إبراهيم أطفيش**، مجلة الحوار المتوسطي، مج11، العدد:01، مارس 2020، ص: 245.

العنق والسيد حمو بن براهيم أبا العلاء أحد صناديد الإصلاح والمصلحين كثيرين امتلأت بهم السجون في القرارة وميزاب"[1].

كما يعتبر الشيخ بيوض من الشباب الذين تم تجنيدهم بالقوة، حيث سارع بعد الإفراج عنه إلى كتابة شكاية عن التجنيد الإجباري وما صاحبه من فضائح وعرضها على ثلاثة وسبعين رجلا أمضوها، حيث تأثرت الولاية العامة بهذه الشكاية التي هزت الحكام العسكريين في غرداية والاغواط، خاصة كما استمر في رفع راية الإصلاح مستغلا أي فرصة لكتابة مقالات ضد التجنيد وغيرها[2].

في نفس السياق عبّر الشيخ إبراهيم أطفيش عن رفضه لقانون التجنيد الإجباري لسكان وادي ميزاب، إذ كان يناشد الحكومة الفرنسية بالتراجع عن قرارها وتحقيق مطالب الشعب الميزابي، فيقول :"إني أناشد الأمة الفرنسية وأطلب الأحرار منها بلا الفئة الاستعمارية فإن لم تترك دسيسة ولا تهمة لم توجهها إلينا...أطالب الشعب الفرنسي وأحراره ومنصفيه ألا يدعوا حكومتهم أن تقضي على هذا الشعب، محقا في طلبه متمسكا بمعاهدة قطعتها دولتهم السالفة على نفسها وإن تهتك لشهوة استعمارية"[3]، كما قام الشيخ الحاج بكير العنق بالتفاوض مع أعيان الجزائر الميزابيين، حيث اتفقوا على خطة لمقاومة الاستعمار العسكري في الجنوب وكذا قانون التجنيد الإجباري، حيث ساعده في ذلك السيد "عبد الله بو كامل"[4].

بعد إصدار الإدارة الفرنسية لقانون التجنيد الإجباري وفرضه على منطقة وادي ميزاب، عارض سكان المنطقة على غرار كل الجزائريين، حيث أسسوا معارضتهم على أسس سياسية وقانونية ودينية

[1] محمد علي دبوز، **الأعلام...، ج2، المرجع السابق**، ص: 181.

[2] – بلحاج ناصر، **موقف سكان وادي ميزاب من التجنيد الإجباري، المرجع السابق**، ص: 121.

[3] – حبيب كدومة، **المرجع السابق**، ص: 244.

[4] – دبوز، **أعلام الإصلاح، ج2، المرجع السابق**، ص: 174.

واقتصادية، وبذلوا في سبيل ذلك كل جهدهم من أجل الوصول إلى مبتغاهم المتمثل في الإعفاء من التجنيد سنة 1947، حيث لعب سكان المنطقة دورا بارزا في معارضة السياسة الاستعمارية.

4- نشاط سكان منطقة وادي ميزاب ضمن التيارات السياسية:

لقد شهدت منطقة وادي ميزاب حراكا وطنيا نشيطا بعد تأسيس حزب الشعب الجزائري (PPA)، حيث التحق به العديد من المناضلين من المنطقة من بينهم مفدي زكريا، غرافة إبراهيم، العساكر محمد، وبوجناح سليمان، حيث تم تعيين مفدي زكرياء أمينا عاما ورئيسا للجنة التنفيذية له، وبذلك قام بتنظيم العديد من المهرجانات طالب فيها باستقلال الشعب الجزائري، كما كان عضوا بالمكتب السياسي المكلف بالإعلام في حزب الشعب، وكُلف بإنشاء جريدة "الشعب" وإدارتها[1].

كما قام أيضا بنشاطات جمعوية وتظاهرات ندد فيها بالسياسة الفرنسية، ومن المرافقين له أبناء المنطقة في نضاله داخل الحزب غرافة إبراهيم الذي كان يتولى منصب أمين المال[2]، والعساكر محمد الذي تولى مسؤولية رئاسة خلية الحزب الذي كان يحظى بمساندة التجار الميزابيين في البليدة[3]، ومن المناضلين الميزابيين كذلك في حزب الشعب نجد عسى الحاج الناصر المدعوا "القانون المدني"، كما كان أخوه محمد الحاج الناصر متعاطفا مع الحزب والعديد من التجار الميزابيين من مدينة قسنطينة[4].

كما انخرط الميزابيين في حزب حركة انتصار الحريات الديقراطية (MTLD)، والذي ظهر كوريث لحزب الشعب الجزائري بعد عودة ميصالي الحاج من منفاه 13 أكتوبر 1946، وواصلوا خط

---

[1] – دهمة بكار، **دور غرداية في الحركة الوطنية، المرجع السابق**، ص، ص: 152، 153.

[2] – بن إدريسو، **المرجع السابق**، ص: 60.

[3] – دهمة بكار، **المرجع السابق**، ص: 154.

[4] – **المرجع نفسه**، ص: 156.

النضال حيث كان مفدي زكريا حاضرا في صفوفه وبقي ناشطا فعالا في الحزب إلى غاية اندلاع بين الميصاليين والمركزيين[1].

كما واصل زميله ورفيقه في النضال غرافة إبراهيم نشاطه السياسي فانضم هو الآخر إلى حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وكان عضو في مكتبها الفديرالي ومكلف بالدعاية لها بمساعدة السيد خبيطي أحمد بن داود في الدعاية للحركة في فرنسا[2].

ومن ناحية أخرى قد عرفت الجماعة العربية المالكية نشاطا سياسيا واضحا في المنطقة تعود جذورها إلى مرحلة المقاومة الشعبية التي انخرط في صفوفها العديد من أبناء المالكية مع وصول أصداءها إلى حدود المنطقة، حيث تميز العمل الياسي بنوع من التداخل بين النضال السياسي المحظ والعمل الإصلاحي الثقافي، وذلك لانضمام الرعيل الأول من هؤلاء الوطنيين من مدينة متليلي منهم: سي مصطفى مصطفى ممثل عن خلية حزب الشعب الجزائري، والمناضل عبد القادر ودان، مولاي إبراهيم عمار، محمد محجوب، الحاج أحمد مصطفى، الشيخ لخضر الدهمه، والشيخ لعمى، هذا الأخير الذي أدى دور الوسيط والمنسق بين خلية متليلي وخلية غرداية وضاية بن ضحوى المنتمين لنفس الاتجاه الاستقلالي[3].

كما ضمت مدينة ضاية بن ضحوى مجموعة من المناضلين نذكر منهم على سبيل المثال شيخ محمد بن عمر بوحميدة[4]، والسيد أحمد ولاد براهيم، مسعود بوحميدة بن عمر، إبراهيم ولاد قويدر، وآخرون كانوا يمارسون المهام الموكلة لهم من طرف الحزب تحت إشراف الإمام محمد بن عمر بوحميدة الذي كانت له علاقة مع السيد محمد بن عبد العزيز لغواطي[5].

---

[1] – بن إدريسو، **المرجع السابق**، ص: 86.

[2] – حمو عيسى النوري، **المرجع السابق، مج2**، ص: 255.

[3] – دهمة بكار، **النشاط الثوري...، المرجع السابق**، ص: 63.

[4] – جمال الدين بوحميدة، **المرجع السابق**، ص: 75.

[5] – دهمة بكار، **النشاط الثوري...، المرجع السابق**، ص: 64.

كما شارك أبناء المنطقة من المالكية في المؤتمر الأول لحركة (MTLD) فيفري 1947، والذي أفرز قرار تأسيس المنظمة الخاصة (O.S) الجناح العسكري والسري للحركة، حيث حضره كلا من المناضل لعمى الشيخ ومحمد عبد العزيز من مدينة غرداية، والشيخ الحاج حمه الطالب، وبوخشبة بوعمامة من مدينة المنيعة الذين بادروا مباشرة بعد عودتهم من ميدنة الجزائر إلى وادي ميزاب بتأسيس فروع للحركة بالمنطقة، حيث ترأس قسمة غرداية المناضل أحمد شناف، كما ترأس فرع المنيعة الشيخ طالب حمه، أما فرع متليلي فترأسه الشيخ سي مصطفى مصطفى بمساعدة عبد القادر ودان[1].

تم اعتقال المناضل الحاج طالب حمه سنة 1951، وذلك إثر اكتشاف المنظمة الخاصة حيث استطاعت قوات الاحتلال الوصول إلى أعضاء فرع المنيعة وتم اعتقال العديد منهم، غير أن المناضل بوعمامة بوخشبة استطاع النجاة والفرار وبادر بإعادة تأسيس فرع للحزب في المنطقة، كما شارك رفقة المناضل مسعود بن ولهة في مؤتمر "هورنو" ببلجيكا 1954، واقتصر عملهم في المنطقة على جمع التبرعات ولاشتراكات وكذا كتابة الشعارات الوطنية في الساحة العمومية، أما مدينة متليلي فقد عرفت نشاطا وطنيا ملحوظا خاصة في ما يخص مسألة جمع السلاح وتخزينه عن طريقة شبكة من المناضلين والتجار المختصين في تجارة السلاح الذين كانوا على اتصال مباشر بمدينة وادي سوف، حيث كان السلاح يأتي من ليبيا بعد الحرب العالمية الثانية والتي وصل عددها إلى ما يقارب 150 قطعة سلاح[2].

كما بادر قادة ومناضلي مدينة متليلي بتكوين وتأطير ما يقارب 300 مجاهد على أهبة الاستعداد للعمل المسلح يتزعهمهم القائد جبريط محمد ولعمى الشيخ ومسهود بن ولهة، وسي مصطفى

[1] – **المرجع نفسه**، ص: 64.

[2] – **المرجع نفسه**، ص: 67.

مصطفى، حيث غرفت المنطقة موجة من الوعي والحراك السياسي الرافض للاستعمار، ونتيجة لذلك قامت الإدارة الاستعمارية بفصل مدينة متليلي عن إدارة بلدية غرداية وإلحاقها بدائرة الجلفة[1].

وفي إطار التحضيرات النهائية للعمل المسلح زار الناحية المناضل الحاج العرابي المدعوا "لاجودان" 1954، بصفة مبعوث من طرق القائد مصطفى بن بولعيد أين أقبل على تنظيم وتنصيب الخلايا الثورية السرية، وتنصيب المناضل محمد بن سعيد دهام وبشير كديد على مدينة متليلي وإبراهيم الحاج عمر، ومحمد جبريط ومحمد بن عمر بوحميدة على مدينة غرداية، وكذا تنصيب المناضل بوخشبة بوعمامة على مدينة المنيعة، حيث تم اتفاق الجميع على تحديد كلمة السر بينهم لتفجير الثورة والتي هي "حجرتان من الشرق"[2].

(ثانيا)– تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

1– تأسيسها:

إن التجربة التعليمية والإصلاحية قد جعلت من الشيخ عبد الحميد بن باديس يفكر في مشروع هام، وهو في جهاده التعليمي والإصلاحي الذي تواصل قرابة عقدين من الزمن، هذا المشروع هو تأسيس جمعية ينتظم في سلكها علماء قسنطينة أولا، ثم تتسع لغيرهم من علماء الجزائر، وفي إحدى رحلاته إلى رأس الوادي بسطيف، اجتمع بالبشير الإبراهيمي فحدثه عن الجمعية وعن الأهداف وعن الأغراض التي يهدف إليها من وراء تأسيسها، وطلب منه أن يضع لها قانونا أساسيا، فلبى البشير الإبراهيمي رغبته، ولكن هذه التجربة باءت بالفشل، لأن أغلب العلماء كانوا قليلو الثقة بالعامة والإقبال على عمل الجماعة، فاقتنع

[1] – يوسف بن بكير، **المرجع السابق**، ص: 211.

[2] – الدهمة بكار، **النشاط الثوري**، ص: 68.

ابن باديس بوجوب التمهيد لمثل هذه المؤسسة بواسطة صحافة حرة وطنية وفكر في وسيلة تضمن لها البقاء والحرية والاستقرار[1].

وإذا كانت الفكرة لم تتحقق في هذا الوقت-1924-، فإنها بقيت تختمر في العقول، وتعمل عملها في النفوس، حتى تهيأت الأرض بتأسيس المطبعة الجزائرية بقسنطينة سنة 1925م، وإصدار صحيفة "المنتقد" التي حملت راية الإصلاح والتجديد الإسلامي، التي عمّرت أكثر من 18 أسبوعا، لمضايقتها للاستعمار الفرنسي، لكن ابن باديس استطاع ان يعوضها بصحيفة "الشهاب" الأسبوعية، وتحولت في 1929م إلى مجلة شهرية، تدافع عن الإسلام، اللغة العربية، والشخصية الجزائرية[2].

في جويلية من عام 1930م بلغ عمر الإحتلال الفرنسي للجزائر قرنا كاملا (1830-1930م)، وبهذه المناسبة أقامت فرنسا احتفالات صاخبة في الجزائر كلها، قدرت لها أن تدوم ستة أشهر كاملة، غير أنها لم تدم سوى شهرين فقط نظرا لمقاطعة الشعب الجزائري لها، ورفضه على إقامتها بتلك الصورة الاستفزازية. وقد أنفق الفرنسيون على هذه الاحتفالات ما يزيد على 80 مليون فرنك فرنسي أعادوا ذكرى جيش الاحتلال الأول بموسيقاه، وحضر رئيس الجمهورية الفرنسية خصيصا إلى الجزائر لرئاسة الاحتفالات المذكورة كصورة استفزازية للجزائريين، حيث أشعرتهم بالذل والمهانة، وذكرتهم بمئات الألوف من الشهداء من أبائهم وأجدادهم الذين سقطوا في ميادين الجهاد[3].

---

[1]- محمد صالح الصديق، **المصلح المجدد الإمام ابن باديس. لهذا حاولوا اغتياله**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2009، ص، ص: 33، 34.

[2]- مالكي جمال، **الحياة الثقافية في الجزائر من خلال صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1925-1956**، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة زيان عاشور الجلفة، 2021/2020، ص: 18.

[3]- تركي رابح عمامرة، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931- 1956م) ورؤسائها الثلاثة**، المؤسسة الوطنية المطبعية، الجزائر، 2004، ص: 41.

كانت تلك الاحتفالات الاستفزازية، بالإضافة إلى غيرها من ظروف موضوعية أخرى، عاملا قويا في سرعة إخراج فكرة تكوين جمعية العلماء المسلمين إلى حيز الوجود، كي تعمل على المحافظة على عروبة الجزائر وإسلامها، ومن الأخطار المحدقة بها.

وبالفعل ففي العام التالي مباشرة تم تأسيس "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" في الخامس من شهر ماي 1931م، وقد ضمت 72 عالما من مختلف أنحاء القطر الجزائري، ومن مختلف الاتجاهات الإسلامية[1]، والمذهبية المالكية والإباضية والصوفية وموظفي الخدمة المدنية والتجار الليبراليين[2]، من صفوة علماء الجزائر، من بينهم الشيخ أحمد بن عليوة شيخ الطريقة العلوية، والشيخ بن قاسم شيخ الرحمانية، وكان كل من مفتي المالكية والحنفية في الجزائر حاضرين. وكان هنالك ممثلون عن التجار المشهورين في المدن الجزائرية، والمملون الماليون، إلى جانب شيوخ الإباضية، وخريجي مدارس مصر وتونس والمغرب مثل: البشير الإبراهيمي، وتوفيق المدني، والطيب العقبي، ومبارك الميلي، والعربي التبسي، والأمين العمودي وغيرهم[3]، وهو ما يفسر توحد جهود الزعماء الدينين الجزائريين في جمعية منظمة تآزرهم وتنسق نشاطهم الإصلاحي[4].

وقد اتخذت مقرا لها في بداية تكوينها "نادي الترقي" الذي أسس بعاصمة الجزائر في عام 1926م، فكانت تعقد فيه اجتماعاتها، وتقيم مؤتمراتها السنوية، وتمارس منه نشاطها العام، وتولى رئاستها

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية، ج3**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط3: 1986، ص: 83.

[2]- Dilmi Zoheir, **Malek Bennabi (1905 – 1973 É.C.) et les conditions d'une nouvelle renaissance de la société arabo-musulmane**, Mémoire présenté à la Faculté des études supérieures En vue de l''obtention du grade de Maîtrise (M.A.) ès sciences des religions, Université de Montréal, Faculté de théologie et de sciences des religions, Décembre 2013, p : 10.

[3]- أندري ديريليك، **عبد الحميد بن باديس (1307– 1358هـ) (1889– 1940م) مفكر الإصلاح وزعيم القومية الجزائرية**، تر: مازن بن صلاح مطبقاني، عالم الأفكار، الجزائر، ص: 179

[4]- ابراهيم مهديد، **الحركة الوطنية الجزائرية في القطاع الوهراني فيما بين 1919– 1939م النهضة والصراع**، دار الفرس العربي، وهران، ص: 105.

منذ البداية الشيخ "عبد الحميد بن باديس"، الذي انتخبه زملاءه رئيسا للجمعية بالإجماع في غيبته، وتولى نيابة الرئاسة الشيخ "محمد البشير الإبراهيمي"، الذي استمر يشغل هذا المنصب إلى أن توفي الشيخ عبد الحميد بن باديس عام 16 أفريل 1940م، فانتخبه أعضاء الجمعية في غيبته بالإجماع لرئاستها وهو بمنفاه ب"أفلو".

وهكذا أُنتخب رئيس الجمعية في كل مرة غيابيا، وبإجماع أصوات الأعضاء، وقد استمر الإبراهيمي يشتغل هذا المنصب إلى غاية توقف الجمعية عام 1956م، حيث اندمجت في هياكل ومؤسسات جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني[1].

2- أهدافها:

أعلن عبد الحميد بن باديس في كلمته الترحيبية لجمهور نادي "الترقي" عن اهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مؤكدا اهتمامها بأمور الدين والثقافة في الجزائر، وقد وجدت الحاجة لتعليم الناس وأن الموجود حاليا غير كاف. وكانت الجزائر في الوقت نفسه على مشارف ثورة ثقافية ومتعطشة للتعبير عن نفسها في ميادين عدة[2]، وعليه كان من بين أهدافها: إحياء اللغة العربية، الدفاع عن الإسلام، العمل على تحرير الوطن الجزائري، تقوية أواصر الأخوة بين العرب والمسلمين، ولذلك خصصت جمعية العلماء جهدها الأكبر لإحياء اللغة العربية التي كادت تندثر في الجزائر، ونشرها على نطاق واسع بين أبناء الجزائر، ومقاومة رجال التبشير بالدين المسيحي، الذين تحميهم فرنسا وتساعدهم بأموال الأوقاف الإسلامية[3].

---

[1]- تركي رابح عمامرة، **جمعية العلماء المسلمين، المرجع السابق**، ص: 43.

[2]- أندري ديريليك، **المرجع السابق**، ص: 180

[3]- Jacques carret, **le réformisme en islam**, **l'association du oulama d'Algérie**, imprimerie officielle, rue trollier, alger, 1959, p,p :13 ;14.

لقد جاء في قانونها الأساسي الذي عُدل في عام 1951م، في فصله الأول ما يلي: «تأسست في عاصمة الجزائر جمعية دينية، علمية، تهذيبية، أدبية، تحت اسم: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، كما جاء في الفصل الثالث منه: "أنه تمنه منعا باتا كل بحث سياسي، وكذلك كل تدخل في أية سياسة داخل نطاق الجمعية"[1].

ما يهمنا في تأسيس الجمعية حضور رجال وعلماء منطقة وادي ميزاب في تأسيسها، ومسايرة برامجها وأنشطتها، حيث شارك في مؤتمر تأسيسها كل من الشيخ "بكلي عبد الرحمان" والشيخ "إبراهيم بن عمر بيوض" والشيخ "أبو اليقظان"، كما عزم هؤلاء العلماء سنة 1345هـ/ 1929م على إنشاء جمعية مصغرة من العلماء المصلحين الموجودين في الجزائر تكون نواة للجمعية الواسعة التي تضم كل العلماء[2].

كما قام زعماء الجمعية على تعيين لجنة العمل الدائمة من بين أعضاءها السيد الحاج عمر العنق"، والتي اهتمت بالترتيب والتحضير لكل شيء مرتبط بالمجلس الإداري للجمعية، كما كان الشيخ عبد الرحمان بكلي عضوا في لجنة صياغة القانون الأساسي للجمعية[3]، حيث شارك الشيخ بيوض في تسيير إدارة الجمعية الأولى، حيث عين نائبا للشيخ مبارك الميلي، كما ساهم في توثيق العلاقة بين مدارس جمعية العلماء ومدارس الميزابيين، حيث أنشأ عدة مدارس تعليمية في مختلف نواحي القطر الجزائري، كما أسلفنا الذكر في الفصل الثالث، كما انتهجت نظاما تعليميا موحدا مع مناهج الشيخ عبد الحميد بن باديس[4]، كما انتخب الشيخ أبو اليقظان كعضو في المجلس الإداري لجمعية العلماء في سنة 1934، حيث ارتبط نشاطه بالاتجاه الوطني الإصلاحي الداعي إلى النهضة وتحرير الجزائر بالإسلام والعربية[5].

---

[1]- تركي رابح عمامرة، **جمعية العلماء المسلمين...**، **المرجع السابق**، ص: 45.

[2] - محمد علي دوز، **النهضة الحديثة...**، **المرجع السابق، ج2**، ص:97.

[3]- محمد بوسعدة، **المرجع السابق**، ص:171.

[4] - **المرجع نفسه**، ص: 173.

[5] - سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، **المرجع السابق، ج5**، ص: 292.

(ثالثا)– المؤتمر الإسلامي:

يعتبر المؤتمر الإسلامي الجزائري تجمعا من التجمعات السياسية البارزة التي شهدتها الجزائر خلال القرن العشرين والذي هدف إلى إتحاد كل الشرائح الاجتماعية الجزائرية مع منظماته السياسية، حيث يقول أبو القاسم سعد الله "يعتبر المؤتمر الإسلامي الجزائري الذي انعقد بالعاصمة في السابع من يونيو سنة 1936 أول تجمع من نوعه في الجزائر، فلم تعرف الجزائر طيلة أكثر من قرن تجمعا تشترك فيه كل الاتجاهات وتمثل فيه كل مختلف الطبقات وتبرز خلاله وحدة الصف والكلمة على مطالب معينة، مثل ما حدث في المؤتمر المذكور"[1].

قام الشيخ عبد الحميد بن باديس بإرسال دعوة إلى كامل القطر الجزائري يدعوا فيه المسلمين لعقد مؤتمر رعام بالجزائر العاصمة بغية عرض الحالة الراهنة على أنظارهم ولتقرير ما يجب اتخاذه من تدابير لمعالجة الحالة الديمقراطية الفرنسية، كما قام بتشكيل لجنة تحضيرية من ممثلي الجمعيات والشركات والنقابات في قسنطينة، وتلتها لجنتين واحدة بالجزائر والأخرى بوهران، حيث كان موعد انعقاد المؤتمر يوم الأحد في 07 جوان بقاعة الماجستيك بالعاصمة على الساعة السابعة صباحا، حيث جمع المؤتمر العلماء والأدباء ورجال السياسة وكذا أعيان البلاد[2].

انعقد المؤتمر بالملعب البلدي يوم الأحد 07 جوان 1936 حيث أخذ كلمة الافتتاح الدكتور "تمازالي"، ثم أعطيت الكلمة للدكتور ابن جلول لتوضيح أهمية وأغراض المؤتمر، وبعده جاءت الكلمة للدكتور ابن تهامي ويليه الدكتور عبد الوهاب وفرحات عباس، حيث أشاروا إلى قيمة هذا اللقاء الذي جمع النواب والنخبة وأهل الرأي في الجزائر، كما كان للشيخ بن باديس والشيخ العقبي والشيخ الإبراهيمي

[1]– سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ج3**، ص: 151.

[2] – أبو اليقظان، **المؤتمر الجزائري العام**، الأمة، العدد:79، 16 جوان 1936، ص: 01.

إسهامات في المؤتمر، وكذا تقديم كلمتهم[1]، والتي تمثلت إلى جانب المطالبة باعتبار اللغة العربية لغة رسمية، طالبت الجمعية بتسليم المساجد إلى المسلمين وتخصيص ميزانية لها، على أن تتولى جمعيات دينية أمرها مؤسسة حسب قانون فصل الدين عن الدولة، وتأسيس كلية لتعليم الدين واللغة العربية لتخريج موظفي المساجد، وتنظيم القضاء على يد هيئة إسلامية تنتخب بإشراف الجمعيات الدينية المذكورة(2).

تباينت الردود حول هذا المؤتمر، فقد وصفته جريدة النجاح "Nadjah" المعادية للجمعية بأنه مؤتمر خزي وضحك، واصفة بأن جمعية العلماء والمنظمين لها قد اقترفوا خطأ كبير، في خلطـهم الأمور الدينية مع السياسة، وأن هناك هدف خفي يتمثل، في تصفية حسابات بين ابن باديـس وبن جلول وعلى العكس من ذلك، كتبت جريدة الأمة عنوانها اليوم الكبير والتاريخي للجزائر، ولخصت المؤتمر الاسلامي في كلمات: ستة آلاف مثلوا ستة ملايين جزائري، في الماجستيك، عشرون ممثل تكلموا مدة مائتي دقيقة، في نفس المنصة، رجال الدين وسياسيين، كلهم تكلموا في إطار الدين الاسلامي، واللغة العربية، بتدخلات بالعربية والفرنسية، من اجل الحقوق، تحت غطاء الجمهورية الديمقراطية الفرنسية(3).

ومن جهة أخرى يذكر محفوظ قداش أنه قد برزت معارضة للمؤتمر من بينها علماء الإصلاح بميزاب الذين طالبوا بتحقيق مطالب الحفاظ على الثوابت الوطنية، ولعل أبرزها الإدماج والإلحاق بفرنسا[4]، إضافة إلى ذلك فإن أحد المسؤوليين الميزابيين تكلم هاتفيا مع ممثلي المؤتمر وبين لهم موقف الميزابيين منه قائلا:" إن الميزابيين يوافقونهم ويشاركونهم ففي جميع المسائل التي فيها نفع الجميع للجزائر من فتح المدارس الحرة وجعل اللغة العربية رسمية، وفتح المساجد المغلقة، وحرية الخطابة فيها، وحرية الصحافة، وأما ما هو

---

[1]- **المصدر نفسه**، ص: 02.

[2]- البصائر، العدد: 30، 12 جمادى الأولى 1355هـ/ 31 جويلية 1936م، ص: 03، وأبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ج3**، ص: 157.

[3]- Smail Mami, **Après le Congrès Musulman Algérien**", L'Echo de la presse musulmane. Informations des pays d'Orient. 2éme année, n° :33, 04/07/1936, p1-2

[4] - محفوظ قداش، **تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ج1**، ص: 571.

متعلق بأمر السياسة كالتجنيد، واتفاقية 1853، فتلك لا دخل لأحد فيها غير أهالي ميزاب، ضرورة أننا نطلب إلغاء التجنيد وأنتم تطلبون بالمساواة ففهم الأهالي مرادهم"[1].

إضافة إلى ذلك ما يعاب على منظمي المؤتمر من طرف أعلام ميزاب هو عدم الاهتمام بمطالبهم وبأنهم تحكمهم اتفاقية 1853، التي بدورها ضبطوا فيها مواقفهم تجاه الإدارة الفرنسية[2].

ومن خلال ما أورده أحد الباحثين أن الميزابيين المقيمين بمدن التل بادروا بعقد مؤتمر بغية دراسة المؤتمر الإسلامي، وفي ما يمكن أن يخدمهم وكان ذلك يوم 02 جويلية 1936 بسيدي بنور بلدية سانتوجان، حيث بلغ عدد الحاضرين 200 شخص، ترأسهم الشيخ أبو اليقظان والسيد حجوط إبراهيم، وفيه طلب مفدي من الحاضرين إلى الانضمام إلى مسعى المؤتمر الإسلامي لتقديم مطالبهم في المؤتمر، بالإضافة إلى إنشاء لجنة تحضيرية مؤقتة لدراسة الأراء الواردة في المؤتمر وإنشاء جمعية رسمية للدفاع عن مصالح التجار الميزابيين يترأسها السيد حجوط إبراهيم، بالإضافة إلى تشكيل لجنة ثانية برئاسة أبو اليقظان لحضور المؤتمر الإسلامي بغية عرض موقف الميزابيين منه[3].

أحدث المؤتمر الإسلامي صراعا بين كتلتي المحافظين والإصلاحيين في وادي ميزاب، إذ كانت الكلمة واتخاذ القرار الأخير من المؤتمر لفريق المحافظين، مما أغاظ الطرف الآخر، حيث قام الشيخ أبو اليقظان بانتقادات واسعة لشخصيات محافظة في ميزاب، ولعل أبرزها عبد الله بوكامل على موقفهم تجاه المؤتمر الإسلامي[4]، ولذلك فإن المؤتمر كما ذكر أبو القاسم سعد الله أنه قد جمع كثيرا من المتناقضات لا في التخطيط فقط، ولكن في الأهداف الاستراتيجية أيضا، فالذي كان يهم النواب والنخبة هو تطبيق مشروع فيوليت الذي وضع في الحقيقة من أجلهم، وكان العلماء مشاريكن بنصف الحماس وبطريقة غامضة[5].

---

[1] – محمد بوسعدة، **المرجع السابق**، ص: 147.

[2] – محفوظ قداش، **الحركة الوطنية، المرجع السابق، ج1**، ص:571.

[3] – محمد بوسعد، **المرجع السابق**، ص: 148.

[4] – بن عمر، **المرجع السابق**، ص: 274.

[5] – سعد الله، **الحركة الوطنية، المرجع السابق، ج3**، ص: 156.

(رابعا)– لجنة الحقوق الإسلامية:

في سنة 1943 أنشأ ديغول لجنة الإصلاحات قصد النظر في مطالب الجزائريين، حيث كانت هذه اللجنة تحت نظر الولي العام للجزائر "كاترو"kotrou، حيث أرسلت استدعاءات إلى الشخصيات البارزة إلى الجزائر قصد تقديم مطالب الأمة الجزائرية، من بينها الشيخ البشير الإبراهيمي من الشمال، والشيخ إبراهيم البيوض من الجنوب، والسيد فرحات عباس، تحت إسم "لجنة الحقوق الإسلامية"، ففي أواخر ديسمبر 1943 وصل إلى الشيخ بيوض استدعاء لجنة الإصلاحات، حيث قدم في يناير 1947 لائحة مطالب الميزابيين تحت عنوان "مذكرة"، كما قام بعرضها على الشعب الميزابي عامة في خطابه سنة 1946 تحت عنوان "نداء وبيان إلى الشعب الميزابي النبيل".

هذا ما أدى إلى رفع الإقامة الجبرية على الشيخ بيوض، والإذن له بالتجول والانتقال بين الشمال والجنوب والشرق والغرب، الأمر الذي ساعده على نشر نفوذه وتقوية جهاده الإصلاحي في التراب الوطني عامة ومنطقة وادي ميزاب خاصة[1]

(خامسا)– المسألة الانتخابية والتمثيل البرلماني لمنطقة غرداية في المجلس الجزائري 1948:

إن الدارس لتاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، يجد أن منطقة غرداية لم تكن بمنعزل عن هذا النشاط، حيث تطورت بتطور المرحلة وحيثياتها، ومن بين المحطات الهامة في نضال الحركة الوطنية الجزائرية بصفة عامة، والموقف الميزابي بصفة خاصة، نذكر قانون 20 سبتمبر 1947، الذي أقر العديد من الإصلاحات، أهمها تأسيس المجلس الجزائري من خلال تنظيم انتخابات على مستوى الهيئتين الأولى والثانية في العمالات الثلاث، وكذلك مناطق الجنوب.

[1] – محمد سليمان أبو العلا، **صفحات من كفاح خاص بالشيخ بيوض والاستعمار الفرنسي**، جمعية التراث، ط1: 2012، ص-ص: 67- 69.

1- المسألة الانتخابية قانون 20 سبتمبر 1947:

هو ذلك المشروع الإصلاحي الذي أقرته الإدارة الفرنسية لمواجهة الحركة الوطنية ومحاولة امتصاص غضب وهيجان الشعب الجزائري الذي عان من الظروف والأزمات الاجتماعية والاقتصادية، ومحاولة إلهاءه من المطالبة عن حقوقه الشرعية، حيث عرف هذا القانون بعدة تسميات منها: القانون الأساسي، دستور الجزائر، أو كما أطلقت عليه السلطات الفرنسية إصلاح 1947 أو البرنامج الإصلاحي[1].

صدر هذا القانون فترة حكم رئيس الجمهورية الفرنسية "فانسنت أوريال" (viensent auriol)، ورئيس المجلس الوزاري "بول رمادي" (paul rmadi)، والحاكم العام "إيف شاتينو" (chatino)، احتوى على 08 فصول، تضمنت الفصول ستون مادة، جاء بغية تحديد العلاقة بين الجزائر وفرنسا، وإشراك ساكنة الجزائر من الأوربيين والمسلمين في تسير شؤون البلد، وإيجاد نوع من التعايش المجتمعين المتمازيين.

نص هذا القانون على أن الجزائر تشكل مجموعة عمالات تتمتع بالشخصية المدنية والاستقلال المالي، وبنظام خاص تحدده المواد التالية فيه[2]، وكذا المساواة بين جميع المواطنين الفرنسيين في الجزائر، مع مراعات الأحوال الشخصية للفرد الجزائري المسلم[3]، أما تسيير الإدارة فهي بيد الحاكم العام يمثل الحكومة الفرنسية في كامل أنحاء الوطن، يساعده أمين عام يحل محله عند غيابه[4]، بالإضافة إلى الجمعية الجزائرية،

[1]- زوزو عبد الحميد، **الفكر السياسي للحركة الوطنية والثورة التحريرية**، ج1، الجزائر، دار هومة، 2012، ص: 224.

[2]- Anom 81f/1191. Assemblée algérienne. Loi n 48-371 du 04 mars 1948, art 1 p :03

[3]- Anom 81f/1191. Assemblée algérienne. Loi n 48-371 du 04 mars 1948, art 2,3 p :03

[4]- Anom 81f/1191. Assemblée algérienne. Loi n 48-371 du 04 mars 1948, art 5 p :03

وذلك بناء على المادة السادسة منه، فالجمعية مكلفة بالاتفاق مع الحاكم العام في تسيير المصالح الخاصة بالجزائر، سواء كانت تشريعية أو مالية[1]، غير أن سلطة الجمعية كانت مقيدة ولم تكن مطلقة[2]

كما يتكون مجلس الحكومة من ستة أعضاء مستشاريين، رئيس الجمعية، نائب رئيس الجمعية ينتمي إلى قسم انتخابي غير قسم الرئيس، عضوان يتم تعيينهم من طرف الحاكم العام، وعضوان يتم انتخابهما من طرف الجمعية الجزائرية على أساس عضو من كل قسم انتخابي[3]، حيث يكلف هذا المجلس بالعمل على تنفيذ قرارات الجمعية، ويرجع إليه في حالة استدعاء الجمعية لعقد دورة طارئة، بالإضافة إلى ذلك باستطاعته طلب من الحاكم العام النظر والقيام بإجراء تحقيقات تدخل ضمن اختصاصات الجمعية الجزائرية[4].

أما على مستوى النظام التشريعي، فالجزائر لها نظام خاص، حيث أن القوانين الفرنسية لا تطبق أتوماتيكيا في الجزائر، باستثناء الحالات المحددة في القانون مثل: المبادئ والحريات الدستورية، القانون المدني، القوانين والقرارات المتعلقة بالمصالح الملحقة، المعاهدات والمواثيق الدولية التي تبرمها الميتربول، التنظيم العسكري والتجنيد، نظام الانتخابات وقانون الجمعيات المحلية، التنظيم الإداري والقضائي وإجراءات المحاكمات المدنية والجنائية، تحديد المخالفات، النظام المالي والعقاري ونظام الجمارك، العفو العام والمنازعات الإدارية، نظام الجنسية الفرنسية[5]، كما يمكن للبرلمان الفرنسي توسيع تشريعاته في الجزائر في المسائل التي لم

---

[1]- Anom 81f/1191. Assemblée algérienne. Loi n 48-371 du 04 mars 1948, art 6 p :03

[2] – أوعامري مصطفى، **المقاومة السياسية الوطنية بعمالة وهران ما بين 1942– 1951**، تجربة التحالفات وإرهاصات الثورة الجزائرية، دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة وهران، 2008/ 2009، ص: 181

[3]- Anom 81f/1191. Assemblée algérienne. Loi n 48-371 du 04 mars 1948, art 7 p :04

[4]– أوعامري مصطفى، **المرجع السابق**، ص: 181.

[5]- Anom 81f/1191. Assemblée algérienne. Loi n 48-371 du 04 mars 1948, art 9-12 p :04

تنص عليها المواد (09-10-11-12)، وذلك باقتراح من الجمعية الجزائرية والتي بدورها تدرس القوانين الجديدة وتوافق عليها، وتقوم بتعديلها إذا اقتضى الأمر، ولا تصبح نافذة إلا بعد خضوعها للمصادقة من الإدارة الفرنسية[1].

أما فيما يخص النظام المالي فقد خصص له القانون 13 مادة، من المادة 17 إلى 29، حيث أن مشروع ميزانية الجزائر يوضع من طرف الحاكم العام تحت مراقبة وزير المالية ووزير الداخلية، ويتم عرضه على الجمعية الجزائرية بغية المناقشة والتصويت، كما يُحرر على شكل مرسوم يتم المصادقة عليه[2].

بالإضافة إلى ذلك تضمن القانون مجموعة من الإصلاحات كإلغاء الحكم العسكري على الجنوب الجزائري وكذا اعتبار أقاليمه عمالات، إلغاء البلديات المختلطة، فصل الدين عن الدولة، الاعتراف بالأعياد الدينية والحفلات الشرعية للمسلمين بالجزائر[3]، بالإضافة إلى اعتبار اللغة العربية إحدى لغات الإتحاد

---

[1]- Anom 81f/1191. Assemblée algérienne. Loi n 48-371 du 04 mars 1948, art 13,14 p :04

[2]- Anom 81f/1191. Assemblée algérienne. Loi n 48-371 du 04 mars 1948, titre 05, statue financier, art 17 p :05

[3]- Anom 81f/1191. Assemblée algérienne. Loi n 48-371 du 04 mars 1948, art 56 p :11

الفرنسي وتعميم تعليمها على كل المستويات، وكذا تطبيق نفس الأحكام على الصحافة والمنشورات الرسمية أو الخاصة الصادرة باللغتين العربية والفرنسية في الجزائر[1]، بالإضافة إلى حق المرأة المسلمة في الانتخاب[2].

كما خصص القانون الأساسي فصلا كاملا للجمعية الجزائرية، يحتوي على 17 مادة، من المادة 30 إلى المادة 46، حيث حدد أعضاءها بـ 120 عضوا، موزعين بالتساوي على القسمين الانتخابيين الأول والثاني، ينتخبون عن طريق الاقتراع العام السري والمباشر[3]، مع الإشارة إلى أن القسم الانتخابي الأول يتشكل من كل المواطنين الخاضعين للقانون المدني الفرنسي، وبعض الفئات المسلمة الخاضعة لقانون الأحوال الشخصية الإسلامي، أما القسم الانتخابي الثاني فيضم بقية الناخبين الجزائريين المسلمين[4].

تعقد الجمعية الجزائرية ثلاث دورات عادية في السنة بحيث لا تتعدى مدة الدورة ستة أسابيع، كما يمكنها أن تعقد دورات استثنائية[5]، حيث تراعي مبدأ المساواة بين القسمين الانتخابيين فيما يخص تشكيل أجهزتها الداخلية كالمكاتب واللجان، بما فيها التناوب على رئاسة الجمعية وأجهزتها[6]، كما يمكن

[1]- Anom 81f/1191. Assemblée algérienne. Loi n 48-371 du 04 mars 1948, art 57 p :11

[2]- Anom 81f/1191. Assemblée algérienne. Loi n 48-371 du 04 mars 1948, art 04 p :03

[3]- Anom 81f/1191. Assemblée algérienne. Loi n 48-371 du 04 mars 1948, art 30 p :07

[4]- أوعامري مصطفى، **المرجع السابق**، ص: 182.

[5]- Anom 81f/1191. Assemblée algérienne. Loi n 48-371 du 04 mars 1948, art 35 p :08

[6]- Anom 81f/1191. Assemblée algérienne. Loi n 48-371 du 04 mars 1948, art 36 p :08

للحاكم أن يتكلم فيها بمساعدة مندوبي الحكومة، كما يمكن للجمعية العامة أن تطلب إيضاحات عن كل المسائل الداخلة ضمن اختصاصها[1].

وللإشارة فإنه لا يجوز للجمعية الجزائرية الخوض في المسائل السياسية حسب ما نصت عليه المادة 45 من القانون الأساسي، فأي مداولة في مواضيع خارجة عن صلاحيتها تعتبر ملغية، كما أعطى المشرع لحق للمجلس الوزاري الفرنسي في حل الجمعية نهائيا[2]، ضف إلى ذلك أن الحصانة البرلمانية محدودة للنواب، ومقتصرة على عدم مسؤوليتهم على الأراء التي تصدر منهم داخل الجمعية[3]

2- تحديد وتقسيم المناطق والدوائر الانتخابية في الجنوب الجزائري:

لقد تحمست وعملت الإدارة الفرنسية على إجراء الانتخابات من أجل تشكيل الجمعية الجزائرية لإيجاد حل للمسألة السياسية الجزائرية الوطنية التي ظهرت بعد 1946، والمراد منها إبراز الشخصية الجزائرية المنفصلة عن الإدارة الفرنسية، ومحاولة الوصول إلى كشف الوطنيين والمنادين بالانفصال التام أو السيادة الكاملة المستقلة عن فرنسا من أجل محاصرتهم [4].

أما فيما يخص المناطق التي شملتها الدوائر الانتخابية من أجل اختيار ممثلي المجلس الجزائري في قانون رقم 48-371 الصادر يوم 04 مارس 1948، فقد ورد برنامج تقسيم الدوائر الانتخابية على

---

[1]- Anom 81f/1191. Assemblée algérienne. Loi n 48-371 du 04 mars 1948, art 37 p :08

[2]- Anom 81f/1191. Assemblée algérienne. Loi n 48-371 du 04 mars 1948, art 46 p :09

[3]- Anom 81f/1191. Assemblée algérienne. Loi n 48-371 du 04 mars 1948, art 34 p :08

[4] – ليلى حمري ، **الجمعية الجزائرية وقضايا الجزائريين 1948– 1956**، أطروحة دكتوراه في التاريخ، كلية العلوم الإسلامية والإنسانية، جامعة وهران، 2015/2014، ص: 61

مستوى الهيئة الأولى والهيئة الثانية في العمالات الثلاث، وكذا مناطق الجنوب، فسنكتفي في هذه الحالة بذكر تقسيم الدوائر الانتخابية على مستوى مناطق الجنوب الجزائري[1]، والتي كانت كالآتي[2] :

الدوائر الانتخابية	العواصم	المناطق الانتخابية
01	عين الصفراء	البلديات الأهلية: الساورة، توات، قورارة. البلديات المختلطة: حيري فيل، عين الصفراء، كولومب، بشار، مشرية.
02	الجلفة	البلديات المختلطة: الجلفة، الأغواط، بالإضافة إلى منطقة القليعة ومتليلي.
03	غرداية	البلديات الأهلية: غرداية باستثناء القليعة ومتليلي
04	بسكرة	البلديات المختلطة: بسكرة، ولاد جلال.
05	ورقلة	البلديات الأهلية: ورقلة، هوقار، تيدكلت البلديات المختلطة: توقرت، الوادي.

كملاحظة حول هذا الجدول، فإن منطقتي المنيعة ومتليلي كانتا تابعتين للمنطقة الأهلية لغرداية، وتم إلحاقهم بمنطقة الجلفة، أين ولّد العديد من الانتقادات، وهو ما نلمسه في إحدى المقالات من جريدة " ligalitté"، التي انتقدت هذا التقسيم الأخير[3].

[1]- ينظر الملحق رقم: 03، ص:274.

[2]- Anom, 81F.$_{1191}$, carte politiques. Délégués à l'assemblee algérienne. Départements et territoires du sud 1er et 2 ème collèges. Loi n 48-371 du 04 mars 1948 , p :22.

[3]- anom 81F/1192, légalité, " LA LOI ELECTORALE", 03 Mars1948.

3- موقف بني ميزاب من التقسيم:

إن التقسيم النهائي الذي أقرته الإدارة الفرنسية فيما يخص الدوائر الانتخابية في الشمال والجنوب واختيار منطقة غرداية كدائرة انتخابية[1] ، ولّد العديد من ردود الفعل، وهذا حسب ماورد في وثيقة عبارة رسالة موقعة من طرف "أبي أمحمد عمر بن عيسى" [2]، توضح قيام أعيان ومشايخ ميزاب بإرسال رسالة بتاريخ 21 فيفري 1948، إلى كل من رئيس الجمهورية الفرنسية، رئيس المجلس، وزير الداخلية، وورد فيها أيضا أن ممثلي القصور السبع قد اجتمعوا في هذا اليوم على الساعة الثالثة بالجامع الكبير ببني يزقن لاتخاذ قرار نهائي فيما يخص انتخابات 1948، حيث اتخذوا قرار نهائي فيما يخص الانتخابات (عملية التقسيم)، والذي كان من نتائجه رفضها رفضا نهائيا، وتمسكهم بعدم التدخل في الشؤون السياسية والذي هو بند أقرته اتفاقية 1853[3] ، إضافة إلى ذلك قام أعيان ميزاب بإرسال وفد مكون من : السيد حجوط براهيم[4] والسيد الحاج امحمد عمر بن عيسى تحت إسم النيابة الدائمة للأمة الميزابية (بمعنى أن هؤلاء هم المسؤولين

---

[1]- anom 81F/1192, Alger république, "LA LOI ELECTORALE pour L'Assemblée algérienne est tissée d'illégalités, 27 février 1948.

[2]- من مواليد مدينة العطف بميزاب، حفظ القرآن وأخذ مبادئ العلوم، وهو شخصية بارزة في ميزاب، ساهم في حركة الأمير خالد الوطنية، وجمعية العلماء المسلمين، وقد كان مفوضا للأمة الميزابية للدفاع عن حقوقهم تجاه فرنسا بالأخص في قضية التجنيد الإجباري...للمزيد ينظر: محمد بن موسى وآخرون، **معدم أعلام الإباضية من القرن الأول هجري إلى العصر الحاضر، ج2**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2: 2000، ص: 310.

[3] anom, 3f/141, communauté mozabite , pour le m'zab le délégué par procuration authentique , p-p : 1-2

[4]- حجوط إبراهيم بلحاج (1897-1962)، ينتمي إلى عائلة من بني يزقن، شغل منصب رئيس لجمعية التعاون العام بالجزائر، ترأس الجماعة الميزابية بالجزائر بعد الحرب العالمية الثانية، كما ترأس عشيرة آل موسى ببني يزقن، أُلقي عليه القبض إبان ثورة التحرير، توفي بعد الاستقلال بقليل...للمزيد ينظر: صالح بن إدريسو، مفدي زكريا...، **المرجع السابق**، ص: 133.

والناطقين الرسميين عن ميزاب) إلى فرنسا في شهر مارس 1948، كما حاولوا الاتصال ببعض الشخصيات الحكومية، وذلك بهدف عدم إدخال منطقة وادي ميزاب ضمن المناطق الانتخابية، ورفضهم لتطبيق دستور 1947 على المنطقة، بحجة أن المنطقة منطقة حماية[1] .

أما من جهة أخرى فهناك من الميزابيين من رحبوا بقرار الانتخابات، وذلك من خلال الوثيقة التي بحوزتنا، والصادرة عن "شرطة الاستعلامات العامة لمنطقة غرداية"، تحت رقم 1431، بتاريخ 08 مارس 1948، وهم فئة الإصلاحيين الذين رشحوا ممثلهم الشيخ عمر بن إبراهيم بيوض بمنطقة "القرارة"[2].

إن قبول المشاركة في الانتخابات الجمعية العامة الجزائرية، و التمثيل السياسي عن الأمة الميزابية في المجلس الجزائري سوف يؤدي إلى اسقاط اتفاقية 1853[3]، الأمر الذي جعل أعيان ميزاب (المحافظين) يعيدون النظر في قضية التمثيل الانتخابي، وهو ما يظهر في الوثيقة الصادرة في تاريخ 23 مارس 1948 عن "شرطة الاستعلامات العامة"، تحت رقم 1838، حيث ورد فيها مبادرتهم في اختيار ممثل لهم ضد منافسيهم الإصلاحيين شرط أن يتمسك ممثلهم بقرارات اتفاقية 1853[4]، ليقع الاختيار على السيد "مفدي زكرياء"، الملقب بالشيخ زكري، ليترشح لتمثيل جماعة المحافظين ضد منافسهم المصلح الشيخ بيوض،

[1]- ناصر محمد صالح، **الشيخ ابراهيم بن عمر بيوض مصلحا وزعيما**، الدار البيضاء، دار ناصر للنشر والتوزيع، ط4: 2017، ص: 320.

[2]- ANOM 3f/$_{141}$, communauté mozabite, le commissionnaire divisionnaire de la P.R.G. chef du district d'Alger, "activités m'zabites ", 08 mars 1948.

[3] - ANOM 3F/$_{141}$, communauté mozabite le commissionnaire divisionnaire de la P.R.G. chef du district d'Alger, " mozabites ", 13 mars 1948.

[4] - ANOM 3F/$_{141}$, communauté mozabite le commissionnaire divisionnaire de la P.R.G. chef du district d'Alger, " mozabites ", 13 mars 1948.

وللإشارة فإن السيد مفدي زكرياء تقبل دعوة الترشح والتمثيل تخوفا من أن يتم إقصاءه من الأمة الميزابية في حالة رفضه للترشح، ولذلك سارع إلى قبول الدعوة والتنقل من مدينة الجزائر إلى غرداية في نفس اليوم [1].

أما فيما يخص الطرف المنافس –الإصلاحيين– بقيادة الشيخ بيوض، فقد بادر هذا الأخير لعقد اجتماع مع أعضاء حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وإلقاء عدة خطابات سياسية، حيث يقول في إحداها "قررت أن أرشح نفسي لذلك المجلس بدافع وطني، وبتحريض أغلبية سكان وادي ميزاب الذين أعلنوا أنهم لا يريدون العزلة والانفصال وأنهم يرتبطون بالشمال"، وقال أيضا "ليس لقب النائب عندي قيمة إلا بقدر ما أجلب لقومي من خير وأدفع عنهم من ضر"[2]

4– موقف مالكية وادي ميزاب ولجنة الدفاع عن حقوقهم من التقسيم:

بادرت مجموعة من الشباب المالكية في وادي ميزاب والذين ينتمون إلى بعض الأحزاب الوطنية بمطالبة فصل مالكية ميزاب وإلحاقهم بمنطقة الجلفة والأغواط، حيث أسسوا بالجزائر لجنة باسم "لجنة الدفاع عن حقوق مالكية غرداية (ميزاب)، وقامت بنشر فصول في الجرائد اليومية تدعوا الحكومة الفرنسية إثر تقسيم دوائر المجلس الجزائري إلى إلحاقهم بدائرة الأغواط والجلفة، وللإشارة لم يكن وراء ذلك دافع انفصالي، وإنما لأسباب منها:

– إنتماء بعض رؤساء اللجنة إلى "الإتحاد الديمقراطي للبيان".

---

[1]- ANOM $3F/_{141}$, communauté mozabite le commissionnaire divisionnaire de la P.R.G. chef du district d'Alger, "des mozabites conservateurs ", 23 mars 1948.

[2] – محمد سليمان أبو العلا، **المرجع السابق**، ص: 75.

– اختلاف الميزابيين الإباضيين وانقسامهم إلى فريقين، فريق يدعوا إلى المشاركة وفريق يدعوا إلى عدمها، ثم إن الفريق المشارك قد انقسموا إلى أربعة فرق، الفريق الأول مع زعيم الإصلاح بيوض، والثاني مع مفدي زكريا، والثالث مع باعلي عيسى، والفريق الرابع مع بكاي محمد –مرشح الحزب الشيوعي–.

– التعصب المذهبي الذي ورثته كل طائفة عن أسلافها، والذي فكك اللحمة الإسلامية.

ولذلك قاموا بترشيح نائبا مالكيا وهو السيد "بوحميدة الطيب"[1].

تابعت الصحف وعلقت على الأحداث خلال مرحلة تحديد الدوائر الانتخابية فمنها التي انتقدت وأخرى أحسنت ما كان يجري، ومن بين هذه الصحف جريدة Alger république، والتي صدرت فيها مجموعة من المواضيع انتقدت فيها الحملة الانتخابية، مثل مقال نُشر يوم 12 فيفري 1948، ذُكر فيه أن بني ميزاب يطالبون باحترام خصوصيتهم والنظام القانوني الخاص بهم[2]، وهو نفس الموقف الذي عبرت عنه جريدة "Tribune d'Alger" في مقال لها يعنوان " Le M'zab réclame le respect de sa personnalité et de son statu juridique"، في 12 فيفري من سنة 1948[3].

[1]– عبد الرحمان بن عمر بكلي، **مسيرة الإصلاح في جيل 1918– 1948**، تق: مصطفى صالح باجو، مكتبة البكري، العطف، 2004، ص: 347.

[2] – ANOM 81F/$_{1192}$, Alger république, "L4Assemblée a définitivement délimité les circonscriptions algeriens", 27 février 1948 .

[3]– ANOM 81F/$_{1192}$, Tribune d'Alger, Le M'zab réclame le respect de sa personnalité et de son statu juridique", 12 février 1948.

5-بداية الحملة الانتخابية في منطقة غرداية:

لقد أكدت الإدارة الفرنسية على متابعة ما كان يجري خلال الحملة الانتخابية، فقامت بإصدار تقارير حول ذلك والتي من خلالها يمكننا التعرف على أجواء مرحلة الانتخاب، خاصة ما ذكرته "مصلحة شرطة الاستعلامات العامة لمنطقة غرداية"، حيث جاء في مضمون الوثيقة الصادرة عن "شرطة الاستعلامات العامة لمنطقة الجزائر"، تحت رقم 2057، الصادرة بتاريخ 28 فيفري 1948، والتي هي عبارة عن تقرير حول اجتماع سري سيقوم به جماعة الميزابيون (المحافظون)، في مدينة الجزائر يوم 1948/02/29، على الساعة الثانية زوالا، بحي "روفيقو"[1]، حيث حضر هذا الاجتماع السري ما يقارب 30 شخص في منزل المدعو "عيسى"، وبحضور مفدي زكريا الذي كان مناضلا سياسيا بحزب الشعب سابقا، وأعضاء من حزب الشعب وبعض العلماء للنقاش حول مسألة مشاركة الميزابيين في انتخابات الجمعية الوطنية الجزائرية، بهدف التحالف والتعاون، انتهى الاجتماع على الساعة السادسة مساء، وقد تم إرسال أهم القرارات المنبثقة عن هذا الاجتماع إلى السيد "ميصالي الحاج" [2].

وفي وثيقة أخرى من نفس المصدر، بينت لنا أن الطرف المنافس لجماعة المحافظين، هم الإصلاحيين بقيادة الشيخ بيوض، قد بادروا إلى عقد اجتماع مع أعضاء "حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري"، بمدينة البليدة يوم 08 فيفري 1948، بنيّة التحالف بينهما، ليتم الاتفاق على أمرين مهمين[3]:

---

[1]- ANOM, 3F/$_{141}$, commissariat de police du 4 -ème arrondissement, " réunion privée", 28 février 1948.

[2]- ANOM, 3F/$_{141}$, commissariat de police du 4 -ème arrondissement, " réunion privée", 01 mars 1948.

[3]- ANOM, anom 3F/$_{141}$, communauté mozabite le commissionnaire divisionnaire de la P.R.G. chef du district d'Alger, " du m'zab ", 05 mars 1948

1- إذ تم اختيار منطقة غرداية كدائرة انتخابية، فإنه يلزم على مناضلي حزب اتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري دعم الشيخ بيوض والإصلاحيين خلال مرحلة الانتخابات لاختيار ممثل لمنطقة وادي ميزاب في الجمعية الوطنية الجزائرية.

2- إذ تم إلحاق منطقة غرداية لدائرة الأغواط خلال الانتخابات، فذلك يُلزم الإصلاحيين بدعم حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري.

من المعروف أن أي عملية انتخابية تسبقها حملة انتخابية، ودعاية المترشحين عند انطلاق الحملة، فقد تنقل مفدي زكريا إلى الجزائر العاصمة، وذلك حسب ما ورد في وثيقة خاصة (P.R.G)، تابعت تحركاته في العاصمة، حيث تنقل إلى مطبعة "Alger Républicaine"، حيث قام بإصدار رسالة شديدة اللهجة[1]، هاجم من خلالها منافسه الإصلاحي الشيخ بيوض[2] .

وبالفعل في اليوم الموالي – 01 أفريل 1948- بادر السيد مفدي زكريا ممثل المحافظين بإطلاق حملته الانتخابية[3]، ويظهر لنا ذلك من خلال رسالته التي بعثها إلى الميزابيين، والتي عبر فيها عن الأسباب التي خولت له الترشح للانتخابات ضد الإصلاحيين، حيث يقول: " نزولا عند إرادة الشعب وأهل الفضل والخير والصلاح المصلحين المحافظين على عهود الأجداد وشرف الأباء الأمجاد، قبلت ورضيت أن أتقدم لهذا الانتخاب وأحمل هذه الأمانة...أتقدم ضد الانتفاعيين الذي يقدمون مصلحتهم الخاصة على المصلحة

[1]- ينظر الملحق رقم: 18، ص:289.

[2]- ANOM 3F/$_{141}$, communauté mozabite le commissionnaire divisionnaire de la P.R.G. chef du district d'Alger, " de la politique mozabites ", 31 mars 1948.

[3]- ANOM 3F/$_{141}$, communauté mozabite le commissionnaire divisionnaire de la P.R.G. chef du district d'Alger, " de la politique mozabites ", 01 avril 1948.

العامة، أتقدم ضد الذين يريدون تسخير الشعب وسط نفوذهم بواسطة الاستبداد والدكتاتورية، أتقدم ضد من يريدون إنزال حرمة المساجد ووقارها..."[1] .

أما منافسه ممثل الإصلاحيين الشيخ البيوض، فقد بادر إلى إلقاء خطابات في العديد من القصور مثل: بريان، القرارة، بن يزقن...، كما كانت له عدة لقاءات مع شخصيات ميزابية خارج غرداية[2] ، كما قام أنصار الشيخ بيوض باتخاذ إحتياطاتهم لكسب المعركة الانتخابية في الدورة الأولى، من بينها[3]:

– أمر العشائر الميزابية بعقد اجتماعات لتوجيه الأفكار وتفهيم البسطاء في فائدة الانتخاب على زعيم الإصلاح.

– الاتفاق مع شركات النقل من الجلفة إلى ميزاب، وشركة الطيران من الجزائر إلى غرداية أن تخفض سعر التذكرة 50% يوم الانتخاب.

– بعص الدعاة إلى مختلف الجهات لإقناع الناس وتحفيزهم لمتابعة صناديق الاقتراع.

– ربط مراكز الإصلاح هاتفيا لتوحيد خطط العمل والإطلاع بدقة على مجريات عمليات الانتخاب.

– التزام التجار في المدن الكبرى بكراء عربات ضخمة بأسماءهم قصد نقل كل من بلغ سن الانتخاب، والفقراء مجانا إلى غرداية.

كما كان للسيد حمو لقمان أكبر المنشطين للحملات الدعائية لصالح الشيخ بيوض، ولعل أهم أنشطه رئاسته للجنة تحرير اللافتة الملصقة الدعائية التي نُشرت في الأوساط الجماهيرية تحت عنوان "فاقو"[4].

---

[1]- ANOM, ibide.

[2] –محمد صالح ناصر، **المرجع السابق**، ص، ص: 323، 324.

[3]– عمر بكلي، **مسيرة الإصلاح في جيل، المصدر السابق**، ص: 341، 342

[4] – ينظر الملحق رقم:19، ص:291.

6- أحداث يوم التصويت:

يمكن الاطلاع على مجريات يوم الانتخاب من خلال الوثيقة الأرشيفية المؤرخة في تاريخ 29 أفريل 1948، والتي هي عبارة عن طعن قدمه المترشح "مفدي زكرياء"، ضد منافسيه الإصلاحيين بتاريخ 09 أفريل 1948 [1]، وذلك في إطار ما خوله القانون الفرنسي الخاص بدعوة التقاضي الانتخابي، والذي يسمح بتقديم الطعن في الخمسة أيام الأولى بعد تاريخ بداية عملية الانتخاب، إما عند أمانة قسم التقاضي بمجلس الدولة، وإما على مستوى الأمانة العامة لمحافظة الدائرة، التي يقع فيها المقر الرئيسي للشكوى[2]، حيث ورد فيها أن انطلاق الانتخابات وتنظيمها لم يكن حسب المقرر المقدم من طرف الإدارة الفرنسية، حيث قدم العديد من الملاحظات حول مسار عملية الانتخاب في القصور السبع، مثلا:

أ- قصر غرداية:

فتح مكتب الانتخاب على الساعة العاشرة والنصف صباحا، تحت رئاسة كل من "جورج أوليدز" رئيسا للمكتب، و"لويس بوكست" رئيس ثاني، بالإضافة إلى باشاغا "بالولو" عضوا، وتم غلق المكتب على الساعة السادسة مساء، غير أنه قانونيا يُغلق على الساعة الثانية عشر زوالا، كما أنه لم يفتح مكتب ثاني للانتخاب، أما فيما يخص طريقة الانتخاب فقد كانت عن طريق تقديم بطاقة التعريف الوطني، غير أنه على حسب كلام صاحب الطعن كان هناك عدة تجاوزات من بينها أن هناك شخص انتخب ببطاقة

[1] ANOM $3F/_{141}$, communauté mozabite le commissionnaire divisionnaire de la P.R.G. chef du district d'Alger, resaignement, 29 avril 1948.

[2] ANOM, $81F._{1191}$, carte politiques. Délégués à l'assemblee algérienne. Départements et territoires du sud 1er et 2 ème collèges. Loi n 48-371 du 04 mars 1948, contention des élections, p :23.

تعريف تحت إسم "جمعاوي أحمد بن محمد"، ولم يتم التحقق من الشخص، بالإضافة إلى ان السيد "زرقي عبد الله بن يوسف"، الحامل لبطاقة التعريف رقم 933 قد انتخب في غرداية وفي الحقيقة كان متواجدا بمدينة البليدة.

ب- قصر بريان:

فُتح بها مكتب واحد للانتخاب لاستقبال ما يقارب 1396 مسجل، كما أن عملية الانتخاب بدأت على الساعة العاشرة صباحا، وأُغلق المكتب على الساعة العاشرة ليلا، تحت شروط جديدة تعجيزية.

ج- قصر بنورة:

مكتب الانتخاب قد فتح أبوابه ما بين الساعة الثامنة والتاسعة صباحا.

د- قصر مليكة:

مكتب الانتخاب قد فتح أبوابه على الساعة التاسعة صباحا، وأُغلق على الساعة السادسة مساء، مما نجم عنه عدم تصويت العديد من الناخبين، وذلك نظرا لعددهم الكبير.

هـ- قصر العطف:

لم يُفتح مكتب الانتخاب إلا على الساعة التاسعة صباحا، وأغلق على السادسة مساء، وهو ما تمخض عنه التخلف للناخبين عن التصويت، الذي قدر عددهم الإجمالي 703.

و– القرارة:

حسب أقوال مفدي زكريا فإن قصر القرارة قد عرف أعمال العنف والترهيب والتزوير، والتي نُظم لها من طرف منافسه الشيخ بيوض، الأمر الذي جعل مفدي زكريا يُلح على الإدارة الفرنسية باتخاذ قرارات صارمة ضد منافسه مستشهدا بذلك بأعضاء المكتب الذين كانوا متواجدين يوم الانتخاب [1].

بعد الانتهاء من مجريات الانتخاب، وبالضبط على الساعة الواحدة وربع بعد منتصف الليل أُعلن عن نتائج العملية الانتخابية والتي كانت كالآتي: الشيخ بيوض: 2584 صوت، مفدي زكريا: 1224 صوت، بوحميدة الطيب: 1047 صوت، باعلي عيسى: 48 صوت، البكاي محمد: 17 صوت[2].

وبعد نجاح جماعة الإصلاحيين بقيادة ممثلهم الشيخ البيوض، بمنطقة غرداية، بادر الحاج "يوسف بن عيسى" نائب الشيخ بيوض، بتقديم مبلغ مالي يقدر ب 700 ألف فرنك، إلى كل من "الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري"، و "جمعية العلماء المسلمين"، حيث تم تقسيمه كالآتي:

- 100 ألف فرنك إلى فرع الاتحاد الديمقراطي بمنطقة الاغواط.
- 100 ألف فرنك إلى فرع الاتحاد الديمقراطي للسيد "م.كاري".
- 500 ألف فرنك إلى جمعية العلماء المسلمين، مقسمة كالآتي:
- 250 ألف إلى معهد بن باديس بقسنطينة
- 250 ألف إلى جريدة البصائر.

---

[1]- ANOM 3F/$_{141}$, communauté mozabite le commissionnaire divisionnaire de la P.R.G. chef du district d'Alger, resaignement, 29 avril 1948.

[2] – **عبد الرحمان بن عمر بكلي، مسيرة الإصلاح في جيل، المصدر السابق**، ص: 349.

حسب رأي المفوض "كوستي" فإن الهدف الحقيقي من هذا الدعم المالي، هو مكافئة لدعم الاتحاد الديمقراطي، وعلماء الجمعية للعلماء الإصلاحيين في منطقة غرداية، وذلك من خلال قيام 25 ألف مناضل من مالكية غرداية التابعين إلى الإتحاد الديمقراطي للبيان للجزائري بتدعيم الشيخ بيوض ضد منافسه [1].

يتضح أن مشاركة الميزابيين في المسألة الانتخابية الخاصة بالجمعية الجزائرية، قد نتج عنها في البداية ظهور موقفين متعارضين بين اتجاه إصلاحي مؤيد، واتجاه محافظ معارض، وانتهى ذلك بخوض غمار هذه الانتخابات من كلا الطرفين الإصلاحي والمحافظ، وراح كل منهما يستقطب ويتحالف مع توجهات سياسية أخرى كالإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وجمعية العلماء المسلمين، لكسب ثقل في هذه العملية. لينتج عن ذلك فوز الإصلاحيين لتمثيل الميزابيين في الجمعية الوطنية الجزائرية، ومن جهة أخرى سقوط قرارت اتفاقية سنة 1853 التي كانت تمنع الميزابيين من المشاركة السياسة.

(خامسا)– حزب الدفاع عن حقوق ميزاب:

بعد انتهاء انتخابات المجلس جزائري وفوز الشيخ بيوض بالعضوية في الجمعية الجزائرية الوطنية بالتمثيل النيابي عن منطقة ميزاب، وكذا ردود فعل المحافظين المتمثلة في العرائض والطعن في الانتخابات قام السيد مفدي زكريا في الفترة الممتدة من 05 ماي إلى 14 ماي 1948 بعقد عدة اجتماعات تهدف إلى شن حملات دعائية الهدف منها إلغاء الانتخابات والطعن في ممثلي الإصلاحيين الشيخ بيوض[2].

[1]- ANOM $3F/_{141}$, communauté mozabite le commissionnaire divisionnaire de la P.R.G. chef du district d'Alger, resaignement, "des mozabites réformiste", 13 mai 1948.

[2] – صالح بن إدريسو، **مفدي زكريا من خلال تقارير الإدارة الاستعمارية الفرنسية**، تر: مصطفى حمودة، مطبعة الآفاق، غرداية، 2012، ص: 108.

في نفس السياق وبعد شهر كامل قام مفدي زكريا من نفس السنة باستدعاء شخصيات مهمة من وادي ميزاب حاملين للفكر المحافظ، وهم السادة الحاج امحمد، الشيخ الثميني، عمر بن الحاج عيسى، حجوط إبراهيم، الشيخ مطياز، وكذا السيد بوجناج سليمان[1]، حيث اتفقوا وعزموا على تشكيل حزب سياسي لمنافسة الإصلاحيين سياسيا في المنطقة، حيث سُمي بحزب الدفاع عن حقوق ميزاب، بالإضافة إلى تعيين وفد دائم بباريس متشكل من السيد حجوط إبراهيم والحاج عمر بن عيسى تحت إسم "لجنة الدفاع عن حقوق ميزاب" يترأسه السيد بوجناح بن يحي، وفي شهر مارس من نفس السنة، قام أعضاء هذه اللجنة بتشكيل وفد سياسي تحت إسم النيابة الدائمة للأمة الميزابية حيث قصدوا باريس تحت شعار "هذه العناوين الخادعة"، واتصلوا بعدة شخصيات حكومية وبرلمانية بفرنسا، حيث عارضوا قانون 1947، وكذا إدخال منطقة وادي ميزاب ضمن المناطق الانتخابية للمجلس بدعوى أن ميزاب له خصوصياته ولا يعتبر جزء من الأرض الجزائرية التابعة لفرنسا[2]، كما نشرت جريدة " Tribune"، مقالات طويلة للسيد باسعيد عدون بن بكير تحت عنوان "ميزاب يطالب باحترام شخصيته ووضعه القانوني"، حيث تطرق إلى كل ما جاء في اتفاقية 1853[3]، وذلك كرد فعل على التقسيم الحكومي الإداري الذي نشرته جريدة " Alger république"، فيما يخص ترسيم الدوائر الانتخابية[4].

مع سنة 1951 قام أعضاء الحزب بتوزيع الأعمال فيما بينهم حيث اهتم السيد حجوط إبراهيم بالعمل والنشاط في باريس قصد إثارة الشغب والشك والحيرة في الأوساط النيابية والدوائر الحكومية بدفاعه

[1]- المرجع نفسه، ص: 109.

[2]- محمد ناصر، **ابراهيم بن عمر بيوض، المرجع السابق**، ص: 320.

[3]- f81/1191, archives national, le Mzab réclame le respect de sa personnalité et de son statut juridique , tribune d'Alger.

[4]- f81/1191, archives nationales, le conseil de la république adopte le découpage des circonscriptions algériennes, Alger la république, 20 février 1948

عن منطقة وادي ميزاب[1]، أما السيد بوجناح سليمان بن يحي فقد كان يعقد اجتماعات أسبوعية في غرداية بهدف إثارة حماس السكان للتضحية في سبيل استقلال ميزاب عن الجزائر الفرنسية، كما يقوم بترهيبهم من النظام المدني ونتائجه عليهم ومن قوات الدرك والشرطة، واستلائهم على المساجد ومصادرة أوقافهم، وكذا إرغام النساء على التبرج والسفور وكذا التعدي على حرمة المنازل وأعراض النساء[2].

أما السيد الحاج امحمد عمر بن عيسى فقد كان يجمع ما يسميهم مذكرات ووثائق رسمية عن وادي ميزاب، وهو كتاب طبعه في مطبعة النهضة بتونس في شهر ديسمبر 1951، وشرع في توزيعه في الجزائر منذ جانفي 1952، يحتوى على 113 صفحة، ذكر من خلاله على أن منطقة وادي ميزاب بلد حماية كالمغرب وتونس وليس كالجزائر خاضعا لفرنسا، ولا يجوز ان يدمج في العمالات الثلاث، كما انتقد فيه بشدة نائب وادي ميزاب الشيخ بيوض على تصريحه بأن ميزاب قطعة من الجزائر تابعة لفرنسا[3]، وذلك يوم 05 مارس 1951 في الكلمة الافتتاحية للشيخ بيوض في المجلس الجزائري حيث تكلم عن واقع الحكم العسكري في المنطقة وأقاليم الجنوب وأهمية إلحاق ميزاب بعمالة الجزائر، وهو ما تحدثت عنه العديد من الصحف الفرنسية، منها جريدة"Alger république"، التي نشرت مقالا بعنوان "الجمعية الوطنية تطالب بإلحاق ميزاب بعمالة الجزائر" الصادر بتاريخ 28 نوفمبر 1951[4].

من جهة أخرى أكد وندد المصلحون أن منطقة وادي ميزاب التي قضت مائة سنة بعد ارتباطها بفرنسا تحت النظام العسكري يجب ان ينتقل وبدون تأجيل إلى نظام المدني، وذلك باعتقادهم أن هذا النظام لن يغير شيئا من الحياة الدينية بميزاب، فمساجده وأوقافه ومدارسه ومحاكمه التي تسير بمقتضى

[1] – محمد ناصر، **المرجع السابق**، ص: 321.

[2] – صالح بن دريسو، **المرجع السابق**، ص: 110.

[3] – محمد ناصر، **المرجع السابق**، ص: 322.

[4] – 51/167, département d'Oran, l'assemblée algérienne demande le maintien du rattachement du Mzab au département d'Alger, Alger république, 28/11/1951.

المذهب الإباضي لن تمس بسوء مطلقا، هذا ما أيدته قوانين فصل الدين عن الدولة[1]، ثم إن لعوائد وادي ميزاب عوائد محلية وأعراف خاصة يجب المحافظة عليها وهذا لا يتحقق إلا بإنشاء بلديات تامة وبتخصيص كرسي دائم له في المجلس الجزائري، وكرسي في المجلس العمالي ليتحقق لميزاب كل ما يصبوا إليه، وأن يحقق تقدما واسعا ويشارك في نهضة الجزائر المادية والمعنوية[2].

بعد الصراع السياسي الذي عرفته منطقة وادي ميزاب بين مؤيد إصلاحي ورافض محافظ وما نتج عنه من طعون وعرائض أصبح لوادي ميزاب ممثلا واحد بصوت واحد منتخب بصفة رسمية يتمتع بصلاحية التحدث بإسمه والمتمثل في صوت الشيخ المصلح الديمقراطي "إبراهيم بن عمر البيوض".

خلاصة الفصل:

من خلال ما تم عرضه في هذا الفصل حول دور منطقة وادي ميزاب في النضال السياسي والحركة الوطنية الجزائرية بصفة عامة، فقد اتضح لنا أنه كان لساكنة المنطقة العديد من المواقف في إطار الحياة السياسية، إما مرغمين عليها مثل قضية التجنيد الإجباري وإما باختيارهم كالنضال ضمن الجمعيات والأحزاب السياسية داخل ميزاب وخارجها.

كما لاحظنا أن أعلام الحركة الإصلاحية من مفطرين وعلماء هم أنفسهم من قادوا حركة النضال السياسي في المنطقة، حيث استطاعوا أن يفرضوا أنفسهم وأن يبرزوا كمناضلين سياسيين استطاعوا بذلك تحقيق مطالبهم أمام الإدار الفرنسية وأن يوفقوا بين إصلاحهم الديني والثقافي ونضالهم السياسي.

---

[1] – لقد صدر القانون في 09 ديسمبر 1905م، مؤكدا على ضرورة القطيعة مع الكنيسة وإبعاد مجالها عن الدولة، ولم يكن هذا القانون يعني الجزائر المستعمرة مبدئيا، لكن المادة 43، قد نصت على أنه سيصدر لاحقا مرسوم يحدد كيفيات تطبيق قانون الفصل في الجزائر والمستعمرات...للمزيد ينظر: Journal officiel de la République française. Lois et décret, trente-neuvième année, n°265, 1907/09/30, p6839

[2]– محمد ناصر، **المرجع السابق**، ص: 324.

فبخصوص قضية التجنيد فقد وجدنا ان ساكنة المنطقة ناضلوا أمام الإدارة الاستعمارية على مختلف المستويات، حيث اتخذوا من معاهدة الحماية سنة 1853 غطاء وسلاحا سياسيا لإبطال مسألة التجنيد في المنطقة، حيث استطاعوا أن يحققوا ذلك سنة 1947.

أما فيما يخص الديناميكية في النضال السياسي فقد ظهر بصفة بارزة في وادي ميزاب بعد صدور قانون 1947، ومشاركة ساكنة المنطقة في انتخابات المجلس الجزائري 1948، حيث أعطى هذا الحدث دفعة قوية للوعي السياسي بالمنطقة، وبذلك تشكلت تيارات في أوساط المجتمع أوجدت تدافعا بينها بسبب القناعات الفكرية والسياسية التي كانت سائدة خلال تلك الفترة، كما كان لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين الدور الفعال في نشر الوعي السياسي في المنطقة وبالأخص عند الجماعة المالكية.

الخاتمة

إن النهضة العلمية التجديدية التي عرفتها منطقة وادي ميزاب من خلال انتشار العلم في المساجد وبناء المدارس العصرية، وإنشاء الجمعيات والنوادي الثقافية تعود جذورها إلى إسهامات مجموعة من العلماء الذين بادروا إلى نشر فكرة الإصلاح، ولعل أبرزهم هو الشيخ أبو زكريا الأفضلي الذي انطلق من حملات الوعظ والإرشاد متمسكا بإصلاح أفراد المجتمع وإخراجهم مما هم فيه من مفاسد وجهل، كما خلفه في مسيرته الإصلاحية بعد ذلك تلميذه الشيخ عبد العزيز الثميني الذي بادر بدوره بالتأليف والتحرير قصد تنوير الطلبة والمتعلمين، كما اهتم بتكوينهم علميا، لتتواصل مسيرة الإصلاح بعدهم على يد الشيخ العلامة القطب أحمد بن يوسف أطفيش، حيث قام بإنشاء حلقة علم خاصة به لتعرف تطورا ملحوظا من خلال إبداعه واجتهاده حتى صارت معهدا علميا يستقطب الطلبة من مناطق مختلفة داخليا وخارجيا كونه متخصص في العلوم والدراسات الإسلامية مبني على منظومة تربية تعليمية، كما اهتم بإصلاح المجتمع الميزابي اجتماعيا قصد محاربة البدع والخرافات.

رغم تأثر الحركة الإصلاحية والوطنية في وادي ميزاب بأفكار المشرق الإسلامي مثل الدعوات التربوية والثورية التي نادى بها الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا، إلا أننا التمسنا التزاما كبيرا من قبل علماء الإصلاح الميزابيين، والذي تمثل في مراعاتهم لخصوصياتهم المحلية الجزائرية، خاصة في مجال الدعوة، حيث عرفوا كيف يستفيدون من تجارب غيرهم من دعاة الإصلاح في العالم الإسلامي من دون أن يذوبوا في شخصياتهم ومذاهبهم، أو يصيروا أتباعا لهم، فقد كان فكرهم الإصلاحي قائم على الواقعية، مؤكدين على خدمة المصلحة الوطنية بالرجوع إلى الأصول، وكذا فتح باب الاجتهاد لتحقيق مصالح الأمة المادية والروحية، واستجابة إلى تحقيق مطامعها الآنية والمستقبلية.

بروز ظاهرة إنشاء الجرائد والصحف الإسلامية الناطقة باللسان العربي الهادفة لنشر الفكر الإصلاحي، حيث كانت للشيخ أبي اليقظان بصمة في هذا المجال، المتمثلة في إنشاء وإصدار الجرائد الرسمية الواحدة تلو الأخرى، متحديا كل الصعوبات والعوائق الناتجة عن تعسف الإدارة الاستعمارية

بهدف إعادة بعث الحركة الإصلاحية من خلال الصحافة التي أثرت بشكل كبير على الواقع الفكري الجزائري خلال القرن العشرين، كما شهدت الساحة الصحفية مشاركة وحضور الكثير من الأقلام الميزابية أمثال: مفدي زكريا، أبراهيم أطفييش، ابن القنفذ، الذين كان لهم ثقلا في النضال الصحفي الوطني الجزائري.

كما كان لعلماء الإصلاح في وادي ميزاب مساهمة كبيرة في المشروع الإصلاحي الوطني الجزائري، وذلك من خلال مشاركتهم في تأسيس نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائيين 1931-1954، من خلال مشايخها وكذا المشاركة بأقلامهم في صحفها الإصلاحية، بهدف الترابط والتفاعل بين المؤسسات التعليمية والتربوية للجمعية، وتلك التي أنشأوها بوادي ميزاب وخارجها لإضفاء نوع من التقارب الفكري والعلمي الوطني، بهدف إحداث نهضة فكرية إصلاحية شاملة.

إن مؤسسات ووسائل الإصلاح في وادي ميزاب لم تقتصر على وسيلة واحدة، حيث وجدنا أن علماء الإصلاح بالمنطقة قد استعملوا كل ما قدروا عليه من وسائل وآليات لإيصال صوتهم لأكبر عدد ممكن من الناس، الهادف إلى تعميم الفكر الإصلاحي، كما أن جُل العاملين والناشطين بالجمعيات، وكذا الكتاب بالصحف كان معظمهم مدرسين ومعلمين في المدارس العصرية، وكذا منابر المساجد في المنطقة، بالإضافة إلى أن كل الوسائل والآليات كانت حرة متحررة من الوصاية، وأن القائمين عليها لم يكونوا موظفين لدى الإدارة الاستعمارية، رغم المضايقات والصعوبات والقرارات التي كانت تصدرها الإدارة الاستعمارية إلا أنهم بلغوا إلى تحقيق أهدافهم.

لقد قام علماء ميزاب بتقسيم مهامهم إلى قسمين حيث اهتم الشيخ أبو اليقضان بالحركة الإعلامية وذلك من خلال إنشاء وإصدار ثمانية جرائد بهدف الدفاع عن مقومات الهوية الإسلامية وفضح مخططات المبشرين والمنصرين الهادفة إلى تقويض معالم الإسلام، كما حرص من خلا مقالاته على تنبيه المسلمين إلى الأساليب التي يتسلل من خلالها المنشغلون بالتبشير من جهة، والنداء إلى الوحدة والتوحيد والتصدي للإستعمار وذلك بإدانة أعماله وفضح مخططاته من جهة أخرى، كما

اهتم الشيخ بيوض بالحركة التعليمية وذلك من خلال دروس الوعظ والإرشاد بالمساجد ولتحقيق أهدافه بادر ببناء المساجد وتأسيس المدارس العصرية وإقامة الجمعيات والنوادي وكذا الإهتمام بتطوير التعليم العربي بشقيه الإبتدائي والثانوي بهدف :

توعية الناس بأهمية التعليم بإلحاق أبنائهم به ، والدعوة إلى الإنفاق قصد بناء المدارس العربية العصرية النظامية الحرة وإيواء الطلبة وكذا إرسال البعثات العلمية إلى الخارج، كما ألح الشيخ على الإدارة الفرنسية بتطوير التعليم الفرنسي وتوسيع نطاقه، من هنا كان هدف أعلام ميزاب هو إخراج المجتمع من دائرة التخلف والجهل والإنحطاط بغية إعداد قيادات ونخب تواصل مسيرة النهضة في المستقبل وكذا غرس القيم الإسلامية الحضرية في نفوسهم.

أما فيما يخص تعليم المرأة فقد كان سابقا حكرا على الذكور دون الإناث، وكل ما كان يسمح به للبنات في الأغلب هو تلقي مهارات يدوية مثل النسيج وصناعة الزرابي والأغطية، التي كانت منتشرة في المنطقة، وكذا الخياطة والطرز، حيث كانت هيئة التمرسدين المسؤولة عن كل المسائل النسوية في المنطقة، بالإضافة إلى حرصها على تعليم الفتاة عن طريق الحفظ سمعا وبعض الصور القرآنية ومبادئ القرآن والكتابة ومع مطلع الأربعينيات من القرن العشرين بادر بعض المصلحين بالمطالبة لتعليم الفتاة، وذلك ضمن سياسة الإصلاح التي انتهجوها، غير أنهم اصطدموا بعدد من الخصوم و المعارضين الذين تمسكوا بتقاليد وواقع الحال الموروث، خلصت إلى إدعاء معارضة الدين الإسلامي لمثل هذا التعليم، والذي كان معظمهم من المحافظين في وادي ميزاب، اتسمت البدايات الأولى لهذا المشروع بالقلق والمغامرة من طرف أنصار الإصلاح الذين لم يتجرأوا على الجهر برأيهم وسط مجتمع إباضي ميزابي محافظ الذي كانت شروطه أبعد ما يكون عن الاستجابة لتلك الأراء، من هنا بادر الشيخ "بابكر" وزملاءه بمدرسة الإصلاح بمباشرة تعليم الفتاة الميزابية بهدف نقل المعرفة إلى الأولاد والبيت، وذلك لاختصار الطريق لإصلاح المجتمع، والجدير بالذكر أن مشروع تعليم الفتاة في وادي ميزاب خلال تلك الفترة يعتبر نقلة نوعية وركنا أساسيا في بداية تغيير النظرة تجاه

المرأة رغم التخوف والحذر الذي ساد المجتمع الميزابي، والذي بدوره كان عاملا لمحدودية واجتهادات علماء الإصلاح، وعموما كانت هذه المبادرة خطوة أساسية لبداية اليقظة النسوية وعاملا لدمج المرأة الميزابية ضمن مشروع الحركة الإصلاحية في وادي ميزاب.

كما أن الميزة الغالبة على المنطقة بعد الحرب العالمية الثانية، هي ظهور صراع سياسي حاد بين فئتين متنافستين، فئة حاملة ومتشبعة بالفكر الإصلاحي التجديدي تطالب بإلحاق المنطقة بالقطر الجزائري بمبدأ إلغاء الحكم العسكري على المنطقة، وفئة ثانية محافظة تطالب بالدفاع على إبقاء المنطقة تحت ما أفرزته اتفاقية 1853، وذلك حفاظا على خصوصياته الدينية والعرقية، حيث ازداد الصراع بعد إصدار الإدارة الاستعمارية على قانون 1947 الذي بدوره أفرز تقسيم المناطق الانتخابية الجديدة قصد إجراء عضوية المجلس الجزائري 1948، وبعد الصراع السياسي الذي عرفته المنطقة بين مؤيد إصلاحي ورافضي محافظ وما نتج عنه من طعون وعرائض أصبح اودي ميزاب ممثل واحد منتخب بصفة رسمية يتمته بصلاحية التحدث باسمه والمتمثل في سرد الشيخ المصلح الديمقراطي إبراهيم بن عمر بيوض، حيث طالب وناضل رسميا من داخل الجمعية الجزائرية الوطنية بإنهاء الحكم العسكري بالمنطقة وإلحاقها بالنظام المدني، كما رافع بإلحاقها بعمالة الجزائر.

إن الحركة الإصلاحية والنضال السياسي الذي قاده الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض في وادي ميزاب كانت تستمد أسباب قوتها الاجتماعية والإقتصادية وحتى السياسية من الأعيان والتجار ذوي الأصول الميزابية القاطنين بالشمال الجزائري ، وذلك بما كانوا يمدونه من دعم مالي ومصداقية اجتماعية وكذا الحماية السياسية وذلك بفضل العلاقات التي كانت يقيمونها رجال الأعمال الميزابيون مع مختلف المصالح الإدارية الفرنسية في الجزائر.

كما شهدت المنطقة من 1948 إلى غاية 1954 تحالفات حزبية سياسية عديدة ، حيث تحالف الإصلاحيون بقيادة الشيخ بيوض مع حزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وكذا مشايخ جمعية العلماء المسلمين ،ومن جهة أخرى لاحظنا أن المحافظين بقيادة مفدي زكريا قد تحالفوا مع

حزب انتصار الحريات الديمقراطية وكذا بعض مشايخ العزابة في المنطقة ،من هنا لاحظنا أن منطقة وادي ميزاب قد عرفت حركة نضالية سياسية نشطة إبتداء من سنة 1948 إلى غاية 1954تهدف إلى من يمثلها سياسيا في مواجهة الإدارة الإستعمارية .

كما تعتبر دراستي دراسة أولية لمنطقة وادي ميزاب في فترة زمنية محدودة، والتي ستكون حافزا وبداية لمن سيأتي من بعدي، كما أطرح بعض التوصيات والأفكار التي وقفت عليها عند الدراسة والتي هي كالآتي:

- العمل على تجميع الوثائق الأرشيفية والمخطوطات الموجودة في الأرشيف والمكتبات الخاصة في مركز واحد للوثائق والمخطوطات الخاصة بمنطقة وادي ميزاب، وذلك بالتنسيق مع مخابر البحث بالجامعة لتسهيل عملية البحث في تاريخ المنطقة على الطلبة والباحثين.
- تعزيز جسور مابين الطرف المالكي والإباضي في دراسة الحركة الإصلاحية والوطنية تشمل الطرفين في منطقة وادي ميزاب.
- إن الجنوب الجزائري لا يزال زاخر بمآثر العلماء والأعلام والأدباء والشعراء الذين أخذوا على عاتقهم خدمة الدين والوطن، وهو ما يلزم الباحثين والطلبة مزيدا من الجهد والاجتهاد للبحث في تاريخهم وآثارهم.

الملاحق

الملحق رقم 01:خريطة وادي ميزاب

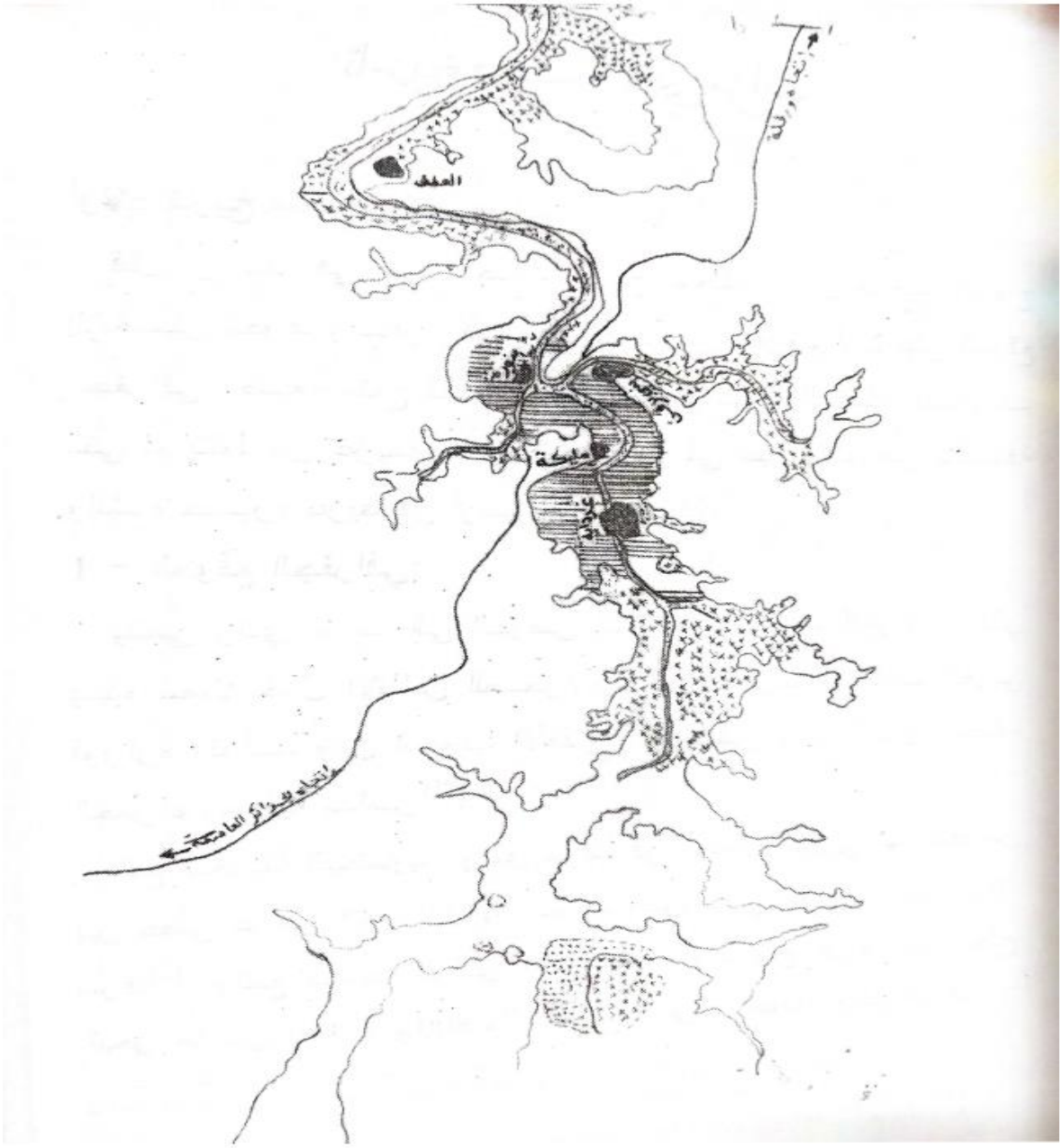

بلحاج معروف، العمارة الإسلامية مساجد مزاب ومصلياته الجنائزية، قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1: 2007،ص:38

الملحق رقم 02:خريطة تبين جغرافية بلاد الشبكة

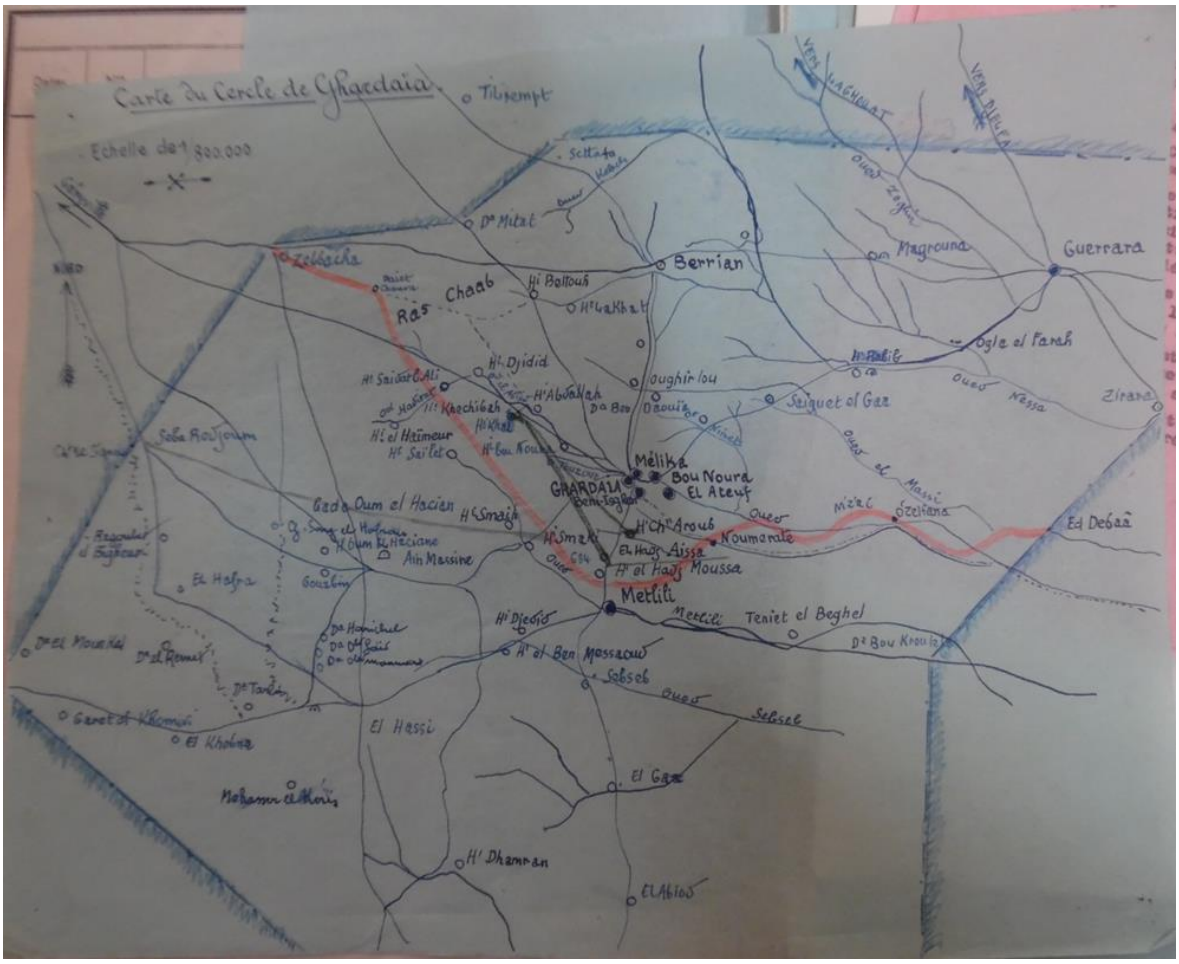

Anom 81F/1192, Tribune d'Alger,Carte de cercle Ghardaia

الملحق رقم 03:تقسيم الدوائر الإنتخابية على مستوى مناطق الجنوب الجزائري

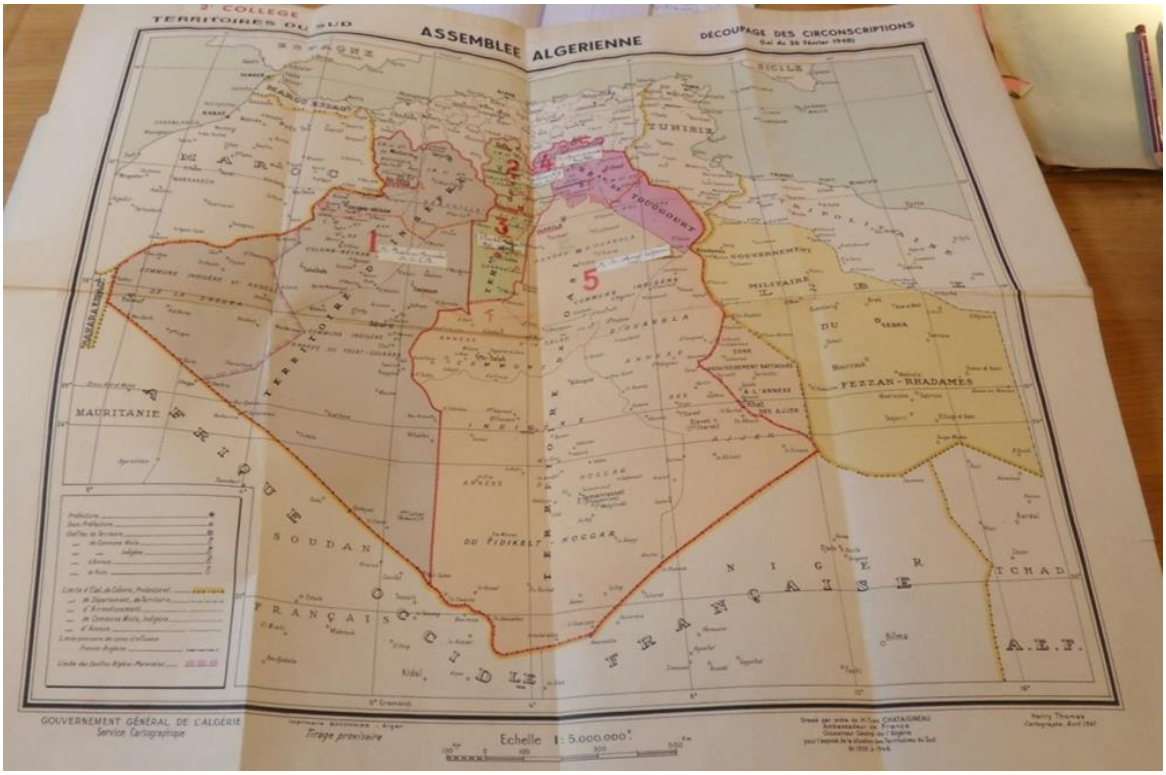

ANOM 81F/1191.Cartes polotiques.Delegues aLansemblee algerienne.Departement et Territoires Du Sud 1ere et 2eme Colleges

الملحق رقم 04 : إحصاء التلاميذ بقصر بني يزقن

بني يزقن	عدد التلاميذ	العلوم المدرّسة	المعلم
محضرة	30	القرآن	محمد بن عيسى
محضرة	27	القرآن	سليمان بن حمو
محضرة	25	القرآن	الحاج محمد بن سليمان
دار	10	القرآن	الحاج موسى بن عمر
دار	30	القرآن	الحاج إبراهيم بن محمد
دار	20	القرآن	الحاج إسماعيل زرقون
دار	40	جميع الفنون	الشيخ أطفيش
دار	20	جميع الفنون	الحاج سليمان بن محمد
دار	15	جميع الفنون	الحاج صالح بن عمر لعلي

يوسف بن بكير ،تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية وإقتصادية وسياسية ،المرجع السابق،ص190

الملحق رقم 05 : إحصاء التلاميذ في المدارس الفرنسية الرسمية لسنة 1906 بوادي ميزاب

البلدة	التلاميذ المسلمون	اليهود	الفرنسيون	المجموع
غرداية	64	109	2	175
العطف	45	0	0	45
مليكة	30	0	0	30
بني يزقن	50	0	0	50
القرارة	40	0	0	40
بريان	40	0	0	40
مزاب	269	109	2	380

يوسف بن بكير ،تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية وإقتصادية وسياسية ،المرجع السابق،ص191

الملحق رقم 06 : توضيح الأحباس بوادي ميزاب

المدينة	عدد النخيل	عدد العراجين	كمية البر	كمية السمن	كمية اللحم
بريان	500	2000	500	250	120
غرداية	4000	8000	1352	1404	307
مليكه	2000	4000	930	465	221
بني يزقن	800	1500	3200	1830	1120
بنورة	200	1500	60	25	10
العطف	800	1500	960	450	327
القرارة	2000	6000	1100	500	200
المجموع	10300	24500	8102	4924	2305

يوسف بن بكير ،تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية وإقتصادية وسياسية ،المرجع السابق،ص198

الملحق رقم 07 : جدول يبين عدد السكان والنخيل في وادي ميزاب لسنة 1884

المدينة (القصور)	عدد السكان	عدد النخيل
غرداية	11.000	64074
ضاية بن ضحوة	//	3754
مليكة	1200	2865
بني يزقن	5500	25875
بن نورة	1500	9954
العطف	2500	16483
بريان	4500	27855
القرارة	4000	28000
المجموع	30.200	178860

Robin, le mzab et son annexion a la France, imprimeur, libreure de lacadimier , 1884.p16

الملحق رقم 08 : إحصاء الكثافة السكانية لسنة 1921 في وادي ميزاب

المدن أو القصور	الذكور	الإناث	المجموع
غرداية:			
الميزابيين	4678	5072	9750
اليهود	674	735	1409
بني يزقن	2974	3276	60250
بريان	2154	1953	4107
القرارة	3156	2895	6051
مليكة	1229	1182	2411
العطف	1423	1430	2853
بنورة	679	743	1422
متليلي	981	693	1674
أولاد علوش	2012	1984	3996
أولاد عبد القادر	1934	1216	3150
المجموع	21894	21179	43073

Mercier marciel, la civilization urbaine au M'zab, P.A.D, alger, 1922. P38

الملحق رقم 09 : إحصائيات خاصة بحفر الآبار في وادي ميزاب لسنة 1899

المدينة (القصر)	الآبار الناشطة	الآبار الميتة
غرداية	1240	275
مليكة	173	23
بني يزقن	417	124
بنورة	248	/
العطف	343	90
بريان	274	/
القرارة	280	/
مزاب	2975	512

Robin, le mzab et son annexion a la France, imprimeur, libreure de lacadimier , 1884.p16

الملحق رقم 10: تأسيس جمعية النهضة

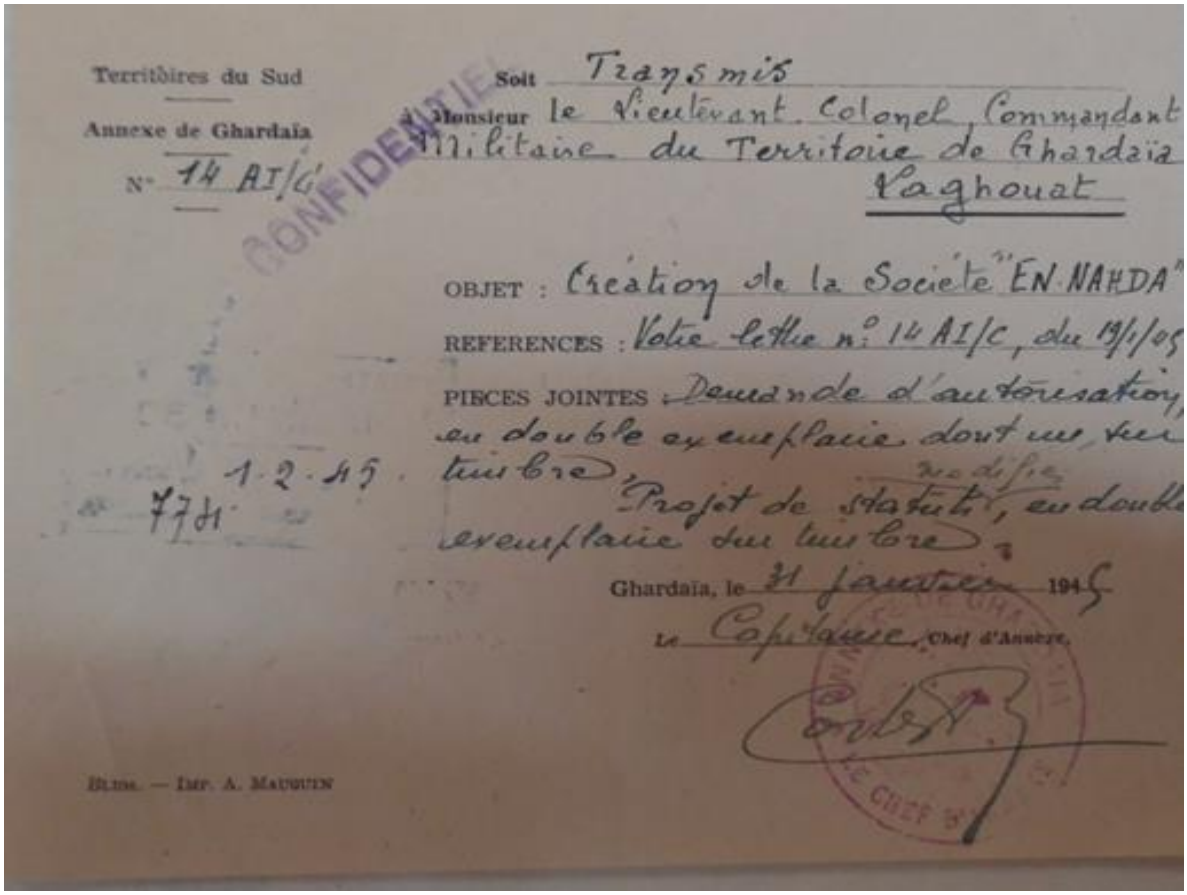

Territoires du Sud

Annexe de Ghardaia

N° 14 AI/C

CONFIDENTIEL

Soit Transmis

à Monsieur le Lieutenant Colonel Commandant Militaire du Territoire de Ghardaïa

Laghouat

OBJET : Création de la Société "EN NAHDA"

REFERENCES : Votre lettre n° 14 AI/C, du 13/1/05

PIECES JOINTES : Demande d'autorisation, en double exemplaire dont un timbre, 1.2.15. 7701

Projet de statuts, en double exemplaire dont un timbre

Ghardaïa, le 21 janvier 1945

Le Capitaine, Chef d'Annexe.

Blida. — Imp. A. Mauguin

ANOM 68// Departemen Des Qasis. Societes Mozabites.

Archives d'Outre-Mer AIX-EN PROVENCE

الملحق رقم 11: جمعية الوفاء

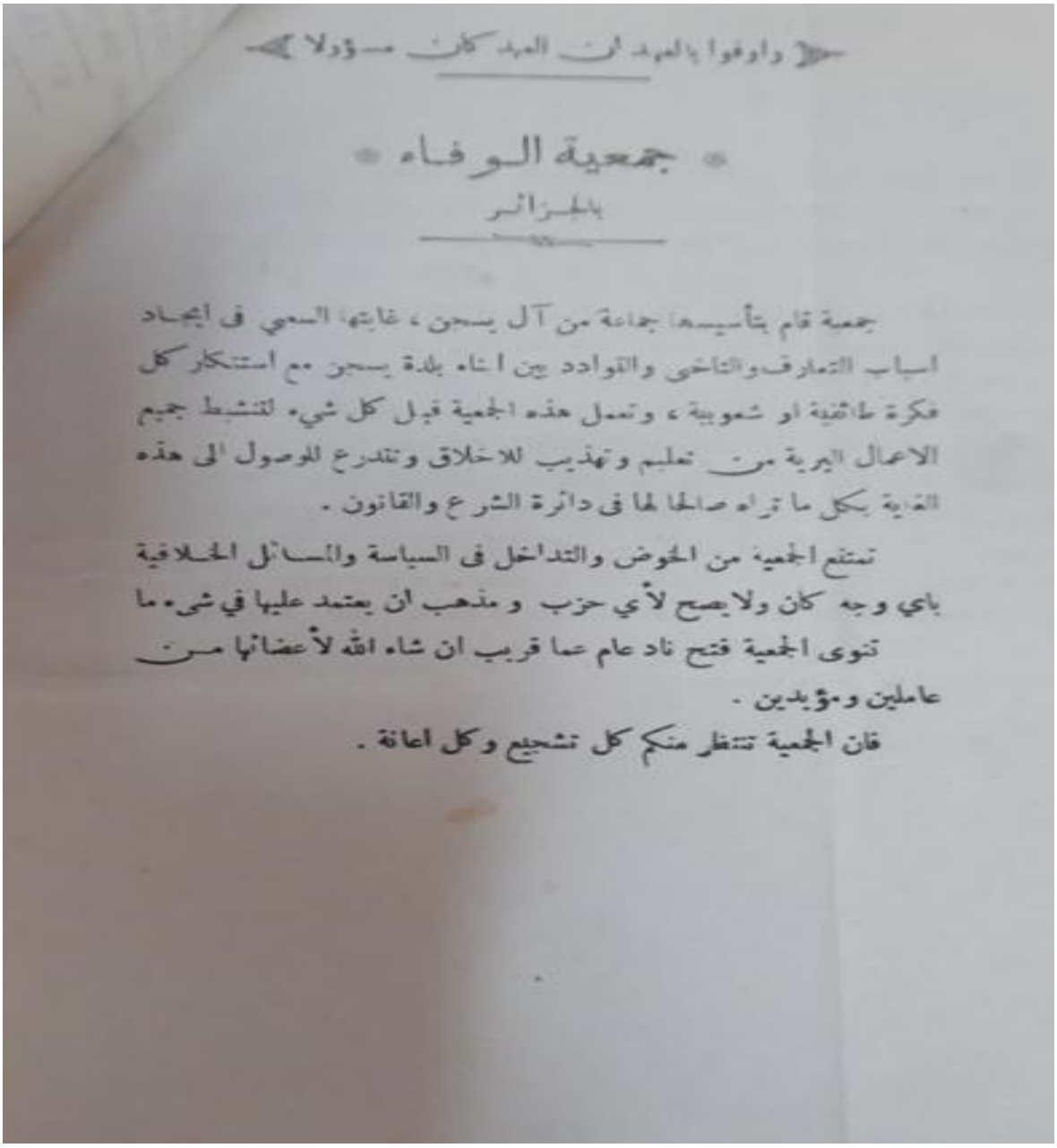

واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا

جمعية الوفاء

بالجزائر

جمعية قام بتأسيسها جماعة من آل يسجن ، غايتها السعي في ايجاد اسباب التعارف والتاخي والتوادد بين ابناء بلدة يسجن مع استنكار كل فكرة طائفية او شعوبية ، وتعمل هذه الجمعية قبل كل شيء لتنشيط جميع الاعمال البرية من تعليم وتهذيب للاخلاق وتتدرع للوصول الى هذه الغاية بكل ما تراه صالحا لها في دائرة الشرع والقانون .

تمتنع الجمعية من الخوض والتداخل في السياسة والمسائل الخلافية باي وجه كان ولا يصح لأي حزب و مذهب ان يعتمد عليها في شيء ما

تنوى الجمعية فتح ناد عام عما قريب ان شاء الله لأعضائها من عاملين ومؤيدين .

فان الجمعية تنتظر منكم كل تشجيع وكل اعانة .

ANOM 68// Departemen Des Qasis. Societe el Ouafa.

Archives d'Outre-Mer AIX-EN PROVENCE

الملحق رقم 12: طلب الترخيص بفتح قسم جديد

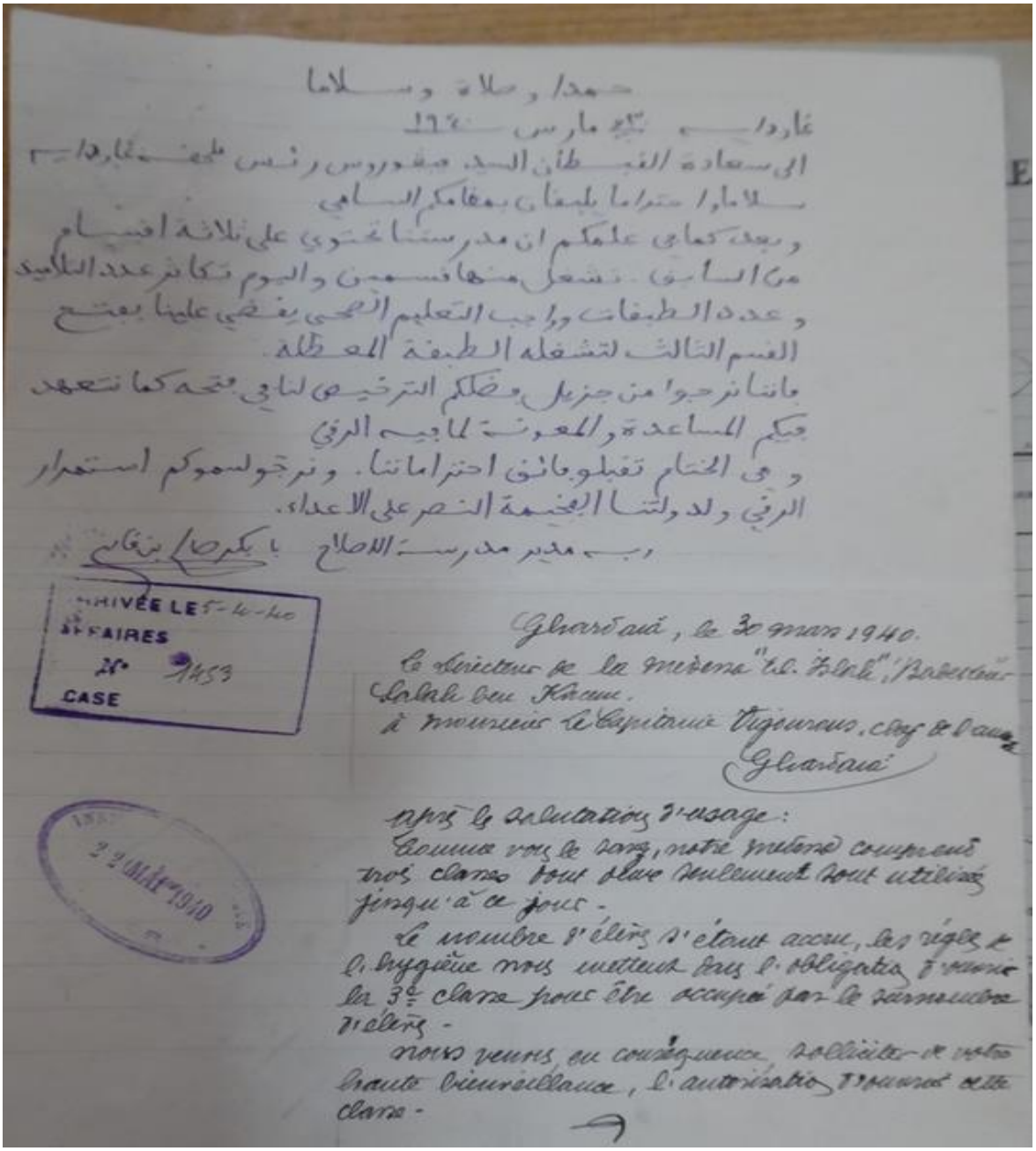

حمدا وصلاة وسلاما

غاردا في 30 مارس 1940

الى سعادة القبطان السيد مقدوس رئيس ملحقة غارداية

سلاما وتحيات يليقان بمقامكم السامي

وبعد كما هو معلوم لديكم ان مدرستنا تحتوي على ثلاثة اقسام من السابق تشغل منها قسمين واليوم تكاثر عدد التلاميذ وعدد الطبقات وواجب التعليم الصحي يقتضي علينا بفتح القسم الثالث لتشغله الطبقة العطلة.

فاننا نرجوا من جنابكم الترخيص لنا في فتحه كما نتعهد لديكم المساعدة والمعونة لما فيه الرقي

وفي الختام تقبلوا فائق احترامنا. ونرجو لسموكم استمرار الرقي ولدولتنا الفخيمة النصر على الاعداء.

عن مدير مدرسة الاصلاح بكير صالح بن غانم

ARCHIVÉE LE 5-4-40
AFFAIRES
N° 1453
CASE

Ghardaïa, le 30 mars 1940.

Le Directeur de la médersa "El Islah", Ghardaïa
Salah ben Kacem.
à Monsieur le Capitaine Pigeaud, chef de l'annexe
Ghardaïa

Après les salutations d'usage:

Comme vous le savez, notre médersa comprend trois classes dont deux seulement sont utilisées jusqu'à ce jour.

Le nombre d'élèves s'étant accru, les règles de l'hygiène nous mettent dans l'obligation d'ouvrir la 3e classe pour être occupée par le surnombre d'élèves.

Nous venons en conséquence solliciter de votre haute bienveillance, l'autorisation d'ouverture de cette classe.

ANOM 68// Departemen Des Qasis.Djamaiet el islah.

Archives d'Outre-Mer AIX-EN PROVENCE

الملحق رقم 13:استشارة توظيف أستاذ عدون سليمان بناصر

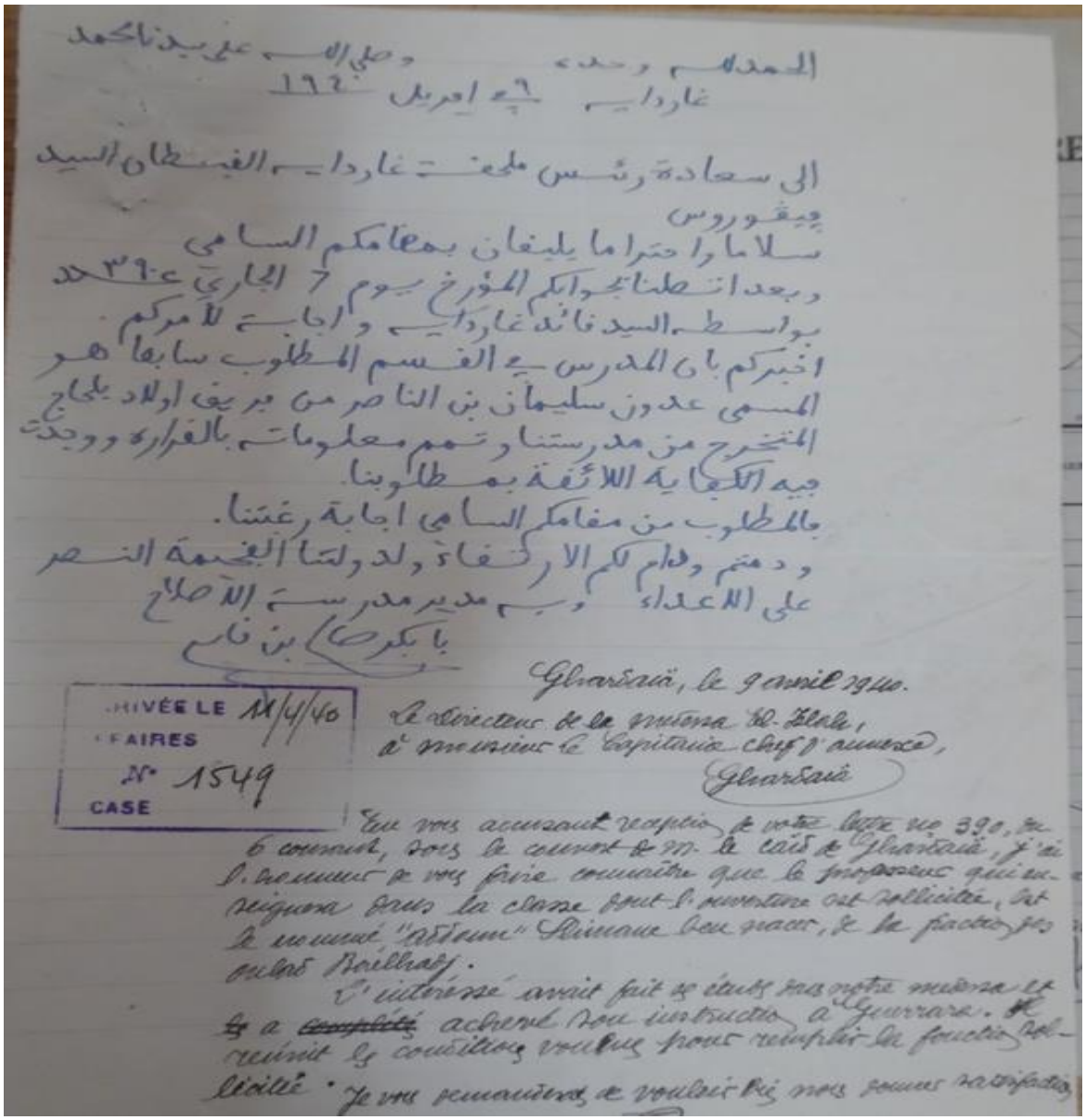

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد
غارداية في 9 ابريل 1940

الى سعادة رئيس ملحقة غارداية الفسطان السيد
ميقوروس
سلاما واحتراما يليقان بمقامكم السامي
وبعد اتشرفنا بجوابكم المؤرخ يوم 7 الجاري ع ٣٩٠ ح
بواسطة السيد قائد غارداية واجابتكم لأمركم
اخبركم بان المدرس في القسم المطلوب سابقا هو
المسمى عدون سليمان بن الناصر من بريف اولاد يلحاج
المتخرج من مدرستنا وتمم معلوماته بالقرارة ووجدت
فيه الكفاية اللائقة بمطلوبنا.
فالمطلوب من مقامكم السامي اجابة رغبتنا.
ودمتم وقام لكم الاشفاء ولدولتنا الفرنسية النصر
على الاعداء ومني مدير مدرسة الاصلاح
بابكر بن ناصر

ARRIVÉE LE 11/4/40
AFFAIRES
N° 1549
CASE

Ghardaïa, le 9 avril 1940.
Le directeur de la mission M. Zeltz,
à monsieur le Capitaine chef d'annexe,
Ghardaïa

En vous accusant réception de votre lettre du 390, du 6 courant, sous le couvert de M. le Caïd de Ghardaïa, j'ai l'honneur de vous faire connaître que le professeur qui enseignera dans la classe pour laquelle vous sollicitez, est le nommé "Adoun" Slimane ben nacer, de la fraction des ouled Brikhaf.
L'intéressé avait fait ses études dans notre medersa et a ~~complété~~ achevé son instruction à Guerrara. Il réunit les conditions voulues pour remplir les fonctions sollicitées. Je vous remercions de vouloir bien nous donner satisfaction

ANOM 68// Departemen Des Qasis.Djamaiet el islah.

Archives d'Outre-Mer AIX-EN PROVENCE

الملحق رقم 14:اجازة أستاذ عدون سليمان بناصر

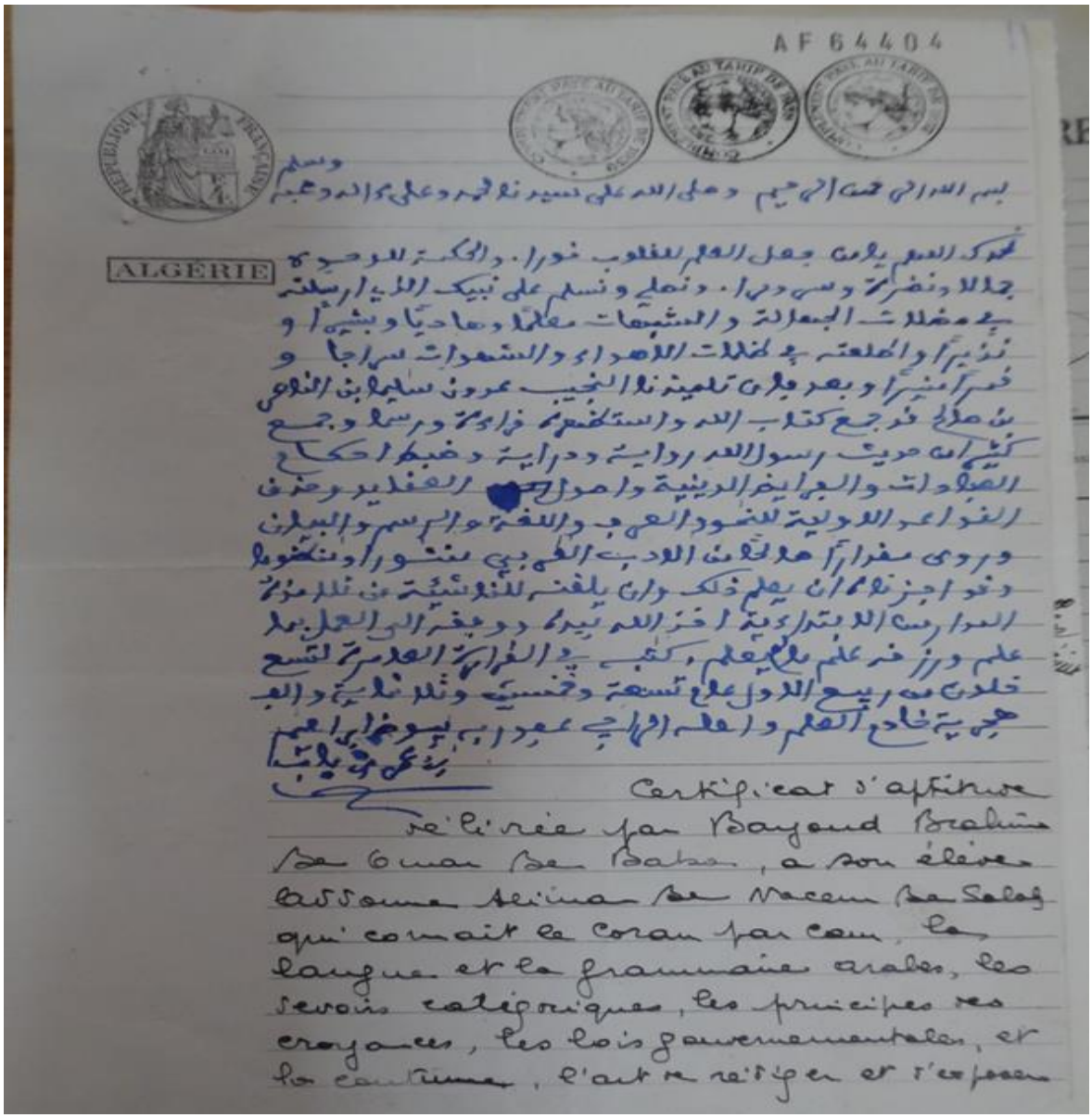

ANOM 68// Departemen Des Qasis.Djamaiet el islah.

Archives d'Outre-Mer AIX-EN PROVENCE

الملحق رقم 15: شهادة فخر خاصة بالسيد صالح بن قاسم بابكر

مدرسة قرآنية علمية حرة

عنوان الفخر

وقل رب زدني علما
(قرآن كريم)

ما الفخر الا لاهل العلم انهم ★ على الهدى لمن استهدى ادلاء

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه
خول التلميذ النجيب محمد الصالح بابكر بن قاسم بن الحاج عيسى
هذه المعلقة الشرفية
لحسن سيرته وحفظه وحمله للسنتين حزبا
من القرآن الكريم

تونس في ربيع الانور سنة ١٣٤٠ - ١٩٢١

الاستاذ المدرس

مدير المدرسة

مطبعة النهضة نهج الجزيرة عدد ١١ بتونس

ANOM 68// Departemen Des Qasis.Djamaiet el islah.

Archives d'Outre-Mer AIX-EN PROVENCE

الملحق رقم 16: شهادة الجنسية الفرنسية

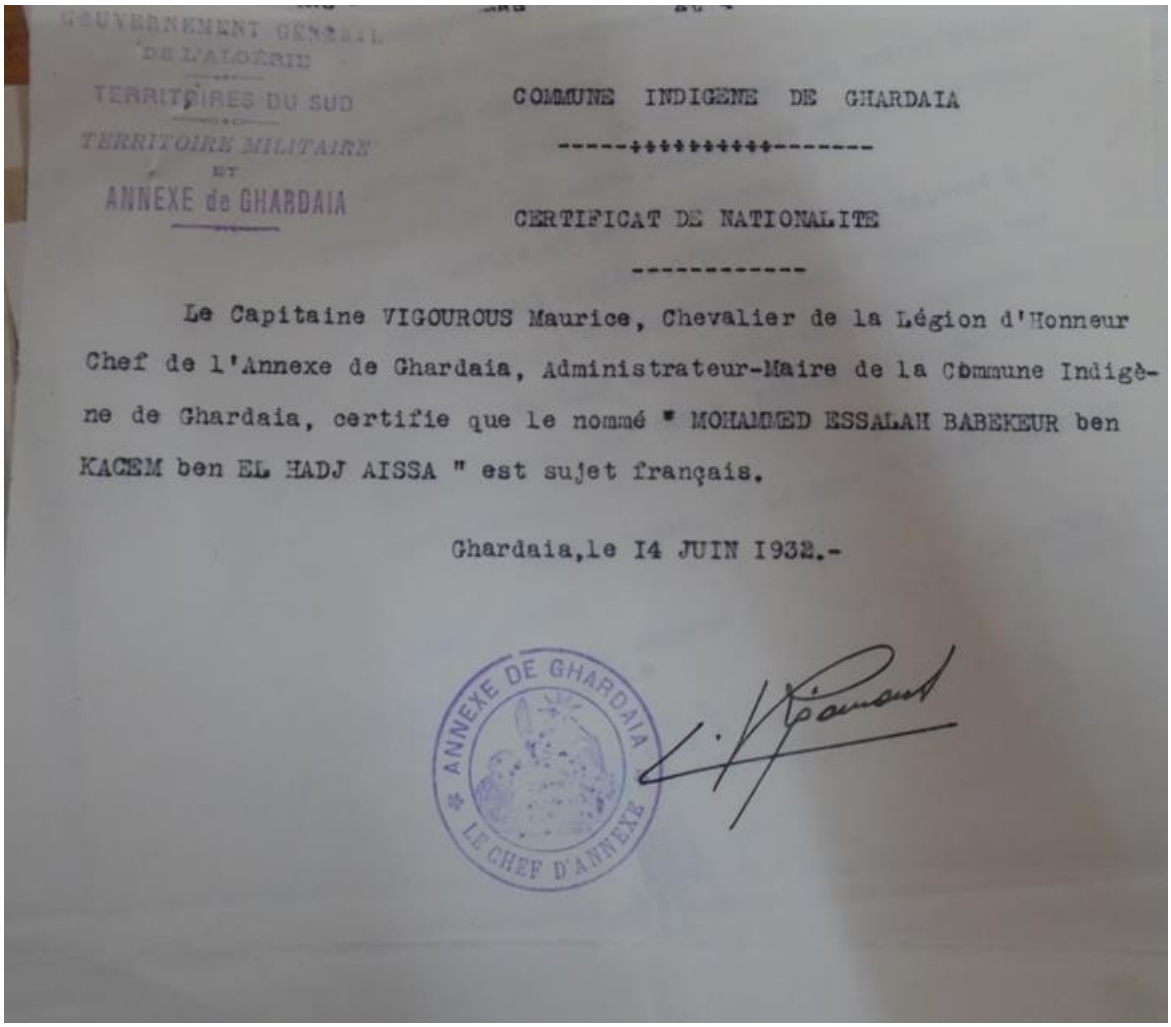

GOUVERNEMENT GENERAL
DE L'ALGERIE
TERRITOIRES DU SUD
TERRITOIRE MILITAIRE
ET
ANNEXE de GHARDAIA

COMMUNE INDIGENE DE GHARDAIA

CERTIFICAT DE NATIONALITE

Le Capitaine VIGOUROUS Maurice, Chevalier de la Légion d'Honneur Chef de l'Annexe de Ghardaia, Administrateur-Maire de la Commune Indigène de Ghardaia, certifie que le nommé " MOHAMMED ESSALAH BABEKEUR ben KACEM ben EL HADJ AISSA " est sujet français.

Ghardaia,le I4 JUIN I932.-

ANNEXE DE GHARDAIA
LE CHEF D'ANNEXE

ANOM 68// Departemen Des Qasis.Djamaiet el islah.
Archives d'Outre-Mer AIX-EN PROVENCE

الملحق رقم 17:شروط تولي مهنة التدريس

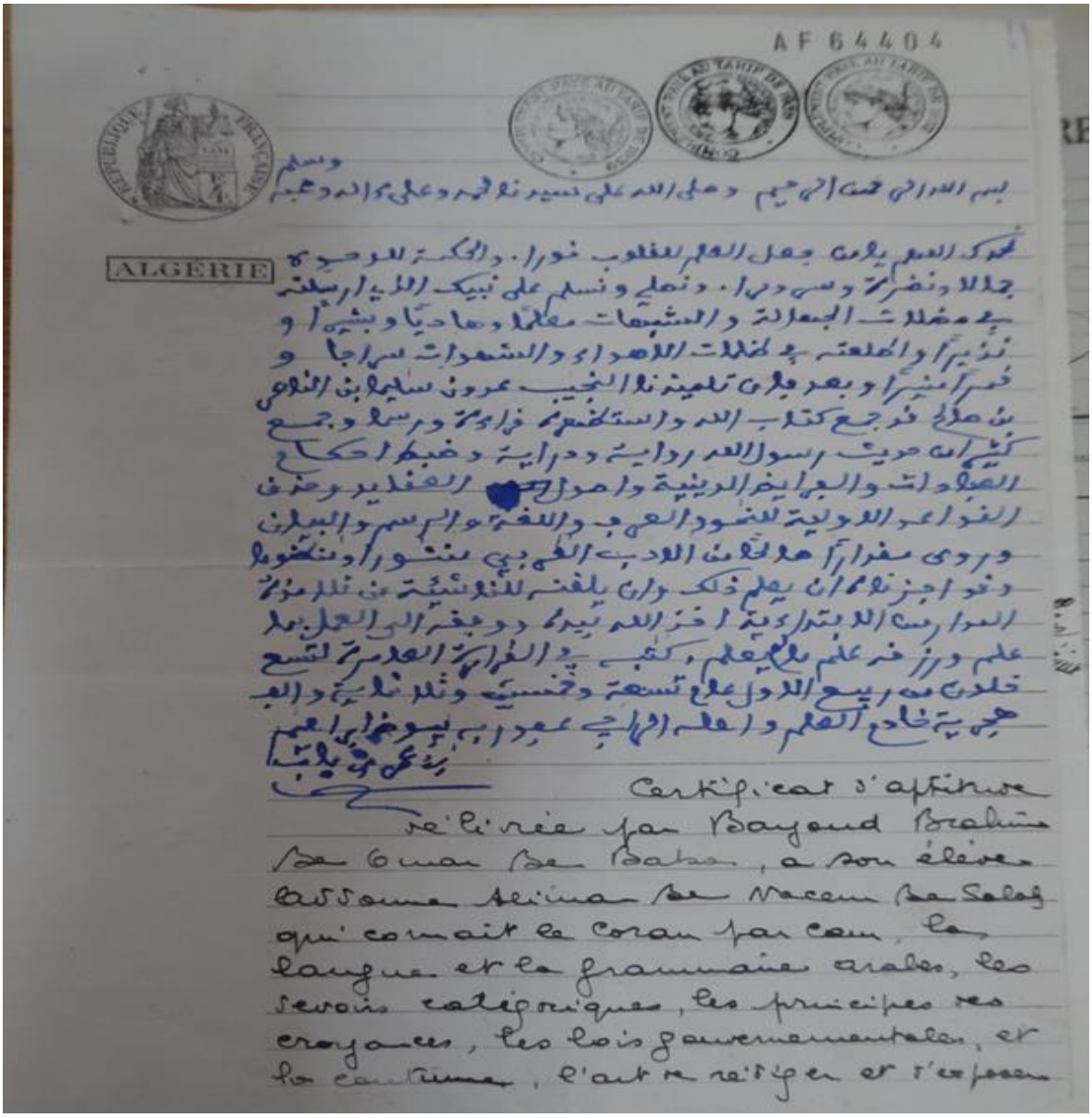
AF 64404

ALGERIE

Certificat d'aptitude

délivré par Bayoud Brahim

Ben Omar Ben Baba, à son élève

Oussama Selma Ben Nacem Ben Salah

qui connait le Coran par cœur, la

langue et la grammaire arabes, les

savoirs catéchiques, les principes des

croyances, les lois gouvernementales, et

les coutumes, d'autre religion et d'espace

ANOM 68// Departemen Des Qasis.Djamaiet el islah.

Archives d'Outre-Mer AIX-EN PROVENCE

الملحق رقم 18: رسالة السيد مفدي زكرياء

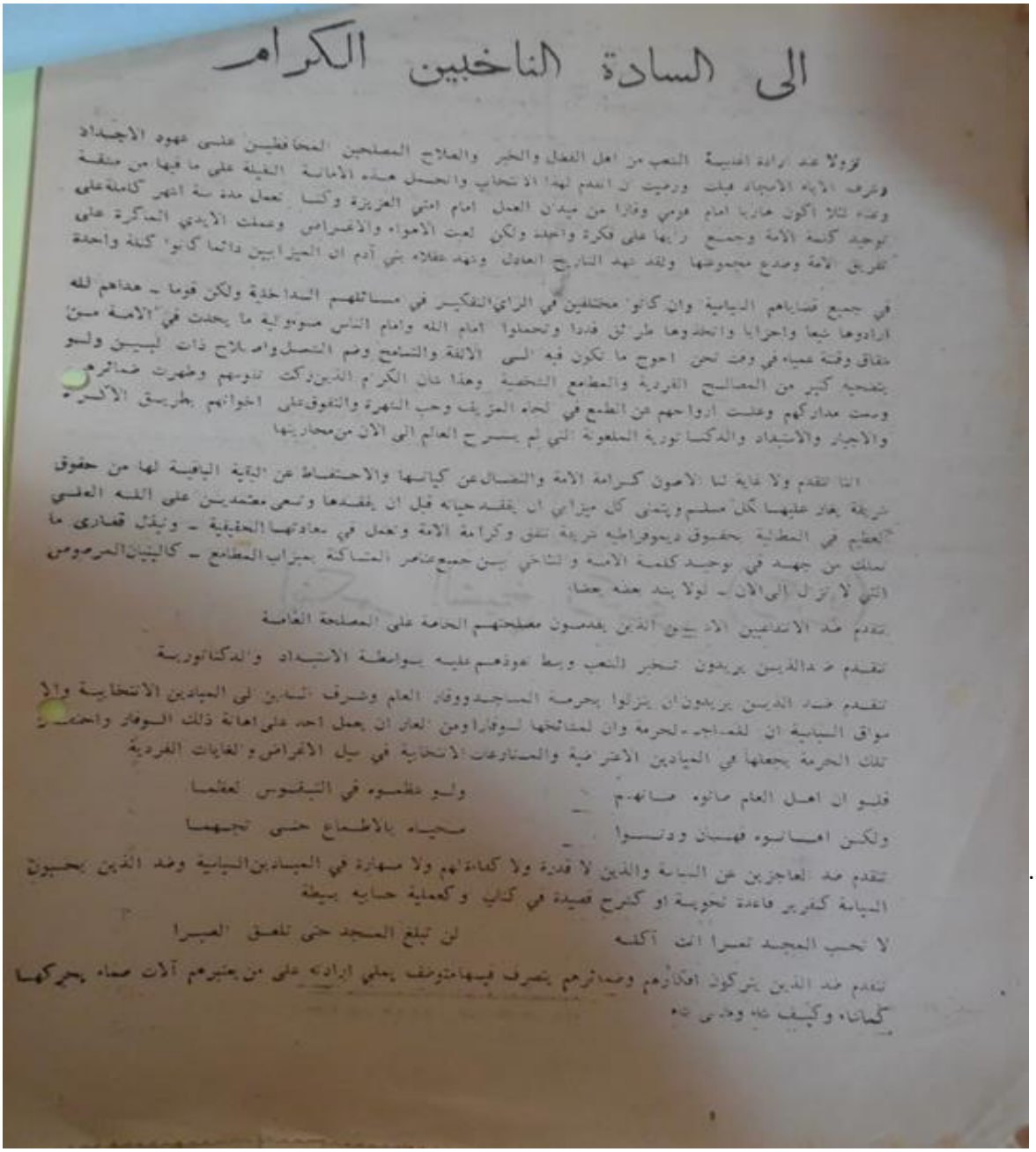

الى السادة الناخبين الكرام

نزولا عند ارادة الغالبية الشعب من اهل الفضل والخير والفلاح المصلحين المحافظين على عهود الاجداد وشرف الاباء الامجاد قبلت وترشيت ان اتقدم لهذا الانتخاب والحمل هذه الامانة الثقيلة على ما فيها من مشقة وعناء لئلا اكون عاريا امام قومي وقارا من ميدان العمل امام امتي العزيزة وكنا نعمل مدة ستة اشهر كاملة على توحيد كلمة الامة وجمع رايها على فكرة واحدة ولكن لعبت الاهواء والاغراض وعملت الايدي الماكرة على تفريق الامة وصدع مجموعها ولقد شهد التاريخ العادل وشهد عقلاء بني آدم ان الجزائريين دائما كانوا كتلة واحدة

في جميع قضاياهم الدينية وان كانوا مختلفين في الراي التفكير في مسائلهم الداخلية ولكن قوما - هداهم الله ارادوها شيعا واحزابا واتخذوها طرائق قددا وتحملوا امام الله وامام الناس مسؤولية ما يحدث في الامة من شقاق وفتنة عمياء في وقت نحن احوج ما نكون فيه الى الالفة والتسامح وضم الشمل واصلاح ذات البين ولهو بتضحية كبير من المصالح الفردية والمطامع الشخصية وهذا شان الكرام الذين زكت نفوسهم وطهرت ضمائرهم وسمت مداركهم وعلت ارواحهم عن الطمع في الجاه المزيف وحب الشهرة والتفوق على اخوانهم بطريق الاكراه والاجبار والاستبداد والدكتاتورية الملعونة التي لم يسترح العالم الى الان من محاربتها

انا اتقدم ولا غاية لنا الا صون كرامة الامة والنضال عن كيانها والاحتفاظ عن البقية الباقية لها من حقوق شريفة يغار عليها كل مسلم ويتمنى كل جزائري ان يفقد حياته قبل ان يفقدها وانني معتمدين على الله العلي العظيم في المطالبة بحقوق ديموقراطية شريفة تفي وكرامة الامة وتعمل في سعادتها الحقيقية - ونبذل قصارى ما نملك من جهد في توحيد كلمة الامة و التآخي بين جميع عناصر المشاركة بجزائر المطامع - كالبيان المرحوم الذي لا نزال الى الان - لولا يد بعضه بعضا.

نتقدم ضد الانتهازيين الذين يقدمون مصلحتهم الخاصة على المصلحة العامة

نتقدم ضد الذين يريدون تحجير الشعب وربط جوهم عليه بواسطة الاستبداد والدكتاتورية

نتقدم ضد الذين يريدون ان ينزلوا بحرمة المساجد ووقار العلم وشرف التدين الى الميادين الانتخابية والا سواق السياسية ان للمساجد حرمة وان لمنائرها نورا ومن العار ان يعمل احد على اهانة ذلك النور واحتقار تلك الحرمة بجعلها في الميادين الاعتراضية والمنازعات الانتخابية في سبيل الاغراض و الغايات الفردية

فلو ان اهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظما

ولكن اهانوه فهان ودنسوا ... محياه بالاطماع حتى تجهما

نتقدم ضد العاجزين عن السياسة والذين لا قدرة ولا كفاءة لهم ولا مهارة في الميادين السياسية وضد الذين يحسبون السياسة كتحرير قاعدة نحوية او كشرح قصيدة في كتاب وكعملية حسابية بسيطة

لا تحسب المجد تمرا انت آكله ... لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

نتقدم ضد الذين يتركون افكارهم وضمائرهم يتصرف فيها متوقف يملي ارادته على من يعتبرهم آلات صماء يحركها كما شاء وكيف شاء ومتى شاء

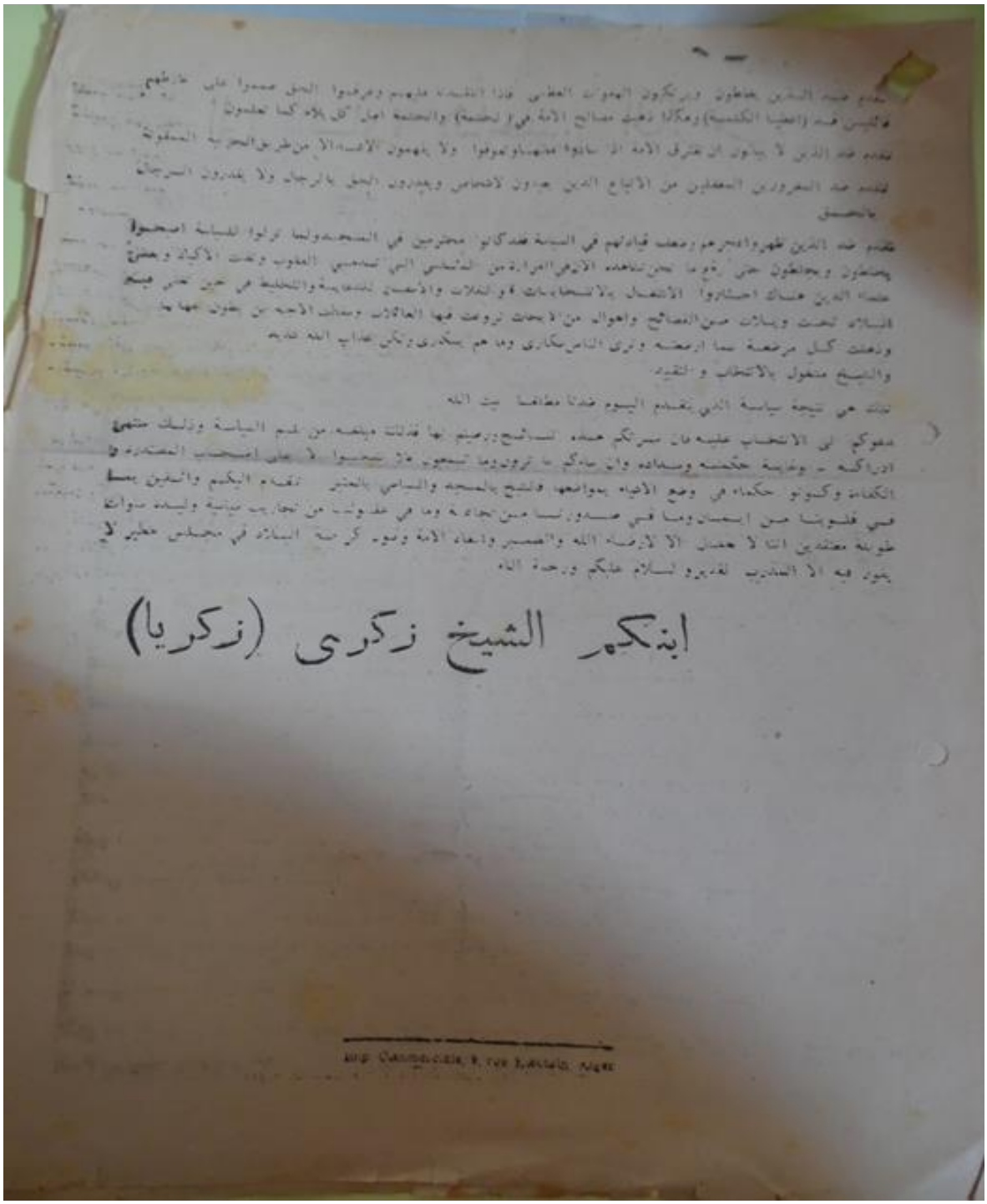

ابنكم الشيخ زكرى (زكريا)

ANOM 3F/141.Communaute mozabite.Prefucture D'Alger.

Archives d'Outre-Mer AIX-EN PROVENCE

الملحق رقم 19: منشور الدعاية الإنتخابية

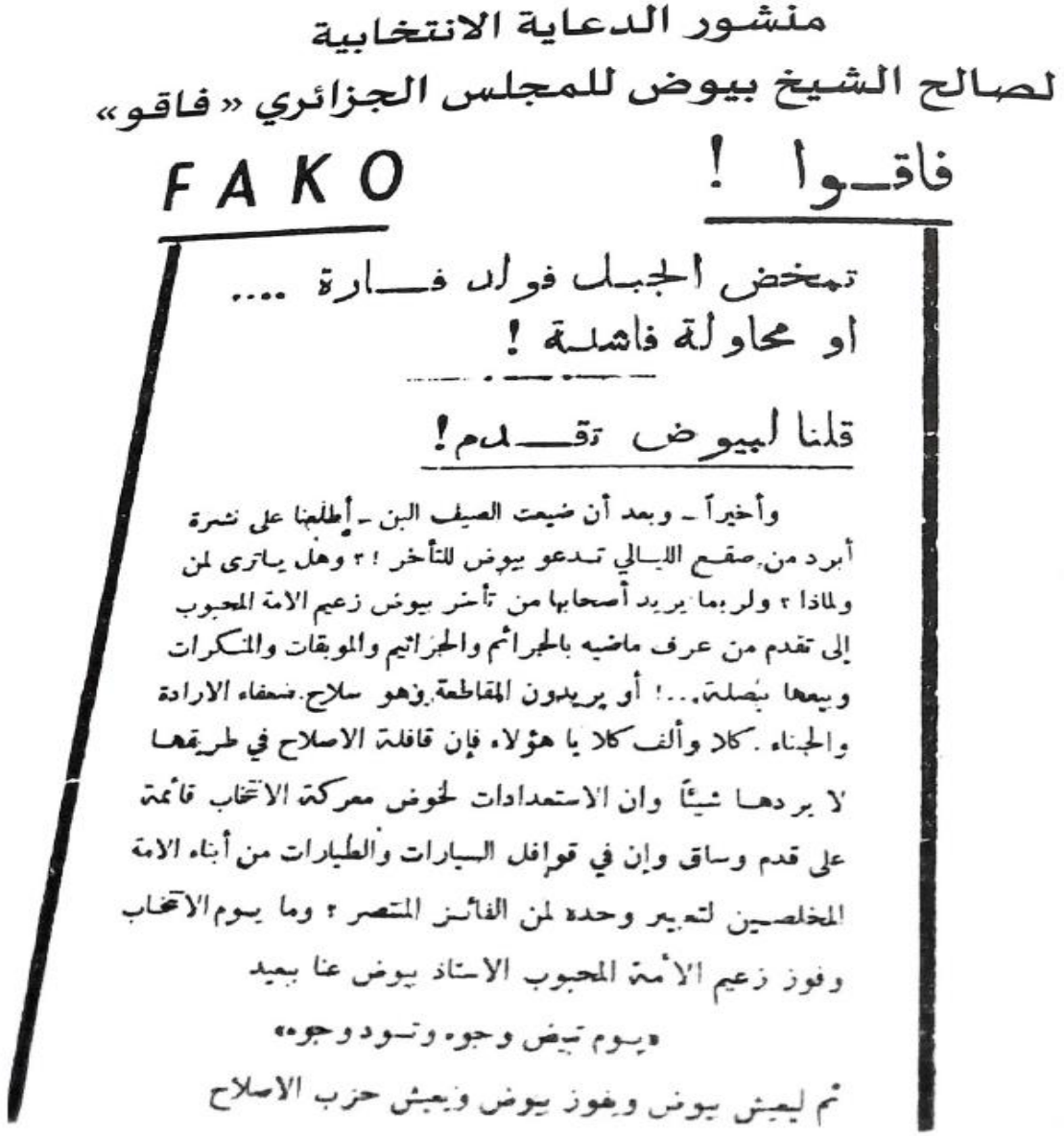

منشور الدعاية الانتخابية

لصالح الشيخ بيوض للمجلس الجزائري « فاقو»

فاقـوا ! FAKO

تمخض الجبل فولد فـارة ....

او محاولة فاشلة !

قلنا لبيوض تقـدم!

وأخيراً ـ وبعد أن ضيعت الصيف البن ـ أطلعنا على نشرة أبرد من صقيع الليالي تدعو بيوض للتأخر ! ؟ وهل يأتي لمن ولماذا ؟ ولربما يريد أصحابها من تأخر بيوض زعيم الامة المحبوب إلى تقدم من عرف ماضيه بالجرائم والجرائم والموبقات والمنكرات وبيعها بصلة...! أو يريدون المقاطعة وهو سلاح ضعفاء الارادة والجبناء. كلا وألف كلا يا هؤلاء فإن قافلة الاصلاح في طريقها لا يردها شيئاً وان الاستعدادات لخوض معركة الانتخاب قائمة على قدم وساق وإن في قوافل السيارات والطيارات من أبناء الامة المخلصين لتعبير وحده لمن الفائز المنتصر ؟ وما يوم الانتخاب وفوز زعيم الأمة المحبوب الاستاذ بيوض عنا ببعيد

«يوم تبيض وجوه وتسود وجوه»

ثم ليعيش بيوض وفوز بيوض وليعيش حزب الاصلاح

سليمان أبو العلا،صفحات من الكفاح خاص بالشيخ بيوض...،إيفي ميديا للنشر والتوزيع، الجزائر 2013 ،ص:76

الملحق رقم 20: إتفاقية 29 أفريل 1853

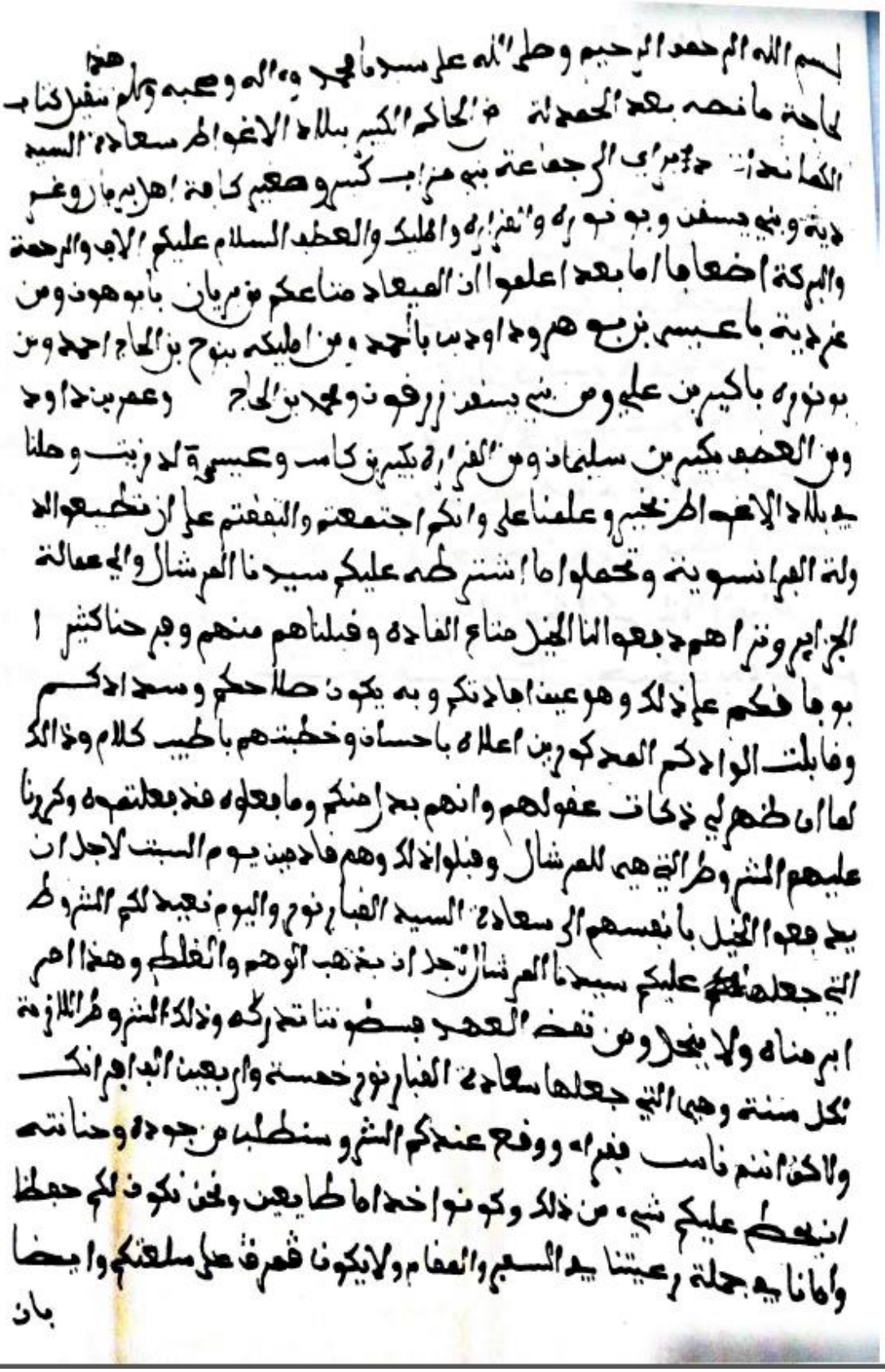

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم هذه
نسخة ما نصه بعد الحمدلة من الحاكم الكبير بلاد الاغواط سعادة السيد
الكمانداز جنرال الرجعاتة بتوجه من جانب كسرو وعميم كافة اهل بريان وغر
داية وبني يسقن وبونورة وتغزاره والعطف السلام عليكم الاجل والرحمة
والبركة اضعافا اما بعد اعلموا ان العياد متاعكم من بريان بابو هوف ومن
غرداية باعيسى بن موسى وداود باحمد ومن اولاد يعقوب بن الحاج احمد ومن
بونورة باكبير بن علي ومن بني يسقن زرقونو بمحمد بن الحاج وعمر بن داود
ومن العطف بكير بن سليمان ومن الغزارة بكير بن كاس وعيسوية لدريب وحلنا
ببلاد الاغواط الخير وعلمنا على انكم اجتمعتم واتفقتم على ان تخيروا له
ولة الفرانسوية وتحملوا ما اشترطه عليكم سيدنا الجنرال والي العمالة
الجزايرية وتراهم دبحوا لنا الخيل متاع الفادة وقبلناهم منهم وهم حنا كثير ا
بوفاقكم على ذلك وهو عين اعادتكم وبه يكون صلاحكم وسعادكم
وقابلت الوادكم العدكور بن اعلاه باحسان وخطبتهم باطيب كلام وذالك
لما ان ظهر لي ذكاء عقولهم وانهم بحر امنكم وما بعلوه فد بعلتهوه وكررنا
عليهم الشروط التي هي للجنرال وقبلوا ذلك وهم قادمين يوم السبت لاجل ان
يدبحوا الخيل بانفسهم الى سعادة السيد الفارنوح واليوم نعيد لكم الشروط
التي جعلها لكم عليكم سيدنا الجنرال تجدا ان يذهب الوهم والغلط وهذا امر
ابرمناه ولا يحل ومن نقض العهد فسطونتا تدركه وذلك الشرط اللازمة
لكل سنة وهي التي جعلها سعادة الفارنوح خمسة واربعين البرانس انكم
والاكم انتم ناس فقراء ووقع عندكم الشر وسنطلب من جوده وحنانته
انيحط عليكم شيء من ذلك وكونوا خدام طايعين ونحن نكون لكم حفاظ
واما ما يجلة رعيتنا يد السعي والعفام ولا يكونوا قمرة على سلطتكم وايضا
بان

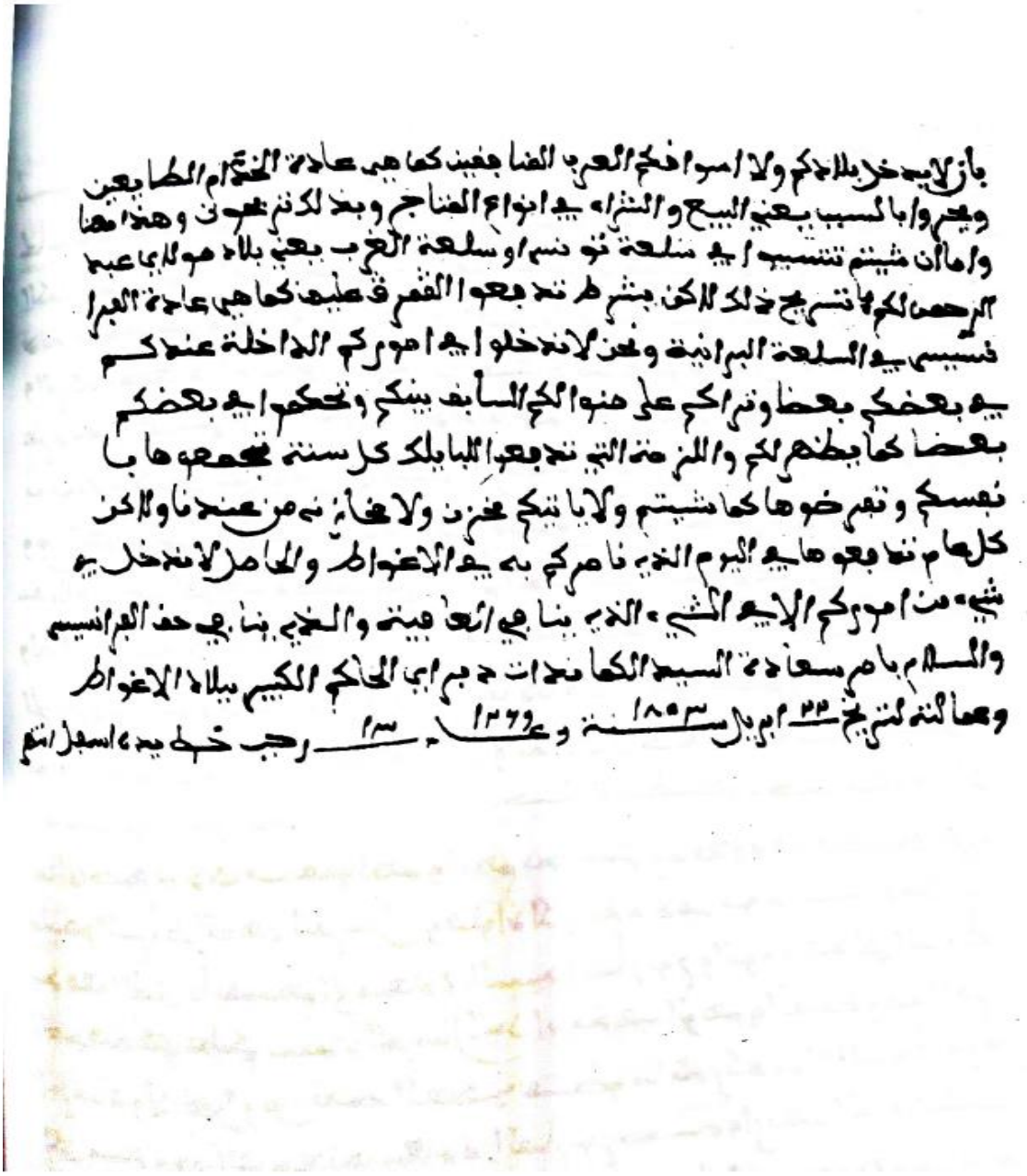

حمو محمد عيسى النوري، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، ج1، مطبعة البعث، قسنطينة،ص:272

الملحق رقم 21:رسالة إلحاق منطقة وادي ميزاب بفرنسا

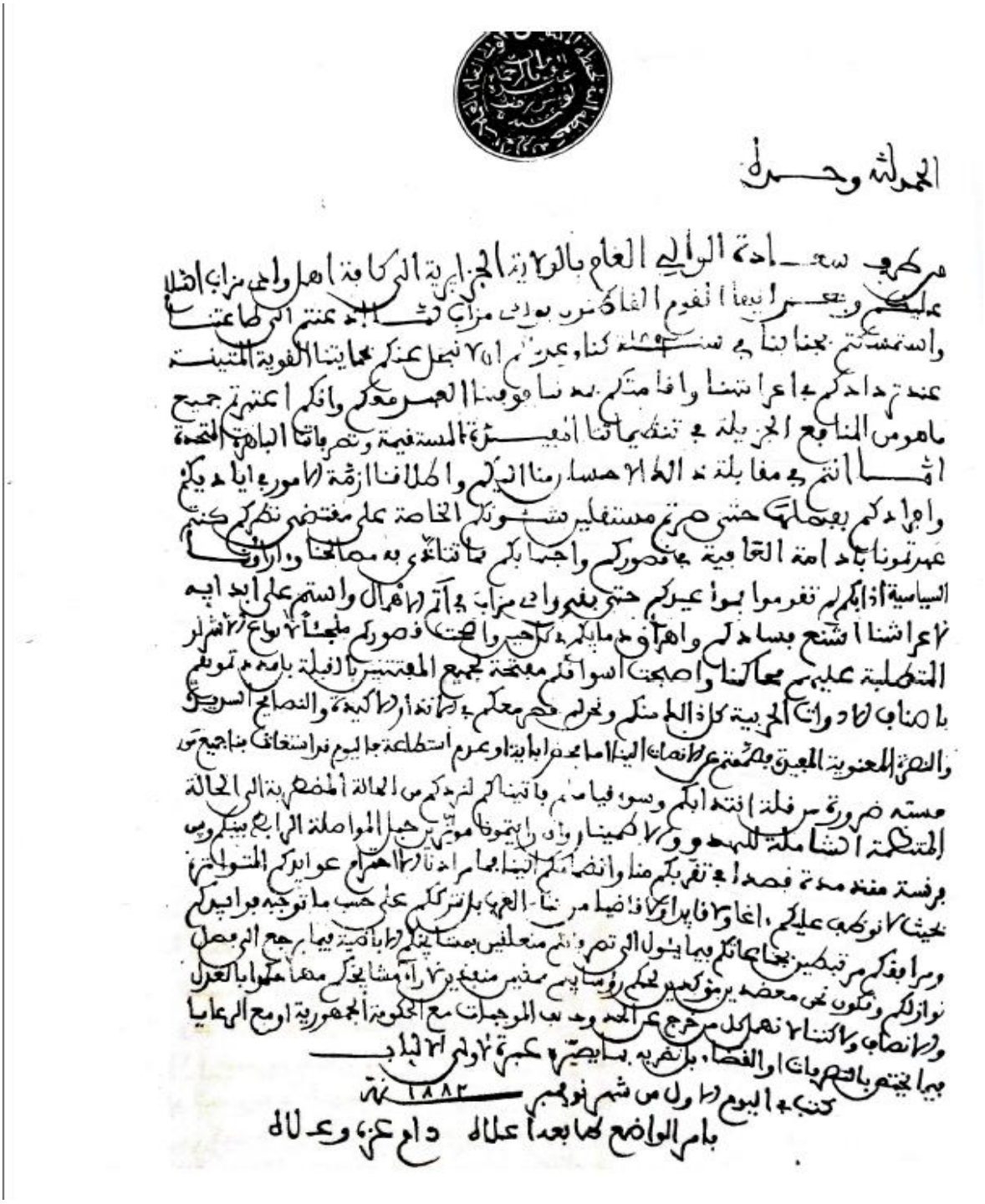

حمو محمد عيسى النوري، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، ج1، مطبعة البعث، قسنطينة،ص:205

الملحق رقم 22: جمعية النهضة

الملحق رقم 23: صورة لمدخل المسجد العتيق بالقرارة

الملحق رقم 24: صورة لمدخل المسجد العتيق بالقرارة

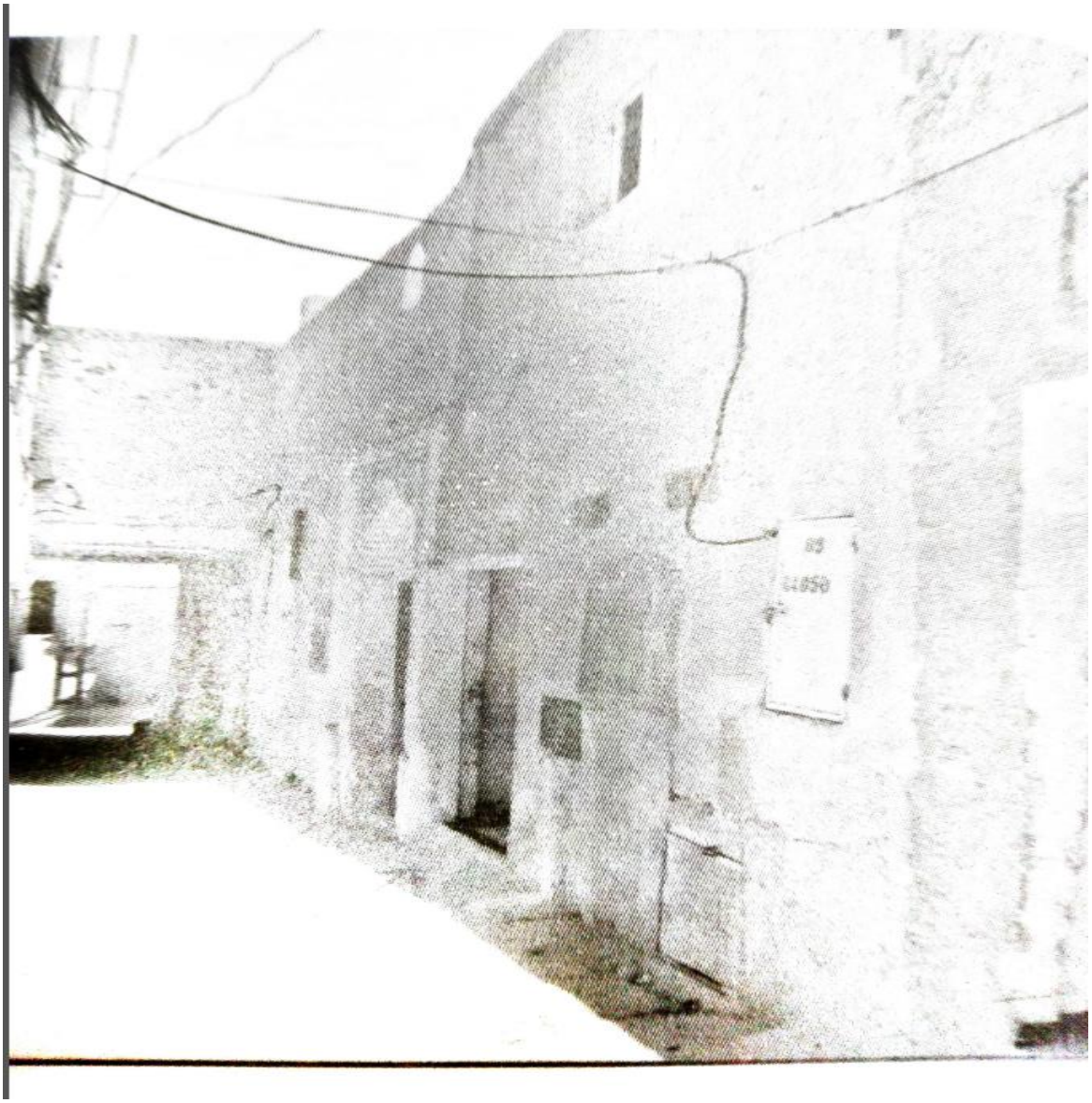

الملحق رقم 25: الشيخ محمد بن يحي لكعص

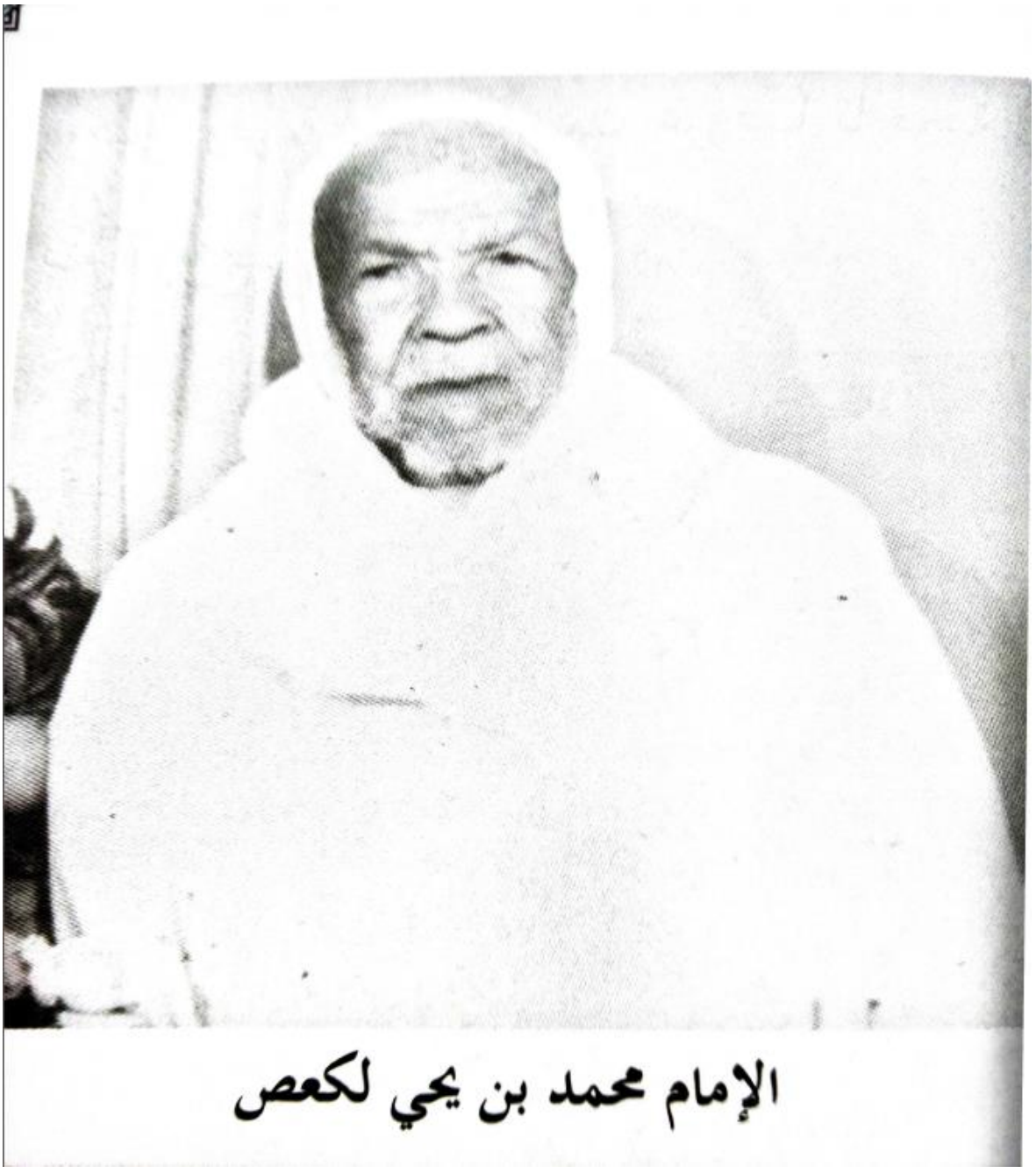

أحمد حماني تجاني، ومضات في تاريخ القرارة، دار صبحي، ط2، الجزائر، 2015،ص:226.

الملحق رقم 26: الشيخ محمد الطاهر شوشان

أحمد حماني تجاني، ومضات في تاريخ القرارة، دار صبحي، ط2، الجزائر، 2015،ص:221.

الملحق رقم 27: الشيخ حمدي أبو اليقضان الحاج ابراهيم بن عيسى

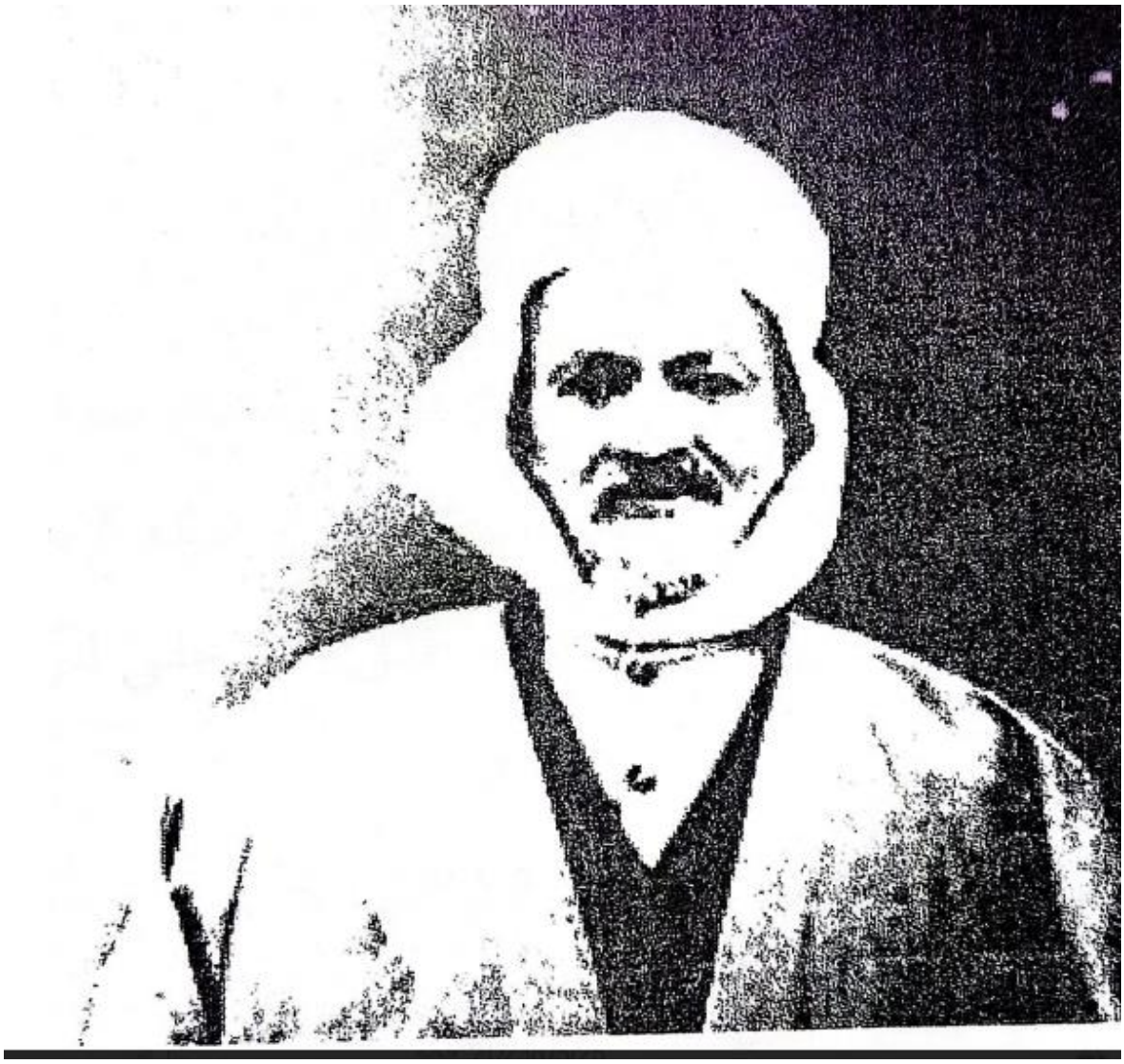

أحمد حماني تجاني، ومضات في تاريخ القرارة، دار صبحي، ط2، الجزائر، 2015،ص:236.

الملحق رقم 28: الشيخ الحاج عمر بن يحي

أحمد حماني تجاني، ومضات في تاريخ القرارة، دار صبحي، ط2، الجزائر، 2015،ص:238.

الملحق رقم 29: الشيخ ابراهيم بن عمر بيوض

ناصر محمد صالح ، الشيخ ابراهيم بن عمر بيوض مصلحا وزعيما، الدار البيضاء، دار ناصر للنشر والتوزيع، ط4: 2017،واجهة الكتاب.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

(أولا)– الوثائق الأرشيفية:

1) 51/167, département d'Oran, l'assemblée algérienne demande le maintien du rattachement du Mzab au département d'Alger, Alger république, 28/11/1951.

2) anom 3F/141, communauté mozabite le commissionnaire divisionnaire de la P.R.G. chef du district d'Alger, " de la politique mozabites ", 31 mars 1948.

3) anom 3F/141, communauté mozabite le commissionnaire divisionnaire de la P.R.G. chef du district d'Alger, resaignement, 29 avril 1948.

4) anom 3F/141, communauté mozabite le commissionnaire divisionnaire de la P.R.G. chef du district d'Alger, resaignement, "des mozabites réformiste", 13 mai 1948.

5) anom 3F/141, communauté mozabite le commissionnaire divisionnaire de la P.R.G. chef du district d'Alger, " mozabites ", 13 mars 1948.

6) anom 3F/141, communauté mozabite le commissionnaire divisionnaire de la P.R.G. chef du district d'Alger, " mozabites ", 13 mars 1948.

7) anom 3F/141, communauté mozabite le commissionnaire divisionnaire de la P.R.G. chef du district d'Alger, resaignement, 29 avril 1948.

8) anom 3f/141, communauté mozabite, le commissionnaire divisionnaire de la P.R.G. chef du district d'Alger, "activités m'zabites ", 08 mars 1948.

9) anom 68/ société elwafa

10) anom 68// surveillance des indigenes a/s association elwafa de beni yezgen.

11) Anom 81f/1191. Assemblée algérienne. Loi n 48-371 du 04 mars 1948.

12) anom 81F/1192, Alger république, "L4Assemblée a définitivement délimité les circonscriptions algeriens", 27 février 1948 .

13) anom 81F/1192, Alger république, "LA LOI ELECTORALE pour L'Assemblée algérienne est tissée d'illégalités, 27 février 1948.

14) anom 81F/1192, légalité, " LA LOI ELECTORALE", 03 Mars1948.

15) anom 81F/1192, Tribune d'Alger, Le M'zab réclame le respect de sa personnalité et de son statu juridique", 12 février 1948.

16) anom anom 3F/141, communauté mozabite le commissionnaire divisionnaire de la P.R.G. chef du district d'Alger, " de la politique mozabites ", 01 avril 1948.

17) Anom, 3f/ 141, communauté mozabite, certificat de bonnes vie et meurs. Annexe de ghardaia

18) anom, 3F/141, commissariat de police du 4 -ème arrondissement, " réunion privée", 28 février 1948.

19) anom, 3F/141, commissariat de police du 4 -ème arrondissement, " réunion privée", 01 mars 1948.

20) anom, 3f/141, communauté mozabite , pour le m'zab le délégué par procuration authentique .

21) Anom, 81F.$_{1191}$, carte politiques. Délégués à l'assemblee algérienne. Départements et territoires du sud 1er et 2 ème collèges. Loi n 48-371 du 04 mars 1948 .

22) Anom, 81F.$_{1191}$, carte politiques. Délégués à l'assemblee algérienne. Départements et territoires du sud 1er et 2 ème collèges. Loi n 48-371 du 04 mars 1948, contention des élections.

23) anom, anom 3F/141, communauté mozabite le commissionnaire divisionnaire de la P.R.G. chef du district d'Alger, "des mozabites conservateurs ", 23 mars 1948.

24) anom, anom 3F/141, communauté mozabite le commissionnaire divisionnaire de la P.R.G. chef du district d'Alger, " du m'zab ", 05 mars 1948

25) Anom, b/2807, de lindigénat son application aux Mozabit, Philippe ville, 1903.

26) anom68 , département des oasis, société mozabite, djemaiel el islah, le recteur de la l'Académie dalger, 11 fevrier 1931

27) anom68 , département des oasis, société mozabite, djemaiet el islah, 23 mars 1940
28) anom68 , département des oasis, société mozabite, djemaiet el islah.
29) anom68 , département des oasis, société mozabite, djemaitl el islah, 09 avril 1940.
30) Anom68//departement des Qasis Djamaiet el islah, les nombres di l'association djamaiet el islah, 26 février 1930
31) f81/1191, archives national, le Mzab réclame le respect de sa personnalité et de son statut juridique , tribune d'Alger.
32) f81/1191, archives nationales, le conseil de la république adopte le découpage des circonscriptions algériennes, Alger la république, 20 février 1948

(ثانيا)– المصادر باللغة العربية:

1– الكتب المصدرية:

33) اطفيش محمد بن يوسف ، الرسالة الشافية، مكتبة الحاج صالح لعلى، بني يزقن.
34) بكلي عبد الرجمان بن عمر ، محاضرات البكلي في العلم والعلماء، تق: مصطفى صالح باجو، مكتبة البكري، العطف.
35) بكلي عبد الرحمان ، كلمات خالدة للبكلي، مكتبة البكلي، العطف
36) بكلي عبد الرحمان بن عمر ، مسيرة الإصلاح في جيل 1918- 1948، تق: مصطفى صالح باجو، مكتبة البكري، العطف، 2004.
37) بليسي، حوليات جزائرية، مج: 02، تر: بن تركي نصيرة، الأصالة، 2012.
38) بن عاشور محمد فاضل ، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، دار ترسنة للنشر، تونس، 1983.

39) بوحميدة جمال الدين ، صفحات من مآثر وجهاد الإمام محمد بن عمر بوحميدة، تق: محمد مصطفى زرباني، مطبعة صواطي، غرداية، 2022.

40) جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سجل مؤتمر الجمعية، دار المعرفة، الجزائر.

41) حدبون صالح بن باحمد ، حياة مع القرآن، مر: جابر بن صالح حدبون، جمعية التراث، غرداية، ط1: 2020.

42) خوجة حمدان بن عثمان ، المراة، تقديم محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 2005 م.

43) الدرجيني أبي العباس أحمد ، طبقات المشايخ بالمغرب، ج1، تح: إبراهيم طلاي، الزهراء للإعلام العربي.

44) زكريا مفدي ، أضواء على وادي ميزاب ماضيه وحاضره، تح: إبراهيم بحاز، منشورات ألفا، الجزائر، ط1: 2010.

45) زكريا مفدي ، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، وجمع وتحقيق أحمد حمدي، منشورات مؤسسة مفدي زكريا.

46) شريفي سعيد بن الحاج ، معهد الحياة نشأته وتطوره، تق: محمد صالح ناصر، جمعية التراث، غرداية، ط2: 2009.

47) عبد الرحمان ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون، ج 7، مر: سهيل زكال، دار الفكر، لبنان.

48) عبده محمد ، أعمال كاملة، تح: محمد عمارة، ج2، دار الشروف، بيروت، ط1، 1994.

49) عبده محمد ، الأعمال الكاملة، ج3، تح: محمد عمارة، ط1، 1994، دار الشروق، بيروت

50) فرصوص أحمد محمد ، أبو اليقظان كما عرفته، دار البعث، قسنطينة.

51) فصلاء محمد حسن ، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، ج2، دار الأمة، الجزائر، ط1.

52) قواشون إيميلي ماري ، االحياة النسوية في ميزاب، تر: سامية نور الدين شلاط، دار نزهة الألباب، غرداية، 2019.

53) ولاد الطاهر إبراهيم ، رجال وأعلام من صحراء الجزائر، ج1، تق: الشافعي درويش، دار صبحي، متليلي، ط1: 2022

2- الصحف:

54) "**العلم والتعليم الصحيحان**"، وادي ميزاب، السنة الأولى، العدد: 06، 28 ربيع الثاني 1345هـ/ 05 نوفمبر 1926م

55) "**المدار والأباء واجب كل منهما**"، البصائر، السنة الأولى، العدد: 46، 19 رمضان 1355هـ/ 04 ديسمبر 1936م.

56) "**رمز وطنية كل أمة يتجلى في الاحتفال بأعيادها**،" الشهاب، ذو الحجة 1349هـ/ ماي 1931م.

57) "**يومان للأستاذ باديس في الوطن الساحلي**"، الشهاب، محرم 1348هـ/ جويلية 1929م.

58) أبو اليقظان، آخر سهم من كنانة المعمرين نحو الإسلام، وادي ميزاب، العدد: 30.

59) ـــــــــ، الإسلام يحتضر والمسلمون يهزلون، وادي ميزاب، العدد: 18، 25 رجب 1345هـ/ 28 جانفي 1927م.

60) ـــــــــ ، العلم والتعليم الصحيحان، وادي ميزاب، العدد: 06، 28 ربيع الثاني 1345هـ/ 05 نوفمبر.

61) ـــــــــ ، المرحلة الثالثة لوادي ميزاب، العدد: 103.

62) ـــــــــ ، المؤتمر الجزائري العام، الأمة، العدد:79، 16 جوان 1936.

63) ـــــــــ ، حكمة التشريع الإسلامي، وادي ميزاب، العدد: 72، 09 رمضان 1346هـ/ 02 مارس 1928.

64) ـــــــــ ، رأينا في التجنيس، وادي ميزاب، العدد:70، 25 شعبان 1346هـ/ 17 فيفري 1928.

65) ـــــــــ ، كيف الوصول إلى العلم النافع، وادي ميزاب، العدد: 09، 20 جمادى الأولى 1345هـ/ 26 نوفمبر 1926.

66) ـــــــــ ، مجلة وادي ميزاب، العدد83، ماي 1921.

67) ـــــــــ ، موجة الإصلاح الديني والعلمي بالقطر الجزائري، البصائر، العدد: 01، الجزائر، 01 شوال 1345هـ/ 27 ديسمبر 1935.

68) ـــــــــ ، وادي ميزاب في سنتها الثانية، وادي ميزاب، العدد: 52، 10 ربيع الثاني 1346هـ/ 07 أكتوبر 1927.

69) ـــــــــ ، وباء الفجور، وادي ميزاب، العدد: 90، 17 محرم 1347هـ/ 06 جويلية 1928.

70) ـــــــــ ، يتقمصون في تبشيرهم في وادي ميزاب، وادي ميزاب، العدد: 77، 14 شوال 1346هـ/ 06 أفريل 1928م.

71) ـــــــــ ، الأمية حيث الأمم شلل، وادي ميزاب، العدد: 105، 04 جمادى الأولى 1347هـ/ 19 أكتوبر 1926.

72) البصائر، العدد: 129، السنة الثالثة، 1938، قسنطينة.

73) ـــــــــ ، العدد: 30، 12 جمادى الأولى 1355هـ/ 31 جويلية 1936م.

74) بكلي عبد الرحمان، نحن إلى التربية أحوج منا إلى العلم، وادي ميزاب، العدد: 02، 20 ربيع الأول 1345هـ/ 08 أكتوبر 1926.

75) بن باديس عبد الحميد، **"نريد المعاونة لا نريد المعارضة"**، البصائر، السنة الثالثة، العدد: 115، 27 ربيع الأول 1357هـ/ 27 ماي 1938م.

76) بن حاج حمو، **"العلم والحرية"**، وادي ميزاب، السنة الأولى، العدد:42، 29 محرم 1346هـ/ 29 جويلية 1927.

77) بن سليمان محمد بن بكير، **"التربية سبب رقي الأمة"**، السنة الأولى، العدد: 23، 07 رمضان 1345هـ/ 11 مارس 1927

78) بن عمر عبد الرحمان، القمار ألة الدمار، وادي ميزاب، العدد: 40، 15 محرم 1346هـ/ 15 جويلية 1927، ص: 01.

79) جريدة وادي ميزاب، العدد الأول، 01 أكتوبر 1926.

80) الخياط إبراهيم ، **"بالعلم تسعد الأمة"**، وادي ميزاب، السنة الأولى، العدد:34، 02 ذي الحجة، 1345هـ/ 04 جوان 1927م.

81) سليمان محمد بن بكير بن الحاج ، **"أين التعليم"**، وادي ميزاب، السنة الأولى، العدد: 20، 01 شعبان 1345هـ/ 18 فيفري 1927م.

82) الطاهر الزواغي، "**نحن قوم لا نعتني بتربية أبناءنا**"، البصائر، السنة الأولى، العدد: 13، 21 محرم 1355هـ/ 13 أفريل 1936م. أبو اليقظان، التمدن الممسوخ، وادي ميزاب، العدد: 72، 09 رمضان 1346هـ/ 06 مارس 1928.

83) مجلة الشهاب، ج3، مج4، ماي 1938.

84) المنتقد، العدد1، 2جويلية، 1925.

85) الميلي مبارك ، "**التعليم التعليم**"، البصائر، السنة الثالثة، العدد 114، 20 ربيع الأول 1357هـ/ 20 ماي 1938.

86) ـــــــــ ، "**المعلم**"، البصائر، السنة الثالثة، العدد: 05، 08 جمادى الآخرة 1357هـ/ أوت 1938م، ص: 07.

3- المقابلات الشفوية:

87) أولاد الطاهر إبراهيم، مقابلة شفوية أجراها الباحث معه، منزله، بريان، غرداية، اليوم: 15 أوت 2022، من الساعة 18:00- 20:00.

88) بكلي أحمد (ابن الشيخ المصلح عبد الرحمان بن عمر بكلي)، مقابلة شفوية أجراها الباحث معه، بمكتبة الشيخ بكلي، مدينة العطف، يوم 14 أوت 2022، من 9:00- 12:00 سا.

89) بكير بن سليمان باعمارة، مقابلة شفوية أجراها الباحث معه، المسجد العتيق، مليكة، يوم 2023/08/27، الساعة: 10:00 صباحا.

90) بلغيث محمد الأمين، مقابلة شفوية أجراها الباحث معه، 23 جويلية 2022، 09:15، الجزائر العاصمة.

91) بن المازوزي أحمد حماني التيجاني، مقابلة شفوية أجراها الباحث معه يوم الأربعاء 10 أوت 2022، الساعة: الثانية زوالا، بمسكنه بالقرارة، غرداية.

92) بن دية علي حفيد الشيخ علي بن دية، مهتم بتاريخ المنطقة، له أعمال علمية حول الشيخ علي بن دية، مقابلة شفوية أجراها الباحث معه، متليلي، غرداية، 2023/06/16، 22:15 – 23:10 .

93) بن محمد جمال الدين (نجل الشيخ المصلح محمد بن عمر بوحميدة)، مقابلة شفوية أجراها الباحث معه في منزله، مدينة غرداية، يوم 13 أوت 2022، الساعة من 17:00- 21:30.

94) حدبون صالح بن باحمد(كاتب الشيخ بيوض وخادمه)، مقابلة شفوية أجراها الباحث معه، في غرداية، المقر المنزل الشخصي، يوم 16 أوت 2022، من 10:00- 13:00، سا.

95) الدهمة الأخضر، مقابلة شفوية أجراها الباحث معه، يوم 2022/08/13، الساعة: 9:00- 12:00، المكتبة العلمية، متليلي، غرداية.

96) علي بلحاج براهيم بيوض، مقابلة شفوية أجراها الباحث معه، 11 أوت 2022، الساعة: 9:00 – 14:00، مقر جمعية التراث، القرارة.

4- المراجع:

97) إبراهيم موسى بن حاج، نبذة مختصرة عن الأوقاف بوادي ميزاب (تينوباوين نموذجا) مشروعيتها كيفية أداءها، ط2، 2016.

98) أبو العلا محمد سليمان، صفحات من كفاح خاص بالشيخ بيوض والاستعمار الفرنسي، جمعية التراث، ط1: 2012.

99) أبو بكر صالح بن عبد الله، القرارة من دخول الاستعمار الفرنسي إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى 1882- 1921، الحلقة الثانية، جمعية التراث، القرارة، 2015.

100) ابو لحية نورالدين، جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما، ط1، دار علي، الجزائر، 2015 م

101) احدادن زهير، الصحافة المكتوبة في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012 م.

102) أحمد سليماني، تاريخ المدن الجزائرية، دار القصبة، الجزائر، 2007.

103) أحمد مريوش، محاضرات في تاريخ الجزائر 1900- 1954، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، ط1، 2013.

104) أطفيش عائشة بنت محمد، إسهامات المرأة الميزابية –علميا، اقتصاديا، سياسيا، المطبعة العليا، غرداية، 2018.

105) أوجانة علي بن أحمد، بوجناح سليمان بن يحي (الفرقد) الوطني الثائر، جمعية التراث، غرداية، 2020.

106) أوعشت بكير بن سعيد، أحمد بن حمو كروم، مسلمات صالحات في روضة الإيمان، مؤسسة شيخ ناصر للكتاب، ط1: 2016.

107) أوعشت بكير بن سعيد، وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية دينيا تاريخيا اجتماعيا، المطبعة العربية، غرداية، 1991

108) باجو مصطفى صالح، الشيخ بيوض مربيا، كتاب الملتقى الأول لفكر الإمام إبراهيم بن عمر بيوض، جمعية التراث، القرارة، المطبعة العربية، 1422هـ/ 2002م.

109) بالحاج قاسم الشيخ، البعثات العلمية الجزائرية إلى تونس تاريخها ودورها الحضاري وادي ميزاب نموذجا، العالمية للطباعة والخدمات، البليدة، 2016.

110) بلحاج قاسم الشيخ، موجز تاريخ وادي ميزاب أثناء الحكم العثماني والاستعمار الفرنسي، العالمية للطباعة والخدمات، البليدة، 2017.

111) بلحاج قاسم بن أحمد الشيخ، معالم النهضة الإصلاحية عند إباضية الجزائر 1744-1962م، جمعية التراث، القرارة، ط1: 2011.

112) بلحاج معروف، العمارة الإسلامية مساجد مزاب ومصلياته الجنائزية، قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1: 2007.

113) بلعيد صالح، القطبية عن أطفيش، ضمن مؤلف جماعي بعنوان قطب الأئمة أطفيش العمل والعمل لصالح الجماعة والوطن، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2011.

114) بن رحال الزبير، الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية 1889م-1940م، دار الهدى، الجزائر، 2009.

115) بن نبي مالك، مشكلات الحضارة، شروط النهضة، تر: عمر كامل مسقاوي، دار الفكر، لبنان، 1979.

116) بني نبي مالك، ميلاد مجتمع، ج1، تر: عبد الصبور شهين، دار الفكر، الجزائر.

117) بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1.

118) بوعزيز يحي، ثورات الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

119) ـــــــــ ، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، دار البصائر، الجزائر، 2009.

120) بوهندة خالد، النخبة الجزائرية دراسة تاريخية واجتماعية 1892- 1942، دار القدس العربي، وهران.

121) التميمي صبري كامل هادي، موقف الحركة الوطنية من السياسة الاستعمارية ما بين الحربين 1919-1939، صفحات عن تاريخ الجزائر قديما، حديثا، معاصر، دراسات تاريخية، ج2، النشر الجامعي الجديد، تلمسان.

122) جدعان فهمي، أسس التقدم الفكري، الإسلام في العالم العربي الحديث، الشبكة العربية للأبحاث والشر، بيروت، ط4، 2010.

123) الجعبري فرحات، نظام العزابة عند الإباضية الوهابية في جربة، المعهد القومي للأثار والفنون.

124) جهلان محمد بن أحمد، قضايا الإصلاح الاجتماعي في مقالات جريدة الأمة لأبي اليقظان 1934- 1938، جمعية التراث، ط1، 2013.

125) الحاج السعيد يوسف بن بكير، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، غرداية، ط4: 2017.

126) الحاج سعيد يوسف بن بكير، بلدة بني يزقن من خلال المجتمع المدني، مطبعة الآفاق، غرداية، 2013.

127) الحسن عيسى، موسوعة الحضارات تاريخ، اللغات، أعلام، قيم حضارية، مدن، عادات وتقاليد، المملكة الأردنية، الأهلية للنشر والتوزيع، (ط2)، 2009.

128) حماني أحمد، من مساجد الله بالقرارة، دار صبحي، متليلي، ط1: 2020.

129) ـــــــــ ، ومضات في تاريخ القرارة، دار صبحي، ط2، الجزائر، 2015.

130) حنفي، الأصولية والعصر، الحركة الإسلامية المعاصرة، ضمن مؤلف حوار المشرق والمغرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1990.

131) دبوز محمد علي، أعلام الإصلاح في الجزائر 1921- 1975، ج3، عالم المعرفة، الجزائر.

132) الدهمة الأخضر، نبذة مختصرة عن حياة الشيخ الأخضر الدهمة الجزائري، دار صبحي للطباعة والنشر، غرداية، ط: 01، 2020.

133) ديريليك أندري، عبد الحميد بن باديس (1307- 1358هـ) (1889- 1940م) مفكر الإصلاح وزعيم القومية الجزائرية، تر: مازن بن صلاح مطبقاني، عالم الأفكار، الجزائر.

134) رمضان مصطفى، إبراهيم رمضان رجل العلم والنضال، دار نزهة الألباب، غرداية، ط1: 2018.

135) روبيناشي روبرتو، العزابة حلقة الشيخ محمد بن بكر (وثيقة قديمة عن حياة نساك الصوامع في الإسلام)، تر: لميس الشجني، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية سلسلة أبحاث تاريخية 6، 2006.

136) زوزو عبد الحميد، الفكر السياسي للحركة الوطنية والثورة التحريرية، ج1، الجزائر، دار هومة، 2012.

137) زيهو علي، جمال الدين الأفغاني التغيير في الواقع والقيم، جمال الدين الحسني الأفغاني رسائل في الفلسفة والعرفان، تق: هادي، إيران، ط2، 1221هـ.

138) سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية 1900- 1930، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط4: 1992.

139) ـــــــــ ، تاريخ الجزائر الثقافي 1830- 1954، ج3، دار الغرب الإسلامي، ط1: 1998.

140) سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1796- 1830)، البصائر للنشر والوزيع، ط3: 2012.

141) سيف الاسلام الزبير، تاريخ الصحافة في الجزائر –رواد الصحافة الجزائرية –، ط1، دار الشعب، مصر، 1981 م.

142) ـــــــــ ، تاريخ الصحافة في الجزائر –صحافة الجزائر في عهد الامبراطورية الفرنسية الثانية (1850-1870 م)، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982 م.

143) شهبي عبد العزيز، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر دار الغرب للنشر والتوزيع.

144) شينار بساح، الإباضية والحركة الإصلاحية بالجزائر المعاصرة، تر: ولاد باهون بكير، 1984.

145) صالح بن إدريسو، مفدي زكريا من خلال تقارير الإدارة الاستعمارية الفرنسية، تر: مصطفى حمودة، مطبعة الآفاق، غرداية، 2012.

146) صالح ناصر محمد، الشيخ ابراهيم بن عمر بيوض مصلحا وزعيما، الدار البيضاء، دار ناصر للنشر والتوزيع، ط4: 2017.

147) الصديق محمد صالح، المصلح المجدد الإمام ابن باديس. لهذا حاولوا اغتياله، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2009.

148) عبد السلام أحمد، مواقف اصلاحية في تونس قبل الحماية، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، (ط1)، 1986.

149) عبده ابراهيم ، اعلام الصحافة العربية، ط2، مكتبة الادب، مصر، 1999 م.

150) العربي إسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

151) عمارة محمد، جمال الدين الأفغاني المفترى عليه، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1984.

152) عمامرة تركي رابح، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931- 1956م) ورؤسائها الثلاثة، المؤسسة الوطنية المطبعية، الجزائر، 2004.

153) العمامرة حسن رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975.

154) عمامرة رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، ط5، 2001، 1422هـ.

155) عوادي عبد القادر عزام، ميزاب والميزابيون من خلال تاريخ الجزائر الثقافي لأبو القاسم سعد الله، دار نزهة الألباب للنشر والتوزيع، غرداية، 2018.

156) عوادي عبد القادر عزام، هجرة بني ميزاب إلى تونس ودورهم في الحياة الثقافية والسياسية التونسية 1881-1856، دار نزهة الألباب، غرداية.

157) قداش محفوظ، الحركة الوطنية، ج1، تر: امحمد بن البار، شركة دار الأم ةللطباعة والنشر، ط1: 2008.

158) كرليل عبد القادر، نشأة الصحافة الجزائرية، المصادر، ع 11، السداسي الاول، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954 م، الجزائر، 2005 م.

159) مجموعة باحثين، معجم مصطلحات الإباضية، ج2، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، عمان، ط2: 2011، ص: 751.

160) محمد بن صالح زرقون، أوقاف التمور في قرى وادي ميزاب، المطبعة العربية، غرداية.
161) محمد طاهري، مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، (ط2)، 1992.
162) مراد علي، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر البحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1925-1945، تر: محمد يحيانن، دار الحكمة، 2007.
163) معمر علي يحي، الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الثالثة: الإباضية في الجزائر، مر: الحاج سليمان، مكتبة الظاهري، سلطنة عمان، ط3: 2008.
164) مهديد ابراهيم، الحركة الوطنية الجزائرية في القطاع الوهراني فيما بين 1919- 1939م النهضة والصراع، دار الفرس العربي، وهران.
165) مياسي إبراهيم، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881- 1912.
166) ـــــــــ ، مقاربات في تاريخ الجزائر (1830 -1962 م)، دار هومة الجزائر، 2007 م.
167) الميلي مبارك ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
168) ناصر محمد صالح، الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض مصلحا وزعيما، دار ناصر للنشر والتوزيع، غرداية، ط4: 2017.
169) ناصر محمد، أبو اليقضان وجهاد الكلمة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزئر، ط2، 1983م.
170) النوري حمو محمد عيسى، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، ج1، مطبعة البعث، قسنطينة.
171) ونتن مصطفى بن ناصر، البحث العقدي منهجه وخصائصه عند الشيخ أطفيش، ضمن مؤلف جماعي بعنوان قطب الأئمة أطفيش العمل والعمل لصالح الجماعة والوطن، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2011.
172) ويرو إبراهيم بن محمد، معالم الحضارة في واحة القرارة من خلال الوثائق الأرشيفية "زمامات قياد القرارة" 1333هـ-1371هـ/ 1915م-1952م، مطبعة الأفاق، غرداية، 2017.

(ثالثا)– المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

1– الكتب:

173) A.coyne, le mezabe, place du gouvernoment 4, 1879.

174) Agnes de feo, le haik (ahouli) des femmes mozabites marqueur de l'exception en algerie ibadite en algerie, horizons maghrébins le droit le droit à la mémoire, N: 76, 2017.

175) Augustin jomier, un réformisme islamique dans l'Algérie coloniale oulamas ibadite et société du mzab (1880-1970), these de doctorat, histoire moderne et contemporaine, université nantes, 2015.

176) Charles amat, le mzab et les mzabites.

177) Daumas, le Sahara algérienne étude géographiques ,statistiques et historiques sur la région au sud du établissements français en Algérie, alger, dubos frères rue bab azoun, 1845.

178) Dilmi Zoheir, Malek Bennabi (1905 – 1973 É.C.) et les conditions d'une nouvelle renaissance de la société arabo-musulmane, Mémoire présenté à la Faculté des études supérieures En vue de l"obtention du grade de Maîtrise (M.A.) ès sciences des religions, Université de Montréal, Faculté de théologie et de sciences des religions, Décembre 2013

179) Gerard moussa et des autres, motan el tollab le dictionnaire français, dar el rateb, première édition :2006.

180) Jacques carret, ke réformisme en islam, l'association du oulama d'Algérie, imprimerie officielle, rue trollier, alger, 1959.

181) Masqueray, formation des cites chez les population sédentaires l'Algérie (kabyle du djurdjura. Chaouia de larouas.beni mezab), thèse présente a la faculté du lettre de paris, 1886.

182) Mercier marciel, la civilization urbaine au M'zab, P.A.D, alger, 1922.

183) Robin, le mzab et son annexion a la France, imprimeur, libreure de lacadimier , 1884.

184) Smail Mami, Après le Congrès Musulman Algérien", L'Echo de la presse musulmane. Informations des pays d'Orient. 2éme année, n° :33, 04/07/1936.

2- الجريدة الرسمية:

185) Journal officiel de la République française. Lois et décret, trente- neuvième année, n°265, 1907/09/30, p6839

5- المجلات:

186) آيت حبوش حميد، قانون التجنيد الإجباري 1912 دراسة في ظروف صدوره وموقف الجزائريين منه، مجلة الحوار المتوسطي، مج9، العدد:02، 2018.

187) بابا عربي مسلم، "**محاولة في تأصيل مفهوم الاصلاح السياسي، دفاتر السياسة والقانون**"، العدد: 9 جوان 2013، جامعة ورقلة، كلية الحقوق والعلوم السياسية.

188) باباو اسماعيل يوسف، اسهامات علماء الجنوب الجزائري في المجال القانوني (القضاء، التشريع، الفقه)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج12، عدد: 02، 2019.

189) باجو مصطفى بن صالح، الشيخ سعيد بن الحاج شريفي في الخالدين، مجلة الحياة، العد: 10، 1427هـ/ 2006م.

190) باجو مصطفى بن صالح، نموذج التربية الاجتماعية عند الشيخ ابراهيم بيوض من خلال تلميذه الشيخ حمو بن عمر فخار، مجلة الحياة، العدد:24، 1440هـ/ جوان 2019، المطبعة العربية، غرداية.

191) باجو مصطفى بن صالح، نموذج التربية الاجتماعية عند الشيخ بيوض من خلال تلميذه الشيخ حمو فخار، مجلة الحياة، العدد: 24، رمضان 1440هـ/ جوان 2019م.

192) بلحاج عيسى بن محمد الشيخ، حرص الشيخ بيوض على حصور الطلبة درس المسجد، مجلة الحياة، العدد: 24، جمعية التراث، 2019.

193) بلحاج ناصر، موقف سكان بني ميزاب من التجنيد الإجباري في الجيش الفرنسي ما بين 1912-1925، مجلة الحياة، العدد:11، 1428هـ/2007.

194) بن ساسي إبراهيم، دور علماء الجنوب الجزائري في خدمة العلم والأدب من خلال معاهد الزيتونة، مجلة الذاكرة، العدد 1، 2012.

195) بوحجام محمد بن صالح ناصر، من رسائل الشيخ عدون إلى الشيخ أبي اليقظان، مجلة الحياة، العدد: 09، 1426هـ/ 2005.

196) جنيدي عبد الرحمان، المواطنة إشكالية المفهوم وواقع الممارس، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج: 08، ع01، جوان 2015.

197) حشاني أحمد، نظام العزابة ودوره في تأمين التمساك الاجتماعي للمجتم الإباضي في منطقة وادي ميزاب، مجلة روافد للبحوث والدراسات، العدد:09، 2020.

198) خنيفر شفيقة، تحديات الصحافة الدينية الإسلامية في الجزائر أثناء الاحتلال، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد:31، ديسمبر 2007.

199) رباحي مصطفى، الّأوقاف الإباضية نظام اقتصادي إسلامي، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد: 12، 2011.

200) الزيني محمد عبد الرحيم، جمال الدين الافغاني رائد التنوير، الموافقات، مجلة دورية، ع 2، المعهد الوطني العالي للأصول الدين، الجزائر، 1993م.

201) سليمان حميد أوجانة، أسس التربية والتعليم بمعهد الحياة، مجلة الحياة، العدد: 08، رمضان 1425هـ/ نوفمبر 2004.

202) عميرة لطيفة، هاجس النهوض بين زعماء الإصلاح، مجلة مشكلات الحضارة.

203) عوادي عبد القادر عزام، قراة تاريخية في الحضور الإباضي الميزابي في الجزائر ودوره في تثبيت دعائم الشخصية الوطنية والهوية الإسلامية، مجلة الحياة، العدد: 23، 1439هـ/ جوان 2018.

204) عوادي عبد قادر عزام، قراءة تاريخية في الحضور الإباضي الميزابي في الجزائر ودوره في تثبيت دعائم الشخصية الوطنية والهوية الإسلامية، مجلة الحياة، العدد: 23، جوان 2018، المطبعة العربية، غرداية.

205) قوبع عبد القادر، الأنشودة الإصلاحية في وادي ميزاب 1920- 1970 الشكل والمحتوى، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج13، ع2، 2020.

206) كدومة حبيب، صدى التجنيد الإجباري في منطقة وادي ميزاب من خلال مجلة المنهاج 1925-1931 للشيخ أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، مجلة الحوار المتوسطي، مج11، العدد:01، مارس 2020.

207) الكيلاني عبد الله نجم الدين، **"مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم، كلية التربية الأصمعي"**، مجلة ديالي، ع:208.

208) المرموري البشير الحاج عمر، الجماعة ودورها في التماسك الاجتماعي نموذج العشيرة في المجتمع الميزابي، مجلة الحياة، العدد: 24، جوان 2019، المطبعة العربية، غرداية.

209) ناصر محمد، الشيخ عبد الرحمان بكلي شاعر الإصلاح، مجلة الحياة، العدد: 09، 1426هـ/ 2005م، جمعية التراث، غرداية.

210) يطو فتيحة، معاهدة الحماية بين وادي ميزاب وفرنسا حقيقتها وعلاقتها بنظام الإلحاق، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج1، العدد: 01، 01 سبتمبر 2009.

6- الرسائل والأطروحات:

211) أوعامري مصطفى، المقاومة السياسية الوطنية بعمالة وهران ما بين 1942- 1951، تجربة التحالفات وإرهاصات الثورة الجزائرية، دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة وهران، 2008/ 2009.

212) ايعيش جميلة، منطقة وادي ميزاب خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ميلاديين (إقتصاديا، اجتماعيا، ثقافيا)، أطروحة دكتوراه تخصص تاريخ حديث ومعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، 2018-2019.

213) بكار دهمة، دور منطقة غرداية في الحركة الوطنية الجزائرية 1919- 1945، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ معاصر، جامعة الجزائر 02، 2012/2011.

214) بلحاج صادق، الصحافة العربية في الجزائر بين التيارين الإصلاحي والتقليدي 1919-1939، رسالة ماجستير في تاريخ الجزائر الثقافي والتربوي، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2012/2011.

215) بلحاج ناصر، النظم والقوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة في ما بين القرنين التاسع والثالث عشر الهجريين، الخامس عشر والتاسع عشر الميلاديين، أطروحة دكتوراه تخصص تاريخ حديث ومعاصر، جامعة قسنطينة 02، 2013، 2014.

216) بن عدة عبد المجيد، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه بعنوان "الخطاب النهضوي في الجزائر 1925- 1954م"، ج1، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2004- 2005.

217) بوسعدة محمد، دور ميزاب في الحركة الوطنية والثورة التحريرية 1930-1962، رسالة دكتوراه في تاريخ المغرب العربي المعاصر، تخصص تاريخ، جامعة حمة لخضر الوادي، 2020/2019.

218) جودي محمد، واجهات مساكن قصور سهل وادي ميزاب دراسة تنميطية، رسالة ماجستير في علم الآثار، قسم علم الأثار، جامعة تلمسان، 2006، 2007.

219) حاج عمر فاطمة، التماسك الاجتماعي والاحتفالية الدينية في الوسط النسوي دراسة ميدانية للتجمعات الاحتفالية للأسر في الموبد النبوي بمنطقة غرداية، شهادة ماجستير في تخصص علم الاجتماع التربوي والديني، جامعة غرداية 2010- 2011.

220) حاج عمر فاطمة، الطقوس الاحتفالية والرباط الاجتماعي دراسة ميدانية للاحتفالات بمدينة متليلي طقوس الخطبة والزواج أنموذجا، أطروحة دكتوراه تخصص علم الاجتماع، قسم علم الاجتماع، جامعة تلسمان، 2017/2016.

221) حمري ليلى، الجمعية الجزائرية وقضايا الجزائريين 1948- 1956، أطروحة دكتوراه في التاريخ، كلية العلوم الإسلامية والإنسانية، جامعة وهران، 2015/2014.

222) خيري الرزقي، القضايا الوطنية في صحافة الشيخ أبو اليقظان 1926- 1938، أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2018.

223) زدك براهيم، الحركة العلمية في منطقة وادي ميزاب ما بين القرنين 10- 13هـ/ 16-19م، دكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، وهران، 2019.

224) السماوي صالح بن عمر، نظام العزابة ودوره في الحياة الإجتماعية والثقافية بوادي ميزاب، رسالة ماجستير، تاريخ إسلامي، جامعة الجزائر، 1986.

225) غول الطاهر، مفهوم الدولة الجزائرية في فكر الحركة الوطنية 1919- 1954، رسالة ماجستير تخصص تاريخ حديث ومعاصر، جامعة حمه لخضر، الوادي، 2013/ 2014.

226) قوبع عبد القادر، الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين 1925- 1954، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2008/2007.

227) مالكي جمال، الحياة الثقافية في الجزائر من خلال صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1925-1956، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة زيان عاشور الجلفة، 2021/2020.

7- الملتقيات والأيام الدراسية:

228) بن إدريسو مصطفى بن محمد، قراءة في المسيرة التربوية للشيخ صالح لعلي، أعمال يوم دراسي حول الشيخ الحاج صالح لعلي مدخل إلى جمع التراث ومحاولة قراءة، 19 محرم 1432هـ/ 25 ديسمبر 2010، تح: مصطفى وينتن، مطبعة الأفاق، غرداية.

229) بن إدريسو مصطفى بن محمد، قراءة في المسيرة التربوية للشيخ صالح يعلي، ضمن أعمال يوم دراسي "الشيخ صالح لعلي مدخل إلى جمع التراث ومحاولة قراءة"، 19 محرم 1432هـ/ 25 ديسمبر 2010م، مكتبة الشيخ صالح لعلي، غرداية.

230) تواتي بن تواتي، منهج التفسير عند القطب أطفيش، ضمن مؤلف جماعي بعنوان قطب الأئمة أطفيش العمل والعمل لصالح الجماعة والوطن، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2011.

231) قلوسي مسعود، الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض وتفسيره في رحاب القرآن، الملتقى الأول لفكر الإمام الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض 2000/04/14، المطبعة العربية، غرداية.

8-المعاجم والقواميس:

232) ابن منظور، لسان العرب، باب الصاد، ج28، دم.

233) بولس براورز وآخرون، المنجد فرنسي عربي، بيروت، دار المشرق، (ط)، 1972

فهرس الأعلام

"

"**Bernard Henry**, 225

" (**chatino**), 239

كوستي, 255

"**Louis Terman**", 45

" (**paul rmadi**, 239

" (**viensent auriol**, 239

إ

إبراهيم بن عيسى حمدي أبو اليقظان, 106, 95, 88, 87, 86, 85, 74, 59, 31, 133, 111, 122, 133, 136, 138, 139, 140, 147, 148, 149, 151, 160, 172, 176, 181, 182, 185, 190, 192, 199, 200, 201, 202, 203, 204, 205, 206, 227, 228, 234, 235, 237, 284, 286, 287, 299, 8, 73, 74, 86, 89, 92, 93, 97, 115, 116, 134, 135, 137, 139, 140, 150, 153, 158, 159, 160, 206, 261, 298, 3

إبراهيم بن محمد أطفيش أبو إسحاق150 ,

إبراهيم عيسى حمدي أبو اليقظان151 ,

ا

ابن باديس294, 236, 231, 230, 139, 130, ,

أ

أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي37 ,

ا

الإباضية ,60 ,59 ,58 ,46 ,45 ,39 ,38 ,37 ,36 ,34 ,33 ,27 ,20 ,19 ,9 ,7 ,
62, 67, 82, 99, 103, 105, 150, 151, 153, 155, 158, 161, 184, 209,
219, 232, 245, 290, 292, 293, 298
الأخضر الدهمة289 ,170 ,169 ,166 ,164 ,154 ,149 ,98 ,97 ,11 ,
البشير الإبراهيمي238 ,232 ,230 ,199 ,178 ,132 ,124 ,114 ,
البكري285 ,248 ,158 ,117 ,47 ,11 ,
الحاج إبراهيم بن عيسى البريكي83 ,
الحاج امحمد عمر بن عيسى257 ,245 ,
الحاج عمر العنق234 ,
الحاج عمر بن يحي المليكي82 ,
الحاج محمد بن يحي لكعص154 ,153 ,
الرحمان بن عمر بكلي288 ,285 ,254 ,248 ,151 ,56 ,11 ,234
السيد حجوط براهيم245 ,
الشيخ الثميني256 ,92 ,
الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض ,158 ,157 ,156 ,152 ,149 ,147 ,119 ,95 ,78 ,47 ,
160, 175, 176, 177, 178, 179, 186, 187, 189, 190, 191, 192, 194,
197, 203, 204, 210, 229, 234, 238, 247, 249, 250, 251, 252, 254,
255, 256, 257, 263, 265, 288, 294, 298, 4, 6, 9, 74, 146, 155, 156,
194, 229, 234, 246, 256, 264, 297, 294, 301, 6
الشيخ عبد الحميد بن باديس290 ,235 ,234 ,232 ,230 ,122 ,104 ,103 ,95 ,90 ,
الشيخ مطياز256 ,

الطيب العقبي232 ,132 ,131 ,

العربي التبسي232 ,

ب

با عبد الرحمان الكرثي39 ,

باسعيد عدون بن بكير256 ,

باسليمان إبراهيم المنور211 ,162 ,

بوجناج سليمان256 ,

بوجناح بن يحي256 ,

بوحميدة الطيب254 ,248 ,

بوقلمونة محمد بن آمحمد161 ,

ج

جمال الدين الأفغاني298 ,294 ,292 ,72 ,70 ,69 ,29 ,

ح

حجوط إبراهيم257 ,256 ,245 ,237 ,

حماني المازوزي بن أحمد168 ,

ر

رشيد محمد رضا72 ,

س

سعيد المغربي154 ,84 ,

سليمان الباروني226 ,74 ,

ش

شريف بكار بن إسماعيل169 ,

شكيب أرسلان74 ,

ص

صالح بن قاسم بن عيسى بابكر160 ,

ع

عبد الرحمان بكلي298 ,288 ,285 ,234 ,211 ,182 ,163 ,158 ,122 ,95 ,57 ,

عبد العزيز الثعالبي150 ,90 ,73 ,

عبد الله بوكامل237 ,

عدون الشريفي185 ,140 ,

عدون بن الحاج شريفي159 ,

عمر بن الحاج عيسى256 ,

عمر بن آمحمد الساسي166 ,

عمي السعيد159 ,104 ,38 ,

م

مامان سليمان219 ,218 ,217 ,208 ,40 ,

مبارك الميلي293 ,288 ,287 ,234 ,232 ,175 ,174 ,173 ,133 ,131 ,27 ,18 ,

محمد الطاهر بن عمارة شوشان82 ,

محمد الطرابلسي159 ,84 ,

محمد الغناي83 ,
محمد بن عمر بوحميدة288 ,285 ,211 ,201 ,165 ,164 ,142 ,12 ,
محمد بن يوسف أطفيش285 ,201 ,80 ,51 ,19 ,
محمد عبده285 ,74 ,72 ,71 ,70 ,31 ,
محمد لخضر الفيلالي183 ,165 ,163 ,107 ,
مصطفى كامل74 ,
مفدي زكريا ,250 ,249 ,248 ,245 ,151 ,139 ,131 ,122 ,67 ,66 ,63 ,62 ,19 ,
254, 256, 262, 265, 285, 286, 291, 3, 6
مفدي زكرياء284 ,252 ,247 ,19 ,10 ,
ميصالي الحاج249 ,

فهرس الأماكن

ا

الأغواط, 244, 166, 164, 163, 161, 68, 65, 62, 45, 43, 42, 41, 24, 15, 8, 247, 250, 254

الجزائر, 33, 32, 29, 28, 26, 24, 21, 19, 18, 15, 11, 10, 8, 6, 5, 4, 3, 1, 34, 35, 36, 37, 40, 42, 43, 45, 46, 47, 48, 51, 52, 58, 59, 62, 65, 68, أ, 68, 69, 73, 74, 75, 76, 77, 79, 81, 84, 85, 87, 90, 92, 93, 98, 103, 104, 107, 108, 112, 115, 119, 125, 126, 131, 130, 129, 128, 127, 133, 134, 135, 137, 138, 139, 140, 143, 144, 145, 148, 149, 150, 151, 152, 155, 157, 158, 169, 179, 184, 187, 188, 196, 197, 198, 203, 204, 205, 211, 214, 218, 222, 225, 229, 230, 231, 232, 233, 234, 235, 238, 239, 240, 241, 242, 247, 249, 250, 251, 257, 258, 264, 265, 267, 286, 288, 289, 293, 294, 295, 296, 284, 285, 286, 287, 288, 289, 290, 291, 292, 293, 294, 295, 297, 298, 299, 300, 301, 1, 6

الجلفة300, 251, 247, 244, 231, 83, 62,

السودان66, 65, 63, 28, 25,

الشعانبة162, 105, 67, 66, 65, 61, 35, 27, 23,

الضاية26,

العطف, 248, 245, 159, 158, 151, 148, 109, 108, 57, 56, 47, 42, 26, 20, 254, 271, 272, 273, 274, 275, 285, 288

القرارة, 106, 88, 87, 86, 84, 83, 82, 65, 53, 47, 42, 37, 24, 23, 19, 15, 9, 107, 111, 112, 113, 114, 115, 117, 118, 148, 151, 154, 155, 156, 159, 161, 166, 167, 168, 185, 189, 190, 192, 194, 195, 206, 209, 210, 225,

229, 246, 251, 254, 271, 272, 273, 274, 275, 293, 294, 295, 296, 289,
291, 293, 294
المذابيح164 ,29 ,28 ,26 ,
المغرب الأقصى223 ,65 ,

ب

بريان ,251 ,211 ,185 ,163 ,162 ,158 ,117 ,109 ,108 ,42 ,25 ,24 ,11 ,9 ,
253, 271, 272, 273, 274, 275, 288
بسكرة244 ,132 ,122 ,97 ,66 ,
بشار244 ,65 ,
بنورة ,272 ,253 ,225 ,188 ,148 ,117 ,112 ,105 ,104 ,65 ,42 ,26 ,21 ,17 ,
274, 275
بني مرزوق28 ,26 ,
بني ميزاب ,214 ,183 ,172 ,123 ,105 ,90 ,89 ,86 ,79 ,59 ,23 ,19 ,18 ,15 ,
224, 225, 245, 248, 270, 271, 272, 292, 295, 299
بني يزقن ,111 ,92 ,80 ,62 ,60 ,56 ,52 ,51 ,49 ,42 ,23 ,22 ,21 ,19 ,17 ,9 ,
113, 120, 150, 151, 245, 270, 271, 272, 273, 274, 275, 285, 295
بونورة9 ,

ت

تطوان66 ,
تونس ,98 ,97 ,95 ,94 ,93 ,92 ,91 ,90 ,89 ,88 ,87 ,86 ,85 ,73 ,66 ,30 ,10 ,
99, 110, 116, 118, 136, 140, 150, 151, 158, 160, 164, 166, 170, 183,
285, 289, 292, 293

تيارت123 ,14 ,

س

سدراتة27 ,19 ,

ط

طرابلس66 ,

ع

عين الصفراء244 ,

عين ماض65 ,

غ

غرداية ,35 ,33 ,28 ,26 ,25 ,24 ,23 ,22 ,21 ,20 ,17 ,15 ,12 ,9 ,4 ,14 ,1 ,
38, 39, 40, 42, 43, 47, 49, 52, 56, 57, 59, 60, 61, 62, 65, 67, 68, 74,
80, 82, 84, 86, 90, 93, 96, 97, 98, 105, 106, 107, 110, 113, 114, 115,
118, 119, 139, 142, 146, 148, 154, 156, 157, 158, 160, 161, 162, 164,
165, 168, 169, 171, 183, 192, 196, 201, 211, 212, 217, 250, 224, 226,
227, 229, 238, 244, 245, 246, 247, 249, 250, 251, 253, 254, 255, 256,
257, 271, 272, 273, 274, 275, 284, 285, 288, 289, 290, 291, 292, 294,
295, 297, 298, 299, 300, 301

غليزان122 ,

ف

فاس66 ,
فرنسا ,174 ,163 ,143 ,131 ,127 ,120 ,81 ,68 ,59 ,45 ,43 ,42 ,12 ,10 ,3 ,
246 ,245 ,243 ,233 ,231 ,229 ,223 ,203 ,181
فقيق66 ,

ق

قسنطينة ,230 ,201 ,151 ,139 ,132 ,97 ,66 ,65 ,62 ,59 ,43 ,29 ,22 ,15 ,
300 ,299 ,290 ,287 ,284 ,289 ,288 ,235

ل

ليبيا84 ,28 ,

م

متليلي ,161 ,154 ,148 ,106 ,98 ,67 ,65 ,35 ,27 ,26 ,25 ,23 ,18 ,15 ,9 ,
300 ,289 ,284 ,274 ,211 ,184 ,170 ,169 ,166 ,162
معسكر65 ,59 ,
مكناس66 ,
مليكه272 ,108 ,42 ,39 ,23 ,

و

وادي ميزاب ,22 ,20 ,19 ,18 ,17 ,16 ,15 ,14 ,11 ,10 ,9 ,8 ,7 ,6 ,5 ,3 ,2 ,1 ,
44, 43, 42, 41, 40, 39, 38, 37, 35, 34, 33, 32, 31, 27, 26, 25, 24, 23,
75 ,أ45 ,46 ,47 ,50 ,51 ,56 ,57 ,58 ,59 ,60 ,61 ,62 ,63 ,64 ,65 ,66 ,68,

78, 80, 81, 85, 86, 88, 89, 90, 92, 93, 104, 103, 106, 99, 98, 97, 95,
105, 108, 112, 115, 121, 133, 135, 140, 141, 146, 148, 161, 149, 150,
152, 155, 156, 157, 158, 159, 160, 170, 171, 172, 175, 176, 177, 257,
181, 182, 184, 185, 186, 187, 188, 189, 199, 200, 201, 202, 203, 205,
206, 207, 208, 209, 213, 214, 215, 216, 218, 220, 221, 250, 222, 223,
224, 225, 226, 227, 228, 229, 230, 234, 237, 238, 246, 247, 250, 256,
257, 258, 259, 261, 262, 263, 264, 265, 267, 273, 274, 275, 289, 285,
286, 287, 288, 290, 291, 293, 297, 298, 299, 300, 1, 2, 3, 4,5, 6

المدية65 ,

ورجلان19 ,15 ,

ورقلة298 ,244 ,155 ,148 ,97 ,43 ,30 ,28 ,26 ,18 ,15 ,

ولاد نايل62 ,15 ,

وهران300 ,299 ,290 ,289 ,243 ,240 ,232 ,134 ,105 ,76 ,65 ,59 ,15 ,

فهرس الموضوعات

فهـــرس الموضوعات

كلـمـة شكـر وامتنان

إهـــــــداء

المختصرات باللغة العربية

مقـــدمـــــة

المدخل: الإطار الجغرافي والتاريخي لواد ميزاب مفاهيم ومصطلحات

تمهيد: 14

(أولا): الحركة الإصلاحية والوطنية في الجنوب الجزائري: 14

(ثانيا): المعطيات العامة لمنطقة وادي ميزاب: 17

1–الموقع الجغرافي لوادي ميزاب: 17

2 – الموقع الفلكي لوادي ميزاب: 20

3 – المعطيات المناخية: 20

أ–**الريـــاح:** 21

ب–**الحرارة:** 21

ج– الأودية: 21

د–أصل ومدلول التسمية: 22

4 – التركيبة السكانية والعمرانية: 24

أ – السكان: 24

ب– بنو ميزاب: 24

ج– الشعانبة: 25

د– المجموعات القبلية: 25

5– مدن وقصور وادي ميزاب: 26

أ– قصر العطف (تاجنينت): 27

ب– قصر بنورة (آت بنور): 27

د– قصر بني يزقن: 28

هـ– قصر مليكه "آت مليشت": 29

و– مدينة القرارة: 30

ز– قصر بريان: 31

ح– قصر متليلي: 32

ط– مدينة ضاية بن ضحوة: 33

(ثالثا)– مفهوم الإصلاح: 33

(رابعا)– مفهوم الوطنية: 34

(خامسا)– الحركة الوطنية الجزائرية: 35

خلاصة الفصل: 36

الفصل الأول: الإطار الاجتماعي والثقافي والاقتصادي لوادي ميزاب بداية القرن العشرين

تمهيد: 34

(أولا)– البيئة الاجتماعية والسياسية: 34

1– الأسرة أو العائلة: 35

2– العشيرة أو القبيلة: 35

3– مفهوم العزابة: 36

4– مجلس العوام: 39

5– مجلس عمي سعيد: 39

6– مجلس با عبد الرحمان الكرثي: 40

7– هيئة التمرسدين: 40

8– اتفاقية 21 رجب 1269هـ/ 29 أفريل 1853: 42

9– إلحاق منطقة وادي ميزاب بفرنسا: 45

(ثانيا)– البيئة الثقافية: 47
أ– (التعليم): 47
1– التعليم المسجدي: 47
2– المحضرة (المحاضر): 48
3– حلقة إيروان: 51
4– التعليم المشيخي: 51
5– المكتبات والخزائن العلمية في وادي ميزاب: 53
أ– مكتبة دار التلاميذ (ايروان) بغرداية : 55
ب– خزانة الشيخ أحمد بن موسى الشهير بالشيخ الميغر ببلدة العطف 970هـ" :. 56
ج–مكتبة الاستقامة: 56
د- خزانة الشيخ محمد بن صالح الثميني: 56
هـ– مكتبة الشيخ آزبار :. 56
و– مكتبة الشيخ اطفيش : 56
ز– خزانة الشيخ صالح بن كاسي الغرداوي: 57
6– التعليم الفرنسي: 57
(ثانيا)– القضاء والأوقاف: 59
1– القضاء: 59
2– الأوقاف في وادي ميزاب: 61
(ثالثا)– البيئة الاقتصادية: 62
1– الصناعة: 63
2– الزراعة: 65
3– التجارة: 66
خلاصة الفصل: 68

الفصل الثاني: الإرهاصات الأولى لظهور الحركة الإصلاحية والوطنية في منطقة وادي ميزاب

تمهيد: 71

(أولا)– ظهور الحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي: 71

أ– وادي ميزاب والمد الإصلاحي: 76

(ثانيا)– الحرب العالمية الأولى وأثرها على الحركة الفكرية في الجزائر: 78

(ثالثا)– الحكم الإستعماري الفرنسي: 81

(رابعا)– أبرز رواد الفكر الإصلاحي في وادي ميزاب: 83

1– الشيخ محمد بن يوسف أطفيش: 83

2– الشيخ الحاج عمر بن يحي المليكي(1274هـ/ 1858م–1340هـ/ 1921م): 84

3– الشيخ محمد الطاهر بن عمارة شوشان (1292هـ/1875م– 1366هـ/1946م): 85

5– الشيخ محمد الغناي (ت 1297هـ/1880م): 86

6– الشيخان سعيد المغربي (ت 1343هـ/1925م) ومحمد الطرابلسي : 87

(خامسا)– البعثات العلمية: 87

1– البعثة العلمية الميزابية الأولى (اليقظانية): 89

2– البعثة العلمية الميزابية الثانية (اليقظانية): 91

3– البعثة العلمية الميزابية الثالثة (طلبة بني يزقن): 95

4– البعثة العلمية الميزابية الرابعة (غرداية): 96

5– البعثة العلمية الخامسة (البيوضية): 96

6– البعثة العلمية السادسة (الفيلالية): 100

خلاصة الفصل: 101

الفصل الثالث: المؤسسات والوسائل الإصلاحية في وادي ميزاب

تمهيد: 104

(أولا): المساجـد: 104

1- المسجد القديم (قصر بنورة):.....105
2- المسجد الإباضي العتيق بغرداية:.....106
3- المسجد العتيق بمتليلي:.....106
4- المسجد العتيق بالقرارة:.....107
5- المسجد المالكي العتيق بغرداية:.....107
6- المسجد العتيق بضاية بن ضحوة:.....108
7- جامع الشرفاء (الحمالة):.....108
8- المسجد العتيق مليكة:.....109
(ثانيا): الجمعيات الخيرية والثقافية:.....109
1- جمعية النهضة في مدينة العطف:.....110
2- جمعية الفتح في مدينة بريان:.....110
3- جمعية الإصلاح في مدينة غرداية:.....111
4- جمعية الاستقامة ببني يزقن:.....112
5- جمعية الحياة في القرارة:.....112
6- جمعية النور في مدينة بنورة:.....113
7- جمعية قدماء التلاميذ في القرارة:.....113
8- جمعية الوفاء:.....114
9- الجمعية الإسلامية المالكية للتربية والتعليم بالقرارة:.....115
(ثالثا): المدارس العصرية:.....115
1- المدارس العصرية داخل وادي ميزاب:.....116
أ- مدرسة أبي اليقظان بالقرارة:.....116
ب – مدرسة النهضة بالعطف:.....117
جـ- مدرسة بنورة:.....118

د– مدرسة الفتح بريان: 118
هـ– مدرسة القرارة العصرية:.....119
و– مدرسة الإصلاح غرداية: 119
ز– المدرسة الجابرية ببني يزقن:.....121
ح – مدرسة بني يزقن:.....121
ط– مدرسة التربية والتعليم: 122
2– المدارس العصرية الميزابية خارج وادي ميزاب:.....122
أ– مدرسة غليزان: 123
ب– مدرسة الإخاء ببسكرة:.....123
جـ– المدرسة الرستمية الشيخ أفلح بتيارت:.....123
3– البرامج والمناهج: 124
(رابعا)– الصحافة:.....126
1– الصحافة في الجزائر: 126
2– نماذج من الصحف الإصلاحية : 129
أ– المنتقد: 130
ب– الشهاب:..... 131
جـ– البصائر (1935– 1939)، (1947– 1956):..... 132
د– الإصلاح: 132
هـ– جريدة البرق:..... 133
3– صحف إبراهيم بن عيسى حمدي أبو اليقظان: 133
أ– جريدة وادي ميزاب 1926– 1929:. 133
ب– جريدة ميزاب: 136
جـ– جريدة المغرب: 136

د- جريدة النور: 137

هـ- جريدة البستان: 138

و- جريدة النبراس: 139

ز- جريدة الأمة: 139

ح- جريدة الفرقان: 140

(خامسا)- الكشـــافـة الميزابية: 141

(سادسا)- المسرح الميزابي: 143

1- المسرح الفرنسي في الجزائر: 143

2- البدايات الأولى للمسرح الجزائري: 145

خلاصة الفصل: 148

الفصل الرابع: رواد النهضة الإصلاحية والوطنية وأسسهم الفكرية في وادي ميزاب

تمهيد: 151

(أولا)- رواد النهضة الإصلاحية والوطنية في وادي ميزاب: 151

1- الشيخ إبراهيم بن محمد أطفيش أبو إسحاق 152

2- الشيخ إبراهيم عيسى حمدي أبو اليقظان 153

3- الشيخ الطالب علي بن ديبة 155

4- الشيخ الحاج محمد بن يحي لكعص 156

5- الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض 157

6- الشيخ عبد الرحمان بكلي الملقب بالبكري 160

7-الشيخ عدون بن الحاج شريفي 161

8- الشيخ صالح بن قاسم بن عيسى بابكر 162

9- الشيخ بوقلمونة محمد بن آمحمد 163

10- الشيخ باسليمان إبراهيم المنور 164

11– الشيخ محمد لخضر الفيلالي: 165
12– الإمام محمد بن عمر بوحميدة 166
13– الشيخ الأستاذ عمر بن آمحمد الساسي 168
14– الشيخ حماني المازوزي بن أحمد 170
15– الشيخ شريف بكار بن إسماعيل 171
16– الشيخ الأخضر الدهمة: 172
(ثانيا)– الأسس الفكرية للنهضة الإصلاحية والوطنية في وادي ميزاب: 173
1– التربية والتعليم: 173
2– الوعظ والإرشاد الديني: 179
خلاصة الفصل: 182

الفصل الخامس: مظاهر الحركة الإصلاحية التعليمية والدينية والاجتماعية في وادي ميزاب

تمهيد: 184
(أولا)– الإصلاح التعليمي: 184
1– التعليم الابتدائي: 184
أ– جهود علماء ميزاب في تطوير وإصلاح التعليم الابتدائي: 187
ب– تشجيع تلاميذ المدارس الحرة على الالتحاق بالمدارس الفرنسية: 189
2– التعليم الثانوي (معهد الحياة): 192
أ– إدارة المعهد: 193
ب– البرامج الدراسية بالمعهد: 193
جـ– شروط الالتحاق: 197
(ثانيا)– الإصلاح الديني والاجتماعي: 200
1– مقاومة الحملات التبشيرية والتنصيرية: 201
2– التصدي للتجنيس والإندماج: 204

3– محاربة الانحراف الخلقي:.....206

4– المرأة الميزابية في الإصلاح التعليم والديني والاجتماعي:.....210

أ– المرأة الميزابية من الإصلاح التعليمي:.....210

– تعليم المرأة:.....210

ب– مساهمة المرأة الميزابية في إصلاح ومحاربة البدع داخل الوسط النسوي الميزابي:.....214

1– بعض العادات والتقاليد المصاحبة لاحتفالات المرأة الميزابية:.....214

2– الاحتفال بسقوط المطر:.....215

3– الاحتفالات المصاحبة لاستقبال المسافرين:.....217

4– احتفالات الزفاف:.....217

5– زيارة القبور والأضرحة:.....218

6– عادات وطقوس مسيحية في الوسط النسوي:.....219

7– ظهور الحركة الإصلاحية في الوسط النسوي الميزابي:.....220

8– موقف الحركة الإصلاحية النسوية من الممارسات والطقوس:.....221

خلاصة الفصل:.....222

الفصل السادس: مظاهر الحراك السياسي والوطني في وادي ميزاب

تمهيد:.....226

(أولا) – التجنيد الإجباري:.....226

1– قانون التجنيد الإجباري:.....226

2- فرض التجنيد الإجباري على الجزائريين وبداية ظهور المعارضة الميزابية:.....227

3– انطلاق عملية التجنيد في وادي ميزاب وردود الفعل:.....230

4– نشاط سكان منطقة وادي ميزاب ضمن التيارات السياسية:.....234

(ثانيا)– تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:.....237

1– تأسيسها:.....237

2– أهدافها: 240
(ثالثا)– المؤتمر الإسلامي: 242
(رابعا)– لجنة الحقوق الإسلامية: 245
(خامسا)– المسألة الانتخابية والتمثيل البرلماني لمنطقة غرداية في المجلس الجزائري 1948: 245
1– المسألة الانتخابية قانون 20 سبتمبر 1947: 246
2– تحديد وتقسيم المناطق والدوائر الانتخابية في الجنوب الجزائري: 250
3– موقف بني ميزاب من التقسيم: 252
4– موقف مالكية وادي ميزاب ولجنة الدفاع عن حقوقهم من التقسيم: 254
5–بداية الحملة الانتخابية في منطقة غرداية: 256
6– أحداث يوم التصويت: 259
أ– قصر غرداية: 259
ب– قصر بريان: 260
ج– قصر بنورة: 260
د– قصر مليكة: 260
هـ– قصر العطف: 260
و– القرارة: 261
(خامسا)– حزب الدفاع عن حقوق ميزاب: 262
خلاصة الفصل: 265

الخاتمة

الملاحق

قائمة المصادر والمراجع

فهرس الأعلام 311

فهرس الأماكن

فهرس الموضوعات

الملخص

الملخص:

لقد اتسمت المقاومة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي ابتداء من 1830 إلى غاية الاستقلال باستمرارها وتنوع أساليبها، وكذا تأقلمها مع الظروف والعوامل الداخلية والخارجية، كما شهدت اختلافا من منطقة إلى أخرى ومن فترة زمنية إلى أخرى، بالرغم من السياسة الاستعمارية المتنوعة التي قامت على أساس استغلال كل إمكانيات التي تتوفر عليها الجزائر مخلفة أثارا سلبية طالت كل جوانب الحياة، إلا انها لم تحد من عزيمة الجزائريين في مقاومتها، حيث اعتمدوا في بدء الأمر وسيلة الكفاح المسلح للدفاع عن بلادهم وأنفسهم لفترة زمنية طويلة عانوا فيها من تجريدهم من أملاكهم وتشريدهم إلى مناطق نائية.

ومع مطلع القرن العشرين عرفت الجزائر بداية نهضة دينية وثقافية عبرت عن سخط الجزائريين للسياسة الفرنسية وتعلقهم بالشخصية الجزائرية والهوية الإسلامية وكذا تشبثهم بأرضهم، زد على ذلك انعكاسات الحرب العالمية الأولى عليها والتي بدورها أكسبتهم وعيا وخبرة، وهيأت الظروف لبروز قيادات جديدة غيرت أسلوب المقاومة من الكفاح المسلحّ إلى النضال السياسي، نتيجة تطورات داخلية وخارجية، والتي بدورها أضفت إلى ظهور الحركة الوطنية الجزائرية والمتمثلة في المنظمات السياسية والإصلاحية التي ساهمت بقدر كبير في تحريك الساحة السياسية والثقافية.

لقد كان لمنطقة وادي ميزاب نصيبا هاما منها كونها من المناطق الجزائرية التي تأثرت بمستجدات القرن العشرين، وذلك لأنها لم تكن بمنعزل علة مجريات الأحداث في الجزائر، حيث بادر رجالاتها إلى رفع المستوى الفكري والعلمي والحس الوطني، بغية دفع المنطقة إلى مواكبة التطورات الوطنية في مقاومة السياسة الاستعمار. من هنا تتضح معالم الدراسة التي تبرز الدور الإصلاحي والوطني للميزابيين في منطقة وادي ميزاب، وعليه عنونا الدراسة بـ: "الحركة الإصلاحية والوطنية في الجنوب الجزائري، منطقة وادي ميزاب أنموذجا -1900- 1954".

تهدف هذه الدراسة إلى جمع ما هو متفرق من دراسات علمية أكاديمية حول تاريخ المنطقة، وكذا إثراء المكتبة الجزائرية بدراسة متخصصة حول تاريخ الحركة الإصلاحية والوطنية لمنطقة وادي ميزاب.

إظهار إسهامات علماء المنطقة في نشر الفكر الإصلاحي وسعييهم في الحفاظ على الشخصية الوطنية والهوية الإسلامية، وإبراز النضال السياسي الذي قاده مشايخ الإصلاح في مجابهة الإدارة الاستعمارية الفرنسية، وكذا تكامل حركتهم على كامل التراب الوطني، وكذا تأثر سكان المنطقة بمختلف التأثيرات الفكرية رغم سياسة العزلة المطبقة عليهم، وكذلك إبراز أهم العوامل والأسباب التي أدت بعلماء ميزاب لتبني الفكر الإصلاحي والوطني.

ومن خلال دراستنا لموضوع الحركة الإصلاحية والوطنية في الجنوب الجزائري منطقة وادي ميزاب أنموذجا (1900- 1954م)، خرجنا بمجموعة من النتائج كانت كالآتي:

إن النهضة العلمية التجديدية التي عرفتها منطقة وادي ميزاب من خلال انتشار العلم في المساجد وبناء المدارس العصرية، وإنشاء الجمعيات والنوادي الثقافية تعود جذورها إلى إسهامات مجموعة من العلماء بادروا إلى نشر فكرة الإصلاح، ولعل أبرزهم الشيخ أبو زكريا الأفضلي الذي انطلق من حملات الوعظ والإرشاد متمسكا بإصلاح أفراد المجتمع وإخراجهم مما هم فيه من مفاسد وجهل، كما خلفه في مسيرته الإصلاحية بعد ذلك تلميذه الشيخ عبد العزيز الثميني الذي بادر بدوره بالتأليف والتحرير قصد تنوير الطلبة والمتعلمين، كما اهتم بتكوينهم علميا، لتتواصل مسيرة الإصلاح بعدهم على يد الشيخ العلامة القطب أحمد بن يوسف أطفيش، حيث قام بإنشاء حلقة علم خاصة به لتعرف تطورا ملحوظا من خلال إبداعه واجتهاده حتى صارت معهدا علميا يستقطب الطلبة من مناطق مختلفة داخليا وخارجيا كونه متخصص في العلوم والدراسات الإسلامية مبني على منظومة تربية تعليمية، كما اهتم بإصلاح المجتمع الميزابي اجتماعيا قصد محاربة البدع والخرافات.

رغم تأثر الحركة الإصلاحية والوطنية في وادي ميزاب بأفكار المشرق الإسلامي مثل الدعوات التربوية والثورية التي نادى بها الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا، إلا أننا التمسنا التزاما كبيرا من قبل علماء الإصلاح الميزابيين، والذي تمثل في مراعاتهم لخصوصياتهم المحلية الجزائرية، خاصة في مجال الدعوة، حيث أيقنوا كيف يستفيدون من تجارب غيرهم من دعاة الإصلاح في العالم الإسلامي من دون أن يذوبوا في شخصياتهم ومذاهبهم، أو يصيروا أتباعا لهم، فقد كان فكرهم الإصلاحي قائم على الواقعية، مؤكدين على خدمة المصلحة الوطنية بالرجوع إلى الأصول، وكذا فتح باب الاجتهاد لتحقيق مصالح الأمة المادية والروحية، واستجابة إلى تحقيق مطامعها الآنية والمستقبلية.

بروز ظاهرة إنشاء الجرائد والصحف الإسلامية الناطقة باللسان العربي الهادفة لنشر الفكر الإصلاحي، حيث كانت للشيخ أبي اليقظان بصمة في هذا المجال، المتمثلة في إنشاء وإصدار الجرائد الرسمية الواحدة تلو الأخرى، متحديا كل الصعوبات والعوائق الناتجة عن تعسف الإدارة الاستعمارية بهدف إعادة بعث الحركة الإصلاحية من خلال الصحافة التي أثرت بشكل كبير على الواقع الفكري الجزائري خلال القرن العشرين، كما شهدت الساحة الصحفية مشاركة وحضور الكثير من الأقلام الميزابية أمثال: مفدي زكريا، أبراهيم أطفييش، ابن القنفذ، الذين كان لهم ثقلا في النضال الصحفي الوطني الجزائري.

كما كان لعلماء الإصلاح في وادي ميزاب مساهمة كبيرة في المشروع الإصلاحي الوطني الجزائري، وذلك من خلال مشاركتهم في تأسيس نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائيين 1931-1954، من خلال مشايخها وكذا المشاركة بأقلامهم في صحفها الإصلاحية، بهدف الترابط والتفاعل بين المؤسسات التعليمية والتربوية للجمعية، وتلك التي أنشأوها بودي ميزاب وخارجها لإضفاء نوع من التقارب الفكري والعلمي الوطني، بهدف إحداث نهضة فكرية إصلاحية شاملة.

إن مؤسسات ووسائل الإصلاح في وادي ميزاب لم تقتصر على وسيلة واحدة، حيث وجدنا أن علماء الإصلاح بالمنطقة قد استعملوا كل ما قدروا عليه من وسائل وآليات لإيصال

صوتهم لأكبر عدد ممكن من الناس، الهادف إلى تعميم الفكر الإصلاحي، حيث أن الحرك الإصلاحية كانت شعبوية ولم تكن نخبوية تعمل على استهداف كل طبقات وفئات المجتمع، كما أن جل العاملين والناشطين بالجمعيات، وكذا الكتاب بالصحف كان معظمهم مدرسين ومعلمين في المدارس العصرية، وكذا منابر المساجد في المنطقة، بالإضافة إلى أن كل الوسائل والآليات كانت حرة متحررة من الوصاية، وأن القائمين عليها لم يكونوا موظفين لدى الإدارة الاستعمارية، رغم المضايقات والصعوبات والقرارات التي كانت تصدرها الإدارة الاستعمارية إلا أنهم بلغوا إلى تحقيق أهدافهم.

لقد قام علماء ميزاب بتقسيم مهامهم إلى قسمين حيث اهتم الشيخ أبو اليقضان بالحركة الإعلامية وذلك من خلال إنشاء وإصدار ثمانية جرائد بهدف الدفاع عن مقومات الهوية الإسلامية وفضح مخططات المبشرين والمنصرين الهادفة إلى تقويض معالم الإسلام، كما حرص من خلا مقالاته على تنبيه المسلمين إلى الأساليب التي يتسلل من خلالها المنشغلون بالتبشير من جهة ، والنداء إلى الوحدة والتوحيد والتصدي للإستعمار وذلك بإدانة أعماله وفضح مخططاته من جهة أخرى.

كما اهتم الشيخ بيوض بالحركة التعليمية وذلك من خلال دروس الوعظ والإرشاد بالمساجد ولتحقيق أهدافه بادر ببناء المساجد وتأسيس المدارس العصرية وإقامة الجمعيات والنوادي وكذا الإهتمام بتطوير التعليم العربي بشقيه الإبتدائي والثانوي بهدف :

توعية الناس بأهمية التعليم بإلحاق أبنائهم به ، والدعوة إلى الإنفاق قصد بناء المدارس العربية العصرية النظامية الحرة وإيواء الطلبة وكذا إرسال البعثات العلمية إلى الخارج، كما ألح الشيخ على الإدارة الفرنسية بتطوير التعليم الفرنسي وتوسيع نطاقه، من هنا كان هدف أعلام ميزاب هو إخراج المجتمع من دائرة التخلف والجهل والإنحطاط بغية إعداد قيادات ونخب تواصل مسيرة النهضة في المستقبل وكذا غرس القيم الإسلامية الحضرية في نفوسهم.

أما فيما يخص تعليم المرأة فقد كان سابقا حكرا على الذكور دون الإناث، وكل ما كان يسمح به للبنات في الأغلب هو تلقي مهارات يدوية مثل النسيج وصناعة الزرابي والأغطية، التي

كانت منتشرة في المنطقة، وكذا الخياطة والطرز، حيث كانت هيئة التمرسدين المسؤولة عن كل المسائل النسوية في المنطقة، بالإضافة إلى حرصها على تعليم الفتاة عن طريق الحفظ سمعا وبعض الصور القرآنية ومبادئ القرآن والكتابة ومع مطلع الأربعينيات من القرن العشرين بادر بعض المصلحين بالمطالبة لتعليم الفتاة، وذلك ضمن سياسة الإصلاح التي انتهجوها، غير أنهم اصطدموا بعدد من الخصوم و المعارضين الذين تمسكوا بتقاليد وواقع الحال الموروث، خلصت إلى إدعاء معارضة الدين الإسلامي لمثل هذا التعليم، والذي كان معظمهم من المحافظين في وادي ميزاب، اتسمت البدايات الأولى لهذا المشروع بالقلق والمغامرة من طرف أنصار الإصلاح الذين لم يتجرأوا على الجهر برأيهم وسط مجتمع إباضي ميزابي محافظ الذي كانت شروطه أبعد ما يكون عن الاستجابة لتلك الأراء، من هنا بادر الشيخ "بابكر" وزملاءه بمدرسة الإصلاح بمباشرة تعليم الفتاة الميزابية بهدف نقل المعرفة إلى الأولاد والبيت، وذلك لاختصار الطريق لإصلاح المجتمع، والجدير بالذكر أن مشروع تعليم الفتاة في وادي ميزاب خلال تلك الفترة يعتبر نقلة نوعية وركنا أساسيا في بداية تغيير النظرة تجاه المرأة رغم التخوف والحذر الذي ساد المجتمع الميزابي، والذي بدوره كان عاملا لمحدودية واجتهادات علماء الإصلاح، وعموما كانت هذه المبادرة خطوة أساسية لبداية اليقظة النسوية وعاملا لدمج المرأة الميزابية ضمن مشروع الحركة الإصلاحية في وادي ميزاب.

كما أن الميزة الغالبة على المنطقة بعد الحرب العالمية الثانية، هي ظهور صراع سياسي حاد بين فئتين متنافستين، فئة حاملة ومتشبعة بالفكر الإصلاحي التجديدي تطالب بإلحاق المنطقة بالقطر الجزائري بمبدأ إلغاء الحكم العسكري على المنطقة، وفئة ثانية محافظة تطالب بالدفاع على إبقاء المنطقة تحت ما أفرزته اتفاقية 1853، وذلك حفاظا على خصوصياته الدينية والعرقية، حيث ازداد الصراع بعد إصدار الإدارة الاستعمارية على قانون 1947 الذي بدوره أفرز تقسيم المناطق الانتخابية الجديدة قصد إجراء عضوية المجلس الجزائري 1948، وبعد الصراع السياسي الذي عرفته المنطقة بين مؤيد إصلاحي ورافضي محافظ وما نتج عنه من طعون وعرائض أصبح اودي ميزاب ممثل واحد منتخب بصفة رسمية يتمته بصلاحية التحدث باسمه والمتمثل في سرد الشيخ المصلح الديمقراطي

إبراهيم بن عمر بيوض، حيث طالب وناضل رسميا من داخل الجمعية الجزائرية الوطنية بإنهاء الحكم العسكري بالمنطقة وإلحاقها بالنظام المدني، كما رافع بإلحاقها بعمالة الجزائر.

إن الحركة الإصلاحية والنضال السياسي الذي قاده الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض في وادي ميزاب كانت تستمد أسباب قوتها الاجتماعية والإقتصادية وحتى السياسية من الأعيان والتجار ذوي الأصول الميزابية القاطنين بالشمال الجزائري ، وذلك بما كانوا يمدونه من دعم مالي ومصداقية اجتماعية وكذا الحماية السياسية وذلك بفضل العلاقات التي كانت يقيمونها رجال الأعمال الميزابيون مع مختلف المصالح الإدارية الفرنسية في الجزائر.

كما شهدت المنطقة من 1948 إلى غاية 1954 تحالفات حزبية سياسية عديدة ، حيث تحالف الإصلاحيون بقيادة الشيخ بيوض مع حزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وكذا مشايخ جمعية العلماء المسلمين ،ومن جهة أخرى لاحظنا أن المحافظين بقيادة مفدي زكريا قد تحالفوا مع حزب انتصار الحريات الديمقراطية وكذا بعض مشايخ العزابة في المنطقة ، من هنا لاحظنا أن منطقة وادي ميزاب قد عرفت حركة نضالية سياسية نشطة إبتداء من سنة 1948 إلى غاية 1954تهدف إلى من يمثلها سياسيا في مواجهة الإدارة الإستعمارية .

ملخص الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى رصد تاريخي للحركة الإصلاحية والفكرية والوطنية في منطقة وادي ميزاب بداية القرن العشرين 1900م إلى غاية تفجير الثورة الجزائرية المباركة 1954م، من خلال إظهار إسهامات مشايخ وعلماء المنطقة في نشر الفكر الإصلاحي وسعيهم في الحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية والهوية الإسلامية، وكذا إبراز أهم العوامل والأسباب التي أدت بهم لتبني الفكر الإصلاحي والوطني.

كما حاول الباحث العمل على إبراز الحراك والنضال السياسي الذي قاده مشايخ الحركة الإصلاحية في المنطقة، قصد مجابهة الإدارة الإستعمارية الفرنسية، وكذا تكامل حركتهم على كامل التراب الوطني بالإضافة إلى تأثر ساكنة المنطقة بمختلف التأثيرات الفكرية رغم سياسة العزلة المطبقة عليهم.

الكلمات الدالة: الإصلاح، الوطنية، وادي ميزاب، الإصلاحيين، المحافظين، النضال السياسي، الشعانبة

Abstrat:

This study aims at a historical observation of the reformist and patriotic movement in the M'zab valley, from the 1900s until the outbreak of the Algerian revolution, by showing the contributions of the scholars of the region to the diffusion of reformist thought and their effort to preserve the elements of national personality and Islamic identity, in addition to highlighting the most important factors and reasons that led them to adopt reformist and national thought.

The researcher tried to work on highlighting the political movement and the struggle that the leaders of the reformist movement carried out in the region, in order to face the French colonial administration, in addition to the integration of their movement throughout the national territory. The population of the region undergoes various intellectual influences, in spite of the policy of isolation which was applied to them.

Key words: **reforrm**, **patriotism**, **gutter valley**, **reformists**, **conservativers**, **political struggle**, **chaanba**.

Resumé:

Cette étude vise à une observation historique du mouvement réformiste et patriotique dans la vallée du M'zab, depuis les années 1900 jusqu'au déclenchement de la révolution algérienne, en montrant les contributions des savants de la région à la diffusion de la pensée réformiste et leur effort pour préserver les éléments de la personnalité nationale et de l'identité islamique, en plus de mettre en évidence les facteurs et les raisons les plus importants qui les ont amenés à adopter la pensée réformiste et nationale.

Le chercheur a essayé de travailler sur la mise en évidence du mouvement politique et de la lutte que les leaders du mouvement réformiste ont menée dans la région, afin de faire face à l'administration coloniale française, en plus de l'intégration de leur mouvement sur l'ensemble du territoire national. La population de la région subit diverses influences intellectuelles, malgré la politique d'isolement qui leur était appliquée.

Mots-clés: **réforme**, **patriotisme**, **vallée de gouttière**, **réformistes**, **conservateurs**, **lutte politique**, **chaanba**.